هو

١٢١

# تفسير

# المحيط الأعظم و البحر الخضم

سيد حيدر آملی

الجزء الثاني

## فهرست


۱- المقدّمة الثانية..... ۸
۱-۱ [في مباحث شتى]..... ۸
۱-۱-۱ في بيان كتاب اللّه الآفاقي التفصيلي و تطبيقه بالكتاب الأنفسي الإجمالي و تطبيقهما بالكتاب القرآني الجمعي. ۸
۱-۱-۲ (في جامعيّة القرآن للإنسان و العالم)..... ۸
۱-۱-۳ (في بيان المراد من الكتاب)..... ۹
۱-۱-۴ (في انّ هداية الكتابين اهدى هداية الكتب)..... ۹
۱-۱-۵ (في انّ كلمات الكتابين غير قابلة الانتهاء و الانقطاع)..... ۹
۱-۱-۶ (اختلاف الأقوال في المراد من الكتاب)..... ۱۰
۱-۱-۷(تحقيق الأقوال في تطبيق الكتب)..... ۱۴
۱-۱-۸ (في معنى العالم و مصاديقه)..... ۱۶
۱-۱-۹ (في بيان الحضرات الخمسة)..... ۱۶
۱-۱-۱۰ (في أنّ العوالم كلّها كتب إلهيّة)..... ۱۷
۱-۱-۱۱ القاعدة الاولى، في تفصيل العالم و ترتيب الموجودات الروحانيّة و الجسمانيّة على طريق الموحّدين و غيرهم أيضا الّذي هو الحكيم و المتكلّم..... ۱۷
۱-۱-۱۲ (في انّ العالم عرض و الجوهر هو العماء)..... ۱۸
۱-۱-۱۳(تفصيل الموجودات على الظهور و الترتيب)..... ۱۸
۱-۲ الباب السّابع في معرفة بدء الجسوم الإنسانيّة..... ۱۹
۱-۲-۱(في عمر العالم الطبيعي)..... ۱۹
۱-۲-۲ (في أنّ لكل فلك حركتين: طبيعيّة و قسريّة)..... ۱۹
۱-۲-۳ (خلق القلم و اللّوح و الهباء)..... ۲۰
۱-۲-۴(في المراتب الأربعة بين الروح و الهباء)..... ۲۰
۱-۲-۵(الجسم الكلّ أوّل الخلق في الأعيان)..... ۲۱
۱-۲-۶ (خلق اللّه أربعة أشياء بيده)..... ۲۱
۱-۲-۷ (قسمة الفلك الأدنى اثنا عشر بروجا)..... ۲۱
۱-۲-۸(بيان الطبائع و العناصر الأربعة)..... ۲۲
۱-۲-۹ (خلق الدار الدنيا)..... ۲۲
۱-۲-۱۰ (خلق الأرض و تقدير أقواتها)..... ۲۳
۱-۲-۱۱ (خلق الإنسان)..... ۲۴
۱-۲-۱۲ (تخلّق الإنسان بأسماء الحقّ تعالى)..... ۲۵
۱-۲-۱۳ (بيان جسوم الإنسانيّة و أنواعها و هي أربعة)..... ۲۵
۱-۲-۱۴ (العقل إنسان في السّماء كما إنّ الإنسان عقل في الأرض)..... ۲۷

١-٢-١٥(ابتلاء الإنسان بقوّة العقل و التفكّر) ..... ٢٨
١-٢-١٦ (تكليف العقل بمعرفة الحقّ سبحانه) ..... ٢٨
١-٣ الباب السّتّون في معرفة العناصر و سلطان العالم العلوي على العالم السّفليّ ..... ٣٠
١-٣-١(في استناد كلّ شيء إلى حقائق إلهيّة) ..... ٣٠
١-٣-٢ (المطلوب من الحقائق الإلهيّة أربع نسب) ..... ٣٠
١-٣-٣(العالم بالنسبة إلى الحقّ سبحانه منفعل و بالنظر إلى نفسه) (فمنه فاعل و منه منفعل) ..... ٣٠
١-٣-٤ (اصول ظهور الصّور و مراتب العناصر في العالم) ..... ٣٠
١-٣-٥(إنشاء اللّه تعالى الإنسان من حيث الجسم) ..... ٣٢
١-٣-٦(العالم مرتّب بترتيب المملكة و البلاد و فيه توجد جنودا و مأمورين) ..... ٣٣
١-٣-٧(خلق النون و القلم و غيرهما من الملائكة) ..... ٣٣
١-٣-٨(انّ للعالم اثنى عشر وال) ..... ٣٤
١-٣-٩(بيان نقباء الولاة) ..... ٣٤
١-٣-١٠(المقصود من خلق العالم هو الإنسان) ..... ٣٥
١-٣-١١(انعزال الحاكم بفسقه و عدم معاملته بالإحسان مع رعيّته) ..... ٣٥
١-٣-١٢(استغفار الملائكة لمن في الأرض و للمؤمنين) ..... ٣٦
١-٣-١٣(في تطبيق الأئمّة المعصومين عليهم السّلام بالولاة الحقيقيّة العلويّة) ..... ٣٧
١-٤ الباب التّاسع في معرفة وجود الأرواح المارجيّة الناريّة، المعبّر عنهم بالجنّ في الكتاب و السّنّة ..... ٣٩
١-٤-١ (في خلق الجان و الملائكة و الإنسان) ..... ٣٩
١-٤-٢(جعل الالتحام بين السّماء و الأرض) ..... ٤٠
١-٤-٣(في أنّ الأصل في الجانّ الاستكبار كما أنّ الأصل في الإنسان التواضع) ..... ٤٠
١-٤-٤(حسن استماع الجانّ حين تلاوة النّبيّ سورة الرّحمن) ..... ٤٠
١-٤-٥ (الجانّ و قبول الصّور المختلفة) ..... ٤١
١-٤-٦ (التناسل في الجانّ و الإنسان) ..... ٤١
١-٤-٧ (غذاء الجان و نكاحهم) ..... ٤١
١-٤-٨ (قبائل الجان و عشائرهم) ..... ٤٢
١-٤-٩(تشكّل العالم الروحاني و نشأة عالم الجانّ) ..... ٤٢
١-٤-١٠ (كيفيّة الموت في عالم الروحاني) ..... ٤٢
١-٤-١١(في تشكّل نشأة الإنسان و خلقته) ..... ٤٣
١-٤-١٢(قوّة العقل في الإنسان و ضعفه في الجانّ) ..... ٤٤
١-٤-١٣ (أوّل من سمّي شيطانا كان من الجنّ) ..... ٤٤
١-٤-١٤(أوّل الأشقياء من الجنّ هو إبليس) ..... ٤٥
١-٥ الباب الحادي عشر في معرفة آبائنا العلويّات و أمّهاتنا السّفليّات ..... ٤٦
١-٥-١(المقصود من العالم الإنسان و هو الإمام) ..... ٤٦
١-٥-٢ (في معنى الأب و الابن و الأمّ) ..... ٤٦
١-٥-٣ (الإسلام أكمل الشرائع) ..... ٤٦
١-٥-٤(النكاح المعنوي بين العقل و النّفس) ..... ٤٧
١-٥-٥(نظريّة نهاية الأركان قبال نظريّة المركز) ..... ٤٩

١-٥-٦ (جعل الزمان الّذي هو الليل و النهار) ..... ٥٠
١-٥-٧ (في بيان الشكر للّه سبحانه و للوالدين)..... ٥٢
١-٥-٨(مخاطب السّلام في الصّلاة) ..... ٥٣
١-٥-٩(في بيان الآباء و الأمّهات الطبيعيين) ..... ٥٤
١-٥-١٠[خطبة مولانا أمير المؤمنين على عليه السلام] ..... ٥٥
١-٥-١٠-١أمّا الخطبة الأولى..... ٥٥
١-٥-١٠-٢[الخطبة الثّانية]..... ٦٠
١-٥-١٠-٢-١ [متن الخطبة الثّانية] ..... ٦٠
١-٥-١٠-٢-١-١(خلق العالم)..... ٦٠
١-٥-١٠-٢-١-٢(خلق الملائكة)..... ٦١
١-٥-١٠-٢-١-٣(صفة خلق آدم عليه السّلام) ..... ٦١
١-٥-١٠-٢-١-٤(اختيار الأنبياء)..... ٦٢
١-٥-١٠-٢-١-٥(مبعث النّبيّ (ص))..... ٦٢
١-٥-١٠-٢-١-٦(القرآن) ..... ٦٢
١-٥-١٠-٢-١-٧(الحجّ) ..... ٦٢
١-٥-١٠-٢-٢[شرح الخطبة الثانية و فيها خمسة فصول]..... ٦٣
١-٥-١٠-٢-٢-١الفصل الأوّل..... ٦٣
١-٥-١٠-٢-٢-١-١(شرح المفردات)..... ٦٣
١-٥-١٠-٢-٢-١-٢(في معنى الصّفة و أقسامها) ..... ٦٤
١-٥-١٠-٢-٢-١-٣(في تقدّم الصّفات السلبيّة الصفات على الثبوتيّة) ..... ٦٥
١-٥-١٠-٢-٢-١-٤(عدم إمكان ثنائه تعالى بما هو عليه) ..... ٦٥
١-٥-١٠-٢-٢-١-٥(في معنى التوحيد)..... ٦٦
١-٥-١٠-٢-٢-١-٦(الإنسان لا يتمكّن حصر نعم اللّه تعالى)..... ٦٧
١-٥-١٠-٢-٢-١-٧(في أنّ شكر النعمة نعمة منه تعالى)..... ٦٨
١-٥-١٠-٢-٢-١-٨(في انّ الواجب ليس بمركب و ما ليس بمركب ليس بمدرك الحقيقة) ..... ٦٩
١-٥-١٠-٢-٢-١-٩(في بيان معنى الفطر و الإنفطار)..... ٧١
١-٥-١٠-٢-٢-١-١٠ (في بيان المراد من أوتاد الأرض و المقصود من الوتد)..... ٧٣
١-٥-١٠-٢-٢-٢(الفصل الثاني في نسبة إيجاد العالم إلى قدرة اللّه تعالى جملة و تفصيلا، و في كيفيّة ذلك و هو اقتصاص في معرض المدح)..... ٧٥
١-٥-١٠-٢-٢-٢-١(شرح ألفاظ الخطبة)..... ٧٥
١-٥-١٠-٢-٢-٢-٢(في بيان انّ إيجاد العالم كان بلا تفكّر و لا حركة) ..... ٧٦
١-٥-١٠-٢-٢-٢-٣(في إحاطة علمه تعالى بالأشياء) ..... ٧٩
١-٥-١٠-٢-٢-٢-٤ (في بيان تعداد أسماء اللّه الحسنى)..... ٧٩
١-٥-١٠-٢-٢-٢-٥(في كيفيّة الخلق و تفصيل إيجاده و الإشارة إلى مباديه) ..... ٨٠
١-٥-١٠-٢-٢-٢-٦(في بيان أنواع الملائكة و أصنافها)..... ٩٧
١-٥-١٠-٢-٢-٣الفصل الثالث في كيفيّة خلق آدم عليه السّلام..... ١١٠
١-٥-١٠-٢-٢-٤ الفصل الرابع في بعث الأنبياء و الرّسل من ذريّته و الكتب النازلة عليهم من اللّه تعالى..... ١٣٢

١-٥-١٠-٢-٢-٥ الفصل الخامس: في الحجّ و ترتيبه و أركانه..... ١٥٣
٢- المقدّمة الثالثة..... ١٥٤
٢-١ في بيان الحروف الآفاقيّة الإلهيّة و تطبيقها بالحروف القرآنيّة مطابقا للحروف الأنفسيّة الإنسانيّة..... ١٥٤
٢-١-١ (في أنّ حروف العالم عبارة عن الحقائق البسيطة من الأعيان) (في علم الحقّ سبحانه)..... ١٥٤
٢-١-٢ (في أنّه تعالى كلّ يوم في شأن)..... ١٥٤
٢-١-٣ (في أنّ الوجود من حيث هو وجود واحد من جميع الجهات)..... ١٥٥
٢-١-٤(في انّ التوحيد إسقاط الإضافات)..... ١٥٦
٢-١-٥ (في أنّ ظهور الوجود المطلق لا يكون إلّا من حيث الإضافات)..... ١٥٦
٢-١-٦ (في أنّ الظهور و الإضافات لا بدّ له تعالى من حيث الكمال و الاقتضاءات الأسمائيّة)..... ١٥٨
٢-١-٧ (في بيان نسبة الموجودات العلميّة و العينيّة إلى) (الفيض الأقدس و الفيض المقدّس)..... ١٥٨
٢-١-٨(في توقف انكشاف الأفعال على انكشاف الأكوان و هكذا)..... ١٥٩
٢-١-٩ (في بيان الوحدة المحضة و التوحيد و الصّرف)..... ١٦٠
٢-١-١٠ (في ان ظهور الوجود بصور الموجودات مثل ظهور الألف بصور الحروف)..... ١٦١
٢-١-١١في معيّة الوجوديّة..... ١٦٢
٢-١-١٢في أنّ ليس في الوجود غيره تعالى و إن صورة العالم صورته سبحانه..... ١٦٢
٢-١-١٣ (في انّه تعالى حقيقة كلّ شيء كما هو سبحانه صورة كلّ شيء)..... ١٦٣
٢-١-١٤ (في تفسير قوله (ص): ظهرت الموجودات من باء بسم اللّه الرّحمن الرّحيم)..... ١٦٣
٢-١-١٥القسم الأوّل في تحقيق الباء و التعيّن الأوّل الّذي هو مظهره..... ١٦٤
٢-١-١٥-١ (في أنّ الباء صورة الوجود الظاهر كما أنّ الألف صورة الوجود الباطن)..... ١٦٤
٢-١-١٥-٢في بيان معنى العماء..... ١٦٥
٢-١-١٥-٣في بيان أسماء التعين الأوّل..... ١٦٥
٢-١-١٥-٣-١ (في المراد بالتعيّن الأوّل و بيان أسمائه)..... ١٦٥
٢-١-١٥-٣-٢ (عناوين الخليفة)..... ١٦٦
٢-١-١٥-٣-٣في ذكر عبارة الشيخ الأكبر في بيان التعيّن الأوّل..... ١٦٨
٢-١-١٥-٤ (إنّ القرآن صورة إجمال العالم)..... ١٧٢
٢-١-١٥-٥ (ترتيب القرآن مطابق لترتيب العالم)..... ١٧٢
٢-١-١٥-٦(اختفاء ذات الحقّ تعالى في باء الآفاق و هو الإنسان)..... ١٧٢
٢-١-١٥-٧ (تطابق القرآن مع العالم في الكلمات و الحروف و غيرهما)..... ١٧٣
٢-١-١٥-٨ (في تعداد حروف القرآن و حركاته) (و أنّ تحت كل واحد منها علو و سرّ و باطن)..... ١٧٣
٢-١-١٥-٩ (في بيان الأسرار و الأقوال في الحروف المقطعة في أوائل السّور)..... ١٧٤
٢-١-١٥-١٠ (في أنّ بسم اللّه الرّحمن الرّحيم مترتّبة على ترتيب العالم)..... ١٧٥
٢-١-١٦ القسم الثاني في تحقيق النقطة و كيفيّة التميّز بها في الصّورتين..... ١٧٦
٢-١-١٦-١ (في انّ الموجودات الممكنة إضافات هالكة)..... ١٧٦
٢-١-١٦-٢ (في تفسير قول علي (ع): أنا النقطة و: كنت وليا و آدم بين الماء و الطين)..... ١٧٧
٢-١-١٦-٣ في بيان أنّ النقطة مخصوصة بالوليّ المطلق..... ١٧٨
٢-١-١٦-٤ (في أنّ الولاية أعظم من النبوّة و خاتم الأولياء وارث الأنبياء)..... ١٧٩
٢-١-١٦-٥ (في أنّ الهباء أوّل موجود في العالم)..... ١٧٩

۲-۱-۱۶-۶ (في تطبيق العالم بالقرآن و الإنسان) ..... ۱۸۰
۲-۱-۱۶-۷(في علم النبيّ (ص) و الولي (ع): بأسرار العالم و الإنسان و القرآن) ..... ۱۸۱
۲-۱-۱۶-۸ (في انّ الإنسان هو النقطة المركزيّة الّتي يدور عليها الوجود)..... ۱۸۲
۲-۱-۱۶-۹ (في بيان مقام الفناء و الرّجوع و الخفاء و البطون، و الوصول إلى مقام الوحدة الصرفة)..... ۱۸۳
۲-۱-۱۶-۱۰ (في بيان حقيقة الفقر و معناه)..... ۱۸۵
۲-۱-۱۷ القسم الثالث في تطبيق الحروف الآفاقيّة بالحروف القرآنيّة على سبيل التفصيل..... ۱۸۶
۲-۱-۱۷-۱ (في بيان المقصود من الحروف الآفاقيّة)..... ۱۸۶
۲-۱-۱۷-۲ (في انّ تركيب الحاصل من الحروف القرآنيّة و أيضا الآفاقيّة لا تقبلان الحصر)..... ۱۸۶
۲-۱-۱۷-۳ (في بيان مركّبات القرآن و الآفاق و حركاتهما) ..... ۱۸۷
۲-۱-۱۷-۴ (في المراد من ستّة أيّام في خلق العالم)..... ۱۸۷
۲-۱-۱۷-۵ (في بيان وقوع الموجودات على طبيعة العدد)..... ۱۸۸
۴- المقدّمة الرّابعة في الكلمات الآفاقيّة الإلهيّة و تطبيقها بالكلمات القرآنيّة على سبيل الإجمال و التّفصيل..... ۱۹۱
۳-۱ (في معنى الكلمة الآفاقيّة و أقسامها)..... ۱۹۱
۳-۲ أنّ هاهنا أبحاث: ..... ۱۹۳
۳-۲-۱ البحث الأوّل في الدّواة و القلم الصّادرة منهما هذه الكلمات ..... ۱۹۳
۳-۲-۱-۱ (في بيان انّ الموجودات غير قابلة للانتهاء و أنّ الموجود يستحيل اعدامه) ..... ۱۹۴
۳-۲-۲ البحث الثّاني في تحقيق الكلمة الآفاقيّة..... ۱۹۵
۳-۲-۲-۱ (في انّ الإنسان على قسمين)..... ۱۹۵
۳-۲-۲-۲ (في أنّ للكلمة اعتبارين: تامّة و هي الإنسان و غير تامّة و هي ساير الموجودات) ..... ۱۹۶
۳-۲-۲-۳ (في انّ الأنبياء كلمات تامّات و مقاماتهم حصلت لهم لا بالمجاهدة) ..... ۱۹۷
۳-۲-۳ البحث الثّالث في تحقيق الكلمة بوجه آخر..... ۲۰۰
۳-۲-۳-۱(مرتبة كلّ نبيّ، مرتبة من مراتب النبيّ الخاتم (ص))..... ۲۰۰
۳-۲-۳-۲ (في تفسير قول نبيّنا (ص): بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق)..... ۲۰۱
۳-۲-۴ البحث الرابع في الأخلاق و ما يتعلّق بها من بحث الكلمات ..... ۲۰۳
۳-۲-۴-۱ (في بيان أصول الأخلاق و معنى الحكمة و العفّة و الشجاعة و العدالة)..... ۲۰۳
۳-۲-۴-۲ الفصل الأوّل في تعريف الخلق و بيان تغيّره..... ۲۰۵
۳-۲-۴-۳ الفصل الثاني في مكارم الأخلاق و أجناس الفضائل ..... ۲۰۶
۳-۲-۴-۴ الفصل الثالث في الأنواع الواقعة تحت جنس الحكمة ..... ۲۰۷
۳-۲-۴-۵ الفصل الرّابع في الأنواع الّتي تحت الشّجاعة..... ۲۰۹
۳-۲-۴-۶ الفصل الخامس في الأنواع الواقعة تحت العفّة، و هي إثنا عشر ..... ۲۱۱
۳-۲-۴-۷ الفصل السادس في الأنواع الّتي تحت العدالة، و هي أربعة عشر ..... ۲۱۶
۳-۲-۵ البحث الخامس في تحقيق الكلمات من حيث التوحيد ..... ۲۲۰
۴- المقدّمة الخامسة في تحقيق الآيات الآفاقيّة و تطبيقها بالآيات القرآنية على سبيل الإجمال..... ۲۲۱
۴-۱ (في أنّ مبادئ الإدراك ثلاثة: الكشف و التفكّر و التعقّل)..... ۲۲۳
۴-۲ (في انّ مطالعة القرآن، كما هي مخصوصة و شاملة إلى أهل الظاهر و الباطن معا فكذلك مطالعة آيات اللّه الآفاقيّة) ..... ۲۲۵
۴-۳ (في كيفيّة مطالعة أهل الظاهر و أهل الباطن في القرآن و الآفاق)..... ۲۲۶

۴-۴ في انّ معرفة الحقيقي موقوفة على مطالعة القرآن و الآفاق معا..... ۲۳۱
۴-۴-۱ القاعدة الأولى..... ۲۳۲
۴-۴-۲ و أمّا القاعدة الثّانية..... ۲۳۴
۴-۴-۲-۱ (في أنّ الأعيان الثابتة غير الثابتات الأزليّة)..... ۲۳۹
۴-۴-۲-۲ (في أنّ النور هو الوجود الحقيقي)..... ۲۳۹
۴-۴-۲-۳ (الفرق بين الخوف و الخشية)..... ۲۴۵
۴-۴-۲-۴ (في تطبيق الآفاق بالأنفس على سبيل التفصيل)..... ۲۴۶
۴-۴-۲-۵ (في بيان المراد من شجرة طوبى) ..... ۲۴۹
۴-۴-۲-۶ في بيان المراد من الشجرة الّتي أكل منها آدم (ع) ..... ۲۵۱
۴-۴-۲-۷ (في أنّ الوجود مطلقا دائر على التقابل من الأسماء الجلاليّة و الجماليّة) ..... ۲۵۳
۴-۴-۲-۸ في أنّ للعارفين شهوة و شوق إلى اللّه و لمعرفة جلاله و هي ليست في غيرهم..... ۲۵۴

## ١- المقدّمة الثانية

### ١-١ [في مباحث شتى]

#### ١-١-١ في بيان كتاب اللّه الآفاقي التفصيلي و تطبيقه بالكتاب الأنفسي الإجمالي و تطبيقهما بالكتاب القرآني الجمعي

اعلم أيّها الطالب كحّل اللّه عين بصيرتك بنور الهداية و التوفيق و أرشدك إلى طريق التأويل و سبيل التحقيق، أنّ كتاب اللّه ليس مخصوصا بالقرآن فقط، و لا بالتّوراة و الإنجيل و غيرهما من الكتب السّماويّة، و أنّ آياته ليست منحصرة في آيات القرآن و لا غيره من الكتب، و لا كلماته في كلماته، و لا حروفه في حروفه، بل العالم المسمّى بالآفاق كلّه كتاب اللّه مشتمل على آياته و كلماته و حروفه، و هو الكتاب الكبير الإلهيّ، و الإنسان المسمّى بالأنفس، و هو أيضا كتاب جامع إلهيّ مشتمل على آياته و كلماته و حروفه، و هو الكتاب الصّغير الإلهيّ، و يسمّى الأوّل بالإنسان الكبير، و الثّاني بالإنسان الصّغير، لقولهم: العالم إنسان كبير، و الإنسان عالم صغير، و إليهما أشار الحقّ تعالى بقوله:

سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ [سورة فصّلت: ٥٣- ٥٤].

#### ١-١-٢ (في جامعيّة القرآن للإنسان و العالم)

و أمّا القرآن، فصورة تفصيلهما و إجمالهما، و الجامع بينهما صورة و معنى، و لجامعيّته سمّي بالقرآن كما مرّ تقريره في المقدّمة الأولى إجمالا و كما سنبيّنه تفصيلا إن شاء اللّه، و الدّليل على أنّ الآفاق و الأنفس كتابان مشتملان على آيات اللّه و كلماته و حروفه، كثير، و سنشير إلى أكثرها، لأنّا في صدد إثبات هذا، لكن أعظم الدّليل و أجلّه و هو الّذي شهد اللّه تعالى جلّ ذكره باشتمالهما على الآيات و الكلمات و الحروف، و شهد بأنّ مطالعتهما موجب لمشاهدته و مشاهدة أنوار وجهه الكريم.

### ۱-۱-۳ (في بيان المراد من الكتاب)

و معلوم أنّ الآيات لا تنسب إلّا إلى الكتاب لأنّ الكتاب عبارة عن صورة جامعة مشتملة على آيات و كلمات و حروف، لأنّ الآيات لا تطلق إلّا على هيئة جامعة من الكلمات كما أنّ الكلمات لا تطلق إلّا على هيئة جامعة من الحروف، فالكتاب المشتمل على الآيات يكون مشتملا على الكلمات و الحروف و بناء على هذا يكون العالم كتابا كبيرا مشتملا على هذه الثّلاث و كذلك الإنسان الّذي هو الكتاب الصّغير، و بالحقيقة إليهما أشار الحقّ أيضا في قوله:

قُلْ فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدى مِنْهُما أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ [سورة القصص: ۴۹].

### ۱-۱-۴ (في انّ هداية الكتابين اهدى هداية الكتب)

لأنّه ليس هناك كتاب أهدى من هذين الكتابين إليه تعالى و إن كان كلّ كتاب هادي إليه، لأنّ كلّ هداية لم تكن هادية إلى مشاهدته في مظاهره الآفاقيّة و الأنفسيّة المعبّرة بالآيات كما أشار إليها هو بنفسه لم يكن هداية و قد سبق بيان الهداية و أقسامها إجمالا و تفصيلا، و بيان أنّ نهايتها و غايتها مشاهدته في مظاهره الآفاقيّة و الأنفسيّة.

### ۱-۱-۵ (في انّ كلمات الكتابين غير قابلة الانتهاء و الانقطاع)

و سيجيء البسط في ذلك إن شاء اللّه، و إلى كلمات هذين الكتابين و آياتهما المركّبة عنها الغير القابلة للانتهاء و الانقطاع أشار بقوله: قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً [سورة الكهف: ۱۰۹].

و بقوله:

وَ لَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [سورة لقمان: ۲۷].

لأنّ هذا لو كان إشارة إلى كلمات القرآن أو التّوراة و الإنجيل و غير ذلك من الكتب بزعم المفسّرين لم يقل في أوصافها هذا، و لا بالغ في كثرتها هذه المبالغة، لأنّ كلمات القرآن، أو كلمات أيّ كتاب من كتب اللّه المنزّلة يفرض، تنفد بأوقية من المداد أو أكثر أو أقلّ، و أمّا كلمات هذين الكتابين الّتي هي عبارة عن حقايق الموجودات و ماهيّاتها و أعيانها، أو المركّبات الخارجيّة منها، روحانيّة كانت أو جسمانيّة، فإنّه لا يمكن انفادها و انتهاءها لأنّها غير متناهية باتفاق المحققين كما سبق ذكرها أيضا، و سيجيء بيانها في المقدّمة الرّابعة مبسوطا، لأنّا قد بيّنا عند تعريف التّأويل و كيفيّة قراءة هذه الكتب، أنّ حروف الكتاب الآفاقي هي مفردات العالم بأسرها و هي بمثابة مفردات الحروف و بسائطها، و أنّ كلماته مركّبات العالم بأجمعها و هي بمثابة كلمات القرآن و مركّباته، و أنّ آياته كليّات العالم على حسب طبقاتها و هي بمثابة آيات القرآن و كليّاته، و بيّنّا أنّ الإنسان صورة إجمال هذا الكتاب و تفصيله، و مفردات نفسه و بسائطه بمثابة مفردات العالم، و بسائطه و مركباته بمثابة كلماته، و كليّاته بمثابة آياته حذو النعل بالنعل و القذة بالقذ، كما عرفته مفصّلا في صورة الدائرة، و قبل الدائرة، و كما ستعرفه في هذه المقدّمة، و بيّنّا أنّ القرآن صورة تفصيل هذين الكتابين و اجمالهما صورة و معنى فحينئذ كما

يصدق على القرآن أنّه كتاب إلهيّ و مصحف ربّانيّ يصدق على الآفاق المسمّى بالعالم انّه كتاب إلهي و مصحف ربّانيّ، و كذلك على الإنسان المعبر عنه بالأنفس لأنّه أيضا كتاب إلهي و مصحف ربّانيّ، و هذا هو المطلوب من هذا البحث، و إذا تقرّر هذا.

### ۱-۱-۶ (اختلاف الأقوال في المراد من الكتاب)

فاعلم أنّ ذلك لو لم يكن كذلك أي لو لم يكن لفظ الكتاب محتملا لهذه المعاني كلّها و قابلا لهذه الوجوه بأسرها ما اختلف العلماء و أرباب التفسير و التّأويل في تعيين الكتاب و تحقيقه عند قوله:

كانَ ذلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً [سورة الأسراء: ۵۸].

و عند قوله:

وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ [سورة الأنعام: ۵۹].

و عند قوله:

وَ الطُّورِ وَ كِتابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ [سورة الطّور: ۱- ۳].

و سيّما في قوله:

الم ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ [سورة البقرة: ۱- ۲].

فإنّ أرباب التّفسير قد اختلفوا فيه اختلافا شديدا، فانّ بعضهم قال: المراد به القرآن، و بعضهم قال: إنّه الكتاب الموعود في التّوراة و الإنجيل، و بعضهم قال: إنّه اللوح المحفوظ، و بعضهم قال: إنّه القرآن النازل على السّماء الرّابعة مجملا و على قلب محمّد مفصّلا، و أمثال ذلك، كقول جار اللّه الزّمخشري في الكشّاف الّذي هو أعظم المفسّرين، فانّه قال:

إن جعلت «الم» اسما للسورة، ففي التّأليف وجوه: و هو أنّه يكون «الم» مبتدأ، و «ذلك» مبتدأ ثانيا، و «الكتاب» خبره، و الجملة خبر المبتدأ الأوّل، و معناه: أنّ ذلك هو الكتاب الكامل، كأنّ ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص، و أنّه يستأهل أن يسمّى كتابا كما تقول: هو الرّجل أي الكامل في الرّجوليّة الجامع لما يكون في الرّجال من خيار الخصال.

و كقول فخر الدّين الرّازي في مفاتيح الغيب، فانّه قال فيه وجوه: منها، قوله:

لقائل أن يقول: المشار إليه (هاهنا) حاضر و «ذلك» اسم مبهم يشار به إلى البعيد، و الجواب عنه من وجهين:

الأوّل، لا نسلّم أنّ المشار إليه حاضر، و بيانه من وجوه:

الأوّل، قال الأصم: أنّ اللّه تعالى أنزل الكتاب بعضه بعد بعض فنزل قبل سورة البقرة سور كثيرة بمكّة ممّا كان فيه دلالة على التّوحيد و فساد الشّرك و إثبات النبوّة و المعاد، فقوله: «ذلك»، إشارة إلى تلك السّور الّتي نزلت قبل هذه السّورة، و قد يسمّى بعض القرآن قرآنا، قال تعالى:

وَ إِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ [سورة الأعراف: ۲۰۴].

و قال حاكيا عن الجنّ:

إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً [سورة الجنّ: ۱].

و لم يسمعوا كلّ القرآن بل بعضه.

الثّاني، أنّ اللّه وعد رسوله عند مبعثه أن ينزل عليه كتابا لا يمحوه الباطل و لا الماء ، و أخبر امّته بذلك و روت الأمّة عنه ذلك، و يؤكّده قوله تعالى:

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا [سورة المزمل: ۵].

و هي نزلت في ابتداء المبعث.

و الثّالث أنّه تعالى خاطب بني إسرائيل، و سورة البقرة مدنيّة و أكثرها احتجاج على اليهود و على بني إسرائيل لأنّ موسى و عيسى عليهما السّلام بشّرا بقدوم النّبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و انّ اللّه ينزل عليه كتابا فقال تعالى:

ذلِكَ الْكِتابُ (أي) الّذي أخبر اللّه على لسان موسى و عيسى أنّه ينزل على ولد إسماعيل، المرسل المبعوث من العرب، هو هذا الكتاب.

و الرّابع أنّه تعالى لمّا أخبر عن القرآن بأنّه في اللّوح المحفوظ لقوله:

وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ [سورة الزّخرف: ۴].

و قد كان النّبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أخبر أمّته بذلك، فغير ممتنع أن يقول اللّه:

«ذلك الكتاب» ليعلم أنّ هذا المنزل هو ذلك المثبت في اللوح المحفوظ.

و كقول أمين الدّين الطبرسي من الإماميّة في تفسيره الكبير فإنّه قال:

مروي عن ابن عباس رضي اللّه عنه، أنّ الكتاب هو القرآن و يكون ذلك بمعنى هذا، و قيل: هذا مضمر و معناه هذا ذلك الكتاب الّذي وعد بك يا محمّد في التّوراة و الإنجيل و يكون اللّام في الكتاب للعهد لا غير.

و غير هؤلاء الثّلاث من المفسّرين ليس لهم كلام يستحقّ أن ينقل و يذكر، و سبب اختلاف هؤلاء، و المفسرين مطلقا و هو أنّهم ما تحقّقوا معنى «الم» بأنّه اسم للسّورة، أو اسم للكتاب أو قسم أو لعدد السّور، أو إشارة إلى صفات اللّه تعالى، و ما تحقّقوا أيضا أنّ لفظة «ذلك» إشارة إلى القرآن أو إلى الكتاب الموعود في التّوراة و الإنجيل أو إلى اللّوح المحفوظ، أو إلى كتاب آخر غير هذه الكتب، لأنّ لفظة ذلك في الأغلب لا يشار بها إلّا إلى الغائب دون الحاضر و لم يعرفوا أنّ هذا الألف و اللّام في الكتاب للجنس أو للعهد أو للاستغراق أو للحصر، أو غير ذلك، و الحقّ أنّ هذه الوجوه كلّها ليست مشبعة و لا معطية حقّ المراد مع أنّها أحسن الوجوه و أشرفها، و الحقّ أنّ تحقيق أمثال ذلك خارج عن طور المفسّرين، لأنّهم من اللّذين يعلمون ظاهر الحياة الدّنيا، و هم عن

الآخرة هم غافلون.

و أمّا أرباب التّأويل فهم أيضا اختلفوا اختلافا شديدا، فقال بعضهم: إنّه إشارة إلى العقل الأوّل، و بعضهم: إنّه إشارة إلى النّفس الكليّة، و بعضهم: إنّه إشارة إلى اللّوح المحفوظ، و بعضهم: إنّه إشارة إلى لوحي القضاء و القدر، و الجفر و الجامع، و بعضهم: انّه إلى الكتاب الكبير الآفاقي، و بعضهم: إنّه إلى الكتاب الصغير الأنفسي و أمثال ذلك ممّا يطول ذكره، و هذه أيضا ليست بمشبعة و إن كانت دقيقة شريفة إلّا بعضها، و ذلك البعض هو ما ذهبنا إليه من الكتاب الآفاقي مع ما في ضمنه من الكتاب الأنفسي، أمّا تفسيره بالعقل أو النّفس فليس بصحيح، لأنّ العقل و النّفس أميّا الكتاب لا الكتاب نفسه لقوله تعالى:

يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ [سورة الرعد: ٣٩].

و لقوله:

كانَ ذلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً [سورة الإسراء: ٥٨].

لأنّه ما أراد بهما إلّا العقل الأوّل، و النّفس الكليّة اللّذان هما صورتا الكتاب إجمالا و تفصيلا. لأنّ العقل الأوّل الكتاب الإجمالي الكلّي لثبوت الأشياء فيه مجملا، و النّفس الكلّية هي الكتاب التفصيلي الجزئي لثبوت الأشياء فيها مفصلا، كما مرّ ذكره غير مرّة، و عند التّحقيق هذان الكتابان بالنّسبة إلى الكتاب الآفاقي كسورتي البقرة و آل عمران بالنّسبة إلى الكتاب القرآني المسمّاة عند المفسرين بالزهراوين ، و اللّوح المحفوظ عند البعض أيضا عبارة عن النّفس الكليّة، و العقل الأوّل عن القلم لأنّ العقل من حيث فيضانه العلوم و الحقائق على النّفس الكليّة صار كالقلم، و النّفس لقابليّتها لها كاللّوح، و:

ن وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ [سورة القلم: ١].

إشارة إليهما، لأن النّون عبارة عن النّفس الكلّية، و القلم عن العقل الأوّل، و قيل:

بالعكس و يجوز.

و أمّا تفسيره بلوحي القضاء و القدر فكذلك، لأنّ العقل الأوّل هو لوح القضاء على رأي من قال به لاشتماله على العلم بالحقايق و الأعيان إجمالا، و النفس الكليّة هي لوح القدر لاشتماله على العلم بالموجودات و المخلوقات تفصيلا، و كذلك الجفر و الجامع على من قال به لأنّه فسّر الجفر بلوح القضاء و الجامع بلوح القدر و هو مولانا كمال الدّين عبد الرزّاق قدس اللّه سرّه، فإنّه ذكر في تأويله هذا المعنى بعينه و هو قوله:

«فمعنى الآية: الم (هو) ذلِكَ الْكِتابُ الموعود، أي صورة الكلّ المومى إليها بكتاب الجفر و الجامعة المشتمل على كل شيء، الموعود بأنّه يكون مع المهدي في آخر الزّمان، لا يقرأه كما هو بالحقيقة إلّا هو، و الجفر لوح القضاء الّذي هو عقل الكلّ، و الجامعة لوح القدر الّذي هو نفس الكلّ، فمعنى كتاب الجفر و الجامعة (على هذا هو الكتاب الّذي فيه الجفر و الجامعة) المحتويان على (علم) كلّ ما كان و يكون، كقولك:

سورة البقرة و سورة النّمل».

لا رَيْبَ فِيهِ، عند التّحقيق بأنّه الحقّ، و على تقدير القسم (القول) فمعناه بالحقّ الّذي هو الكلّ من حيث هو كلّ

(الكلّ) لأنّي (لأنّه) مبين لذلك الكتاب الموعود على ألسنة الأنبياء، و في كتبهم بانّه سيأتي به (المهدي) كما قال عيسى عليه السّلام:

«نحن نأتيكم بالتنزيل، و أمّا التأويل فسيأتي به الفارقليط (المهدي) في آخر الزّمان».

و حذف جواب القسم، لدلالة ذلك الكتاب عليه كما حذف في غير موضوع من القرآن، مثل: «و الشّمس»، و «النازعات»، و غير ذلك، أو لأني منزل (أي إنّا منزلون) لذلك الكتاب الموعود في التّوراة و الإنجيل بأنّه (بأن يكون) مع محمّد، حذف لدلالة قوله: ذلِكَ الْكِتابُ عليه، أي ذلك الكتاب المعلوم في العلم السّابق الموعود في التّوراة و الإنجيل حقّ بحيث لا مجال للرّيب فيه. هُدىً لِلْمُتَّقِينَ، أي هدى في نفسه للّذين يتّقون الرّذائل و الحجب المانعة لقبول الحقّ».

و المراد من إيراد كلامه بعبارته أنّه فسّر الكتاب بالجفر و الجامعة و ليس في الواقع كذلك كما ذكرناه و كما سنذكره إن شاء اللّه. لأنّه يلزم من قوله إنّ الجفر و الجامعة من الكتاب، لا الكتاب، و سبب اختلاف هؤلاء أيضا في تعيين الكتاب و تحقيقه ليس إلّا الإشارات الإلهيّة و المخاطبات الرّبانيّة في كتابه القرآني بالنّسبة إلى الأنبياء و الأولياء عليهم السّلام كقوله في حقّ يحيى عليه السّلام.

يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا [سورة مريم: ١٢].

و كقوله في حقّ عيسى عليه السّلام:

قالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا [سورة مريم: ٣٠].

و كقوله في حق آصف عليه السّلام:

قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ [سورة النمل: ۴٠].

و كقوله في حقّ عليّ عليه السّلام:

قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ [سورة الرّعد: ۴٣].

لأنّ هذه الإشارات شواهد و دلالات على أنّ هذه الكتب غير الكتب المذكورة من القرآن و التّوراة و الإنجيل و أمثالها، فإنّ في زمن يحيى و عيسى عليهما السّلام لم تكن التّوراة و الإنجيل، موجودان خصوصا بالنّسبة إليهما لأنّهما كانا صبيان طفلان كما أخبر عنهما القرآن، و كذلك آصف فإنّه أيضا لم يكن صاحب كتاب معيّن، و كذلك أمير المؤمنين فإنّ في زمانه لم يكن القرآن كتابا موجودا في الخارج حتّى يشير إليه بأنّه كتاب لأنّ القرآن بعد وفاة النّبي صلّى اللّه عليه و آله صار كتابا مجموعا بقول من قال:

جمعه عليّ عليه السّلام، أو بقول من قال: جمعه عثمان، أو ابن مسعود و على جميع التّقادير ليس المراد به القرآن و لا غيره من الكتب السّماويّة بل المراد به الكتاب الآفاقي الشّامل للكلّ أو الكتاب العقلي المسمّى بامّ الكتاب على تقدير الجواز، و معلوم أنّه لو كان المراد بالكتاب الّذي نسب إلى يحيى أو إلى عيسى عليهما السّلام التّوراة أو الإنجيل ما قال تعالى في حقّ عيسى:

وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ رَسُولًا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ [سورة آل عمران: ۴۸- ۴۹].

و ما عطف التّوراة و الإنجيل على الكتاب و الحكمة و العطف شاهد بالمغايرة.

و قول صاحب التّأويل الّذي هو أحسن الأقوال يشهد بذلك و إن لم يكن مراده ذلك لأنّه إذا فسّر الكتاب بصورة الكلّ و الكلّ بكتاب الجفر و الجامعة أو الكتاب الّذي فيه الجفر و الجامعة، لو قال الجفر عبارة عن الكتاب الكبير الآفاقي، و الجامعة عن الكتاب الصّغير الأنفسي كان أحسن و ألطف و إلى طريق أهل الحق أقرب، و الكتابان كانا داخلان تحتهما، لأنّه إذا قال صورة الكلّ المومأ إليه بكتاب الجفر و الجامعة و قال:

فمعنى كتاب الجفر و الجامعة على هذا هو الكتاب الّذي فيه الجفر و الجامعة المحتويان على علم كلّ ما كان و يكون، لم يكن يحتاج إلى تعيين آخر. فإن قوله: صورة الكلّ يقوم بجواب الكلّ، و المعنى مطابق و ليس فيه الخلاف، لأنّه بعد ذلك كلّه أوّل الجفر بالعقل الأوّل و الجامعة بالنّفس الكليّة، و العقل و النّفس جزآن من أجزاء الكلّ المعبّر عنه بالعالم و سورتان من سور كتاب اللّه الآفاقي كما قال هو، و عبّر عنهما بالبقرة و النمل، فتعبيره على هذا بالكتاب الكبير الآفاقي كان أنسب، و قوله في تأويل سورة الطور يعضد ذلك كلّه و يصدّق قولنا المجموع و يناقض قوله هذا لأنّه قال:

وَ الطُّورِ وَ كِتابٍ مَسْطُورٍ [سورة الطّور: ۱- ۲].

الطّور هو الجبل الّذي كلّم عليه موسى و هو الدماغ الإنساني الّذي هو مظهر العقل و النّطق، أقسم به لشرفه و كرامته، و لكون الفلك الأعظم الّذي هو محدّد الجهات بالنّسبة إلى العالم بمثابة الدماغ بالنّسبة إلى الإنسان، يمكن أن يكون إشارة إليه، و أقسم به لشرفه و كونه مظهر الأمر الإلهي و محلّ القضاء الأزلي.

«و الكتاب المسطور» هو صورة الكلّ على ما هو عليه من النّظام المعلوم المنتقش في لوح القضاء الّذي هو الرّوح الأعظم، المشابه إليه هاهنا بالرقّ المنشور و تنكيرهما للتعظيم.

وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ هو قلب العالم أي النّفس الناطقة الكلّيّة و هو لوح القدر، و عمرانه إطافة الملكوت به.

وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ هو السّماء الدّنيا الّتي تنزل الصّور و الأحكام من لوح القدر الّذي هو اللّوح المحفوظ إليه، ثمّ تظهر في عالم الشّهادة بحلولها في المراد و هو لوح المحو و الإثبات بمثابة محلّ الجنان في الإنسان.

وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ هو الهيولى المملوءة بالصّور الّتي تظهر عليها جميع ما أثبت في الألواح المذكورة.

إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ لَواقِعٌ بظهور القيامة الصغرى، و على التأويل الأوّل و هو تأويل الطور بالدماغ يكون الكتاب المسطور إشارة إلى المعلومات المركوزة في الرّوح الإنساني المسمّاة بالعقل القرآني، و الرّوح هو الرّق المنشور، و نشوره ظهوره و انبثاثه في البدن، و البيت المعمور هو القلب الإنساني، و السّقف المرفوع هو مصعد الخيال المنتقش بالصّور الجزئية، و البحر المسجور هو مادة البدن المملوءة بالصّورة و اللّه أعلم و أحكم

### ۱-۱-۷(تحقيق الأقوال في تطبيق الكتب)

و المراد من إيراد هذا الكلام صورتان: الاولى، قوله: و الكتاب المسطور هو صورة الكلّ على ما هو عليه من

النّظام المعلوم. و الثّانية، تطبيقه الكتاب الآفاقي بالكتاب الأنفسي، لأنّ الصّورتين هما مطابقان لدعوانا في هذا الباب.

و بالجملة تأويل الكتاب بالكتاب الكبير الآفاقي أنسب من تأويله بالجفر و الجامعة الدّاخلتين فيه صورة و معنى. و قد ذهب إلى هذا أكثر المشايخ من أرباب التّوحيد و من جملتهم الشيخ الأعظم محيي الدّين ابن عربي قدّس اللّه سرّه، لأنّه كتب في هذا كتابا و سمّاه بالتدبيرات الإلهيّة في إصلاح المملكة الإنسانية ، و طابق فيه الكتاب الكبير الآفاقي بالكتاب الصّغير الأنفسي تطابقا تفصيليّا بحيث وصل إلى المواليد الثّلاثة و الحشرات الأرضيّة كما سنشير إليه في آخر هذا البحث إن شاء اللّه.

و قد ذكر في الفتوحات المكيّة هذا المعنى بعينه و هو قوله في تفسير البسملة و الفاتحة: فالعالم حروف مخطوطة مرقومة في رقّ الوجود المنشور و لا تزال الكتابة فيه دائمة أبدا.

و استشهد فيه قوله تعالى:

وَ الطُّورِ وَ كِتابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ [سورة الطّور: ٢].

و الحقّ في هذا المقام عندي و هو أنّ الطّور هو العقل الأوّل لعلوّ شأنه و عظيم منزلته عند اللّه، و الكتاب المسطور: الوجود المطلق المحض مع ما عليه من المقيّدات المسطورة المرقومة بالإضافة و النّسبة، و الرقّ المنشور هو العالم الجسماني من العرش إلى الفرش و ما عليه من السّطور و الخطوط المسمّاة بالموجودات البسيطة و المركبة، و البيت المعمور هو قلب الإنسان الكبير المشار بالنّفس الناطقة الكلّيّة الآفاقيّة من حيث الحقيقة و المعنى، و من حيث الصّورة و المجاز أعني الظّاهر الفلك الرّابع الّذي هو البيت المعمور الصّوريّ، الوارد في الشّرع أنّه في السّماء الرّابعة، و السّقف المرفوع عن العرش، و العرش: صورة هو الفلك الأعظم المحيط المعبّر عنه بالمحدّد للجهات، و معنى هو الرّوح الأعظم الكلّي الظّاهر آثاره و أفعاله في هذا العرش كآثار النّفس الكلّية في الكرسيّ المعبّر عنه بالفلك الثّامن الّذي هو فلك الثّوابت و البروج، و علّة نسبة الكتاب بالوجود المطلق و تجرّده عن جميع الاعتبارات كاللّوح السّاذج مثلا عن الخطوط أو الأوراق الخالية عن الرّقوم و عليه نسبة المسطور عليه بالمقيّدات قيام المقيّد بالمطلق و بقاؤه به كقيام الكتابة بالأوراق و الألواح و قيامها بها، و عليه نسبة الرّق المنشور بالجسم الكلّ و ما عليه من الموجودات الممكنة لسذاجته و لطافته حين الخلوّ عن الصّور كالهيولى المطلقة مثلا حين خلوّها عن الصّور القائمة بها و الباقي ظاهر.

و من جملتهم الشيخ الكامل شهاب الدّين الوركانيّ قدّس اللّه سرّه فانّه كتب في ذلك كتابا معتبرا و هو سبعون مجلدا و طابق الكتاب الكبير الآفاقي بالكتاب الصّغير الأنفسي إجمالا و تفصيلا، و من جملة ما ذكر فيه بالفارسيّة و هو أنّه قال: الكتاب الكبير الآفاقي كان كبيرا عريضا وسيعا، و الحقّ تعالى جلّ ذكره كان عالما بعجزنا عن مطالعته و ضعفنا عن مشاهدته على ما هو عليه من عظم حجمه و طول أوراقه و كثرة خطوطه و عرض سطوره فأخذ منه نسخة مختصرة و أنموذجا مطابقا و سمّاه بالكتاب الصّغير و دلّنا عليه بقوله:
اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً [سورة الإسراء: ١۴].

حتّى نقرأه و نستدلّ به على قراءة ذلك الكتاب و مطالعته و يحصل لنا بواسطته مشاهدة الحقّ و معاينة ذاته و صفاته و أفعاله على ما ينبغي، لقوله جلّ ذكره:

سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ [سورة فصّلت:۵۳].

و قد سبق غير مرّة كيفيّة مطالعة هذين الكتابين و مشاهدة الحقّ فيهما صورة و معنى و سنبيّنه أيضا إن شاء اللّه. و منهم الشيخ العارف عزيز الدّين النسفي البخاري قدّس اللّه سرّه، فإنّه أيضا كتب في هذا المعنى رسالة و طابق كلّ واحد من الكتابين و مشاهدة الحقّ فيهما صورة و معنى، و سنبيّنه أيضا إن شاء اللّه. و منهم الشيخ الكامل المحقق أفضل الدّين الكاشي رحمة اللّه عليه. و منهم نجم الدّين داية الرّازي صاحب التأويل رحمة اللّه عليه.

و منهم الشّيخ الكامل سعد الدّين الحموي قدّس اللّه سرّه، و منهم الشّيخ العارف شرف الدّين القصيري قدّس اللّه سرّه، فإنه كتب في أوّل شرحه للفصوص فصولا و خصّ بهذا المعنى فصلا مفردا و هو قوله :

### ۱-۱-۸ (في معنى العالم و مصاديقه)

«اعلم أنّ العالم لكونه مأخوذا من العلامة لغة، عبارة عما يعلم به الشّيء و اصطلاحا عن كلّ ما سوى اللّه تعالى لأنّه يعلم به اللّه من حيث أسمائه و صفاته، إذ لكلّ فرد من أفراد العالم يعلم اسم من الأسماء الإلهيّة لأنّه مظهر اسم خاصّ منها، فبالأجناس و الأنواع الحقيقيّة تعلم الأسماء الكلّية حتّى تعلم بالحيوانات المستحقرة عند العوام كالذّباب و البراغيث و البقّ و غير ذلك أسماء هي مظاهر لها، فالعقل الأوّل لاشتماله على جميع كلمات حقايق العالم و صورها على طريق الإجمال عالم كلّي يعلم به الإسم الرّحمن و النّفس الكلّيّة لاشتمالها على جميع جزئيّات ما اشتمل عليه العقل الأوّل تفصيلا أيضا عالم كلّي يعلم به الإسم الرّحيم.

و الإنسان الكامل الجامع لجميعها إجمالا في مرتبة روحه و تفصيلا في مرتبة قلبه عالم كلّي يعلم به الإسم اللّه الجامع للأسماء.

و إذا كان كلّ فرد من أفراد العالم علامة لاسم إلهى، و كلّ اسم لاشتماله بالذّات الجامعة لأسمائها مشتمل عليها كان كلّ فرد من أفراد العالم أيضا عالما يعلم به جميع الأسماء، فالعالم غير متناه (فالعوالم غير متناهية) من هذا الوجه، لكن لمّا كانت الحضرات الإلهيّة الكلّيّة خمسة (خمسا) صارت العوالم الكلّية الجامعة لما عداها أيضا كذلك.

### ۱-۱-۹ (في بيان الحضرات الخمسة)

و أوّل الحضرات الكلّيّة حضرة الغيب المطلق و عالمها عالم الأعيان الثابتة في الحضرة العلميّة و في مقابلتها حضرة الشّهادة المطلقة و عالمها عالم الملك، و حضرة الغيب المضاف و هي تنقسم إلى ما يكون أقرب من الغيب المطلق و عالمه عالم الأرواح الجبروتيّة و الملكوتيّة، أعني عالم العقول و النّفوس المجردة، و إلى ما يكون أقرب من الشّهادة المطلقة و عالمه عالم المثال، و إنّما انقسم الغيب المضاف إلى القسمين لأنّ للأرواح صورا (مثاليّة) مناسبة لعالم الشّهادة المطلقة، و صورا عقليّة مجردة مناسبة للغيب المطلق، و الخامسة الحضرة الجامعة للأربعة المذكورة و عالمها العالم الإنساني الجامع لجميع العوالم و ما فيها، فعالم الملك مظهر عالم الملكوت و هو العالم المثالي المطلق، و هو مظهر عالم الجبروت أي عالم المجردات، و هو مظهر عالم الأعيان الثّابتة و هو مظهر الأسماء الإلهيّة و الحضرة الواحديّة هي مظهر الحضرة الأحديّة».

### ۱-۱-۱۰ (في أنّ العوالم كلّها كتب إلهيّة)

ثمّ قال:

«يجب عليك أن تعلم أنّ هذه العوالم كلّيّها و جزئيّها كتب إلهيّة لإحاطتها بكلماتها التامّات، فالعقل الأوّل و النّفس الكلّيّة اللّتان هما صورتا أمّ الكتاب و هي الحضرة العلميّة كتابان إلهيّان، و قد يقال للعقل الأوّل: أمّ الكتاب لإحاطته بالأشياء إجمالا، و للنفس الكلّيّة: الكتاب المبين لظهورها تفصيلا، و كتاب المحو و الإثبات هو حضرة النّفس المنطبعة في الجسم الكلّي من حيث تعلّقها بالحوادث، و هذا المحو و الإثبات إنّما يقع للصّور الشخصيّة الّتي فيها باعتبار أحواله اللّازمة لأعيانها بحسب استعداداتها الأصليّة المشروط ظهورها بالأوضاع الفلكيّة المعدّة لتلك الذّوات أن تتلبّس بتلك الصّور مع أحوالها الفائضة عليها من الحقّ سبحانه بالاسم المدبّر و الماحي و المثبت و الفعّال لما يشاء و أمثالها، و الإنسان الكامل كتاب جامع لهذه الكتب لأنّه نسخة العالم الكبير، كما قال العارف الربّاني (علي بن أبي طالب) أمير المؤمنين عليه السّلام :

دائك فيك و ما تشعر و دوائك فيك و ما تبصر
و تزعم أنّك جرم صغير و فيك انطوى العالم الأكبر
و أنت الكتاب المبين الّذي بأحرفه يظهر المضمر

فمن حيث روحه و عقله كتاب عقليّ مسمّى بأم الكتاب، و من حيث قلبه كتاب اللّوح المحفوظ، و من حيث نفسه كتاب المحو و الإثبات، فهي الصّحف المكرّمة المرفوعة المطهّرة الّتي لا يمسّها و لا يدرك أسرارها و معانيها إلّا المطهّرون من الحجب.

و ما ذكر من الكتب إنّما هي أصول الكتب الإلهية و أمّا فروعها فكلّ ما في الوجود من النّفس و العقل و القوى الرّوحانيّة و الجسمانية و غيرها لأنّها ممّا ينتقش فيها أحكام الموجودات إمّا كلّها أو بعضها، و سواء كان مجملا أو مفصّلا، و أقلّ ذلك انتقاش عينها فقط و اللّه أعلم و أحكم.

هذا آخره و آخر بحث الكتاب الآفاق و تعيينه و تحقيقه بقدر هذا المقام، و سيجيء هذا البحث أبسط من ذلك عند تأويل:

الم ذلِكَ الْكِتابُ [سورة البقرة: ۲].

لأنّ هذا البحث يتعلّق بذلك المقام و هنا كان للتّنبيه عليه و تقديم مقدّمات تكون معينة على دركه و فهمه، و حيث فرغنا من هذا، و تقرّر أنّ الآفاق المسمّى بالعالم هو الكتاب الكبير الإلهي، و أنّ الأنفس المسمّى بالإنسان هو الكتاب الصّغير الإلهي فلنشرع في تطبيقهما و تعيين كلماتهما و حروفهما و آياتهما إجمالا و تفصيلا، ثمّ في تطبيق القرآن بهما قبل وصولنا إلى مقدّمات متعلّقة بهذا البحث لأنّ لهذه الأبحاث كما قرّرناه ثلاث مقدّمات مخصوصة بها آتية في موضعها، و إذا عرفت هذا، فاعلم، أنّ هذا التّطبيق يحتاج إلى ثلاث قواعد:

### ۱-۱-۱۱ القاعدة الاولى، في تفصيل العالم و ترتيب الموجودات الروحانيّة و الجسمانيّة على طريق الموحّدين و غيرهم أيضا الّذي هو الحكيم و المتكلّم.

و القاعدة الثّانية، في تفصيل الإنسان و ترتيب وجوده من حيث الظّاهر و الباطن.

و القاعدة الثّالثة، في تطبيق القرآن بهما من حيث الحروف و الكلمات و الآيات.

و أوّل تلك القواعد هذا، و باللّه التوفيق.

القاعدة الأولى في تفصيل العالم و ترتيب الموجودات العلويّة و السفليّة إجمالا و تفصيلا

اعلم أنّ العوالم كلّها من عالم الملك و الملكوت، و الغيب و الشهادة، و الأمر و الخلق، و الرّوحاني و الجسماني، و غير ذلك منحصرة في العالم الكبير المسمّى بالآفاق، و في العالم الصغير المسمّى بالأنفس، و كلّ واحد من هذين العالمين مطابق للآخر في جميع الأحوال المبتدائيّة و المنتهائيّة، و الدّنيا و الآخرة، و بالجملة ....

### ١-١-١٢ (في انّ العالم عرض و الجوهر هو العماء)

الفصل التاسع في العالم و هو كلّ ما سوى اللّه و ترتيبه و نضده روحا و جسما و علوا و سفلا .

اعلم أنّ العالم عبارة عن كلّ ما سوى اللّه و ليس إلّا الممكنات، سواء وجدت أو لم توجد، فإنّها بذاتها علامة على علمنا أو على العلم بواجب الوجود لذاته و هو اللّه، فإنّ الإمكان حكم لها، لازم في حال عدمها و وجودها، بل هو ذاتيّ لها لأنّ التّرجيح لها لازم فالمرجّح معلوم و لهذا سمّي عالما من العلامة، لأنّه الدّليل على المرجّح، فاعلم ذلك، و ليس العالم في حال وجوده بشيء سوى الصّور الّتي قبلها العماء و ظهرت فيه، فالعالم إن نظرت حقيقته انّما هو عرض زائل أي في حكم الزّوال، و هو قوله تعالى:

كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ [سورة القصص: ٨٨].

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: أصدق بيت قالته العرب.

قول لبيد: ألا كلّ شيء ما خلا اللّه باطل .

يقول: ما له حقيقة تثبت عليها من نفسه، فما هو موجود إلّا بغيره، و لذلك قال عليه السّلام:

أصدق بيت قالته العرب: ألا كلّ شيء ما خلا اللّه باطل.

فالجوهر الثّابت هو العماء و ليس إلّا نفس الرّحمن و العالم جميع ما ظهر فيه من الصّورة، فهي أعراض فيه، يمكن إزالتها و تلك الصّور هي الممكنات، و نسبتها من العماء نسبة الصّور من المرآة تظهر فيها لعين الرّائي، و الحقّ تعالى هو بصر العالم فهو الرّائي و هو العالم بالممكنات. فما أدرك إلّا ما في علمه من صور الممكنات فظهر العالم بين العماء و بين رؤية الحقّ، فكان ما ظهر دليلا على الرّائي و هو الحقّ، فتفطّن و اعلم من أنت.

### ١-١-١٣(تفصيل الموجودات على الظهور و الترتيب)

و أمّا تفصيله (نضده) على الظّهور و التّرتيب فأرواح نوريّة إلهيّة مهيّمة في صور نوريّة خليقة (خلقية) إبداعيّة في جوهر نفس هو العماء من جملتها العقل الأوّل و هو القلم، ثمّ النّفس و هو اللّوح المحفوظ، ثمّ الجسم الكلّي، ثمّ العرش و مقرّه و هو الماء الجامد و الهواء و الظلمة، ثمّ ملائكته، ثمّ الكرسي، ثمّ ملائكته، ثمّ الأطلس، ثمّ ملائكته، ثمّ فلك المنازل، ثمّ الجنّات بما فيها، ثمّ ما يختصّ بها و بهذا الفلك من الكواكب، ثمّ الأرض، ثمّ

الماء، ثمّ الهواء العنصري، ثمّ النّار، ثمّ الدّخان و فتق فيه سبع سموات: سماء القمر، و سماء الكاتب، و سماء الزّهرة، و سماء الشّمس، و سماء الأحمر، و سماء المشتري، و سماء زحل (المقاتل)، ثمّ أفلاكها المخلوقون منها، ثمّ ملائكة النّار و الماء و الهواء و الأرض، ثمّ المولّدات: المعدن و النّبات و الحيوان، ثمّ نشأة جسد الإنسان، ثمّ ما ظهر من أشخاص كلّ نوع من الحيوان و النّبات و المعدن، ثمّ الصّور المخلوقات من أعمال المكلّفين و هي آخر نوع، هذا ترتيبه بالظّهور في الإيجاد.

و أمّا ترتيبه بالمكان الوجودي أو المتوهّم، فالمكان المتوهّم المعقولات الّتي ذكرناها إلى الجسم الكلّ، ثمّ العرش، ثمّ الكرسي، ثمّ الأطلس، ثمّ المكوكب و فيه الجنّات، ثمّ سماء زحل، ثمّ سماء المشتري، ثمّ سماء المرّيخ، ثمّ سماء الشّمس، ثمّ سماء الزّهرة، ثمّ سماء الكاتب، ثمّ سماء القمر، ثمّ سماء الأثير، ثمّ الهواء، ثمّ الماء، ثمّ الأرض.

و أمّا ترتيبه بالمكانة: فالإنسان الكامل، ثمّ العقل الأوّل، ثمّ الأرواح المهيّمة، ثمّ النّفس، ثمّ العرش، ثمّ الكرسي، ثمّ الأطلس، ثمّ الكثيب، ثمّ الوسيلة، ثمّ عدن، ثمّ الفردوس، ثمّ دار السّلام، ثمّ المأوى، ثمّ الخلد، ثمّ النعيم، ثمّ فلك المنازل، ثمّ البيت المعمور، ثمّ سماء الشّمس، (ثمّ القمر)، ثمّ المريخ، ثمّ المشتري، ثمّ زحل، ثمّ الزهرة، ثمّ الكاتب، (ثمّ المريخ)، ثمّ القمر، ثمّ الهواء، ثمّ الماء، ثمّ التّراب، ثمّ النار، ثمّ الحيوان، ثمّ النّبات، ثمّ المعدن، و في النّاس الرّسل، ثمّ الأنبياء، ثمّ الأولياء، ثمّ المؤمنون، ثمّ سائر الخلق.

## ١-٢ الباب السّابع في معرفة بدء الجسوم الإنسانيّة

و هو آخر جنس موجود من العالم الكبير و آخر صنف من المولدات

### ١-٢-١(في عمر العالم الطبيعي)

اعلم أيّدك اللّه أنّه لمّا مضى من عمر العالم الطبيعيّ المقيّد بالزّمان المحصور بالمكان إحدى و سبعون ألف سنة من السّنين المعروفة في الدّنيا و هذه المدّة أحد عشر يوما من أيام غير هذا الاسم و من أيام «ذي المعارج» يوم و خمسا يوم، و في هذه الأيّام يقع التّفاضل، قال تعالى:

فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ [سورة المعارج: ۴].

و قال:

وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ [سورة الحج: ۴۷].

فأصغر الأيّام هي الّتي تعدها (نعدها) حركة الفلك المحيط الّذي يظهر في يومه اللّيل و النّهار، فأقصر يوم عند العرب، و هو هذا، لأكبر فلك، و ذلك لحكمه على ما في جوفه من الأفلاك، إذ كانت حركة ما دونه في اللّيل و النّهار حركة قسريّة له قهر بها ساير الأفلاك الّتي يحيط بها.

### ١-٢-٢ (في أنّ لكل فلك حركتين: طبيعيّة و قسريّة)

و لكلّ فلك حركة طبيعيّة تكون له مع الحركة القسريّة، فكلّ فلك دونه ذو حركتين في وقت واحد: حركة طبيعيّة و

حركة قسريّة، و لكلّ حركة طبيعيّة في كل فلك يوم مخصوص يعدّ مقداره بالأيّام الحادثة عن الفلك المحيط، المعبّر عنها بقوله:

«ممّا تعدّون»، و كلّها تقطع في الفلك المحيط، فكلّما قطعته على الكمال، كان يوما لها و يدور الدور، فأصغر الأيّام منها هو ثمانية و عشرون يوما «مما تعدّون»، و هو مقدار قطع حركة القمر في الفلك المحيط.

و نصب اللّه هذه الكواكب السّبعة في السّموات، ليدرك البصر قطع فلكها في الفلك المحيط، لتعلم (لنعلم) عدد السّنين و الحساب، قال تعالى:

وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ [سورة يونس: ۵].

وَ كُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلًا [سورة الإسراء: ۱۲].

ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [سورة الأنعام: ۹۶].

فكلّ كوكب منها يوم مقدّر يفضل بعضها على بعض، على قدر سرعة حركاتها الطبيعيّة، أو صغر أفلاكها و كبرها.

### ۱-۲-۳ (خلق القلم و اللّوح و الهباء)

فاعلم أنّ اللّه تعالى لمّا خلق القلم و اللّوح، و سمّاها العقل و النّفس (الرّوح)، فأعطى الرّوح صفتين: صفة علميّة، و صفة عمليّة، و جعل العقل لها معلّما و مفيدا، إفادة مشاهدة حاليّة، كما تستفيد من صور (صورة) السكّين القطع من غير نطق يكون معه (منه) في ذلك.

و خلق تعالى جوهرا دون النّفس الّذي هو الرّوح المذكور، سمّاه الهباء، و هذه الاسميّة له نقلناها من كلام علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه.

و أمّا الهبا فمذكور في اللّسان العربي، قال تعالى:

فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا [سورة الواقعة: ۶].

كذلك لمّا رآها علي بن أبي طالب، أعنى هذه الجوهرة منبثّة في جميع الصّور الطبيعيّة كلّها و أنّها لا تخلو صورة منها إذ لا تكون صورة إلّا في هذه الجوهرة، سمّاها هباء، و هي مع كلّ صورة بحقيقتها لا تنقسم، و لا تتجزّى، و لا تتّصف بالنّقص، بل هي كالبياض الموجود في كلّ أبيض بذاته و حقيقته، و لا يقال: قد نقص من البياض قدر ما حصل منه في هذا الأبيض، هذا مثل حال هذه الجوهرة .

### ۱-۲-۴(في المراتب الأربعة بين الروح و الهباء)

و عيّن اللّه سبحانه بين هذا الرّوح الموصوف بالصفتين، و بين الهباء أربع مراتب، و جعل كلّ مرتبة منزلا لأربعة أملاك، و جعل هؤلاء الأملاك كالولاة على ما أحدثه سبحانه دونهم من العالم من العلّيّين إلى أسفل سافلين، و وهب كلّ ملك من الملائكة علم ما يريد إمضاءه في العالم.

### ۱-۲-۵(الجسم الكلّ أوّل الخلق في الأعيان)

فأوّل شيء أوجده اللّه في الأعيان ممّا يتعلّق به علم هؤلاء الملائكة و تدبيرهم الجسم الكلّ، و أوّل شكل فتح في هذا الجسم الشّكل الكري المستدير، إذ كان أفضل الأشكال، ثمّ نزل سبحانه بالإيجاد و الخلق إلى تمام الصّنعة، و جعل جميع ما خلقه تعالى مملكة لهؤلاء الملائكة و ولّاهم أمورها في الدّنيا و الآخرة، و عصمهم عن المخالفة فيما أمرهم به، فأخبرنا سبحانه أنّهم:

لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ [سورة التّحريم: ۶].

### ۱-۲-۶ (خلق اللّه أربعة أشياء بيده)

و لمّا انتهى خلق المولّدات من الجمادات و النّبات و الحيوان بانتهاء إحدى و سبعين ألف سنة من سني الدّنيا ممّا يعدّ (نعد)، و رتّب العالم ترتيبا حكميّا، و لم يجمع سبحانه لشيء ممّا خلقه من أوّل موجود إلى آخر مولود و هو الحيوان بين يديه تعالى إلّا للإنسان، و هي هذه النشأة البدنيّة التّرابيّة، بل خلق كلّ ما سواها إمّا عن أمر إلهي، أو عن يد واحدة قال تعالى:

إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [سورة النحل: ۴۰].

فهذا عن أمر إلهي، و ورد في الخبر:

«إنّ اللّه عزّ و جلّ خلق جنّة عدن بيده، و كتب التّوراة بيده، و غرس شجرة طوبى بيده».

و خلق آدم الّذي هو الإنسان بيديه.

فقال تعالى لإبليس عن جهة التّشريف لآدم عليه السّلام:

ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ [سورة ص: ۷۵].

### ۱-۲-۷ (قسمة الفلك الأدنى اثنا عشر بروجا)

و لمّا خلق اللّه الفلك الأدنى الّذي هو الأوّل المذكور آنفا، قسّمه اثنى عشر قسما سمّاها بروجا، قال تعالى:

وَ السَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ [سورة البروج: ۱].

فجعل كلّ قسم برجا، و جعل تلك الأقسام ترجع إلى أربعة في الطّبيعة، ثمّ كرّر كلّ واحد من الأربعة في ثلاثة مواضع (منها) منه، و جعل هذه الأقسام كالمنازل و المناهل الّتي ينزل فيها المسافرون، و يسير فيها السّائرون في حال سيرهم و سفرهم، لينزل في هذه الأقسام عند سير الكواكب فيها و سباحتهم مما (ما) يحدث اللّه في جوف هذا الفلك من الكوكب الّتي تقطع سيرها في هذه البروج، ليحدث اللّه عند قطعها و سيرها ما شاء أن يحدث من العالم الطّبيعي و العنصري، و جعلها علامات على أثر حركة فلك البروج.

### ۱-۲-۸ (بيان الطبائع و العناصر الأربعة)

فاعلم فقسم من هذه الأربعة طبيعيّة الحرارة و اليبوسة، و الثّاني البرودة و اليبوسة، و الثّالث الحرارة و الرّطوبة، و الرّابع البرودة و الرّطوبة، و جعل الخامس و التّاسع من هذه الأقسام مثل الأوّل، و جعل السّادس و العاشر مثل الثّاني، و جعل السّابع و الحادي عشر مثل الثّالث، و جعل الثّامن و الثّاني عشر مثل الرّابع أعني في الطبيعة.

فحصر الأجسام الطبيعيّة بخلاف، و الأجسام العنصريّة بلا خلاف في هذه الأربعة الّتي هي الحرارة و البرودة و الرّطوبة و اليبوسة، و مع كونها امّهات فإنّ اللّه جعل اثنين منها أصلا في وجود الإثنين الآخرين، فانفعلت اليبوسة عن الحرارة، و الرّطوبة عن البرودة، و الرّطوبة و اليبوسة موجودتين عن سببين هما الحرارة و البرودة، و لهذا ذكر اللّه تعالى في قوله.

وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ [سورة الأنعام: ۵۹].

لأنّ السّبب (المسبّب) يلزم من وجوده من كونه مسبّبا وجود السّبب، أو منفعلا، وجود الفاعل، كيف شئت فقل، و لا يلزم من وجود المسبّب وجود المسبّب «من وجود السّبب وجود المسبّب».

و لمّا خلق اللّه هذا الفلك الأوّل دار دورة غير معلومة الانتهاء للّه تعالى، لأنّه ليس فوقه شيء محدود من الأجرام يقطع فيه، فإنّه أوّل الأجرام الشّفافة، فتعدّد الحركات و تتميّز، و لا كان قد خلق اللّه في جوفه شيئا فتتميّز الحركة و تنتهي عند من يكون في جوفه، و لو كان، تتميّز أيضا (لم تتميّز أصلا) لأنّه أطلس لا كوكب فيه متشابه الأجزاء، فلا يعرف مقدار الحركة الواحدة منه و لا تتعيّن، فلو كان فيه جزء مخالف لسائر أجزائه عدّ به حركاته بلا شكّ، و لكن علم اللّه قدرها و انتهاءها و كرورها، فحدث عن تلك الحركة اليوم، و لم يكن، ثمّ ليل و لا نهار في هذا اليوم.

ثمّ استمرّت (حركات) هذا الفلك.

فخلق اللّه ملائكة خمسة و ثلاثين ملكا، من جملة هؤلاء الملائكة جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل و عزرائيل، ثمّ خلق تسع مائة ملك و أربعا و سبعين، و أضافهم إلى ما ذكرناه من الأملاك، و أوحى إليهم و أمرهم بما يجري على أيديهم في خلقه فقالوا:

وَ ما نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ ما بَيْنَ أَيْدِينا وَ ما خَلْفَنا وَ ما بَيْنَ ذلِكَ وَ ما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا [سورة مريم: ۶۴].

و قال فيهم:

لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ [سورة التحريم: ۶].

فهؤلاء من الملائكة هم الولاة خاصّة، و خلق ملائكة هم عمّار السّموات و الأرض لعبادته، فما في السّماء و الأرض موضع إلّا و فيه ملك و لا يزال الحقّ يخلق من أنفاس العالم ملائكة ما داموا متنفّسين.

### ۱-۲-۹ (خلق الدار الدنيا)

و لمّا انتهى من حركات هذا الفلك الأوّل، و مدّته أربع و خمسون ألف سنة «ممّا تعدّون»، خلق الدّار و الدّنيا، و

جعل لها أمدا معلوما تنتهي إليه و تنقضي صورتها، و تستحيل من كونها دارا لنا و قبولها صورة مخصوصة، و هي الّتي نشاهد اليوم، إلى أن:

تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّماواتُ [سورة إبراهيم: ۴۸].

و لمّا انقضى من مدّة (حركات) حركة هذا الفلك ثلاث و ستّون ألف سنة ممّا تعدّون خلق اللّه الدّار الآخرة و الجنّة و النّار اللّتين أعدّهما اللّه لعباده السّعداء و الأشقياء، فكان بين خلق الدّنيا و خلق الأرض تسع آلاف سنة ممّا تعدّون، و لهذا سمّيت آخرة لتأخّر خلقها عن خلق الدّنيا، و سمّيت الدّنيا: الأولى لأنّها خلقت قبلها، قال تعالى:

وَ لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولى [سورة الضحى: ۴].

يخاطب نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و لم يجعل للآخرة مدّة ينتهى إليها بقاؤها، فلها البقاء الدّائم.

و جعل سقف الجنّة هذا الفلك و هو العرش عند الّذي لا تتعيّن حركته و لا تتميّز، محركته دائمة لا تنقضي، و ما من خلق ذكرناه خلق إلّا و تعلّق القصد الثّاني منه وجود الإنسان الّذي هو الخليفة في العالم، و إنّما قلت: القصد الثّاني، إذ كان القصد الأوّل معرفة الحقّ و عبادته الّتي لها خلق العالم كلّه، فما «من شيء إلّا و هو يسبّح بحمده»، و معنى القصد الثّاني و الأوّل: التعلّق الإرادي لا حدوث الإرادة، لأنّ الإرادة للّه صفة قديمة أزليّة اتصفت بها ذاته، كسائر صفاته.

و لمّا خلق اللّه هذه الأفلاك و السّموات، و أوحى في كلّ سماء أمرها، و رتّب فيها أنوارها و سرجها، و عمرها بملائكته، و حرّكها (اللّه) تعالى، فتحرّكت طائعة للّه، آتية إليه طلبا للكمال في العبوديّة الّتي تليق بها، لأنّه تعالى دعاها، و دعا الأرض، فقال لها و للأرض:

ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً [سورة فصّلت: ۱۱].

لأمر حدّ لهما، قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ [سورة فصّلت: ۱۱].

فهما آتيان أبدا، فلا تزالا متحرّكتين، غير أنّ حركة الأرض خفيّه عندنا و حركتها حول الوسط، لأنّها أكر، فأمّا السّماء فأتت طائعة عند أمر اللّه لها بالإتيان، و أمّا الأرض فأتت طائعة لمّا علمت نفسها مقهورة، و أنّه لا بدّ أن يؤتي بها بقوله تعالى:

أَوْ كَرْهاً، فكانت المراد بقوله تعالى: أَوْ كَرْهاً، فأتت طائعة كرها.

فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ أَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها [سورة فصّلت: ۱۲].

### ۱-۲-۱۰ (خلق الأرض و تقدير أقواتها)

و قد كان خلق الأرض و قدّر فيها أقواتها من أجل المولّدات، فجعلها خزانة لأقواتهم، فكان من تقدير أقواتها وجود الماء و الهواء و النّار، و باقي ذلك من البخارات و السّحب و البروق و الرّعود و الآثار العلويّة، ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، و خلق الجانّ من النّار، و الطّير و الدّواب البرّيّة و البحريّة، و الحشرات من عفونات الأرض،

ليصفّوا الهواء لنا من بخارات العفونات الّتي لو خالطت الهواء الّذي أودع اللّه حياة هذا الإنسان و الحيوان و عافيته فيه لكان سقيما مريضا معلوما، فصفّى له الحقّ سبحانه لطفا منه بتكوين هذه المعفّنات، فقلّت الأسقام و العلل.

### ۱-۲-۱۱ (خلق الإنسان)

و لمّا استوت المملكة و تهيّأت، و ما عرف أحد من هؤلاء المخلوقات كلّها من أيّ جنس يكون هذه (هذا) الخليفة الّذي مهّد اللّه هذه المملكة لوجوده، فلمّا وصل الوقت المعيّن في علمه لإيجاد هذا الخليفة بعد أن مضى من عمر الدّنيا سبع عشرة ألف سنة، و من عمر الآخرة الّذي لا نهاية له في الدّوام ثمان آلاف سنة أمر اللّه بعض ملائكته أن يأتيه بقبضة من كلّ أجناس تربة الأرض، فأتاه بها، في خبر طويل معلوم عند النّاس ، فأخذها سبحانه و خمّرها بيديه فهو قوله:

لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ [سورة ص: ۷۵].

و كان الحقّ قد أودع عند كلّ ملك من الملائكة الّذين ذكرناهم، وديعة لآدم، و قال لهم:

إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ [سورة ص: ۷۱].

و هذه الودائع الّتي بأيديكم، فإذا خلقته، فليؤدّ إليه كلّ واحد منكم ما عنده ممّا أمنتكم عليه.

فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ [سورة ص: ۷۲].

فلمّا خمّر الحقّ تعالى بيديه طينة آدم حتّى ريحها و هو المسنون، و ذلك الجزء الهوائي الّذي في النّشأة جعل ظهره محلّا للأشقياء و السّعداء من ذرّيته، فأودع ما كان في قبضته، فإنّه سبحانه أخبرنا أنّ في قبضة يمينه السّعداء، و في قبضة اليد الأخرى الأشقياء، و كلتا يدي ربّي يمين مباركة ، و قال: «هؤلاء للجنّة و بعمل أهل الجنّة يعملون، و هؤلاء للنّار و بعمل أهل النّار يعملون».

و أودع الكلّ طينة آدم و جمع فيه الأضداد بحكم المجاورة، و أنشأه على الحركة المستقيمة، و ذلك في (دولة) دورة السّنبلة، و جعله ذا جهات ستّ: الفوق، و هو ما يلي رأسه، و التّحت يقابله و هو ما يلي رجليه، و اليمين و هو ما (يلي) جانبه الأقوى، و الشّمال يقابله (و هو ما يلي) جانبه الأضعف، و الأمام و هو ما يلي الوجه و يقابله القفاء، و صوّره و عدّله و سوّاه، ثمّ نفخ فيه روحه المضاف إليه فحدث عند هذا النفخ فيه بسريانه في أجزائه أركان الأخلاط الّتي هي الصّفراء و السّوداء و الدّم و البلغم، فكانت الصّفراء عن الرّكن النّاري الّذي أنشأه اللّه منه في قوله تعالى:

مِنْ صَلْصالٍ كَالْفَخَّارِ [سورة الرّحمن: ۱۴].

و كان السّوداء عن التّراب، و هو قوله:

خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ [سورة آل عمران: ۵۹].

و كان الدّم من الهواء و هو قوله:

مَسْنُونٍ [سورة الحجر: ۲۶].

و كان البلغم من الماء الّذي يحجن به التّراب فصار طينا، ثمّ أحدث فيه القوّة الجاذبة الّتي بها يجذب الحيوان الأغذية، ثمّ القوّة الماسكة و بها يمسك ما يتغذى به الحيوان، ثمّ القوّة الهاضمة و بها يهضم الغذاء، ثمّ القوّة الدّافعة و بها يدفع الفضلات عن نفسه، من عرق و بخار، و رياح و براز، و أمثال ذلك.

و أمّا سريان الأبخرة و تقسيم الدّم في العروق من الكبد و ما يخلّصه كلّ جزء من الحيوان فبالقوّة الجاذبة لا الدافعة، فحظ القوّة الدّافعة ما تخرجه كما قلنا من الفضلات لا غير.

ثمّ أحدث فيه القوّة الغاذية و المنمية، و الحاسيّة، (الحسيّة) و الخياليّة، و الوهميّة، و الحافظة، و الذّاكرة.

و هذا كلّه في الإنسان بما هو حيوان لا بما هو إنسان فقط، غير أنّ هذه القوى الأربعة: قوة الخيال، و الوهم، و الحفظ، و الذّكر، هي في الإنسان أقوى منها في الحيوان.

(ثمّ) خصّ آدم الّذي هو الإنسان بالقوّة المصوّرة و المفكّرة، و العاقلة، فتميّز عن الحيوان، و جعل هذه القوى كلّها في هذا الجسم، آلات للنّفس النّاطقة، لتصل بذلك إلى جميع منافعها المحسوسة و المعنويّة، «ثمّ أنشأه خلقا آخر»، و هو الإنسانيّة، فجعله درّاكا بهذه القوى حيّا، عالما، قادرا، مريدا، متكلّما، سميعا، بصيرا، على حدّ معلوم معتاد في اكتسابه:

فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ [سورة المؤمنون: ۱۴].

### ۱-۲-۱۲ (تخلّق الإنسان بأسماء الحقّ تعالى)

ثمّ إنّه سبحانه ما سمّى نفسه باسم من الأسماء إلّا و جعل للإنسان من التخلّق بذلك الإسم حظّا يظهر به في العالم على قدر ما يليق به، و لذلك تأول بعضهم قوله عليه السّلام:

«خلق اللّه تعالى آدم على صورته» .

على هذا المعنى، و أنزله خليفة عنه في أرضه، إذ كانت الأرض من عالم التغيير و الاستحالات، بخلاف العالم الأعلى، فيحدث فيهم من الأحكام بحسب ما يحدث في العالم الأرضيّ من التغيير، فيظهر لذلك حكم جميع الأسماء الإلهيّة، فلذلك كان خليفة في الأرض دون السّماء و الجنّة. ثمّ كان من أمره ما كان: من علم الأسماء، و سجود الملائكة، و إباء إبليس، كما هو معلوم لأهله، و سنذكره إن شاء اللّه،

### ۱-۲-۱۳ (بيان جسوم الإنسانيّة و أنواعها و هي أربعة)

و ذلك لأنّ هذا الباب مخصوص بابتداء الجسوم الإنسانيّة، و هي أربعة أنواع:

جسم آدم، و جسم حواء، و جسم عيسى، و أجسام بني آدم، و كلّ جسم من هذه الأربعة نشأه (نشؤه) يخالف نشؤ الآخر في السّببيّة مع الاجتماع في الصّورة الجسمانيّة و الرّوحانيّة، و إنّما سقنا هذا و نبّهنا عليه لئلّا يتوهّم الضّعيف العقل أنّ القدرة الإلهيّة، أو أنّ الحقائق لا تعطي أن تكون هذه النشأة إلّا عن سبب واحد يعطي بذاته

هذا النّشأ، فردّ اللّه هذه الشّبهة بان أظهر هذا النّشأ الإنساني في آدم بطريق لم يظهر به جسم حوّاء، و أظهر جسم حوّاء بطريق لم يظهر جسم ولد آدم، و أظهر جسم أولاد آدم بطريق لم يظهر جسم عيسى عليه السّلام، و ينطلق على كلّ واحد من هؤلاء اسم الإنسان بالحدّ و الحقيقة، ذلك ليعلم أن اللّه بكل شيء عليم، و أنّه على كلّ شيء قدير.

ثمّ إن اللّه سبحانه قد جمع هذه الأربعة الأنواع من الخلق في آية من القرآن في سورة الحجرات فقال:

يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم (يريد آدم) من ذكر (يريد حوّاء) و أنثى (يريد عيسى، و من المجموع:) من ذكر و أنثى (يريد بني آدم بطريق النّكاح و التّوالد، فهذه الآية من:

جوامع الكلم و فصل الخطاب الّذي أوتي محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و لمّا ظهر جسم آدم كما ذكرناه، و لم تكن فيه شهوة نكاح، و كان قد سبق في علم الحقّ إيجاد التّوالد و التّناسل، و النّكاح في هذه الدّار إنّما هو لبقاء النّوع، فاستخرج من ضلع آدم من القصيرى حواء فقصرت بذلك عن درجة الرّجل، كما قال تعالى:

وَ لِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ [البقرة: ٢٢٨].

فما تلحق بهم أبدا، و كانت من الضّلع للانحناء الّذي في الضّلوع، لتحنو بذلك على ولدها و زوجها، فحنّو الرّجل على المرأة حنوّه نفسه، لأنّها جزء منه و حنوّ المرأة على الرّجل لكونها خلقت من الضلع، و الضلع فيه انحناء و انعطاف.

و عمر اللّه الموضع من آدم الّذي خرجت منه حواء بالشّهوة إليها، إذ لا يبقى في الوجود خلاء، فلمّا عمره بالهواء حنّ إليها حنينه إلى نفسه لأنّها جزء منه، و حنّت إليه لكونه موطنها الّذي نشأت منه، فحبّ حوّاء حبّ الموطن، و حبّ آدم حبّ نفسه، و لذلك يظهر حبّ الرّجل للمرأة إذ كانت عينه، و أعطيت المرأة القوّة المعبّر عنها بالحياء في محبة الرّجال فقويت على الإخفاء، لأنّ الموطن لا يتّحد بها اتّحاد آدم بها.

فصوّر في ذلك الضّلع جميع ما صوّره و خلقه في جسم آدم، فكان نشؤ جسم آدم في صورته كنشؤ الفاخوريّ فيما ينشئه من الطين و الطبخ، و كان نشؤ حواء نشؤ النّجار فيما ينحته من الصّور في الخشب، فلمّا نحتها في الضلع، و أقام صورتها و سوّاها و عدّلها، نفخ فيها من روحه فقامت حيّة ناطقة أنثى، ليجعلها محلّا للزراعة و الحرث لوجود الإنبات الّذي هو التناسل، فسكن إليها و سكنت إليه، و كانت لباسا له و كان لباسا لها، قال تعالى:

هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ [سورة البقرة: ١٨٧].

و سرت الشّهوة منه في جميع أجزائه فطلبها.

فلمّا تغشّاها و ألقى الماء في الرّحم، و دار بتلك النّطفة من الماء دم الحيض الّذي كتبه اللّه على النّساء، تكوّن في ذلك الجسم جسم ثالث على غير ما تكوّن منه جسم آدم و جسم حواء، فهذا هو الجسم الثالث، فتولّاه اللّه بالنشوء في الرّحم حالا بعد حال بالانتقال من ماء إلى نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظم، ثمّ كسا العظم لحما، فلمّا تمّ نشأته الحيوانيّة، أنشاه خلقا آخر، فنفخ فيه الرّوح الإنساني.

فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ [سورة المؤمنون: ۱۴].

و لولا طول الأمر لبيّنا تكوينه في الرّحم حالا بعد حال، و من يتولّ ذلك من الملائكة الموكّلين بإنشاء الصّور في الأرحام إلى حين الخروج، و لكن الغرض الإعلام بانّ الأجسام الإنسانيّة، و إن كانت واحدة في الحدّ و الحقيقة و الصّورة الحسيّة و المعنويّة، فإنّ أسباب تأليفها مختلفة، لئلّا يتخيّل أن ذلك لذات السّبب تعالى اللّه، بل ذلك راجع إلى فاعل مختار يفعل ما يشاء كيف يشاء من غير تحجير و لا قصور على أمر دون أمر.

لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [سورة آل عمران: ۱۸].

و لمّا قال أهل الطّبيعة: إنّ ماء المرأة لا يتكوّن منه شيء، و إن الجنين الكائن في الرّحم إنّما هو من الرّجل، لذلك جعلنا تكوين جسم عيسى تكوينا آخر و إن كان تدبيره في الرّحم تدبير أجسام البنين، فان كان من ماء المرأة:

«إذ تمثّل لها الرّوح بشرا سويا».

أو كان عن نفخ بغير ماء، فعلى كلّ وجه هو جسم رابع مغاير في النشء غيره من أجسام النّوع، و لذلك قال تعالى: إنّ مثل عيسى ( (أي) إنّ صفة نشؤ عيسى) عند اللّه كمثل آدم خلقه من تراب (الضّمير يعود على آدم، و وقع الشّبه في خلقه من غير أب، أي صفة نشأه (نشئه) صفة نشأ آدم إلّا أن آدم خلقه من تراب ثمّ قال له: كن.

ثمّ إنّ عيسى على ما قيل لم يلبث في بطن مريم لبث البنين المعتاد لأنّه أسرع إليه التكوين لمّا أراد اللّه أن يجعله آية و يرد به على الطبيعيين حيث حكموا على الطّبيعة بما أعطتهم من العادة، لا بما تقتضيه ممّا أودع اللّه فيها من الأسرار و التكوينات العجيبة، و لقد أنصف بعض حذّاق هذا الشّأن الطّبيعة فقال:

لا نعلم منها إلّا ما أعطتنا خاصّة، و فيها ما لا نعلم.

### ۱-۲-۱۴ (العقل إنسان في السّماء كما إنّ الإنسان عقل في الأرض)

فهذا قد ذكرنا ابتداء الجسوم الإنسانيّة، و أنّها أربعة أجسام، مختلفة النشء (النشأ) كما قررنا، و أنّه آخر المولّدات، و هو (فهو) نظير العقل الأوّل، و به ارتبط، لأنّ الوجود دائرة، فكان ابتداء الدائرة وجود العقل الأوّل (الّذي ورد في الخبر أنه أوّل ما خلق اللّه العقل).

فهو أوّل الأجناس، و انتهى الخلق إلى الجنس الإنساني فكملت الدائرة و اتّصل الإنسان بالعقل كما يتّصل آخر الدائرة بأولها، فكانت دائرة، و ما بين طرفي الدّائرة جميع ما خلق اللّه من أجناس العالم بين العقل الأوّل الّذي هو القلم أيضا، و بين الإنسان الّذي هو الموجود الآخر، و لمّا كانت الخطوط الخارجة من النقطة الّتي في وسط الدّائرة إلى المحيط الّذي وجد عنها، تخرج على السّواء لكلّ جزء من المحيط، كذلك نسبة الحقّ تعالى إلى جميع الموجودات نسبة واحدة، فلا يقع هناك تغيير البتّة، و كانت الأشياء كلّها ناظرة إليه و قابلة منه ما يهبها نظر أجزاء المحيط إلى النقطة.

و أقام سبحانه هذه الصّورة الإنسانيّة بالحركة المستقيمة صورة العمد الّذي للخيمة، فجعله لقبة هذه السّماوات، فهو سبحانه يمسكها أن تزول بسببه فعبّرنا عنه بالعمد، فإذا فنيت هذه الصّورة و لم يبق منها على وجه الأرض متنفس.

وَ انْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ [سورة الحاقّة: ۱۶].

لأنّ العمد زال و هو الإنسان.

و لمّا انتقلت العمارة إلى الدّار الآخرة بانتقال الإنسان إليها و خربت الدّنيا بانتقاله عنها، علمنا قطعا أنّ الإنسان هو العين المقصود للّه من العالم و أنّه الخليفة حقّا، و أنّه محل ظهور الأسماء الإلهيّة، و هو الجامع لحقايق العالم كلّه من ملك، و فلك، و روح و جسم، و طبيعة، و جماد، و حيوان، إلى ما خصّ به من علم الأسماء الإلهيّة مع صغر حجمه و جرمه، و إنّما قال اللّه فيه بأنّ:

لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ [سورة غافر: ۵۷].

لكون الإنسان متولّدا عن السّماء و الأرض فيما له كالأبوين رفع اللّه مقدارهما:

وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ [غافر: ۵۷].

فلم يرد في الجرميّة فان ذلك معلوم حسّا.

### ۱-۲-۱۵(ابتلاء الإنسان بقوّة العقل و التفكّر)

غير أنّ اللّه تعالى ابتلاه ببلاء ما ابتلى به أحدا من خلقه إمّا لأن يسعده أو يشقيه على حسب ما يوفقه إلى استعماله، فكان البلاء الّذي ابتلاه به أن خلق فيه قوّة تسمّى الفكر و جعل هذه القوّة خادمة لقوّة أخرى تسمّى العقل، و جبر العقل مع سيادته على الفكر أن يأخذ منه ما يعطيه و لم يجعل للفكر مجالا إلّا في القوّة الخياليّة، محلا جامعا لما تعطيها القوّة الحسّاسة و جعل له قوّة يقال لها: المصوّرة، فلا يحصل في القوّة الخياليّة إلّا ما أعطاه الحسّ، أو أعطته القوّة المصوّرة و مادّة المصوّرة، من المحسوسات، فتركب صورا لم يوجد لها عين، لكن أجزاءها كلّها موجودة حسّا، و ذلك لأنّ العقل خلق ساذجا ليس عنده من العلوم النظريّة شيء، و قيل للفكر: ميّز بين الحقّ و الباطل الّذي في هذه القوّة الخياليّة فينظر بحسب ما يقع له فقد يحصل في شبهة، و قد يحصل في دليل عن غير علم منه بذلك، و لكن في زعمه أنّه عالم بصور الشّبه من الأدلة و أنّه قد حصل على علم و لم ينظر إلى قصور الموادّ الّتي استند إليها في اقتناء العلوم فتقبلها العقل منه و يحكم بها فيكون جهله أكثر من علمه بما لا يتقارب.

### ۱-۲-۱۶ (تكليف العقل بمعرفة الحقّ سبحانه)

ثمّ إنّ اللّه كلّف هذا العقل معرفة سبحانه ليرجع إليها فيها لا إلى غيره، ففهم العقل نقيض ما أراد به الحقّ بقوله تعالى:

أَ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا [سورة الأعراف: ۱۸۴].

لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ [سورة يونس: ۲۴].

و استند إلى الفكر و جعله إماما يقتدى به، و غفل عن الحقّ في مراده بالتفكّر إنّه خاطبه أن يتفكّر فيرى أن علمه

باللّه لا سبيل إليه إلّا بتعريف اللّه فينكشف له عن الأمر على ما هو عليه، فلم يفهم كلّ عقل هذا الفهم إلّا عقول خاصّة اللّه من أنبيائه و أوليائه.

يا ليت شعري هل بأفكارهم قالوا: بلى، حين أشهدهم على أنفسهم في قبضة الذرّية من ظهر آدم؟ لا و اللّه، بل عناية إشهاده إيّاهم ذلك عند أخذه إيّاهم عنهم من ظهورهم، و لمّا رجعوا إلى الأخذ عن قواهم المفكّرة في معرفة اللّه لم يجتمعوا قطّ على حكم واحد في معرفة اللّه و ذهب (ذهبت) كلّ طائفة إلى مذهب، و كثرت المقالة (القالة) في الجناب الإلهي الأحمى، و اجترءوا غاية الجرأة على اللّه، و هذا كلّه من الابتلاء الّذي ذكرناه من خلقة الفكرة في الإنسان.

و أهل اللّه افتقروا إليه فيما كلّفهم من الإيمان به في معرفته، و علموا أنّ المراد منهم رجوعهم إليه في ذلك، و في كلّ حال، فمنهم من قال: «سبحان من لم يجعل سبيلا إلى معرفته إلّا العجز عن معرفته».

و منهم من قال: «العجز عن درك الإدراك إدراك» .

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

«لا أحصي ثناء عليك».

و قال تعالى:

وَ لا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً [سورة طه: ۱۱۰].

فرجعوا إلى اللّه في المعرفة به و تركوا الفكر في مرتبته و وفوه حقه لم ينقلوه إلى ما لا ينبغي له التفكّر فيه، و قد ورد النّهي عن التفكّر في ذات اللّه، و اللّه يقول:

وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ [سورة آل عمران: ۲۸ و ۳۰].

فوهبهم اللّه من معرفته ما وهبهم، و أشهدهم من مخلوقاته و مظاهره ما أشهدهم فعلموا أنّه ما يستحيل عقلا من طريق الفكر، لا يستحيل نسبة إلهيّة، فالّذي ينبغي للعاقل أن يدين اللّه به في نفسه أن يعلم:

إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

من ممكن و محال و لا كلّ محال، نافذ الاقتدار، واسع العطاء، ليس لإيجاده تكرار، بل أمثال تحدث في جوهر أوجده ، و شاء بقاءه، و لو شاء أفناه مع الأنفاس.

لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [سورة آل عمران: ۱۸].

و هذا آخر كلامه في هذا الباب، أي في إيجاد العالم و إيجاد آدم من العلو إلى السّفل، و من السّفل إلى العلو، و قد سبق من كلام مولانا و سيّدنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام في هذه المقدمة أمثال ذلك بالنّسبة إليهما، و هذه قاعدتنا في هذا الكتاب و غيره، أعني إذا جرى منّا كلام في تحقيق شيء من الأشياء لا بدّ و أن نقوم بالاستشهاد فيه أوّلا من كلام اللّه تعالى ثمّ كلام أنبيائه ثمّ كلام أوليائه، ثمّ كلام المشايخ، و من المشايخ أعظمهم و أشرفهم، و معلوم أنّ الشّيخ الأعظم محيي الدّين الأعرابي قدّس اللّه سرّه من أعظم المشايخ

و أشرفهم من المتقدّمين و المتأخرين، و برهانه في هذا واضح، و لا يخفى على أحد صحته إذا اطّلع على علومه و مقاماته.

و إذا فرغنا من هذا الباب من كلامه فلنشرع في باب آخر من كلامه في هذا المعنى أي في إيجاد العالم و ترتيبه، و إيجاد الإنسان و تحقيقه و هو هذا و باللّه العصمة و التوفيق.

## ١-٣ الباب السّتّون في معرفة العناصر و سلطان العالم العلوي على العالم السّفليّ

و في أيّ دورة كان وجود هذا العالم الإنساني من دورات الفلك الأقصى، و أيّة روحانيّة لنا

### ١-٣-١(في استناد كلّ شيء إلى حقائق إلهيّة)

اعلم، أنّ كلّ شيء من الأكوان لا بدّ أن يكون استناده إلى حقايق إلهيّة فكلّ علم مدرج في العلم الإلهيّ، و منه تفرّعت العلوم كلّها و هي منحصرة في أربع مراتب و كلّ مرتبة تنقسم إلى أنواع معلومة محصورة عند العلماء و هو العلم المنطقيّ، و العلم الرّياضيّ، و العلم الطبيعيّ، و العلم الإلهيّ.

### ١-٣-٢ (المطلوب من الحقائق الإلهيّة أربع نسب)

و العالم يطلب من الحقائق الإلهيّة أربع نسب: الحياة، و العلم، و الإرادة، و القدرة، إذا ثبتت هذه الأربع النّسب للواجب الوجود، صحّ أنّه الموجد للعالم بلا شكّ، فالحياة و العلم، أصلان في النّسب، و الإرادة و القدرة دونهما، و الأصل الحياة، فإنّها الشّرط في وجود العلم، و العلم له عموم التعلّق، فانّه يتعلّق بالواجب الوجود و بالممكن و بالمحال، و الإرادة دونه في التعلّق فانّه لا تعلّق لها إلّا بالممكن في ترجيحه بإحدى الحالتين من الوجود و العدم، فكأنّ الإرادة تطلبها الحياة فهي كالمنفعلة عنها، فإنّها أعمّ تعلّقا من القدرة، و القدرة أخصّ تعلّقا فإنّها تتعلّق بإيجاد الممكن لا بإعدامه، فكأنّها كالمنفعلة عن العلم لأنّها من الإرادة بمنزلة العلم من الحياة.

### ١-٣-٣(العالم بالنسبة إلى الحقّ سبحانه منفعل و بالنظر إلى نفسه) (فمنه فاعل و منه منفعل)

فلمّا تميّزت المراتب في النّسب الإلهيّة، تميّز الفاعل عن المنفعل، خرج العالم على هذه الصّورة فاعلا و منفعلا، فالعالم بالنّسبة إلى اللّه من حيث الجملة منفعل محدث، و بالنّظر إلى نفسه فمنه فاعل و منفعل.

### ١-٣-٤ (اصول ظهور الصّور و مراتب العناصر في العالم)

فأوجد اللّه سبحانه العقل الأوّل من نسبة الحياة، و أوجد النّفس من نسبة العلم، و كان العقل في وجود النّفس، كالحياة شرط في وجود العلم و كان المنفعلان عن العقل و النّفس، الهباء و الجسم الكلّ، فهذه الأربعة أصل ظهور الصّور في العالم، غير أنّ بين النّفس و الهباء مرتبة الطبيعة، و هي على أربع حقايق، منها اثنان فاعلان، و اثنان منفعلان، و كلّها في رتبة الانفعال بالنّظر إلى من صدرت عنه، فكانت الحرارة و البرودة و الرّطوبة و اليبوسة، فاليبوسة منفعلة عن الحرارة، و الرّطوبة منفعلة عن البرودة، فالحرارة من العقل، و العقل عن الحياة فكذلك (و لذلك) طبع الحياة في الأجسام العنصريّة، الحرارة و البرودة من النّفس، و النّفس من العلم، و لهذا يوصف العلم إذا استقرّ ببرد النّفس و بالثلج، و منه قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حين وجد برد الأنامل بين

ثدييه: «فعلم علم الأوّلين و الآخرين».

و لمّا انفعلت اليبوسة و الرّطوبة عن الحرارة و البرودة طلبت الإرادة اليبوسة لأنّها في مرتبتها، و لمّا كانت القدرة مالها تعلّق إلّا بالإيجاد خاصّة كان الأحق بها طبع الحياة و هي الحرارة و الرّطوبة في الأجسام، و ظهرت الصّور و الأشكال في الهباء و الجسم الكلّ فظهرت السّماء و الأرض مرتوقة غير متميّزة.

ثمّ إنّ اللّه تعالى توجّه إلى فتق هذا الرّتق ليميّز أعيانها و كان الأصل الباقي وجودها، و لهذا قال:

وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ [سورة الأنبياء: ٣٠].

و لحياته وصف بالتّسبيح، فنظم اللّه أوّلا هذه الطبائع الأربع نظما مخصوصا، فضمّ الحرارة إلى اليبوسة فكانت النار البسيطة المعقولة فظهر حكمها في جسم العرش الّذي هو الفلك الأقصى و الجسم الكلّ في ثلاثة أماكن، منها المكان الواحد سمّاه حملا، و المكان الثاني و هو الخامس من الأمكنة المقدّرة فيه سمّاه أسدا، و المكان الثالث و هو التّاسع من الأمكنة المقدّرة فيه سمّاه قوسا.

ثمّ ضمّ البرودة إلى اليبوسة، و أظهر سلطانهما في ثلاثة أمكنة من هذا الفلك و هو التّراب البسيط المعقول فسمّى المكان الواحد ثورا، و الآخر سنبلة، و الثّالث جديا.

ثمّ ضمّ الحرارة إلى الرّطوبة فكان الهواء البسيط المعقول، و أظهر حكمه في ثلاثة أمكنة من هذا الفلك الأقصى سمّى المكان الواحد منه الجوزاء، و الآخر الميزان، و الثالث الدالي.

ثمّ ضمّ البرودة إلى الرّطوبة فكان الماء البسيط و أظهر حكمه في ثلاثة أمكنة من الفلك الأقصى، سمّي المكان الواحد السرطان، و سمّي الآخر بالعقرب، و سمّي الثّالث بالحوت، فهذا تقسم فلك البروج على اثنى عشر قسما مفروضة تعيّنها الكواكب الثّمانية و العشرون، و ذلك بتقدير العزيز العليم.

فلمّا أحكم صنعتها و ترتيبها و أدارها، فظهر الوجود مرتوقا فأراد الحقّ فتقه ففصل بين السّماء و الأرض، كما قال تعالى:

كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما [سورة الأنبياء: ٣٠].

أي ميّز بعضها عن بعض، فأخذت السّماء علوا دخانا فحدث فيما بين السّماء و الأرض، ركنان من المركبات: الرّكن الواحد الماء المركّب ممّا يلي الأرض، لأنّه بارد رطب فلم يكن له قوّة الصعود، فبقى على الأرض تمسكه بما فيها من اليبوسة عليها.

و الآخر النّار و هي أكرة الأثير ممّا يلي السّماء لأنّه حار يابس فلم يكن له طبع النّزول إلى الأرض فبقي ممّا يلي السّماء من أجل حرارته، و اليبوسة تمسكه هناك.

و حدث ما بين النّار و الماء ركن الهواء من حرارة النّار و رطوبة الماء فلا يستطيع أن يلحق بالنّار، فانّ ثقل الرّطوبة يمنعه أن يكون بحيث النّار و ان طلبت الرّطوبة تنزله إلى أن يكون بحيث (الماء) تمنعه الحرارة من النّزول فلمّا تمانعا لم يبق إلّا أن يكون بين الماء و النّار، لأنّهما يتجاذبانه على السّواء، فذلك المسمّى هواء، فقد بان لك مراتب العناصر و ماهيّتها، و من أين ظهرت و أصل الطبيعة.

### ۱-۳-۵(إنشاء اللّه تعالى الإنسان من حيث الجسم)

و لمّا دارت الأفلاك و مخضت الأركان بما حملته ممّا ألقت فيها في هذا النكاح المعنوي، و ظهرت المولّدات من كلّ ركن بحسب ما تقتضيه حقيقة ذلك الرّكن فظهرت أمم العالم و ظهرت الحركة المنكوسة (و الحركة) الأفقيّة، فلمّا انتهى الحكم إلى السّنبلة ظهرت النشأة الإنسانيّة بتقدير العزيز العليم، فأنشأ اللّه عزّ و جلّ الإنسان من حيث جسمه خلقا سويّا و أعطاه الحركة المستقيمة، و جعل اللّه لها من الولاية في العالم العنصري سبعة آلاف سنة.

و ينتقل الحكم إلى الميزان و هو زمان القيامة، و فيه يضع اللّه الموازين القسط، ليوم القيامة، فلا تظلم نفس شيئا و لمّا لم يكن الحكم له بما أودع اللّه فيه من العدل في الدّنيا، شرع الموازين فلم يعمل بها إلّا القليل من النّاس و هم النبيّون خاصّة، و من كان محفوظا من الأولياء، و لمّا كانت القيامة محل سلطان الميزان لم تظلم نفس شيئا، قال اللّه تعالى:

وَ نَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَ إِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ (يعني من العمل).

أَتَيْنا بِها وَ كَفى بِنا حاسِبِينَ [سورة الأنبياء: ۴۷].

و لمّا كان للعذراء السّبعة من الأعداد كانت لها السّبعة و السّبعون و السّبع مائة من الأعداد في تضاعف الأجور و ضرب الأمثال في الصّدقات، قال تعالى:

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَ اللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ [سورة البقرة: ۲۶۱].

إلى سبعة آلاف، إلى سبعين ألفا، إلى سبع مائة ألف، إلى ما لا نهاية له، و لكن من حساب السّبعة.

و انّما كانت الفروض المقدّرة في الفلك الأطلس اثنى عشر فرضا، لأنّ منتهى أسماء العدد إلى اثنى عشر اسما، و هو من الواحد إلى العشرة إلى المائة و هو الحادي عشر، إلى الألف و هو الثاني عشر، و ليس وراءه مرتبة أخرى، و يكون التّركيب فيها بالتضعيف إلى ما لا نهاية له بهذه الأسماء خاصّة.

و يدخل النّاس الجنّة و النّار، و ذلك في أوّل الحادية، إحدى عشرة درجة من الجوزاء، و تستقرّ كلّ طائفة في دارها و لا يبقى في النّار من يخرج بشفاعة و لا بعناية إلهيّة و يذبح الموت بين الجنّة و النّار و يرجع الحكم في أهل الجنّة بحسب ما يعطيه الأمر الإلهي الّذي أودع اللّه في حركات الفلك الأقصى، و به يقع التكوين في الجنّة بحسب ما تعطيه نشأة الدّار الآخرة، فانّ الحكم دائما في القوابل، فإنّ الحركة واحدة و آثارها تختلف بحسب القوابل، و سبب ذلك حتّى لا يستقلّ أحد من الخلق بفعل و لا بأمر دون مشاركة فيتميّز بذلك فعل اللّه الّذي يفعل لا بمشاركة من فعل المخلوق، فالمخلوق أبدا في محل الافتقار و العجز، و اللّه الغنيّ العزيز.

فيكون الحكم في أهل النّار بحسب ما يعطيه الأمر الإلهي الّذي أودع اللّه تعالى في حركات الفلك الأقصى، و في الكواكب الثابتة و في سباحة الدّراريّ السّبعة المطموسة الأنوار، فهي كواكب لكنّها ليست بثواقب، فالحكم في النّار خلاف الحكم في الجنّة، فيقرب حكم النار من حكم الدّنيا فليس بعذاب خالص و لا بنعيم خالص و لهذا قال تعالى:

لا يَمُوتُ فِيها وَ لا يَحْيى [سورة طه: ۷۴].

فلم يخلصه إلى أحد الوجهين و كذلك قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

«أمّا أهل النّار الّذين هم أهلها فانّهم لا يموتون فيها و لا يحيون» .

و سبب ذلك أنّه بقي ما أودع اللّه عليهم في الأفلاك و حركات الكواكب من الأمر الإلهي و تغيّر منه على قدر ما تغيّر من صور الأفلاك بالتّبديل، و من الكواكب بالطمس و الانتثار، فاختلف حكمها بزيادة و نقص، لأنّ التّغيير وقع في الصّور، لا في الذّوات.

### ۱-۳-۶(العالم مرتّب بترتيب المملكة و البلاد و فيه توجد جنودا و مأمورين)

و اعلم أنّ اللّه تعالى لمّا تسمّى بالملك رتّب العالم ترتيب المملكة، فجعل له خواصّا من عباده و هم الملائكة المهيّمة جلساء الحق تعالى بالذّكر.

لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَ لا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لا يَفْتُرُونَ [سورة الأنبياء: ۱۹- ۲۰].

### ۱-۳-۷(خلق النون و القلم و غيرهما من الملائكة)

ثمّ اتّخذ حاجبا من الكروبين واحدا أعطاه علمه في خلقه و هو علم مفصّل في إجمال فعلمه سبحانه كان فيه مجلى له و سمّى ذلك الملك نونا فلا يزال معتكفا في حضرة علمه عزّ و جلّ و هو رأس الدّيوان الإلهي، و الحقّ من كونه عليما لا يحتجب عنه.

ثمّ عيّن من ملائكته ملكا آخر دونه في الرّتبة سمّاه القلم و جعل منزلته دون النّون و اتّخذه كاتبا فيعلّمه اللّه من علمه ما شاء في خلقه بوساطة النّون، و لكن من العلم الإجمالي و ممّا يحوي عليه العلم الإجمالي علم التّفصيل و هو من بعض علوم الإجمال، لأنّ العلوم لها مراتب من جملتها علم التّفصيل فما عند القلم الإلهي من مراتب العلوم المجملة إلّا علم التّفصيل مطلقا، و بعض العلوم المفصّلة لا غير.

و اتّخذ هذا الملك كاتب ديوانه و تجلّى له من اسمه القادر، فأمدّه من هذا التجلّي الإلهي و جعل نظره إلى جهة عالم التدوين و التّسطير، فخلق له لوحا و أمره أن يكتب فيه جميع ما شاء سبحانه أن يجريه في خلقه إلى يوم القيامة خاصّة، و أنزله منزلة التلميذ من الأستاذ، فتوجّهت عليه هنا الإرادة الإلهيّة، فخصّصت له هذا القدر من العلوم المفصّلة، و له تجلّيان من الحقّ بلا واسطة، و ليس للنون سوى تجلّ واحد في مقام أشرف فإنّه لا يدل تعدّد التجلّيات و لا كثرتها على الأشرفيّة و إنّما الأشرف من له المقام الأعمّ.

فأمر اللّه النّون أن يمدّ القلم بثلاث مائة و ستّين علما من علوم الإجمال، تحت كلّ علم تفاصيل و لكن معيّنة منحصرة لم يعطه غيرها يتضمّن كلّ علم اجماليّ من تلك العلوم ثلاثمائة و ستّين علما من علوم التّفصيل، فإذا ضربت ثلاث مائة و ستّين في مثلها، فما خرج لك فهو مقدار علم اللّه تعالى في خلقه إلى يوم القيامة خاصّة، ليس عند اللّوح من العلم الّذي كتبه فيه هذا القلم أكثر من هذا لا يزيد و لا ينقص، و لهذه الحقيقة الإلهيّة جعل اللّه الفلك الأقصى ثلاث مائة و ستين درجة، و كلّ درجة مجملة لما تحوي عليه من نقصان (تفصيل) الدّقائق و

الثواني و الثوالث إلى ما شاء اللّه سبحانه ممّا يظهره في خلقه إلى يوم القيامة و سمّي هذا القلم: الكاتب.

### ۱-۳-۸(انّ للعالم اثنى عشر وال)

ثمّ إنّ اللّه سبحانه و تعالى أمر أن يولّي على عالم الخلق اثنى عشر واليا يكون مقرّهم في الفلك الأقصى منّا في بروج، فقسّم الفلك الأقصى اثنى عشر قسما، جعل كلّ قسم منها برجا لسكنى هؤلاء (الولاة) البروج مثل أبراج سور المدينة فأنزلهم اللّه إليها فنزلوا فيها كلّ وال على تخت في برجه، و رفع اللّه الحجاب الّذي بينهم و بين اللّوح المحفوظ فرأوا فيه مسطرا أسماءهم و مراتبهم و ما شاء الحق ان يجريه على أيديهم في عالم الخلق إلى يوم القيامة فارتقم ذلك كلّه في نفوسهم و علموه علما محفوظا لا يتبدل و لا يتغيّر.

ثمّ جعل لكلّ واحد من هؤلاء الولاة حاجبين ينفّذان أوامرهم إلى نوّابهم، و جعل بين كلّ حاجبين سفيرا يمشي بينهما بما يلقي اللّه كلّ واحد منهما، و عيّن اللّه لهؤلاء الّذين جعلهم اللّه حجابا لهؤلاء الولاة في الفلك الثاني منازل يسكنونها و أنزلهم إليها و هي ثمانية و عشرون منزلة الّتي تسمّى المنازل الّتي ذكرها في كتابه فقال:

وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ [يونس: ۵].

يعني في سيره ينزل كلّ ليلة منزلة منها إلى أن ينتهي إلى اخرها، ثمّ يدور دورة أخرى لِتَعْلَمُوا بسيره و سير الشّمس فيها و الخنّس.

عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ [سورة يونس: ۵].

و كلّ شيء فصّله الحقّ لنا تفصيلا، فأسكن في هذه المنازل هذه الملائكة و هم حجاب أولئك الولاة الّذين في الفلك الأقصى.

### ۱-۳-۹(بيان نقباء الولاة)

ثمّ إنّ اللّه تعالى أمر هؤلاء الولاة أن يجعلوا نوّابا لهم و نقباء في السّموات السّبع، في كلّ سماء نقيبا كالحاجب لهم، ينظر في مصالح العالم العنصري بما يلقون إليهم هؤلاء الولاة و يأمرونهم به و هو قوله:

وَ أَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها [سورة فصّلت: ۱۲].

فجعل اللّه أجسام هذه الكواكب النّقباء أجساما نيّرة مستديرة، و نفخ فيها أرواحها و أنزلها في السّماوات السّبع، في كلّ سماء واحد منهم، و قال لهم:

قد جعلتكم تستخرجون ما عند هؤلاء الإثنى عشر واليا بوساطة الحجّاب الّذين هم ثمانية و عشرون، كما يأخذ أولئك الولاة عن اللّوح المحفوظ.

ثمّ جعل اللّه لكلّ نقيب من هؤلاء السّبعة النّقباء فلكا يسبح فيه هو له كالجواد للراكب، و هكذا الحجّاب لهم أفلاك يسبحون فيها، إذ كان لهم التّصرف في حوادث العالم، و الاستشراف عليه، و لهم سدنة و أعوان يزيدون على الألف و أعطاهم اللّه مراكب سمّاها أفلاكا فهم أيضا يسبحون فيها و هي تدور بهم على المملكة في كلّ

يوم مرّة فلا يفوتهم من المملكة شيء أصلا من ملك السّموات و الأرض، فيدور الولاة و هؤلاء الحجّاب و النقباء و السّدنة كلّهم في خدمة هؤلاء الولاة.

### ۱-۳-۱۰(المقصود من خلق العالم هو الإنسان)

و الكلّ مسخرون في حقّنا إذ كنّا المقصود من العالم، قال تعالى:

وَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ [سورة الجاثية: ۱۳].

و أنزل في التّوراة:

(يا ابن آدم! خلقت الأشياء من أجلك و خلقتك من أجلي).

و هكذا ينبغي أن يكون الملك يستشرف كلّ يوم على أحوال أهل ملكه، يقول تعالى:

كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ [سورة الرّحمن: ۲۹].

لأنّه يسأله من في السّموات و الأرض، بلسان حال و بلسان المقال و لا يؤوده حفظ العالم و هو العلي العظيم فماله شغل إلّا بها، يقول تعالى:

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ [سورة السجدة: ۵].

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآياتِ [سورة الرّعد: ۲].

و لولا وجود الملك ما سمّي الملك ملكا فحفظه لملكه حفظه لبقاء اسم الملك عليه و إن كان كما قال:

فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ [سورة آل عمران: ۹۷].

### ۱-۳-۱۱(انعزال الحاكم بفسقه و عدم معاملته بالإحسان مع رعيّته)

فما جاء باسم الملك فان أسماء الإضافة لا تكون إلّا بالمضاف، فكلّ سلطان لا ينظر في أحوال رعيّته و لا يمشي بالعدل فيهم، و لا يعاملهم بالإحسان الّذي يليق بهم فقد عزل نفسه في نفس الأمر.

يقول الفقهاء: إن الحاكم إذا فسق أو جار، فقد انعزل شرعا و لكن عندنا انعزل شرعا فيما فسق فيه خاصّة، لأنّه (ما) لا حكم بما شرع له أن يحكم به فقد أثبتهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لا (ولاة) مع جورهم فقال عليه السّلام فينا و فيهم:

فإن عدلوا فلكم و لهم و إن جاروا فلكم و عليهم .

و نهى: أن «يخرج يدا من طاعة» .

و ما خصّ بذلك واليا من وال، فلذلك زدنا في عزله شرعا، إنّما ذلك فيما فسق فيه.

فالملك مأمور أن يحفظ نفسه من الخروج ممّا حدّ له من الأحكام في رعاياه و في نفسه، فانّه وال على نفسه.

«كلّكم راع و كلّكم مسؤول عن رعيّته» .

فالإنسان راع على نفسه فما زاد، و لذلك قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

«إن لنفسك عليك حقّا، و لعينك عليك حقّا، الحديث».

فمن لم يف لمن بايعه بما بايعه عليه فقد عزل نفسه، و ليس بملك و إن كان حاكما فما كلّ حاكم يكون سلطانا فانّ السّلطان من تكون له الحجّة لا عليه، و لهذا جعل اللّه الأفلاك تدور علينا كلّ يوم دورة لتنظر الولاة ما تدعو حاجة الخلق إليهم فيسدّون الخلل، و ينفّذون أحكام اللّه تعالى من كونه مريدا في خلقه، لا من كونه آمرا، فينفّذون أحكامه الّتي أمرهم سبحانه أن ينفّذوها فيهم و هو القضاء و القدر في أزمان مختلفة فكلّ شيء بقضاء و قدر حتّى العجز و الكيس، و كلّ صغير و كبير مستطر في اللّوح المحفوظ فما فيه إلّا ما يقع، و لا ينفّذ هؤلاء الولاة في العالم إلّا ما فيه، و اللّه على كلّ شيء رقيب.

و مع هذا كلّه فإنّ اللّه له مع كلّ واحد من المملكة أمر خاصّ في نفسه يعلمه الولاة و الحجّاب و النّقباء، فمنهم لا يفقدون مشاهدة ذلك الوجه، ذلك ليعلموا:

أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً [سورة الطلاق: ١٢].

و أنّه، رقيب عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ [سورة الرّعد: ٣٣].

و: أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ [سورة فصّلت: ٥٤].

### ١-٣-١٢(استغفار الملائكة لمن في الأرض و للمؤمنين)

و لمّا جعل اللّه زمام هذه الأمور بأيدي هؤلاء الجماعة من الملائكة و أقعد من أقعد منهم في برجه و مسكنه الّذي فيه تخت ملكه، و أنزل من أنزل من الحجّاب و النّقباء إلى منازلهم في سماواتهم، و جعل في كلّ سماء ملائكة مسخّرة تحت أيدي هؤلاء الولاة و جعل تسخيرهم على طبقات، فمنهم أهل العروج باللّيل و النّهار: من الحقّ إلينا و منّا إلى الحقّ، في كلّ صباح و مساء، و ما يقولون إلّا خيرا في حقّنا و منهم المستغفرون لمن في الأرض، و منهم المستغفرون للمؤمنين، لغلبة الغيرة الإلهيّة عليهم كما غلبت الرّحمة على المستغفرين لمن في الأرض، و منهم الموكّلون بإيصال الشرائع، و منهم أيضا الموكّلون باللّمّات، و منهم الموكّلون بالإلهام، و هم الموصلون العلوم إلى القلوب، و منهم الموكّلون بالأرحام، «و منهم الموكّلون بتصوير ما يكون اللّه في الأرحام، و منهم الموكّلون بنفخ الأرواح، و منهم الموكّلون بالأرزاق»، و منهم الموكّلون بالأمطار، و كذلك، (لذلك قالوا):

وَ ما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ [سورة الصّافات: ١٦٤].

و ما من حادث يحدث اللّه في العالم إلّا و قد وكّل اللّه بإجرائه (ملائكة) ملائكته و لكن بأمر هؤلاء من الملائكة كما منهم أيضا: الصّافات، و الزّجرات، و التاليات، و المقسمات، و المرسلات، و الناشرات، و النّازعات، و الناشطات، و السّابقات، و السّابحات، و الملقيات، و المدبّرات، و مع هذا، فما يزالون تحت سلطان

هؤلاء الولاة إلّا الأرواح المهيّمة، فهم خصائص اللّه و من دونهم ينفّذون أوامر اللّه في خلقه.

ثمّ إن العامّة ما تشاهد إلّا منازلهم، و الخاصّة يشهدونهم في منازلهم كما أيضا تشاهد العامّة أجرام الكواكب، و لا تشاهد أعيان الحجّاب و لا النّقباء.

و جعل اللّه في العالم العنصري خلقا من جنسهم، فمنهم الرّسل، و الخلفاء، و السّلاطين، الملوك، و ولاة أمور العالم.

و جعل اللّه بين أرواح هؤلاء الّذين جعلهم اللّه ولاة في الأرض، من أهلها بينهم و بين هؤلاء الولاة في الأفلاك مناسبات و رقائق تمتدّ إليهم من هؤلاء الولاة بالعدل، مطهرة من الشوائب مقدسة عن العيوب، فتقبّل أرواح هؤلاء الولاة الأرضيين منهم بحسب استعداداتهم، فمن كان استعداده قويّا حسنا قبل ذلك الأمر على صورته ظاهرا مظهرا (طاهرا مطهرا)، فكان والي عدل و إمام فضل، و من كان استعداده رديّا قبل ذلك الأمر الظاهر (طاهر) و ردّه إلى شكله من الرداءة و القبح فكان والي جور و نائب ظلم و بخل فلا يلومنّ إلّا نفسه.

فقد أبنت لك سلطنة العالم العلويّ على العالم السّفلي، و كيف رتّب اللّه ملكه هذا الترتيب العجيب، و ما ذكرنا من ذلك إلّا الأمّهات لا غير.

يقول اللّه تعالى: وَ أَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها [سورة فصّلت: ١٢].

و قال: يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ [سورة الطلاق: ١٢].

و يكفي هذا القدر من هذا الباب، و اللّه يقول الحقّ و هو يهدي السبيل، و اللّه أعلم بالصّواب و إليه المرجع و المآب.

هذا آخر هذا الباب و في ضمّه إلى الأبواب الّتي سبقت من كلامه قدّس اللّه سرّه قبل هذا الباب، كان لنا أغراض:

### ١-٣-١٣(في تطبيق الأئمّة المعصومين عليهم السّلام بالولاة الحقيقيّة العلويّة)

منها، ترتيب العالم و تحقيقه من العلوّ إلى السّفل أو بالعكس، و منها تحقيق الكتاب الإلهيّة و تعيين الدّواة و القلم و الصّادر منها من الأزل إلى الأبد، حيث نحن في بحث القرآن و تعيين الكتاب الآفاقي و الأنفسي.

و منها تعيين الملائكة و ترتيب طبقاتهم و ترتيب المملكة الإلهيّة، و تعيين الولاة و الحجّاب و النقباء و السّدنة و غير ذلك، و تعيين الموكّلين منهم على كلّ نوع نوع من أجناس العالم و أشخاصه و أصنافه.

و منها تعداد الولاة الحقيقيّة الإلهيّة العلويّة المنحصرة في اثني عشرة ولاة تطبيقا بالأئمّة الإثني عشرة من أهل بيت النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الّذين سبق ذكرهم مفصلا و مجملا بوجوه مختلفة، و اعتراض بعض النّاس في تخصيص هذا العدد بهم دون غيره و جوابه بالبروج الإثني عشرة، و النّقباء من بني إسرائيل و غير ذلك فإنّها كذلك، و للدائرة الآفاقيّة و الأنفسيّة الّتي مثّلنا به في صورة الجداول و ترتيب العالم الصّوري بالعالم المعنوي، و الأقطاب و الأئمّة من السّبعة و الإثني عشرة.

فإنّ كلام الشيخ حجّة في ذلك مع المعترض ، فانّ الشّيخ عيّن في هذا الباب أن بعد اللّه تعالى و الملائكة المهيّمة، العالم كلّه في تصرّف هؤلاء الولاة الأثني عشرة، و أرواح الأنبياء و الرّسل و الخلفاء و الأولياء و الملوك و السّلاطين يأخذ منهم و من فيضهم في هذا العالم العنصري الشهاديّ، فالشّيعة من هذا قالوا أنّ الأئمّة الإثنى عشرة عليهم السّلام، على عددهم و جميع كمالاتهم و علومهم و صفاتهم منهم، و هم مظاهر تلك الولاة و مجاليهم، و لا يجوز أن يكون عددهم أكثر من ذلك إلّا غيرهم من الولاة ليسوا كذلك و لا يوافق عددهم عددهم، و لا أخلاقهم أخلاقهم، و لا صفاتهم صفاتهم، من العصمة و الطّهارة و العدل في الأفعال و القسط في الأقسام و غير ذلك، كما ذكر الشيخ في قوله:

و بين هؤلاء الولاة في الأفلاك مناسبات و رقائق تمتدّ إليهم من هؤلاء الولاة بالعدل مطهّرة من الشّوائب مقدّسة عن العيوب. هذا في هذا الباب.

فأمّا في الفصل الثالث من باب الواحد و السّبعون و ثلاثمائة، في بيان الفلك الأطلس و البروج ذكر و هو قوله:

اعلم أنّ اللّه خلق في جوف هذا الكرسي الّذي ذكرناه جسما شفّافا مستديرا قسّمه اثنى عشر قسما سمّى الأقسام بروجا و هي الّتي أقسم بها لنا في كتابه فقال تعالى:

وَ السَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ [سورة البروج: ١].

و أسكن كلّ برج منها ملكا هم لأهل الجنّة كالعناصر لأهل الدّنيا، فهم ما بين مائيّ و ترابيّ و هوائيّ و ناريّ، و عن هؤلاء يتكوّن في الجنّات ما يتكوّن، و يستحيل فيها ما يستحيل، و يفسد ما يفسد، أعني ينفسد بتغيّر نظامه إلى أمر آخر ما هو الفساد المذموم المستخبث، فهذا معنى يفسد فلا يتوهّم، و من هنا، قالت الإماميّة بالإثنى عشر إماما، فإنّ هؤلاء الملائكة أئمّة العالم الّذي تحت إحاطتهم و من كون هؤلاء الإثنى عشر لا يتغيّرون عن منازلهم، لذلك قالت الإماميّة بعصمة الأئمّة لكنّهم لا يشعرون أن الإمداد يأتي إليهم من هذا المكان و إذا سعدوا سرت أرواحهم في هذه المعارج بعد الفصل و القضاء (النافذ بهم) لأنّها إلى هذا الفلك تنتهي لا تتعدّاه فإنّها لم تعتقد سواه، فهم و ان كانوا اثنى عشر، فهم على أربع مراتب لأنّ العرش على أربع قوائم، و المنازل ثلاثة: دنيا و برزخ و آخرة (و) ما ثمّ رابع، و لكلّ منزل من هذه المنازل أربعة لا بدّ منهم لهم الحكم في أهل هذه المنازل، فإذا ضربت ثلاثة في أربعة كان الخارج من هذا الضرب اثنى عشر، فلذلك كانوا اثنى عشر برجا.

و هذا الباب و الفصل، فيهما أمثال، و لكن كثيرة و لا تعلّق لها بهذا المقام غير هذا.

و هذا البحث دالّة على صحّة ما قلناه في المقدّمة الأولى من فضيلة الأئمّة و تعدادهم في العدد المعيّن و غير ذلك، و إذا تقرّر هذا، و كان الغرض الأوّل من نقل هذه الأبواب بأسرها تحقيق العالم و ترتيبه بعد أن بيّناه مفصّلا و مجملا. فلنشرع في تعيين الملائكة و الجنّ، و كيفيّة إيجادهم، لأنّ ذلك أيضا من تماميّة ترتيب العالم و إيجاده، فبحث الملائكة قد سبق (سيأتي) بعضه في خطبة مولانا و سيّدنا أمير المؤمنين على عليه السّلام، و بعضه في هذا الباب، و الزّائد على ذلك توجد في مظانّه.

و أمّا بحث الجنّ فله باب آخر في تعيين تخليقهم و تركيبهم و كيفيّة صدورهم من العلويّات و السفليّات نذكره و نرجع إلى غيره، و الغرض الأعظم و الأحوج إلى تعيين الملك و الجنّ هو أنّ في نفس التأويل سيجيء ذكر آدم و حوّاء و الملائكة و الجنّ و إبليس و الشّيطان و السّجود و التّرك و ذلك المكان يحتاج إلى تعيينهم و تفصيلهم و

يخرج البحث عن المقصد فهذا المكان أولى به لأنّا إذا وصلنا في التّأويل إلى هذا المكان أمرنا الطّالب أن يرجع إلى المقدّمات و إلى الموضع الفلاني و يظفر بمطلوبه، و هذا أنسب و أليق من ذكرهم في نفس التأويل، و الحمد للّه الّذي ألهمنا لهذا و هدانا إليه، و ما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه و اللّه يقول الحقّ و هو يهدي السّبيل.

و الباب المخصوص ببحث الجنّ و هو هذا:

## ۱-۴ الباب التّاسع في معرفة وجود الأرواح المارجيّة الناريّة، المعبّر عنهم بالجنّ في الكتاب و السّنّة

علم أنّ هذا الباب و إن كان مخصوصا ببحث الجنّ و بخلقتهم لكنّ يعلم فيه علوم جمّة و أسرار كثيرة غير متعلّقة ببحث الجنّ من بحث العالم و آدم و الملائكة و إبليس و غير ذلك.

و أوّل الباب قوله:

### ۱-۴-۱ (في خلق الجان و الملائكة و الإنسان)

قال اللّه تعالى:

وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ [سورة الرحمن: ۱۵].

و ورد في الحديث الصّحيح :

انّ اللّه خلق الملائكة من نور، و خلق الجانّ من نار، و خلق الإنسان ممّا قيل لكم.

قال: و أمّا قوله عليه السّلام في خلق الإنسان: مما قيل لكم، و لم يقل مثل ما قال في خلق الملائكة و الجانّ طلبا للاختصار، فإنّه «أوتي جوامع الكلم» و هذا منها، فان الملائكة لم يختلف أصل خلقها و لا الجانّ، و أمّا الإنسان اختلف خلقه على أربعة أنواع من الخلق: فخلق آدم لا يشبه خلق حواء، و خلق حواء لا يشبه خلق سائر بني آدم، و خلق عيسى عليه السّلام لا يشبه خلق من ذكرنا، فقصد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الاختصار، و أحال على ما وصل إلينا من تفصيل خلق الإنسان، فآدم من طين، و حواء من ضلع، و عيسى من نفخ روح، و بنو آدم من ما مهين.

و لمّا أنشأ اللّه الأركان الأربعة و علا الدّخان إلى مقعّر فلك الكواكب الثابتة و فتق في ذلك الدّخان سبع سماوات ميّز بعضها عن بعض.

وَ أَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها [سورة فصّلت: ۱۲].

بعد ما قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها [سورة فصّلت: ۱۰].

و ذلك كلّه في أربعة أيّام، ثمّ قال للسّماوات و الأرض:

ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً [سورة فصّلت: ١١].

أي أجيبا إذا دعيتما لما يراد منكما، ممّا أمّنتما عليه أن تبرزاه.

قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ [سورة فصّلت: ١١].

### ١-٤-٢(جعل الالتحام بين السّماء و الأرض)

فجعل سبحانه بين السّماء و الأرض التحاما معنويّا، و توجها حقيقيّا لما يريد سبحانه أن يوجده في هذه الأرض من المولّدات من معدن و نبات و حيوان، و جعل الأرض كالأهل، و جعل السّماء كالبعل، و السّماء تلقي إلى الأرض من الأمر الّذي أوحي اللّه فيها كما يلقي الرّجل الماء بالجماع في المرأة، و تبرز الأرض عند الإلقاء ما خبأه الحقّ فيها من التكوينات على طبقاتها، فكان من ذلك أن الهواء لمّا اشتغل و حمى اتقد مثل السّراج و هو اشتغال النّار، ذلك اللهب الّذي هو احتراق الهواء و هو المارج و إنّما سمّي مارجا لأنّه مختلط بهواء و هو الهواء المشتعل فإنّ المرج الاختلاط و منه سمّي المرج مرجا لاختلاط النبات فيه فهو من عنصرين هواء و نار أعني الجانّ، كما كان آدم من عنصرين ماء و تراب، عجن به فحدث له اسم الطين، كما حدث لامتزاج النّار بالهواء اسم المارج ففتح سبحانه في ذلك المارج صورة الجانّ فبما فيه من الهواء يتشكّل في أي صورة شاء و بما فيه من النّار سخف و عظم لطفه و كان فيه طلب القهر و الاستكبار و العزّة، فإنّ النّار أرفع الأركان مكانا و له سلطان عظيم على إحالة الأشياء الّتي تقتضيها الطبيعة و هو السبب الموجب لكونه استكبر عن السّجود لآدم عند ما أمره اللّه عزّ و جلّ بتأويل أدّاه أن يقول:

أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ [سورة ص: ٧٦].

### ١-٤-٣(في أنّ الأصل في الجانّ الاستكبار كما أنّ الأصل في الإنسان التواضع)

يعني بحكم الأصل الّذي فضّل اللّه به بين الأركان الأربعة، و ما علم أنّ سلطان الماء الّذي خلق منه آدم أقوى منه، فإنّه يذهبه و أن التّراب أثبت منه للبرد و اليبس فلآدم القوّة و الثبوت لغلبة الركنين اللّذين أوجده اللّه منهما، و إن كان فيه بقيّة الأركان، و لكن ليس لها ذلك السّلطان و هو الهواء و النّار كما (كان) في الجانّ من بقيّة الأركان، و لذا سمّي مارجا و لكن ليس لها في نشأته ذلك السّلطان، و أعطى آدم التواضع للطّينيّة بالطبع فإن تكبّر فلأمر يعرض له، يقبله لما فيه من النّاريّة، كما يقبل اختلاف الصّور في خياله و في أحواله من الهوائيّة، و أعطى الجانّ التكبّر بالطبع للنّاريّة، فان تواضع فلأمر يعرض له يقبله لما فيه من التّرابيّة، كما يقبله الثبات على الإغواء إن كان شيطانا، و الثّبات على الطّاعات إن لم يكن شيطانا.

### ١-٤-٤(حسن استماع الجانّ حين تلاوة النّبيّ سورة الرّحمن)

و قد أخبر النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، لمّا تلى سورة الرّحمن على أصحابه قال:

إنّي تلوتها على الجنّ فكانوا أحسن استماعا لها منكم، فكانوا يقولون: لا بشيء من آلاء ربّنا نكذّب، إذا قلت:

فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ [سورة الرّحمن].

ثابتين عليه ما تزلزلوا عند ما كان يقول لهم عليه السّلام في تلاوته: فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ.

و ذلك بما فيه من الترابيّة، و بما فيه من المائيّة ذهبت بحميّة النّاريّة، فمنهم الطائع و العاصي.

### ۱-۴-۵ (الجانّ و قبول الصّور المختلفة)

و لهم التشكّل في الصّور كالملائكة: و أخذ اللّه بأبصارنا عنهم فلا نراهم إلّا إذا شاء اللّه أن يكشف لبعض عباده فيراهم، و لمّا كانوا من عالم السّخافة و اللّطف قبلوا التّشكيل فيما يريدونه من الصّور الحسّيّة، فالصّورة الأصلية الّتي ينسب إليها الرّوحاني إنّما هي أوّل صورة قبل عند ما أوجده اللّه، ثمّ تختلف عليه الصّور بحسب ما يريد اللّه أن يدخل فيها، و لو كشف اللّه عن أبصارنا حتّى نرى ما تصوّره القوّة المصوّرة الّتي و كلّها اللّه بالتّصوير، في خيال المتخيّل منّا، لرأيت مع الآنات، الإنسان في صور مختلفة لا يشبه بعضها بعضا.

### ۱-۴-۶ (التناسل في الجانّ و الإنسان)

و لمّا نفخ الرّوح في اللهب و هو كثير الاضطراب لسخافته زاده النّفخ اضطرابا و غلب الهواء عليه و عدم قراره على حالة واحدة ظهر عالم الجانّ على تلك الصّورة، و كما وقع التناسل في البشر بإلقاء الماء في الرّحم فكانت الذريّة و التوالد في هذا الصّنف البشري الآدمي، كذلك وقع التّناسل في الجانّ بإلقاء الهواء في رحم الأنثى منهم، فكانت الذّريّة و التوالد في صنف الجانّ، و كان وجودهم بالقوس و هو ناريّ، هكذا ذكر الوارد، حفظه اللّه.

فكان بين خلق الجان و خلق آدم ستّون ألف سنة، و كان ينبغي على ما يزعم بعض النّاس أن ينقطع التوالد من الجانّ بعد انقضاء أربعة آلاف سنة، و ينقضي التوالد من البشر بعد انقضاء سبعة آلاف سنة و لم يقع الأمر على ذلك، بل الأمر راجع إلى ما يريده اللّه، فالتّوالد في الجنّ إلى اليوم باق، و كذلك فينا، (فلم يتحقّق مبدأ آدم كم له من السنين) فتحقّق بهذا كم لآدم من السّنين؟ و كم بقي إلى انقضاء الدّنيا و فناء البشر عن ظهرها و انقلابهم إلى الدّار الآخرة؟، و ليس هذا بمذهب الرّاسخين في العلم، و إنّما قال به شرذمه قليلا لا يعتدّ بقولها.

فالملائكة أرواح منفوخة في أنوار، و الجانّ أرواح منفوخة في رياح، و الأناسي أرواح منفوخة في أشباح و يقال: إنّه لم يفصل عن الموجود الأول من الجانّ أنثى، كما فصلت حواء من آدم، قال بعضهم: أنّ اللّه خلق للموجود (الأوّل) من الجانّ فرجا في نفسه، فنكح بعضه ببعضه فولد مثل ذريّة آدم، ذكرانا و إناثا، ثمّ نكح بعضهم بعضا فكان خلقه خنثى، و لذلك هم من عالم البرزخ، لهم شبه بالبشر و شبه بالملائكة، كالخنثى يشبه الذّكر و يشبه الأنثى، و قد روينا (فيما رويناه) من الأخبار عن بعض أئمة الدّين أنّه رأى رجلا و معه ولدان، و كان خنثى، الواحد من ظهره و الآخر من بطنه، نكح فولد له، و نكح فولد ، و سمّي خنثى من الانخناث و هو الاسترخاء و الرّخاوة، عدم القوّة و الشدّة، (فلم تقو فيه قوّة الذكوريّة فيكون ذكرا)، و لم تقو فيه قوّة الأنوثة فيكون أنثى، فاسترخى عن هاتين القوّتين فسمّي خنثى و اللّه أعلم.

### ۱-۴-۷ (غذاء الجان و نكاحهم)

و لمّا غلب على الجانّ عنصر الهواء و النّار، لذلك كان غذاؤهم ما يحمله الهواء ممّا في العظام من الدّسم، فإنّ

اللّه جاعل لهم فيها رزقا، فانّا نشاهد جوهر العظم و ما يحمله من اللحم لا ينتقص منه شيء فعلمنا قطعا انّ اللّه جاعل لهم فيها رزقا، قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم في العظام:

إنها زاد إخوانكم من الجنّ.

و في حديث.

إنّ اللّه جاعل لهم فيها رزقا.

و أخبرني بعض المكاشفين أنّه رأى الجنّ يأتون إلى العظم فيشمونه كما تشمّ السّباع ثمّ يرجعون و قد أخذوا رزقهم، و غذاؤهم في ذلك الشمّ، فسبحان اللطيف الخبير.

و أمّا و اجتماع بعضهم ببعض عند النّكاح فالتواء، مثل ما تبصر الدّخان الخارج من الأتّون أو من قرب الفخّار، يدخل بعضه في بعض فيلتذ كلّ واحد من الشخصين بذلك التداخل، و يكون ما يلقونه كلقاح النخلة بمجرّد الرّائحة كغذائهم سواء.

### ۱-۴-۸ (قبائل الجان و عشائرهم)

و هم قبائل و عشائر، و قد ذكر أنهم محصورون في اثنتي عشرة قبيلة أصولا، ثمّ يتفرعون إلى أفخاذ و تقع بينهم حروب عظيمة، و بعض الزوابع قد يكون عين حربهم ، فإنّ الزّوبعة تقابل ريحين تمنع واحدة صاحبتها أن تخترقها فيؤدّي ذلك المنع إلى الدور المشهود في الغبرة في الحسّ، الّتي أثارها تقابل الرّيحين المتضادّين، فمثل ذلك يكون حربهم، و ما كلّ زوبعة حربهم، و حديث (قصة) عمرو الجنّي، مشهورة مرويّة، و قتله في الزّوبعة الّتي أبصرت فانقشعت عنه و هو على الموت فما لبث أن مات، و كان عبدا صالحا من الجانّ .

### ۱-۴-۹(تشكّل العالم الروحاني و نشأة عالم الجانّ)

ثمّ نرجع و نقول: و ان هذا العالم الرّوحاني إذا تشكل و ظهر في صورة حسّية يقيّده البصر بحيث لا يقدر أن يخرج عن تلك الصّورة مادام البصر ينظر إليه بالخاصيّة، و لكن من الإنسان، فإذا قيده و لم يبرح (ناظرا) إليه و ليس له موضع يتوارى فيه أظهر له هذا الرّوحاني صورة جعلها عليه كالستر، ثمّ يخيل له مشي تلك الصّورة إلى جهة مخصوصة فيتبعها بصره فإذا أتبعها بصره خرج الرّوحاني عن تقييده، فغاب عنه و بمغيبه تزول تلك الصّورة عن نظر النّاظر الّذي أتبعها بصره، فإنّها للرّوحاني كالنّور مع السّراج المنتشر في الزّوايا نوره، فإذا غاب جسم السّراج فقد ذلك النّور، فهكذا هذه الصّورة، فمن يعرف هذا و يحبّ تقييده لا يتبع الصورة بصره، و هذا من الأسرار الإلهيّة الّتي لا تعرف إلّا بتعريف اللّه، و ليست الصّورة غير عين الرّوحاني، بل هي عينه و لو كانت في ألف مكان، أو في كلّ مكان و مختلفة الأشكال.

### ۱-۴-۱۰ (كيفيّة الموت في عالم الروحاني)

و إذا اتّفق قتل صورة من تلك الصّورة و ماتت في (ظاهر) هذا الأمر انتقل ذلك الرّوحاني من الحياة الدّنيا إلى البرزخ، كما ننتقل نحن بالموت و لا يبقى له في عالم الدّنيا حديث مثلنا سواء، و تسمّى تلك الصّورة المحسوسة

الّتي تظهر فيها الروحانيّات أجسادا، و هو قوله تعالى:

وَ أَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً [سورة ص: ۳۴].

و قوله:

وَ ما جَعَلْناهُمْ جَسَداً لا يَأْكُلُونَ الطَّعامَ [سورة الأنبياء: ۸].

و الفرق بين الجانّ و الملائكة و إن اشتركوا في الرّوحانيّة انّ الجانّ غذاؤهم ما تحمله الأجسام الطّبيعيّة من المطاعم، و الملائكة ليست كذلك، و لهذا ذكر اللّه في قصّة ضيف إبراهيم الخليل:

فَلَمَّا رَأى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ [سورة هود: ۷۰].

يعني إلى العجل الحنيذ، أي لا يأكلون منه و خاف!.

و حين جاء وقت إنشاء عالم الجانّ، توجّه من الأمناء الّذين في الفلك الأوّل من الملائكة ثلاثة، ثمّ أخذوا من نوّابهم من السّماء الثانية ما يحتاجون إليه منهم في هذا النشأ، ثمّ نزلوا إلى السّماوات فأخذوا من النّواب إثنين، من السّماء الثّانية و السّادسة من هناك، و نزلوا إلى الأركان، فهيئوا المحل و اتّبعهم ثلاثة أخر من الأمناء و أخذوا من الثّانية ما يحتاجون من نوّابهم، ثمّ نزلوا إلى السّماء الثالثة و الخامسة من هناك فأخذوا ملكين، و مرّوا بالسّماء السّادسة فأخذوا نائبا آخر من الملائكة، و نزلوا إلى الأركان ليكملوا التّسويه فنزلت السّتة الباقية و أخذت ما بقي من النّواب في السّماء الثانية و في السّماوات، فاجتمع الكلّ على تسوية هذه النّشأة بإذن العليم الحكيم.

فلمّا تمّت نشأته و استقامت بنيته توجّه الرّوح من عالم الأمر فنفخ في تلك الصّورة روحا سرت فيه بوجودها الحياة، فقام ناطقا بالحمد و الثّناء لمن أوجده جبلّة جبل عليها و في نفسه عزة و عظمة لا يعرف سببها و لا على من يعتزّ (بها)، إذ لم يكن ثمّ مخلوق آخر من عالم الطّبائع سواه، فبقي عابدا لربّه مصرّا على عزّته متواضعا لربوبيّة موجده لما يعرض له ممّا هو عليه في نشأته إلى أن خلق آدم، فلمّا رأى الجانّ صورته غلب على واحد منهم اسمه الحادث بعض تلك النشأة و تجهّم وجهه لرؤية تلك الصورة الآدميّة، و ظهر تلك منه لجنسه فعاتبوه لذلك لما رأوه عليه من الغم و الحزن لها، فلمّا كان من أمر آدم ما كان أظهر الحارث ما كان يجد في نفسه منه و أبى عن امتثال أمر خالقه بالسّجود لآدم، و استكبر على آدم بنشأته و افتخر بأصله و غاب عنه سرّ قوّة الماء الّذي جعل منه كلّ شيء حيّ، و منه كانت حياة الجان و هم لا يشعرون.

### ۱-۴-۱۱(في تشكّل نشأة الإنسان و خلقته)

و تأمّل إن كنت من أهل الفهم قوله تعالى:

وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ [سورة هود: ۷].

فحيي العرش، و ما حوى عليه من المخلوقات:

وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ [سورة الإسراء: ۴۴].

فجاء بالنكرة و لا يسبح إلّا حيّ، و ورد في الحديث الحسن عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

«إنّ الملائكة قالت: يا ربّ! (في حديث طويل) هل خلقت شيئا أشدّ من النّار؟

قال: نعم، الماء».

فجعل الماء أقوى من النّار، فلو كان عنصر الهواء في نشأة الجانّ غير مشتعل بالنّار لكان الجانّ أقوى من بني آدم، فإنّ الهواء أقوى من الماء، فإنّ الملائكة قالت في هذا الحديث:

«يا ربّ! فهل خلقت شيئا أشدّ من الماء؟ قال: نعم الهواء.

ثمّ قالت:

«يا ربّ! فهل خلقت شيئا أشدّ من الهواء؟ قال: نعم، ابن آدم»، الحديث.

### ۱-۴-۱۲(قوّة العقل في الإنسان و ضعفه في الجانّ)

فجعل النشأة الإنسانيّة أقوى من الهواء، و جعل الماء أقوى من النّار، و هو العنصر الأعظم في الإنسان، كما أنّ النّار العنصر الأعظم في الجانّ، و لهذا قال في الشيطان:

إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفاً [سورة النّساء: ۷۶].

فلم ينسب إليه من القوّة شيئا، و لم يردّ على العزيز في قوله:

إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ [سورة يوسف: ۲۸].

و لا أكذبه مع ضعف عقل المرأة عن عقل الرّجل، «فانّ النّساء ناقصات عقل (و دين)»، فما ظنّك بقوّة الرّجل؟.

و سبب ذلك أن النشأة الإنسانيّة تعطي التؤدة في الأمور و الأناة و الفكر و التّدبير لغلبة العنصرين: الماء و التّراب، على مزاجه فيكون وافر العقل، لأنّ التّراب يثبّطه و يمسكه، و الماء يليّنه و يسهّله، و الجانّ ليس كذلك، فإنّه ليس لعقله ما يمسكه عليه ذلك الإمساك الّذي للإنسان، و لهذا يقال: فلان خفيف العقل، و سخيف العقل، إذا كان ضعيف الرأي في الأمور، و هذا هو نعت الجانّ، و به ضلّ عن طريق الهدى لخفة عقله و عدم تثبته في نظره، فقال:

أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ [سورة الأعراف: ۱۲].

فجمع بين الجهل و سوء الأدب، لخفته.

### ۱-۴-۱۳ (أوّل من سمّي شيطانا كان من الجنّ)

فمن عصى من الجانّ كان شيطانا أي معبودا من رحمة اللّه و كان أوّل من سمّي شيطانا من الجنّ الحارث،

فأبلسه اللّه أي طرده من رحمته، و طرد الرّحمة عنه، و منه تفرعت الشياطين بأجمعها، فمن آمن منهم مثل هامّة بن الهام بن لا قيس بن إبليس، التحق بالمؤمنين من الجنّ، و من بقي على كفره كان شيطانا. و هي مسألة خلاف بين علماء الشّريعة، فقال بعضهم إنّ الشّيطان لا يسلم أبدا، و تأوّل قوله عليه السّلام في شيطانه و هو القرين الموكل به: إن اللّه أعانه عليه فأسلم .

روى برفع الميم و فتحها أيضا، فتأوّل هذا القائل الرّفع بأنّه قال: فأسلم منه، أي ليس له عليّ سبيل، و هكذا تأوّله المخالف، و تأول الفتح فيه على الانقياد، قال: فمعناه انقاد مع كونه عدوا، فهو بعينه لا يأمرني إلّا بخير، خيرا من اللّه و عصمة لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و قال المخالف معنى فأسلم بالفتح أي آمن باللّه كما يسلم الكافر عندنا فيرجع مؤمنا، و هو الأولى و الأوجه.

### ۱-۴-۱۴(أوّل الأشقياء من الجنّ هو إبليس)

و أكثر النّاس يزعمون أنّه أوّل الجنّ و هو بمنزلة آدم من النّاس، و ليس كذلك عندنا، بل هو واحد من الجنّ، و انّ الأوّل فيهم الّذي بمنزلة آدم من البشر إنّما هو غيره، و لذلك قال تعالى:

(إِلَّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ [سورة الكهف: ۵۰].

أي من هذا الصّنف من المخلوقين، كما كان قابيل من البشر و كتبه اللّه شقيا، فهو أوّل الأشقياء من البشر، و إبليس أوّل الأشقياء من الجنّ، و عذاب الشّياطين من الجنّ في جهنّم أكثر ما يكون بالزّمهرير لا بالحرور، و قد يعذّب بالنّار، و بنو آدم أكثر عذابهم بالنّار.

و وقفت يوما على مخبول العقل من الأولياء، و عيناه تدمعان و هو يقول للنّاس:

لا تقفوا مع قوله تعالى:

(لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ) [سورة ص: ۸۵].

لإبليس فقط، بل انظروا في إشارته سبحانه لكم بقوله لإبليس: جهنم منك، فإنّه مخلوق من النّار فيعود لعنه اللّه إلى أصله، و إن عذّب به فعذاب الفجّار (الفخار) بالنّار أشدّ، فتحفّظوا، فما نظر هذا الولي من ذكر جهنم إلّا النّار خاصّة، و غفل عن أن جهنم اسم لحرورها و زمهريرها، و بجملتها (لجهامتها) سمّيت جهنّم لأنّها كريهة المنظر، و الجهام: السّحاب الّذي قد هرق ماءه، و الغيث رحمة اللّه، فلمّا أزال اللّه الغيث من السّحاب بإنزاله، أطلق عليه اسم الجهام، لزوال الرحمة الّذي هو الغيث عنه، كذلك الرّحمة أزالها اللّه من جهنّم فكانت كريهة المنظر و المخبر، و سمّيت أيضا جهنّم لبعد قعرها، يقال:

ركيّة جهنام، إذا كانت بعيدة القعر، نسأل اللّه العظيم لنا و للمؤمنين، الأمن منها، و يكفى هذا القدر من هذا الباب.

و هذا آخره، و كان الغرض منه بحث الملك، و الجنّ، و آدم، و إبليس، و لها ذكر الجنّة و الجحيم، و البرزخ و غير ذلك، فسيجيء في آخر المقدّمة السّادسة، مبسوطا مفصّلا من كلامنا و كلام الشيخ أيضا، و الحمد للّه وحده. و حيث (قلنا) بنقل من كلام الشّيخ ما هو مناسب بهذا المقام سيّما ببحث العالم و ترتيبه و إيجاده و تحقيقه،

فبقي هناك باب آخر في هذا الباب ننقله و نقطع هذا البحث عليه بحيث يكون هذا الجزء بتمامه مخصوصا بكلامه.

و هذا الباب عندي أحسن الأبواب و أبسطها في كثرة اللطائف و الحقائق الّتي فيه، كما ستعرفها إن شاء اللّه و هو هذا، و باللّه التّوفيق.

## ۱-۵ الباب الحادي عشر في معرفة آبائنا العلويّات و أمّهاتنا السّفليّات

أنا ابن آباء أرواح مطهّرة — و امّهات نفوس عنصريّات
ما بين روح و جسم كان مظهرنا — عن (عند) اجتماع بتعنيق و لذّات
ما كنت عن واحد حتّى أوحّده — بل عن جماعة آباء و أمّات
هم للإله إذا حقّقت شأنهم — كصانع صنع الأشياء بآلات
فنسبة الصّنع للنّجّار ليس لها — كذاك أوجدنا ربّ البريّات
فيصدق الشخص في توحيد موجده — و يصدق الشخص في إثبات علّات
فإن نظرت إلى الآلات طال بنا — إسناد عنعنة حتّى إلى الذّات
و إن نظرت إليه و هو يوجدنا — قلنا بوحدته لا بالجماعات
إنّي ولدت وحيد العين منفردا — و النّاس كلّهم أولاد علّات

### ۱-۵-۱(المقصود من العالم الإنسان و هو الإمام)

اعلم، أيّدك (نا) اللّه و إيّاكم، أنّه لمّا كان المقصود من هذا العالم، الإنسان، و هو الإمام، لذلك أضفنا الآباء و الأمّهات إليه فقلنا: آبائنا العلويات و أمّهاتنا السّفليّات.

### ۱-۵-۲ (في معنى الأب و الابن و الأمّ)

فكلّ مؤثّر أب، و كلّ مؤثّر فيه أمّ، هذا هو الضّابط لهذا الباب، و المتولّد بينهما من ذلك الأثر يسمّى ابنا و مولّدا، و كذلك المعاني في إنتاج العلوم إنّما هو بمقدّمتين تنكح إحداهما الأخرى بالفرد الواحد الّذي يتكرّر فيهما و هو الرّابط، و هو النّكاح، و النّتيجة الّتي تصدر بينهما هي المطلوبة، و الأرواح كلّها آباء و الطّبيعة أمّ لما كانت محل الاستحالات، و بتوجّه هذه الأرواح على هذه الأركان الّتي هي العناصر القابلة للتغير و الاستحالة تظهر فيها المولّدات و هي المعادن و النّبات و الحيوان و الجانّ، و الإنسان أكملها.

### ۱-۵-۳ (الإسلام أكمل الشرائع)

و كذلك جاء شرعنا أكمل الشرائع، حيث جرى مجرى الحقائق الكلّيّة، فأوتي جوامع الكلم، و اقتصر على أربع نسوة و حرّم ما زاد على ذلك بطريق النكاح الموقوف على العقد فلم يدخل في ذلك ملك اليمين، و أباح ملك اليمين في مقابلة الأمر الخامس الّذي ذهب إليه بعض العلماء.

كذلك الأركان من عالم الطّبيعة أربعة، و بنكاح العالم العلوي لهذه الأربعة يوجد اللّه ما يتولّد (فيها) منهما.

و اختلفوا في ذلك على ستّة مذاهب:

فطائفة زعمت أنّ كلّ واحد من هذه الأربعة أصل في نفسه.

و قالت طائفة: ركن النّار هو الأصل فما كثف منه كان هواء، و ما كثف من الهواء كان ماءا، و ما كثف من الماء كان ترابا.

و قالت طائفة: ركن الهواء هو الأصل، فما سخف منه كان نارا، و ما كثف منه كان ماءا.

و قالت طائفة: ركن الماء هو الأصل. و قالت طائفة: ركن التّراب هو الأصل.

و قالت طائفة: الأصل أمر خامس ليس واحد من هذه الأربعة و هذا هو الّذي جعلناه بمنزلة ملك اليمين، فعمّت شريعتنا في النكاح أتمّ المذاهب ليندرج فيها جميع المذاهب.

و هذا المذهب بالأصل الخامس هو الصحيح عندنا، و هو المسمّى بالطبيعة، فإنّ الطّبيعة معقول واحد عنها ظهر ركن النّار و جميع الأركان، فيقال: ركن النّار من الطبيعة ما هو عينها، و لا يصح أن تكون المجموع الّذي هو عين الأربعة، فان بعض الأركان منافر للآخر بالكلّيّة و بعضها منافر لغيره بأمر واحد، كالنّار و الماء متنافران من جميع الوجوه و الهواء و التّراب كذلك، و لهذا رتّبها اللّه في الوجود ترتيبا حكيما لأجل الاستحالات فلو جعل المنافر مجاورا لمنافره لما استحال إليه، و تعطلت الحكمة، فجعل الهواء يلي ركن النّار، و الجامع بينهما الحرارة، و جعل الماء يلي الهواء، و الجامع بينهما الرّطوبة، و جعل التّراب يلي الماء و الجامع بينهما البرودة، فالمحيل أب و المستحيل أمّ، و الاستحالة نكاح، و الّذي استحال إليها ابن، فالمتكلّم أب، و السّامع أمّ، و التكلّم نكاح، و الموجود من ذلك في فهم السّامع ابن.

فكلّ أب علويّ فإنّه مؤثّر، و كلّ أمّ سفليّة فإنّها مؤثّر فيها، و كلّ نسبة بينهما معيّنة نكاح و توجّه، و كلّ نتيجة إن، و من هنا يفهم قول المتكلّم لمن يريد قيامه: قم! فيقوم المراد بالقيام، عن أثر لفظة قم، فإن لم يقم السّامع و هو أمّ بلا شكّ فهو عقيم و إذا كان عقيما فليس بأمّ في تلك الحالة.

### ۱-۵-۴(النكاح المعنوي بين العقل و النّفس)

و هذا الباب إنّما يختص بالأمّهات، فأول الآباء العلويّة معلوم، و أوّل الأمّهات السّفليّة شيئية المعدوم الممكن، و أوّل نكاح القصد بالأمر، و أول ابن وجود عين تلك الشيئيّة الّتي ذكرنا، فهذا أب سارى الأبوة، و تلك أمّ سارية الأمومة، و ذلك النكاح سار في كلّ شيء و النّتيجة دائمة، لا تنقطع في حقّ كلّ ظاهر العين، فهذا يسمّى عندنا:

النكاح السّاري في جميع الذراري، يقول اللّه تعالى في الدّليل على ما قلناه:

(إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [سورة النحل: ۴۰].

و لنا فيه كتاب شريف، منيع الحمى، البصير فيه أعمى، فكيف من حلّ به العمى فلو رأيت تفصيل هذا المقام، و توجهات هذه الأسماء الإلهيّة الأعلام، لرأيت أمرا عظيما، و شاهدت مقاما هائلا جسيما، فلقد تنزّه العارفون باللّه و بصنعه الجميل.

يا وليّ! و بعد أن أشرت إلى فهمك الثاقب و نظرك الصائب بالأب الأول السّاري و هو الإسم الجامع الأعظم الّذي تتبعه جميع الأسماء في رفعه و نصبه و خفضه و السّاري حكمه.

و الأمّ الأوليّة الآخريّة السّارية في نسبة الأنوثة في جميع الأبناء، فلنشرع في الآباء الّذين هم أسباب موضوعة بالوضع الإلهي، و الأمهات و اتصالهما بالنكاح المعنوي و الحسّي المشروع حتّى يكون الأبناء أبناء حلال، إلى أن أصل إلى التناسل الإنساني و هو آخر نوع تكوّن و أوّل مبدع بالقصد تعيّن، فنقول:

إن العقل الأول الّذي هو أول مبدع خلق، هو القلم الأعلى و لم يكن ثمّ محدث سواه، و كان مؤثّرا فيه بما أحدث اللّه فيه من انبعاث اللوح المحفوظ عنه كانبعاث حواء من آدم في عالم الأجرام، ليكون ذلك اللوح موضعا و محلا لما يكتب فيه ذلك القلم الأعلى الإلهي و تخطيط الحروف الموضوعة للدّلالة على ما جعلها الحقّ تعالى أدلّة عليه، فكان اللوح المحفوظ أوّل موجود انبعاثيّ، و قد ورد في الشّرع: إن أوّل ما خلق اللّه القلم، ثمّ خلق اللوح، و قال للقلم: اكتب قال القلم: و ما أكتب؟

قال اللّه (له): اكتب و أنا أملي عليك.

فخطّ القلم في اللوح ما يلي عليه الحق و هو علمه في خلقه الّذي يخلق إلى يوم القيامة.

فكان بين القلم و اللوح نكاح معنوي معقول، و أثر حسّي مشهود، و من هنا كان العمل بالحروف المرقومة عندنا، و كان ما أودع في اللوح من الأثر مثل الماء الدافق الحاصل في رحم الأنثى، و ما ظهر من تلك الكتابة من المعاني المودعة في تلك الحروف الجرمية بمنزلة أرواح الأولاد المودعة في أجسامهم، فافهم، و اللّه يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

و جعل الحقّ في هذا اللوح العاقل عن اللّه ما أوحى به إليه، المسبّح بحمده الّذي لا يفقه تسبيحه إلّا من أعلمه اللّه به و فتح سمعه لما يورده كما فتح سمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و من حضر من أصحابه لإدراك تسبيح الحصى في كفّه الطّاهرة الطّيّبة صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و إنّما قلنا: فتح سمعه، إذ كان الحصى ما زال مذ خلقه اللّه مسبّحا بحمده، فكان خرق العادة في الإدراك السّمعي لا فيه.

ثمّ أوجد فيه صفتين: صفة علم، و صفة عمل، فبصفة العمل تظهر صور العالم عنه كما تظهر صورة التّابوت للعين عند عمل النجّار، فبها يعطي الصّور، و الصّور على قسمين: صور ظاهرة حسّيّة و هي الأجرام و ما يتّصل بها حسّا، كالأشكال و الألوان، (و الأكوان)، و صور باطنة معنويّة غير محسوسة و هي ما فيها من العلوم و المعارف و الإرادات و بتينك الصفتين ظهر ما ظهر من الصّور، فالصّفة العلّامة أب، فإنّها المؤثّرة، و الصّفة العاملة أمّ، فإنّها المؤثّر فيها، و عنها ظهرت الصّور الّتي ذكرناها.

فإنّ النجّار المهندس إذا كان عالما و لا يحسن العمل، فيلقي ما عنده على سمع من يحسن عمل النجارة، و هذا الإلقاء نكاح، فكلام المهندس أب، و قبول السّامع أمّ، ثمّ يصير علم السّامع أبا (ثانيا) و جوارحه أمّا، و إن شئت قلت: فالمهندس أب، و الصّانع الّذي هو النّجار أمّ، من حيث ما هو مصغ لما يلقي إليه المهندس، فإذا أثّر فيه، فقد أنزل ما في قوته في نفس النّجار، و الصّورة الّتي ظهرت للنّجار في باطنه ممّا ألقى إليه المهندس، و حصلت في وجود خياله قائمة ظاهرة له بمنزلة الولد الّذي ولّد له فهمه عن المهندس، ثمّ عمل النّجار فهو أب في الخشب الّذي هو أمّ النّجارة بالآلات الّتي يقع بها النّكاح و إنزاله الماء الّذي هو أثر كلّ ضربة بالقدوم أو قطع بالمنشار،

و كلّ قطع و فصل و جمع في القطع المنجورة لإنشاء الصّورة فظهر التّابوت الّذي هو بمنزلة الولد المولود الخارج للحسّ.

فهكذا فلتفهم الحقائق في ترتيب الآباء و الأمهات و الأبناء و كيفيّة الإنتاج، فكلّ أب ليس عنده صفة العمل فليس هو أب من ذلك الوجه حتّى أنّه لو كان عالما و منع آلة التوصيل بالكلام أو الإشارة ليقع الإفهام و هو غير عامل لم يكن أبا من جميع الوجوه و كان أمّا لما حصل في نفسه من العلوم غير أنّ الجنين لم يخلق فيه الرّوح في بطن أمّه، أو مات في بطن أمّه فأخالته طبيعة الأم إلى أن تصرّف، و لم يظهر له عين، فافهم.

و بعد أن عرفت الأب الثّاني من الممكنات و أنّه أمّ ثانية للقلم الأعلى، كان ممّا ألقى إليها من الإلقاء الأقدس الرّوحاني: الطّبيعة و (الهباء) الهواء فكان أوّل أمّ ولدت توأمين، فأوّل ما ألقت الطّبيعة ثمّ تبعتها بالهباء، فالطّبيعة و الهباء أخ و أخت لأب واحد و أمّ واحدة، فأنكح الطّبيعة الهباء فولد بينهما صورة الجسم الكلّي و هو أوّل جسم ظهر، فكان الطبيعة الأب، فإن لها الأثر، و كان الهباء الأمّ، فإن فيها ظهر الأثر و كانت النّتيجة الجسم.

ثمّ نزل التّوالد في العالم إلى التّراب على ترتيب مخصوص ذكرنا في كتابنا المسمّى «بعقلة المستوفز»، و فيه طول لا يسعه هذا الباب فانّ الغرض الاختصار.

### ١-٥-٥(نظريّة نهاية الأركان قبال نظريّة المركز)

و نحن لا نقول بالمركز، و إنّما نقول بنهاية الأركان و إنّ الأعظم يجذب الأصغر و لهذا نرى البخار و النّار يطلبان العلو، و الحجر و ما أشبه يطلب السّفل فاختلفت الجهات، و ذلك على الاستقامة من الإثنين، أعني طالب العلو و السّفل، فإنّ القائل بالمركز يقول: إنّه أمر معقول دقيق تطلبه الأركان.

و لولا التّراب لدار به الماء، و لولا الماء لدار به الهواء، و لولا الهواء لدار به النّار، و لو كان كما قال، لكنّا نرى البخار يطلب السّفل، و الحسّ يشهد بخلاف ذلك، و قد بيّنا هذا الفصل في كتاب المركز لنا و هو جزء لطيف.

فإذا ذكرناه في بعض كتبنا إنّما نسوقه على جهة مثال النقطة من الأكرة الّتي عنها يحدث المحيط لما لنا في ذلك من الغرض المتعلّق بالمعارف الإلهيّة و النّسب لكون الخطوط الخارجة من النقطة إلى المحيط على السّواء لتساوي النّسب حتّى لا يقع هناك تفاضل، فإنّه لو وقع تفاضل أدّى إلى نقص المفصول، و الأمر ليس كذلك، و جعلناه محل العنصر الأعظم، تنبيها على أن الأعظم يحكم على الأقل، و ذكرناه مشارا إليه في «عقلة المستوفز».

و لمّا أدار اللّه هذه الأفلاك العلويّة، و أوجد الأيّام بالفلك الأوّل و عيّنه بالفلك الثّاني الّذي فيه الكواكب الثّابتة للأبصار، ثمّ أوجد الأركان ترابا و ماءا و هواء و نارا، ثمّ سوّى السّموات سبعا طباقا و فتقها أي فصل كلّ سماء على حدة بعد ما كانت رتقا، إذ كانت دخانا، و فتق الأرض إلى سبع أرضين: سماء أولى لأرض أولى، و ثانية لثالثة إلى سبع، و خلق الجواري الخنّس خمسة: في كلّ سماء، كوكب، و خلق القمر، و خلق أيضا الشّمس.

فحدث الليل و النّهار بخلق الشّمس في اليوم، و قد كان اليوم موجودا فجعل النّصف من هذا اليوم لأهل الأرض نهارا و هو من طلوع الشّمس إلى غروبها، و جعل النصف الآخر ليلا و هو من غروب الشّمس إلى طلوعها، و اليوم عبارة عن المجموع، و لهذا خلق السّماوات و الأرض في ستّة أيّام، فإنّ الأيّام كانت موجودة بوجود حركة فلك البروج، و هي الأيام المعروفة عندنا لا غير، فما قال اللّه: خلق العرش و الكرسيّ، و إنّما قال:

خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ [سورة يونس: ۳].

فإذا دار فلك البروج دورة واحدة فذلك هو اليوم الّذي خلق اللّه فيه السّماوات و الأرض، ثمّ أحدث اللّه اللّيل و النّهار عند وجود الشّمس لا الأيّام.

و أمّا ما يطرأ فيها من الزّيادة و النّقصان أعني في اللّيل و النّهار لا في السّاعات، فإنّها أربع و عشرون ساعة، و ذلك لحلول الشّمس في منطقة البروج و هي حمائلية بالنّسبة إلينا فيها ميل، فيطول النّهار إذا كانت الشّمس في المنازل العالية حيث كانت، و إذا حلّت الشّمس في المنازل النازلة قصر النّهار حيث كانت، و إنّما قلنا: حيث كانت، فإنّه إذا طال الليل عندنا طال النّهار عند غيرنا، فتكون الشّمس في المنازل العالية بالنّسبة إليهم و في المنازل النازلة بالنّسبة إلينا، فإذا قصر النّهار عندنا طال الليل عندهم لما ذكرناه، و اليوم هو اليوم بعينه أربع و عشرون ساعة لا يزيد و لا ينقص و لا يطول و لا يقصر في موضع الاعتدال فهذا هو حقيقة اليوم، ثمّ قد سمّي النّهار وحده يوما بحكم الاصطلاح فافهم.

### ۱-۵-۶ (جعل الزمان الّذي هو الليل و النهار)

و قد جعل اللّه هذا الزمان الّذي هو الليل و النّهار يوما، و الزّمان هو اليوم، و الليل و النهار موجودان في الزّمان، جعلهما أبا و أمّا لما يحدث اللّه فيهما، كما قال:

يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ [سورة الأعراف: ۵۴].

كمثل قوله في آدم:

فَلَمَّا تَغَشَّاها حَمَلَتْ [سورة الأعراف: ۱۸۹].

فإذا غشي اللّيل النّهار كان اللّيل أبا و كان النّهار أمّا، و صار كلّ ما يحدث اللّه في النّهار بمنزلة الأولاد الّتي تلد المرأة، و إذا غشي النّهار اللّيل، كان النّهار أبا و كان اللّيل أمّا و كان ما يحدث اللّه من الشّئون في اللّيل بمنزلة الأولاد الّتي تلد الأمّ، و قد بيّنا هذا الفصل في «كتاب الشأن»، لنا تكلمنا فيه على قوله تعالى:

كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ [سورة الرحمن: ۲۹].

و سيأتي إن شاء اللّه في هذا الكتاب، إن ذكّرنا اللّه به من معرفة الأيّام طرفا شافيا.

و كذلك قال تعالى:

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ [سورة الحج: ۶۱].

فزاد بيانا في التناكح و أبان سبحانه بقوله:

وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ [سورة يس: ۳۷].

أنّ اللّيل أمّ له، و أنّ النّهار متولّد عنه كما ينسلخ المولود من أمّه إذ خرج منها، و الحيّة من جلدها، فيظهر مولّدا في عالم آخر غير العالم الّذي يحويه اللّيل، و الأب هو اليوم الّذي ذكرناه، و قد بيّنا ذلك في كتاب «الزّمان» لنا،

و معرفة الدّهر.

فهذا اللّيل و النّهار أبوان بوجه، و أمّان بوجه، و ما يحدث اللّه فيهما في عالم الأركان من المولّدات عند تصريفهما يسمّون أولاد اللّيل و النّهار كما قررناه.

و لمّا أنشأ اللّه أجرام العالم كلّه القابل للتّكوين فيه، جعل من حدّ ما يلي مقعّر السّماء الدّنيا إلى باطن الأرض، عالم الطبيعة و الاستحالات و ظهور الأعيان الّتي تحدث عند الاستحالات و جعلها بمنزلة الأمّ، و جعل من مقعّر فلك السّماء الدّنيا إلى آخر الأفلاك بمنزلة الأب، و قدّر فيها منازل، و زيّنها بالأنوار الثابتة و السّابحة، فالسّابحة تقطع في الثّابتة، و الثّابتة و السّابحة تقطع في الفلك المحيط بتقدير العزيز، بدليل أنّه رؤي في بعض الأهرام الّتي بديار مصر مكتوبا بقلم يذكر في ذلك التاريخ الأهرام أنها بنيت و النسر في الأسد، و لا شكّ أنّه الآن في الجدى، كذا ندركه، فدل على أنّ الكواكب الثابتة تقطع في فلك البروج الأطلس، و اللّه يقول في القمر:

وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ [سورة يس: ٣٩].

و قال في الكواكب:

كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ [سورة يس: ٤٠].

وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَها (و قد قرئ لا مستقرّ لها).

و ليس بين القراءتين تنافر، ثمّ قال:

ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [سورة يس: ٣٩].

ينظر إلى قوله في القمر: «إنّه قدّره منازل»، و قال:

لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ [سورة يس: ٤٠].

أي في شيء مستدير.

و جعل لهذه الأنوار المسمّاة بالكواكب أشعة متصلة بالأركان، تقوم اتّصالاتها بها مقام نكاح الآباء للأمهات فيحدث اللّه تعالى عند اتّصال تلك الشعاعات النوريّة في الأركان أربعة من عالم الطّبيعة ما يتكوّن فيها ممّا نشاهده حسّا، فهذه الأركان لها بمنزلة الأربعة النسوة في شرعنا و كما لا يكون نكاح شرعي عندنا حلالا إلّا بعقد شرعي، كذلك أوحى في كلّ سماء أمرها فكان من ذلك الوحي تنزّل الأمر بينهنّ، كما قال تعالى:

يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ [سورة الطلاق: ١٢].

يعني الأمر الإلهي.

و في هذا التنزيل أسرار عظيمة تقرب ممّا نشير إليه في هذا الباب، و قد روى عن ابن عباس أنّه قال في تفسير هذه الآية:

«لو فسّرتها على ما سمعت من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، لقلتم إنّي كافر».

و في رواية: لرجمتموني. و إنها من أسرار أي القرآن، قال تعالى:

خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ. ثمّ قال: يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ، ثمّ تمّم و أبان فقال:

لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [سورة الطلاق: ١٢].

و هو الّذي أشرنا إليه بصفة العمل الّذي ذكرناه آنفا من إيجاد اللّه صفة العلم و العمل في الأب الثّاني، فإنّ القدرة للإيجاد و هو العمل، ثمّ تمّم في الأخبار فقال:

وَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً [سورة الطلاق: ١٢].

و قد أشرنا إليه بصفة العلم الّتي أعطاها اللّه للأب الثّاني الّذي هو النّفس الكلّيّة المنبعثة فهو الْعَلِيمُ سبحانه ممّا يوجد القدير على إيجاد ما يريد إيجاده، لا مانع له، فجعل الأمر ينزل بين السّماء و الأرض، كالولد يظهر بين الأبوين.

و أمّا اتّصال الأشعة النوريّة الكوكبيّة، عن الحركة الفلكيّة السّماويّة بالأركان الأربعة الّتي هي أم المولدات في الحين الواحد لكلّ معا جعله الحقّ مثالا للعارفين في نكاح أهل الجنّة في الجنّة جميع نسائهم و جواريهم في الآن الواحد نكاحا حسيّة، كما أن هذه الاتصالات حسيّة فينكح الرّجل في الجنّة جميع من عنده من المنكوحات إذا اشتهى ذلك في الآن الواحد نكاحا جسميّا محسوسا بإيلاج وجود لذّة خاصّة بكلّ امرأة من غير تقدّم و لا تأخّر، و هذا هو النّعيم الدّائم و الاقتدار الإلهي، و العقل يعجز عن إدراك هذه الحقيقة من حيث فكره، و إنّما يدرك هذا بقوّة أخرى إلهيّة في قلب من يشاء من عباده، كما انّ الإنسان في الجنّة في «سوق الصّور إذا اشترى صورة دخل فيها، كما تتشكّل الرّوح هنا عندنا و إن كان جسما، و لكن أعطاه اللّه هذه القدرة على ذلك و اللّه على كلّ شيء قدير، و حديث سوق الجنّة ذكره أبو عيسى التّرمذي في مصنفه، فانظر هناك».

فإذا اتّصلت الأشعّة النوريّة في الأركان الأربعة، ظهرت المولّدات عن هذا النكاح الّذي قدّره العزيز العليم، فصارت المولّدات بين آباء و هي الأفلاك و الأنوار العلويّة، و بين أمّهات و هي الأركان الطبيعيّة السّفليّة، و صارت الأشعة المتّصلة من الأنوار بالأركان كالنكاح، و حركات الأفلاك و سباحات الأنوار بمنزلة حركة المجامع، و كان حركات الأركان بمنزلة المخاض للمرأة. لاستخراج الزّبد الّذي يخرج بالمخض، و هو ما يظهر من المولّدات في هذا الأركان للعين من صورة المعادن و النّبات و الحيوان و نوع الجنّ و الإنس، فسبحان القادر على ما يشاء لا إله إلّا هو ربّ كلّ شيء و مليكه، قال تعالى:

أَنِ اشْكُرْ لِي وَ لِوالِدَيْكَ [سورة لقمان: ١٤].

### ١-٥-٧ (في بيان الشكر للّه سبحانه و للوالدين)

فقد تبين لك أيّها الولي! آباؤك و أمّهاتك من هم إلى أقرب أب لك، و هو الّذي ظهر عينك به، و أمّك، كذلك القريبة إليك إلى الأب الأوّل و هو الجد الأعلى إلى ما بينهما من الآباء و الأمهات، فشكرهم الّذي يسرّون به و يفرحون بالثناء عليهم هو أن تنسبهم إلى مالكهم و موجدهم و تسلب الفعل عنهم و تلحقه بمستحقه الّذي هو

خالق كلّ شيء، فإذا فعلت هذا فقد أدخلت سرورا على آبائك بفعلك ذلك، و إدخال هذا السّرور عليهم هو عين برّك بهم و شكرك إيّاهم، و إذا لم تفعل هذا و نسيت اللّه فيهم فما شكرتهم و لا امتثلت أمر اللّه في شكرهم، فإنّه تعالى قال:

أَنِ اشْكُرْ لِي، فقدّم نفسه ليعرفك أنّه السّبب الأوّل و الأولى، ثمّ عطف و قال:

وَ لِوالِدَيْكَ، و هي الأسباب الّتي أوجدك اللّه عندها لتنسبها إليه سبحانه و يكون لها عليك فضل التقدّم بالوجود خاصّة لا فضل التأثير، لأنّه في الحقيقة لا أثر لها و إن كانت أسبابا لوجود الآثار، فبهذا القدر صح لها الفضل و طلب منك الشكر لها، و أنزلها الحق لك و عندك منزلته في التقدّم عليك لا في الأثر ليكون الثّناء بالتقدّم و التأثير للّه تعالى و بالتقدّم و التوقّف للوالدين و لكن على ما شرطناه:

فلا تشرك بعبادة ربّك أحدا.

فإذا أثنيت على اللّه تعالى و قلت: ربّنا و ربّ آبائنا العلويات و أمهاتنا السفليات فلا فرق أن أقولها أنا، أو يقولها جميع بني آدم من البشر، فلم نخاطب شخصا بعينه حتّى نسوق آباءه و أمّهاته من آدم و حواء إلى زمانه، و إنّما القصد هذا النشوء الإنساني، فكنت مترجما عن كلّ مولود بهذا التحميد من عالم الأركان و عالم الطبيعة و الإنسان، ثمّ نرتقي في النيابة به عن كلّ مولود بين مؤثّر و مؤثّر فيه، فنحمده بكل لسان، و نتوجّه إليه بكل وجه فيكون الجزاء لنا من عند اللّه من ذلك المقام الكلّ.

### ١-٥-٨(مخاطب السّلام في الصّلاة)

كما قال لي بعض مشيختي: إذا قلت: السّلام علينا و على عباد اللّه الصّالحين، أو قلت: السّلام عليكم، إذا سلمت في طريقك على أحد، فأحضر في قلبك كلّ صالح من عباده في الأرض و السّماء، و ميّت و حيّ، فإنّه من ذلك المقام يردّ عليك، فلا يبقى ملك مقرب، و لا روح مطهر، يبلغه سلامك إلّا و يردّ عليك، و هذا دعاء فيستجاب فيك فتفلح، و من لم يبلغه سلامك من عباد اللّه المهيّمين في جلاله المشتغلين به، المستفرغين فيه، و أنت قد سلّمت عليهم بهذا الشمول فإنّ اللّه ينوب عنهم في الردّ عليك، و كفى بهذا شرفا بحقّك حيث يسلّم عليك الحقّ، فليته لم يسمع أحدا ممّن سلّمت عليه حتّى ينوب عن الجميع في الرّد عليك، فإنّه بك أشرف.

قال تعالى تشريفا في حقّ يحيى عليه السّلام:

وَ سَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا [سورة مريم: ١٥].

و هذا سلام فضيلة و أخبار، فكيف بسلام واجب، ناب الحقّ مناب من أجاب عنه؟ و جزاء الفرائض أعظم من جزاء الفضائل في حقّ من قيل فيه:

و سلام عليه يوم ولد.

فيجمع له بين الفضيلتين.

و قد وردت صلاة اللّه علينا ابتداء، و ما وصل إليّ هل ورد السّلام ابتداء، كما وردت الصّلاة أم لا؟ فمن روى

في ذلك شيئا و تحققه فقد جعلت أمانة في عنقه أن يلحقه في هذا الموضع إلى جانب صلاة اللّه علينا في هذا الباب ليكون بشرى للمؤمنين، و شرفا لكتابي هذا، و اللّه المعين و الموق لا ربّ غيره.

## ۱-۵-۹(في بيان الآباء و الأمّهات الطبيعيين)

و أمّا الآباء الطبيعيون و الأمّهات فلم نذكرهم فلنذكر الأمر الكلّ (الكلّي) من ذلك و هم أبوان و أمّان، فالأبوان هما الفاعلان، و الأمان هما المنفعلان و ما يحدث عنهما هو المنفعل عنهما، فالحرارة و البرودة فاعلان، و الرّطوبة و اليبوسة منفعلان، فنكحت الحرارة اليبوسة فأنتجا ركن النّار، و نكحت الحرارة الرّطوبة فأنتجا ركن الهواء، ثمّ نكح البرودة الرّطوبة فأنتجا ركن الماء، و نكح البرودة اليبوسة فأنتجا ركن التّراب.

فحصلت في الأبناء حقائق الآباء و الأمّهات، فكانت النّار حارّة يابسة، فحرارتها من (جهة الأب) جهته، و يبوستها من جهة الأمّ، و كان الماء باردا رطبا، فبرودته من جهة الأب، و رطوبته من جهة الأمّ، و كانت الأرض باردة يابسة، فبرودتها من جهة الأب، و يبوستها من جهة الأمّ، فالحرارة و البرودة من العلم، و الرّطوبة و اليبوسة من الإرادة، هذا حدّ تعلّقها في وجودها من العلم الإلهي، و ما يتولّد عنهما من القدرة، ثمّ يقع التّوالد في هذه الأركان من كونها أمّهات لآباء الأنوار العلويّة لا من كونها آباء، و إن كانت الأبوّة فيها موجودة.

فقد عرفناك أن الأبوّة و البنوّة من الإضافات و النسب، فالأب ابن لأب هو ابن له، و الإبن أب لابن هو أب له، و كذلك باب النّسب فانظر فيه، و اللّه الموفق لا ربّ غيره.

و لمّا كانت اليبوسة منفعلة عن الحرارة و كانت الرّطوبة منفعلة عن البرودة، قلنا في الرّطوبة و اليبوسة، إنّهما منفعلان، و جعلناهما بمنزلة الأمّ الأركان، و لمّا كانت الحرارة و البرودة فاعلين، جعلناهما بمنزلة الأب للأركان.

و لمّا كانت الصنعة تستدعي صانعا و لا بدّ و المنفعل يطلب الفاعل بذاته، فإنّه منفعل بذاته، و لو لم يكن منفعلا لذاته لما قيل الانفعال و الأثر، و كان مؤثّرا فيه، بخلاف الفاعل فإنّه يفعل بالاختيار إن شاء فعل فيسمّى فاعلا، و إن شاء ترك، و ليس ذلك للمنفعل، و لهذه الحقيقة ذكر تعالى و هو من فصاحة القرآن و إيجازه:

لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ [سورة الأنعام: ۵۹].

فذكر المنفعل و لم يذكر: و لا حارّ و لا بارد، لما كانت الرّطوبة و اليبوسة عند العلماء بالطبيعة، تطلب الحرارة و البرودة، اللّتين هما منفعلتان عنهما كما تطلب الصّنعة الصّانع، لذلك ذكرهما دون ذكر الأصل و إن كان الكلّ في الكتاب المبين، فلقد حبى اللّه سيّدنا محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعلوم ما نالها أحد سواه، كما قال:

فعلمت علم الأوّلين و الآخرين، في حديث الضرب باليد.

فالعلم الإلهي هو أصل العلوم كلّها، و إليه ترجع، و قد استوفينا ما يستحقه هذا الباب على غاية الإيجاز و الاختصار، فإن الطول فيه إنّما هو بذكر الكيفيات، و أمّا الأصول فقد ذكرناها و مهّدناها.

و اللّه يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

هذا آخر الأبواب المنتخبة من الفتوحات، و آخر كلام الشّيخ في هذا الباب.

### ۱-۵-۱۰[خطبة مولانا أمير المؤمنين على عليه السلام]

و هذا البحث و إن طال، لا بدّ من التّمسّك و الاستشهاد في مجموع ذلك بكلام مولانا و سيّدنا الإمام المعصوم وارث الأنبياء في المعارف و العلوم أسد اللّه الغالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام، فإنّ كلامه حجّة عند الكلّ، كما أنّ كلام الشيخ أيضا عند البعض، و لا يلزم من تقدّم كلام الشيخ على كلامه فضيلة و لا من تأخّر كلامه عنه نقيصة، لأنّ التّقدّم بالذّات و الشّرف، أفضل من التّقدم بالزّمان و المكان، كما أنّ القرآن أشرف الكتب الإلهيّة و هو آخر كلامه تعالى و آخر كتب الأنبياء بأجمعهم، و مع ذلك و هو أفضل من الكلّ، و كذلك نبيّنا (ص) بالنّسبة إلى الأنبياء و الرّسل فافهم.

و أيضا قد سبق من كلام أمير المؤمنين عليه السّلام قبل هذا كثيرا في موضع الاحتياج و ليس بآخره، كلامه من جميع الوجوه بل للمناسبة بالمقام، و البحث الّذي يقع في ذلك الوقت.

فمن خطبته عليه السّلام لا بدّ من ذكر الخطبتين في هذا المكان:

الأولى من غير شرح له و الأخرى مع شرح له، لأنّه في غاية البلاغة و الفصاحة و بغير الشّرح لا يحصل من فائدة طائلة، و قد ذكرنا بعضه في أوّل المقدمة في هذا البحث، و واعدنا هناك أنّه نذكره هنا بالتّمام، و الوفاء بالعهد ضروريّ.

و

### ۱-۵-۱۰-۱أمّا الخطبة الأولى

فهي هذه و هي في غاية الغرابة، و من أجل ذلك ما ورد ذكرنا في نهج البلاغة الّذي جمعه السيّد الحسيب النّسب الرّضي الموسوي رحمه اللّه عليه لأنّها كانت فوق طوره و ستعرفها إن شاء اللّه، و اللّه أعلم و أحكم.

هذه خطبة مولانا و سيّدنا أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام و هي الاولى من الخطبتين المذكورتين و هي الّتي ما نقلناها من كتاب الخطب للجلودي و هو عبد العزيز خطيب البصرة .

روى عن عبد العزيز خطيب البصرة إنه قال: سئل علي عليه الصّلاة و السّلام :

هل كان في الأرض خلق من خلق اللّه تعالى (يعبدون اللّه) قبل آدم و ذريّته؟ (فقال:

نعم قد كان للّه ...) قال: فصعد المنبر فحمد اللّه و أثنى عليه، و صلّى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، ثمّ قال:

قد كان للّه في السّماوات و الأرض ممّن خلق، خلق، (خلق من خلق اللّه) يقدّسون اللّه و يسبّحونه و يعظّمونه (باللّيل) اللّيل و النّهار لا يفترون.

ثمّ إنّ اللّه خلق (فانّ اللّه عزّ و جلّ لمّا خلق) الأرضين (خلقها) قبل السّماوات.

ثمّ استوى على عرشه لتدبير الأمور.

(ثمّ) فخلق الملائكة روحانيّين، لهم أجنحة يطيرون بها حيث (يشاء) شاء اللّه، ثمّ أسكنهم فيما بين أطباق السّماوات يقدّسونه اللّيل و النّهار، و اصطفى منهم إسرافيل و ميكائيل و جبرئيل.

ثمّ خلق عزّ و جلّ (في الأرض) الجنّ (روحانيّين) لهم أجنحة، فجعلهم (فخلقهم) دون خلق الملائكة، و أخفضهم (حفظهم) أن يبلغوا مبلغ الملائكة في الطّيران و غير ذلك، فأسكنهم فيما بين أطباق الأرضين السّبع و علا فوقهنّ، يقدّسون اللّه اللّيل و النّهار لا يقترون.

ثمّ خلق خلقا دونهم، لهم أبدان و أرواح بغير أجنحة، (يأكلون و يشربون نسنان أشباه خلقهم) نسناس عليهم أشباه النّاس و ليسوا بناس (بإنس) و أسكنهم أوسط الأرض على ظهرها مع الجنّ، يقدّسون اللّه اللّيل و النّهار (لا يفترون).

(قال:) و كانت الجنّ تطير إلى السّماء، فتلقي الملائكة في السّماوات، فيسلمون عليهم و يستخبرونهم، (و يزورونهم) و يستريحون إليهم و يتعلّمون منهم الخير، (الخير).

ثمّ إنّ طائفة من الجنّ و النّاس (الّذين خلقهم اللّه و أسكنهم أوساط الأرض مع الجنّ) تمرّدوا و عتوا (عن أمر اللّه) و مرحوا و شيطنوا، و بغوا في الأرض (بغير الحقّ، و علا بعضهم على بعض في العتوّ على اللّه تعالى حتّى سفكوا الدّماء فيما بينهم) و أظهروا الفساد في الأرض و جحدوا ربوبيّته تعالى.

(قال:) و أقامت الطائفة المطيعون لأمر اللّه من الجنّ على رضوان اللّه و طاعته و تجنبوا (و باينوا) الطائفتين من الجنّ و النسناس (اللّذين عتوا عن أمر اللّه) فحط اللّه أجنحة الطائفة من الجنّ الّذين عتوا عن أمر اللّه و تمرّدوا فكانوا لا يقدرون على الطيران إلى السّماء و لا على لقاء الملائكة، فاقعدتهم (و إلى ملاقاة الملائكة لما ارتكبوا) الذّنوب و المعاصي و أقامتهم عليها عن الطيران.

(قال:) و كانت الطّائفة المطيعة لأمر اللّه من الجنّ تطير إلى السّماء (اللّيل و النّهار) على ما كانت عليه، و كان إبليس (- و اسمه الحارث- يظهر للملائكة أنّه من الطّائفة المطيعة) من الطائفة الّذين عابوا على الطائفتين من الجنّ و النسناس المعاصين، و كان ممّن يصعد إلى السّماء، لا يحجب عنها لاجتهاده في الطّاعة للّه و لطعنه على أهل المعاصي من الجنّ و النسناس، و كان في عداد الملائكة، معروفا بذلك لطاعته و عبادته، فكانوا كذلك ما شاء اللّه.

ثمّ بدا اللّه فخلق خلقا على خلاف خلق الملائكة، و (على) خلاف خلق الجنّ و النسناس، فخلق خلقا يدبّون كما يدبّ الهوام في الأرض، يأكلون و يشربون كما تأكل الأنعام من مراعي الأرض، و هم (كلّهم) ذكران ليس فيهم أناث، و لم يجعل اللّه لهم شهوة (النساء) و لا حبا و لا حرضا في المال، و لا طول الأمل، و لا لذّة عيش، لا يلبسهم اللّيل و لا يغشاهم النّهار، (و ليسوا ببهائم و لا هوام) و لباسهم ورق الشجر، و ورودهم (و شربهم من) العيون الغزار و الأودية الكبار.

(ثمّ أراد اللّه أن يفرّقهم) ففرّقهم فرقتين بعد سواء، فأسكن إحدى الفرقتين من (فجعل فرقة) خلف مطلع الشّمس من وراء البحر، و كوّن لهم مدينة أنشأها لهم تسمّى «باجرشا» (جابرسا) طولها اثنا عشر ألف فرسخ (في اثنى عشر ألف فرسخ) و كوّن عليها سور حديد (لهم سورا من حديد) يقطع الأرض إلى السّماء، ثمّ أسكنهم فيها.

و أسكن الفرقة الاخرى من خلف مغرف الشّمس و من وراء البحر، و كوّن لهم مدينة أنشأها لهم تسمّى باجلقا (جابلقا) طولها إثنا عشر ألف فرسخ في اثنى عشر ألف فرسخ، و كوّن لهم سور حديد (سورا من حديد) يقطع الأرض إلى السّماء، فأسكن الفرقة الأخرى فيها، لا يعلم أهل باجرشا (جابرسا) بأهل أهل جابلقا (بموضع أهل جابلقا)، و لا يعلم أهل باجلقا بموضع أهل باجرشا، و لا يعلم (بهم أهل) أوسط الأرض من الجنّ و النّساس من مكانهما، و لا يعلم أهل مدينتين بموضع أهل أوسط الأرض من الجنّ و النّساس.

فكانت الشّمس تطلع على أهل أوسط الأرض من الجنّ و النّسناس دون المدينة الّتي في ناحية المشرق و هي تجري فتمرّ على أهل أوسط الأرض من الجنّ فينتفعون بحرّها و يستضيئون بنورها، ثمّ تغرب في عين حامية (حمئة) تجري دون المدينة الّتي ممّا تلي المعرب، فلا يعلم بها أهل باجرشا إذا اطلعت، (لأنها تطلع من دون جابرسا، و تغرب من دون جابلقا)، و لا يعلم بها أهل باجلقا إذا غربت.

قال: فقلنا: يا أمير المؤمنين فكيف يبصرون و يذهبون و يجيئون، (و يحيون)؟

و كيف يأكلون و يشربون؟، و ليس تطلع عليهم الشّمس؟.

فقال صلوات اللّه عليه: إنّهم يستضيئون بشعاع نور اللّه فهم في أشدّ ضوء من نور الشّمس في ضحاها لا يعرفون، (و لا يرون أن اللّه تعالى خلق) شمسا و لا قمرا و لا نجوما و لا كواكب و لا خلق خلقا غيرهم، (و لا يعرفون شيئا غيره).

فقيل: يا أمير المؤمنين! فأين إبليس عنهم؟

قال: ما (لا) يعرفون إبليس، و لا سمعوا بذكره، و لا يرون انّ اللّه خلقه، لا يعرفون إلّا اللّه وحده لا شريك له، لم يكتسب أحد منهم خطيئة قطّ، و لم يعرفوا بها، (و لم يقترف إثما) لا يهرمون و لا يسقمون و لا يموتون (يعبدون اللّه) إلى يوم القيامة لا يفترون، الليل و النّهار عندهم سواء.

ثمّ قال عليه السّلام : لمّا أحبّ أن يخلق خلقا بيده، و ذلك بعد ما مضى للجن و النسناس (في الأرض (ع) سبعة آلاف سنة.

قال: فلمّا كان من شأن أن يخلق آدم (ع) للّذي أراد من التدبير و التقدير ممّا (لما (ع) فيما (ق)) هو مكونة و مكيفة في السّماوات و الأرض، و علمه بما (لما (ع)) أراد ذلك كلّه سابق كشف (كشط (ع)) عن أطباق السّماوات.

ثمّ قال الملائكة: أنظر إلى أهل الأرض من خلقي من الجنّ و النسناس، هل ترضون أعمالهم و طاعتهم لي، فاطّلعت الملائكة على أهل الأرض من الجنّ و النسناس، فلمّا رأوا ما يعملون فيها من المعاصي و سفك الدّماء و الفساد في الأرض بغير الحقّ، أغضبهم ذلك (عظم ذلك عليهم (ع) أعظموا ذلك (ق)) و غضبوا اللّه، و تأسفوا (أسفوا (ع ق)) على أهل الأرض و لم يملكوا غضبهم ان قالوا: يا ربّنا أنت العزيز الجبّار (القاهر القادر العظم الشأن) القادر المطعم الرّازق، هذا (هؤلاء كلّهم) خلقك الضعيف الذّليل في أرضك، (كلّهم) ينقلبون (في قبضتك) و يعيشون برزقك، و يستمتعون (يتمتّعون) بعافيتك و هم يعصونك بمثل هذه الذّنوب العظام، لا تأسف و لا تغضب و لا تنتقم لنفسك بما تسمع منهم و ترى و قد عظم ذلك علينا و أكبرنا (فيك).

فلمّا سمع اللّه جل جلاله ذلك من الملائكة (مقالة الملائكة) قال: إنّي جاعل في الأرض خليفة لي (عليهم) أعلمه فيكون (حجّتي على خلقي في الأرض) حجّة لي في أرضي و خليفتي.

فقالت الملائكة: سبحانك (ربّنا) أ تجعل فيها من يفسد فيها مع هؤلاء و يسفك الدماء و نحن نسبّح بحمدك و نقدّس لك فاجعله منا، (فإنّا لا نفسد في الأرض و لا نفسك الدماء).

قال اللّه جلّ جلاله: يا ملائكتي إنّي أعلم ما لا تعلمون، إنّي أريد أن أخلق خلقا بيدي، أجعل من ذرّيته أنبياء مرسلين و عبادا صالحين و أئمّة مهتدين، أجعلهم خلفاء (خلفائي) على خلقي في أرضي ينهونهم عن (المعاصي) معصيتي و ينذرونهم عذابي و يهدونهم إلى طاعتي، و يسلكون بهم طريق سبيلي، و أجعلهم حجّة لي عذرا و نذرا، و أبير النسناس (و انفي الشياطين) من أرضي و أطهّرها منهم.

و أنقل مردة (الجنّ) العصاة عن بريّتي و خلقي و خيرتي.

فأسكنهم في الهواء و (في) اقطار الأرض، و لا أجاور (لا يجاورون) نسل خلقي، و اجعل بين الجنّ و بين خلقي حجابا، فلا يرون نسل خلقي، و أحبس الجنّ فلا يجالسونهم (و لا يؤانسونهم) و لا يخالطونهم و لا يبهجون ببهجتهم، فمن عصاني من نسل خلقي الّذين اصطفيتهم لنفسي أسكنتهم مسكن العصاة، و أوردتهم مواردهم و لا أبالي.

(فأسكنهم في الهواء من أقطار الأرض و في الفيافي، فلا يراهم خلق، و لا يرون شخصهم، و لا يجالسونهم، و لا يخالطونهم، و لا يؤاكلونهم، و لا يشاربونهم، و انفرّ مردة الجنّ العصاة عن نسل بريّتي و خلقي و خيرتي، فلا يجاورون خلقي، و أجعل بين خلقي و بين الجانّ حجابا، فلا يرى خلقي شخص الجنّ، و لا يجالسونهم، لا يشاربونهم، و لا يتهجّمون تهجّمهم، و من عصاني من نسل خلقي الّذي عظمته و اصطفيته لغيبي أسكنهم مساكن العصاة، و أوردهم موردهم و لا أبالي (ق)).

فقالت الملائكة): ربّنا افعل ما شئت، فلا علم لنا إلّا ما علّمتنا انّك أنت العليم الحكيم.

فقال اللّه جلّ جلاله للملائكة:

إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ [سورة الحجر: ۲۸- ۲۹].

قال: و كان ذلك من اللّه تقدمة إلى الملائكة من قبل أن يخلقه احتجاجا عليهم.

(قال: و كان ذلك من اللّه تقدمة للملائكة قبل أن يخلقه احتجاجا منه عليهم، و ما كان اللّه ليغيّر ما بقوم إلّا بعد الحجّة عذرا أو نذرا، فأمر تبارك و تعالى ملكا من الملائكة، فاغترف غرفة بيمينه، فصلصلها في كفّه فجمدت، فقال اللّه عزّ و جلّ: منك أخلق (ق)) .

قال فاغترف الجبّار تبارك و تعالى غرفة بيمينه من الماء العذاب الفرات و كلتا يديه يمين فصلصلها في كفّه فجمدت، ثمّ قال لها: منك أخلق النبيّين و المرسلين و عبادي الصّالحين و الأئمة المهتدين الدّعاة إلى الجنّة و أتباعهم إلى يوم القيامة، و لا أبالي و لا أسأل عمّا أفعل و هم يسألون، يعني بذلك خلقه أنّه يسألهم، ثمّ اغترف

اللّه تعالى بكفّه الأخرى غرفة من الماء الملح (المالح الأجاج) فصلصلها في كفّه فجمدت، ثمّ قال لها منك أخلق خلقي الجبّارين و الفراعنة و العتاة و إخوان الشّياطين و أئمّة الكفر الدّعاة إلى النّار إلى يوم القيامة و أتباعهم و لا أسأل و لا أبالي عمّا أفعل و هم يسألون.

(قال:) و اشترط (و شرط) في ذلك البداء له و لم يشترط في أصحاب اليمنى البداء فيهم ثمّ خلط المائتين في كفيه جميعا فصلصلها جميعا ثمّ كفّاهما (ألقاهما) قدام عرشه و هما بلة سلالة من طين.

ثمّ أمر الملائكة الأربعة، الشمال و الدبور و الصبا و الجنوب، أن جوّلوا على هذه (الثلاثة السلالة) البلة من الطين و اثيروها (ابرؤها) و انسموها، ثمّ جزءوها و فصّلوها و اجرؤوا فيها (إليها) الطبائع:، الرّيح و البلغم و المرّة و الدّم، فجالت الملائكة عليها الشمال و الدبور و الصبا و الجنوب، و اجروا فيها الطبائع الأربع، فالرّيح من الطبائع الأربع في البدن من ناحية الشمال، و البلغم من الطبائع الأربع في البدن من ناحية الصّبا، و المرّة من الطبائع الأربع في البدن من ناحية الدبور، و الدّم من الطبائع الأربع في البدن من ناحية الجنوب، قال: فاستقلت النّسمة و كمل البدن، فلزمه من ناحية الرّيح حبّ الجاه (الحياة) و طول الأمل و الحرص، و لزمه من ناحية البلغم حبّ الطعام و الشّراب و اللبس (اللين) و الحلم و الرّفق، و لزمه من ناحية المرّة: (التجبر) الغضب و السّفه و الشّيطنة و التمرّد و الجبن و العجلة، و لزمه من ناحية الدّم شهوة النّساء (اللّذات) و ركوب المحارم و الشّهوات، (قال عمرو أخبرني جابر، أنّ أبا جعفر (ع) قال: وجدناه في كتاب من كتب عليّ عليه السّلام).

هذا آخر الخطبة المنسوبة عليه الصّلوات و السّلام.

و الأغراض من نقلها كثيرة، أحسنها أنّها شاهدة على التّرتيب المتقدّم للعالم الّذي هو الإيجاد من الأسفل إلى الأعلى دون العكس، و تقديم الأجسام على الأرواح، و الأخرى أنّها شاهدة أنّ هناك عالم فيه أقوام ليس لهم علم بأنّ اللّه خلق آدم أو إبليس أو خلق السّموات و الأرض، و هذه الأغراض شريفة جدا، فإنّ كلامه كما قلناه حجّة على الكلّ عقلا و نقلا و كشفا و يوافق هذا كلّه ما قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله في الأقوال المتقدّمة، و هو قوله مروي عن ابن عباس رضي اللّه عنه انّه قال:

إنّ اللّه تعالى أرضا بيضاء مسيرة الشّمس فيها ثلثون يوما هي مثل أيّام الدّنيا ثلثين مرّة مشحونة خلقا لا يعلمون انّ اللّه خلق السّماوات و الأرض، و لا يعلمون أنّ اللّه خلق آدم و إبليس .

و كذلك قوله المرويّ عن أبي ذر المتقدّم ذكره:

«ما السّموات السّبع في الكرسي إلّا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، و فضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة».

و إلى هذا أشار الحق تعالى في قوله:

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ لا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ [سورة البقرة: ٢٥٥].

و كذلك في قوله:

وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ [سورة آل عمران: ١٣٣].

لأنّك إذا اعتبرت المؤمنين كلّها و اعتبرت لكلّ مؤمن جنّة عرضها السّموات و الأرض ظهر لك سعة هذه العوالم و الأراضي الّتي هي فيها هذه الجنّات، و ذلك تقدير العزيز العليم، و اللّه خالق كلّ شيء قدير، ليس كمثله شيء و هو السّميع البصير، نعم المولى و نعم النصير.

و إذا تحقّق هذا و فرغنا من الخطبة الأولى له، فلنشرع في الخطبة الثّانية مع شرحها كما شرطناه و هو هذا، و باللّه التّوفيق و العصمة و هو يقول الحقّ و هو يهدي السّبيل.

## ۱-۵-۱۰-۲[الخطبة الثّانية]

### ۱-۵-۱۰-۲-۱ [متن الخطبة الثّانية]

و من خطبة له صلوات اللّه عليه، يذكر فيها ابتداء خلق السّماء و الأرض و خلق آدم عليه السّلام و ذرّيته ثمّ خلق الملائكة و إبليس و غيرها، و هي هذه:

الحمد للّه الّذي لا يبلغ مدحته القائلون و لا يحصى نعماءه العادّون و لا يؤدّي حقّه المجتهدون، الّذي لا يدركه بعد الهمم، و لا يناله غوص الفطن، الّذي ليس لصفته حدّ محدود، و لا نعت موجود، و لا وقت معدود، و لا أجل ممدود، فطر الخلائق بقدرته، و نشر الرّياح برحمته، و وتّد بالصّخور ميدان أرضه.

أوّل الدّين معرفته، و كمال معرفته التّصديق به، و كمال التّصديق به توحيده، و كمال توحيده الإخلاص له، و كمال الإخلاص له نفي الصّفات عنه، لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، و شهادة كلّ موصوف أنّه غير الصّفة، فمن وصف اللّه سبحانه فقد قرنه، و من قرنه فقد ثنّاه، و من ثنّاه فقد جزّأه، و من جزّأه فقد جهله، و من جهله فقد أشار إليه، و من أشار إليه فقد حدّه، و من حدّه، فقد عدّه، و من قال: فيم؟، فقد ضمّنه، و من قال: علام؟، فقد أخلى منه. كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم.

مع كلّ شيء لا بمقارنة، و غير كلّ شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات و الآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحّد إذ لا سكن يستأنس به و لا يستوحش من فقده (لفقده).

### ۱-۵-۱۰-۲-۱-۱(خلق العالم)

أنشأ الخلق إنشاء، و ابتدأه ابتداء، بلا رويّة أجالها، و لا تجربة استفادها، و لا حركة أحدثها، و لا همامة نفس اضطرب فيها. أحال الأشياء لأوقاتها، و لأم بين مختلفاتها، و عزّز غرائزها، و ألزمها أشباحها، عالما بها قبل ابتدائها، محيطا بحدودها و انتهائها، عارفا بقرائنها و أحنائها، ثمّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء، و شقّ الأرجاء، و سكائك الهواء، فأجرى فيها ماء متلاطما تيّاره، متراكما زخّاره. حمله على متن الرّيح العاصفة، و الزّعزع القاصفة، فأمرها بردّه، و سلّطها على شدّه، و قرنها إلى حدّه. الهواء من تحتها فتيق، و الماء من فوقها دقيق. ثمّ أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبّها، و أدام مربّها، و أعصف مجراها، و أبعد منشاها، فأمرها بتصفيق الماء الزّخّار، و إثارة موج البحار، فمخضته مخض السّقاء، و عصفت به عصفها بالفضاء.

تردّ أوّله إلى آخره، و ساجيه إلى مائره، حتّى عبّ عبابه، و رمى بالزّبد ركامه، فرفعه في هواء منفتق، و جوّ منفهق،

فسوّى منه سبع سموات، جعل سفلاهنّ موجا مكفوفا، و علياهنّ سقفا محفوظا، و سمكا مرفوعا، بغير عمد يدعمها، و لا دسار ينظمها. ثمّ زيّنها بزينة الكواكب، و ضياء الثواقب، و أجرى فيها سراجا مستطيرا، و قمرا منيرا في فلك دائر، و سقف سائر، و رقم مائر.

### ۱-۵-۱۰-۲-۱-۲(خلق الملائكة)

ثمّ فتق ما بين السّموات العلا، فملأهنّ أطوارا من ملائكته منهم سجود لا يركعون، و ركوع لا ينتصبون، و صافّون لا يتزايلون، و مسبّحون لا يشأمون، لا يغشاهم نوم العيون و لا سهو العقول، و لا فترة الأبدان، و لا غفلة النّسيان.

و منهم أمناء على وحيه، و ألسنة إلى رسله، و مختلفون بقضائه و أمره، و منهم الحفظة لعباده، و السّدنة لأبواب جنانه.

و منهم الثابتة في الأرضين السّفلى أقدامهم، و المارقة من السّماء العليا أعناقهم، و الخارجة من الأقطار أركانهم، و المناسبة لقوائم العرش أكتافهم. ناكسة دونه أبصارهم، متلفّعون تحته بأجنحتهم، مضروبة بينهم و بين من دونهم حجب العزّة، و أستار القدرة. لا يتوهّمون ربّهم بالتّصوير، و لا يجرون عليه صفات المصنوعين، و لا يحدّونه بالأماكن، و لا يشيرون إليه بالنّظائر.

### ۱-۵-۱۰-۲-۱-۳(صفة خلق آدم عليه السّلام)

ثمّ جمع سبحانه من حزن الأرض و سهلها، و عذبها و سبخها، تربة سنّها بالماء حتّى خلصت، و لاطها بالبلّة حتّى لزبت، فجبل منها صورة ذات أحناء و وصول، و أعضاء و فصول، أجمدها حتّى استمسكت، و أصلدها حتّى صلصلت لوقت معدود و أجل (أمد) معلوم، ثمّ نفخ فيها من روحه فمثلت إنسانا ذا أذهان يجيلها، و فكر يتصرّف بها، و جوارح يختدمها و أدوات يقلّبها، و معرفة يفرق بها بين الحقّ و الباطل، و الأذواق و المشامّ، و الألوان و الأجناس، معجونا بطينة الألوان المختلفة، و الأشباه المؤتلفة، و الأضداد المتعادية، و الأخلاط المتباينة، من الحرّ و البرد، و البلّة و الجمود، و استأدى اللّه سبحانه و الملائكة وديعته لديهم، و عهد وصيّته إليهم، في الإذعان بالسّجود له، و الخنوع لتكرمته، فقال سبحانه:

اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ [سورة البقرة: ۳۴].

و قبيله، اعترتهم الحميّة و غلبت عليهم (اعترته الحميّة، و غلبت عليه) الشّقوة، و تعزّز بخلقه النّار، و استوهن خلق الصّلصال، فأعطاه اللّه النّظرة استحقاقا للسّخطة، و استتماما للبليّة، و إنجازا للعدة، فقال:

فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ [سورة الحجر: ۳۸].

ثمّ اسكن سبحانه آدم دارا أرغد فيها عيشه، و آمن فيها محلّته، و حذّره إبليس و عداوته، فاغترّه عدوّه نفاسة عليه بدار المقام، و مرافقة الأبرار، فباع اليقين بشكّه، و العزيمة بوهنه، و استبدل بالجذل و جلا، و بالاغترار ندما.

ثمّ بسط اللّه سبحانه له في توبته، و لقّاه كلمة رحمته، و وعده المردّ إلى جنّته، و أهبطه إلى دار البليّة، و تناسل الذّريّة.

### ۱-۵-۱۰-۲-۱-۴(اختيار الأنبياء)

و اصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على أداء الوحي ميثاقهم، و على تبليغ الرّسالة أمانتهم، لمّا بدّل أكثر خلقه عهد اللّه إليهم فجهلوا حقّه، و اتّخذوا الأنداد معه، و اجتالتهم الشياطين عن معرفته، و اقتطعتم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، و واتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، و يذكّروهم منسيّ نعمته و يحتجّوا عليهم بالتبليغ، و يثيروا لهم دفائن العقول، و يروهم آيات المقدرة، من سقف فوقهم مرفوع، و مهاد تحتهم موضوع و معايش تحييهم، و آجال تفنيهم، و أوصاب تهرمهم، و أحداث تتابع عليهم، و لم يخل اللّه سبحانه خلقه من نبيّ مرسل، أو كتاب منزل، أو حجّة لازمة، أو محجّة قائمة، رسل لا تقصّر بهم قلّة عددهم، و لا كثرة المكذّبين لهم، من سابق سمّي له من بعده، أو غابر عرّفه من قبله، على ذلك نسلت القرون، و مضت الدّهور، و سلفت الآباء، و خلفت الأبناء.

### ۱-۵-۱۰-۲-۱-۵(مبعث النّبيّ (ص))

إلى أن بعث اللّه سبحانه محمّدا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لإنجاز عدته، و إتمام نبوّته، مأخوذا على النّبيّين ميثاقه، مشهورة سماته، كريما ميلاده. و أهل الأرض يومئذ ملل متفرّقة، و أهواء منتشرة، و طرائق متشتّتة، بين مشبّه للّه بخلقه، أو ملحد في اسمه، أو مشير إلى غيره، فهداهم به من الضّلالة، و أنقذهم بمكانه من الجهالة.

ثمّ اختار سبحانه لمحمد صلّى اللّه عليه و آله، لقاءه، و رضي له ما عنده، و أكرمه عن دار الدّنيا، و رغب به عن مقام البلوي، فقبضه إليه كريما صلّى اللّه عليه و آله، و خلّف فيكم ما خلّفت الأنبياء في أممها، إذ لم يتركوهم هملا، بغير طريق واضح، و لا علم قائم.

### ۱-۵-۱۰-۲-۱-۶(القرآن)

كتاب ربّكم فيكم، مبيّنا حلاله و حرامه، و فرائضه و فضائله، و ناسخه و منسوخه، و رخصه و عزائمه، و خاصّه و عامّه، و عبره و أمثاله، و مرسله و محدوده، و محكمه و متشابهه، مفسّرا مجمله، و مبيّنا غوامضه، بين مأخوذ ميثاق علمه، و موسّع على العباد في جهله، و بين مثبت في الكتاب فرضه، و معلوم في السّنّة نسخه، و واجب في السّنّة أخذه، و مرخّص في الكتاب تركه، و بين واجب بوقته، و زائل في مستقبله. و مباين بين محارمه، من كبير أوعد عليه نيرانه، أو صغير أرصد له غفرانه، و بين مقبول في أدناه، و موسّع في أقصاه.

### ۱-۵-۱۰-۲-۱-۷(الحجّ)

منها، و فرض عليكم حجّ بيته الحرام، الّذي جعله قبلة للأنام، يردونه ورود الأنعام، و يألهون إليه ولوه الحمام، (و) جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته، و إذعانهم لعزّته، و اختار من خلقه سمّاعا أجابوا إليه دعوته، و صدّقوا كلمته، و وقفوا مواقف أنبيائه، و تشبّهوا بملائكته المطيفين بعرشه. يحرزون الأدباح في متجر عبادته، و يتبادرون عنده موعد مغفرته، جعله سبحانه و تعالى للإسلام علما، و للعابدين (للعائذين) حرما، فرض حقّه، و أوجب حجّه، و كتب عليكم وفادته، فقال سبحانه:

وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ [سورة آل عمران: ۹۷].

هذا آخر الخطبة الثانية، و الغرض من نقلها الّذي سبق في أوّلها، و غير ذلك، و هو أنّ هذه المقدّمات بأسرها

محتوية على بحث التطابق بين العالمين لتصحيح التّأويل الحقيقي على قاعدة المحقّقين، و هذه الخطبة شاملة لهذه الأبحاث بعد كلام الشيخ الأعظم، و كذلك على بحث آدم و الخليفة و ذكر إبليس و سجدته، و هذه الخطبة شاملة لهذه كلّها، و على بحث القرآن و تحقيقه و كيفيّة تأويله و تفسيره، و هذه الخطبة شاملة لهذه كلّها، و على بحث الملائكة و الجنّ و أنواعهم و أصنافهم، و هذه الخطبة شاملة لهذه كلّها، و على ذكر التّوبة و أقسامها، و هذه الخطبة شاملة لذلك كلّه، و كذلك الحج و تحقيقه و الكلّ مقصود.

و حيث إنّ ألفاظها و تركيبها في غاية الصّعوبة و لا يفهم منها شيء إلّا بقوّة الشّرح، فلنشرع فيها من حيث الشّرح بالّذي شرحها الشيخ الكامل كمال الملّة و الدّين ميثم البحراني قدّس اللّه روحه العزيز ، فانّ شرحه سبب الفهم و ستصيب فوائد كثيرة من أنفاسه الشّريفة، و قد كنّا واعدنا بهذا في أوّل الخطبة. فتقول: قال الشّارح رحمة اللّه عليه:

## ۱-۵-۱۰-۲-۲[شرح الخطبة الثانية و فيها خمسة فصول]

اعلم أنّ هذه الخطبة مشتملة على مباحث عظيمة و نكت مهمّة على ترتيب طبيعيّ فلنعقد فيها خمسة فصول:

### ۱-۵-۱۰-۲-۲-۱الفصل الأوّل

في تصديرها بذكر اللّه جلّ جلاله و تمجيده و الثّناء عليه بما هو أهله، و هو قوله:

الحمد للّه إلى قوله: و لا يستوحش لفقده.

### ۱-۵-۱۰-۲-۲-۱-۱(شرح المفردات)

فأقول: المدح و المديح: الثّناء الحسن، و المدحة: فعلة من المدح و هي الهيئة و الحالة الّتي ينبغي أن يكون المدح عليها، و الإحصاء: إنهاء العدّ و الإحاطة بالمعدود، يقال: أحصيت الشّيء أي أنهيت عدّه، و هو من لواحق العدد، و لذلك نسبه إلى العادّين، و النّعماء: النّعمة، و هو اسم يقام مقام المصدر، و أدّيت حقّ فلان إذا قابلت إحسانه بإحسان مثله، و الإدراك: اللحوق و النيل و الإصابة و الوصول و الوجدان، و الهمّة: هي العزم الجازم و الإرادة، يقال: فلان بعيد الهمّة إذا كانت إرادته تتعلّق بعليّات الأمور دون محقّراتها، و الغوص: الحركة في عمق الشيء، من قولهم: غاص في الماء إذا ذهب في عمقه، و الفطن: جمع فطنة، و هي في اللّغة الفهم، و هو عند العلماء عبارة عن جودة استعداد الذّهن لتصوّر ما يريد عليه، و حدّ الشيء: منتهاه، و الحدّ المنع، و منه سمّى العلماء تعريف الشيء بأجزائه حدّا، لأنّه يمنع أن يدخل في المحدود ما ليس منه أو يخرج منه ما هو منه، و النّعت: الصّفة، و الأجل: المدّة المضروبة للشيء، و الفطرة: الشّق و الابتداع، قال ابن عبّاس: ما كنت أدري ما معنى قوله تعالى:

فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ [سورة الأنعام: ۱۴].

حتّى جاءني أعرابيّان يختصمان على بئر فقال أحدهما: «أنا فطرتها» أي أبتدعتها.

و الخلائق: جمع خليقة و هي إمّا بمعنى المخلوق، يقال: هم خليفة اللّه، و خلق اللّه، أي مخلوقة، أو بمعنى

الطّبيعة لأنّ الخليقة هي الطّبيعة أيضا، و النشر اليسط، و تد بالفتح:

أي ضرب الوتد في حائط أو في غيره، و الصخورة: الحجارة العظام، و الميدان: الحركة بتمايل، و هو الإسم من: ماد يمد ميدا، و منه غصن ميّاد: متمايل، و الدّين في أصل اللّغة يطلق على معان، منها العادة، و منها الإذلال، يقال: دان له، أي أذلّه و ملّكه، و منه:

بيت الحماسة دنّاهم كما دانوا، و منها المجازاة كقوله تعالى:

أَ إِنَّا لَمَدِينُونَ [سورة الصافات: ٥٣].

أي مجزيّون، و المثل المشهوركما تدين تدان، و منها الطّاعة، يقال: دان له أي أطاعه كقول عمرو بن كلثوم:

عصينا الملك فينا أن تدينا.

و يطلق في العرف الشّرعي على الشرائع الصادرة بواسطة الرّسل عليهم السّلام، و قرنه: أي جعل له قرينا، و المقارنة الاجتماع، مأخوذ من قرن الثّور و غيره، و منه القرن للمثل في السنّ، و كذلك القرن من النّاس و أهل الزّمان الواحد، قال:

إذا ذهب القرن الّذي أنت فيهم و خلّفت في قرن فأنت غريب

و المزايلة: المفارقة و هي مفاعلة من الطّرفين، و المتوحّد بالأمر: المنفرد به عمّن يشاركه فيه، و السّكن بفتح الكاف: كلّ ما سكنت إليه، و الاستيناس بالشيء: ميل الطبع إليه و سكونه، و كذلك التأنس، و منه الأنيس و هو المونس، و الاستيحاش ضدّ الاستيناس و هو نفرة الطّبع، بسبب فقد المؤانس.

و اعلم أنّا نفتقر في بيان نظام كلامه عليه السّلام في هذا الفصل إلى تقديم مقدّمة:

### ١-٥-١٠-٢-٢-١-٢(في معنى الصّفة و أقسامها)

فنقول: الصّفة أمر يعتبره العقل لأمر آخر، و لا يمكن أن يعقل إلّا باعتباره معه، و لا يلزم من تصوّر العقل شيئا لشيء أن يكون ذلك المتصوّر موجودا لذلك الشيء في نفس الأمر، بيان ذلك ما قيل في رسم المضاف: إنّه الأمر الّذي تعقّل ماهيّته بالقياس إلى غيره و ليس له وجود سوى معقوليّته بالقياس إلى ذلك الغير.

و الصّفة تنقسم باعتبار العقل إلى حقيقيّة و إضافيّة و سلبيّة، و ذلك لأنّ نسبة العقل للصّفة إلى غيرها، إمّا أن يعقل معها نسبته من المنسوب إليه، أو لا يعقل، فإن كان الأوّل فهو المضاف الحقيقي، و حقيقته أنّه المعقول بالقياس إلى غير يكون بإزائه يعقل له إليه نسبة، و لا يكون له وجود سوى معقوليّته بالقياس إليه، لكونه تعالى خالقا و رازقا و ربّا، فإنّ حقيقة هذه الصّفات هي كونها معقولة بالقياس إلى مخلوقيّة و مرزوقيّة و مربوبيّة موازية.

و إن كان الثّاني فالمنسوب إليه إمّا أن يكون موجودا للمضاف أو ليس بموجود له، و الأوّل هو الصّفات الحقيقيّة، لكونه تعالى حيّا، فإنّه أمر يعقل بالقياس إلى صحّة العلم و القدرة له، و ليس بإزاء أمر يعقل منه نسبة إليه، و الثّاني هو الصّفات السّلبيّة، لكونه تعالى ليس بجسم و لا بعرض و غيرهما، فإنّها أمور تعقل له بالقياس إلى أمور غير موجودة له تعالى.

ثمّ نقول: إنّه لا يلزم من اتّصاف ذاته سبحانه بهذه الأنواع الثّلاثة من الصّفات تركيب و لا كثرة في ذاته، لأنّها اعتبارات عقليّة تحدثها عقولنا المقايسة إلى الغير، و لم يلزم ذلك أن تكون موجودة في نفس الأمر و إن لم تعقل، و لمّا كان دأب العقلاء أن يصفوا خالقهم سبحانه بما هو أشرف طرفي النّقيض لما تقرّر في عقولهم من أعظميّته و مناسبة أشرف الطرفين للأعظميّة كان ما وصف به تعالى من الصّفات الحقيقيّة و الإضافيّة و السّلبيّة كلّها كذلك.

### ۱-۵-۱۰-۲-۱-۳(في تقدّم الصّفات السلبيّة الصفات على الثبوتيّة)

إذا عرفت ما قلناه فاعلم أنّه عليه السّلام شرع أوّلا في الاعتبارات السلبيّة و قدّمها على الثبوتيّة لدقيقة، و هي أنّه قد ثبت في علم السّلوك إلى اللّه أنّ التوحيد المحقّق و الإخلاص المطلق لا يتقرّر إلّا بنقض كلّ ما عداه عنه و تنزيهه عن كلّ لاحق له و طرحه عن عن درجة الاعتبار و هو المسمّى في عرف المجرّدين و أهل العرفان بمقام التخلية و النقض و التّفريق، و ما لا يتحقّق الشيء إلّا به كان اعتباره مقدّما على اعتباره، و لهذا التّرتيب كان أجلّ كلمة نطق بها في التوحيد (قولنا): لا إله إلّا اللّه، إذ كان الجزء الأوّل منها مشتملا على سلب كلّ ما عدا الحقّ سبحانه، مستلزما لغسل درن كلّ شبهة لخاطر سواه، و هو مقام التنزيه و التخلية، حتّى إذا انزاح كلّ ثان عن محلّ عرفانه استعدّ بجوده للتخلية بنور وجوده و هو ما اشتمل عليه الجزء الثّاني من هذه الكلمة.

و لمّا بيّنا أنّه عليه السّلام كان لسان العارفين و الفاتح لإغلاق الطّريق إلى الواحد الحقّ تعالى و المعلّم و المرشد لكيفيّة السّلوك، و كانت الأوهام البشريّة حاكمة بمثليّته تعالى لمدركاتها، و العقول قاصرة عن إدراك حقيقته و الواصل إلى ساحل عزّته و المتّزه له عمّا لا يجوز عليه إذ ما أمكن وجوده نادرا، لم يكن للأوهام الواصفة له تعالى بما لا يجوز عليه معارض في أكثر الخلق، بل كانت جارية على حكمها قائدة لعقولها إلى تلك الأحكام الباطلة كالمشبّهة و نحوهم، لا جرم بدأ عليه السّلام بذكر السلب إذ كان تقديمه مستلزما لغسل درن الحكم الوهميّ في حقّه تعالى عن لوح الخيال و الذّكر، حتّى إذا أورد عقب ذلك ذكره تعالى بما هو أهله ورد على ألواح صافية من كدر الباطل فانتشقت بالحقّ كما قال: فصادف قلبا خاليا فتمكنّا.

ثمّ إنّه عليه السّلام بدأ بتقديم حمد اللّه تعالى على الكلّ هاهنا و في سائر خطبه جريا على العادة في افتتاح الخطب و تصديرها، و سرّ ذلك تأديب الخلق بلزوم الثناء على اللّه تعالى، و الاعتراف بنعمته عند افتتاح كلّ خطاب لاستلزام ذلك ملاحظة حضرة الجلال و الالتفات إليها عامّة الأحوال، و قد بيّنا أنّ الحمد يفيد معنى الشّكر، و يفيد ما هو أعمّ من ذلك و هو التّعظيم المطلق و بجميع أقسامه مراد هاهنا لكون الكلام في معرض التمجيد المطلق.

### ۱-۵-۱۰-۲-۱-۴(عدم إمكان ثنائه تعالى بما هو عليه)

قوله: الّذي لا يبلغ مدحته القائلون.

أقول: أراد تنزيهه تعالى عن اطّلاع العقول البشريّة على كيفيّة مدحه سبحانه كما هي.

و بيان هذا الحكم أنّ الثّناء الحسن على الشيء إنّما يكون كما هو إذا كان ثناء عليه بما هو كذلك في نفس الأمر، و ذلك غير ممكن في حقّ الواجب الوجود سبحانه إلّا بتعقّل حقيقته و ما لها من صفات الجلال و نعوت

الكمال كما هي، و عقول البشر قاصرة عن هذا المقام، فالقول و إن صدر عن المادحين بصورة المدح المتعارف بينهم و على ما هود دأبهم من و صفة تعالى بما هو أشرف من طرفي النقيض فليس بكمال مدحه في نفس الأمر لعدم اطّلاعهم على ما به يكون المدح الحقّ في حقّه تعالى و إن تصوّر بصورة المدح الحقّ و أشار إلى تأديب الخلق و تنبيههم على بطلان ما تحكّم به أوهامهم في حقّه تعالى من الصّفات و أنّه ليس الأمر كما حكمت به إذ قال في موضع آخر، و قد سأله بعضهم عن التّوحيد فقال:

## ۱-۵-۱۰-۲-۲-۱-۵(في معنى التوحيد)

«التّوحيد أن لا تتوهّمه». [نهج البلاغة (فيض)، الحكمة: ۴۶۲، (صبحي): ۴۷۰].

فجعل التّوحيد عبارة عن سلب الحكم الوهميّ في حقّه تعالى، فاستلزم ذلك أنّ من أجرى عليه حكما وهميّا فليس بموحّد له على الحقيقة، و من هذا قال في موضع آخر إذا سئل عن التّوحيد و الحقيقة الكلّيّة:

محو الموهوم مع صحو المعلوم .

لأنّ الموهومات هي الّتي صارت في معرفته تعالى حاجبة و مانعة عن انكشاف وجه المعلوم الّذي هو الحقّ تعالى و صحويّته المعبّر عنها بالكشف التّام، لقوله عليه السّلام: سترون ربّكم كما ترون القمر ليلة البدر .

المشار إليه في القرآن:

فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ [سورة ق: ۲۲].

و إلى هذا النحو أشار الإمام محمّد بن علي الباقر عليهما السّلام مخاطبا:

و هل سمّي عالما قادرا إلّا لأنّه وهب العلم للعلماء، و القدرة للقادرين، فكلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم، و الباري تعالى واهب الحياة و مقدّر الموت، و لعلّ النمل الصغار تتوهّم أنّ للّه تعالى زبانيين كمالها.

فإنّها تتصوّر أنّ عدمها نقصان لمن لا يكونان له.

فهكذا شأن الخلق فيما يصفون به بآرائهم، فإنّ أوهامها حاكمة له بكلّ ما يعدّونه كمالا في حقّهم ما لم تقو عقولهم على ردّ بعض تلك الأحكام الوهميّة، و لولا رادع الشرع كقوله عليه السّلام:

تفكّروا في الخلق و لا تتفكّروا في الخالق.

لصرّحوا بكثير من تلك الأحكام في حقّه سبحانه و تعالى عمّا يصفون.

و يحتمل أن يكون المراد: تنزيهه تعالى عن بلوغ العقول و الأوهام تمام الثناء الحسن عليه و إحصانه، أي أنّ العبد كان كلّما بلغ مرتبة من مراتب المدح و الثناء كان ورائها أطوار من استحقاق الثناء و التعظيم أعلى، كما أشار إليه سيّد المرسلين صلّى اللّه عليه و آله بقوله:

«لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

و في تخصيصه عليه السّلام: القائلين، دون المادحين بالذّكر نوع لطف، فإنّ القائل لمّا كان أعمّ من المادح، و كان سلب العامّ مستلزما لسلب الخاصّ من غير عكس كان ذكر القائلين أبلغ في التنزيه، إذ التقدير: لا واحد من القائلين ببالغ مدحه اللّه سبحانه.

### ۱-۵-۱۰-۲-۲-۱-۶(الإنسان لا يتمكّن حصر نعم اللّه تعالى)

قوله: «و لا يحصى نعماءه العادّون».

أقول: المراد أنّ جزئيّات نعم اللّه و أفرادها لا يحيط بها حصر الإنسان و عدّة لكثرتها، و بيان هذا الحكم بالنّقل و العقل: أمّا النقل فقوله تعالى:

وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها [سورة إبراهيم: ۳۴].

و هذه الآية هي منشأ هذا الحكم و مصدره.

و أمّا العقل، فلأنّ نعم اللّه تعالى على العبد، منها ظاهرة، و منها باطنة، كما قال تعالى:

وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً [سورة لقمان: ۲۰].

و يكفينا في صدق هذا الحكم، التّنبيه على بعض جزئيّات نعم اللّه تعالى على العبد، فنقول: إنّ من جملة نعمه تعالى على الإنسان أن أكرمه بملائكته و جعله مسجودا لهم و مخدوما، و جعلهم في ذلك على مراتب، فلنذكر أقربهم إليه و أخصّهم به، و هم الملائكة الّذين يتولّون إصلاح بدنه و القيام بمهمّاته و حوائجه و إن كانوا في ذلك أيضا على مراتب، فجعل سبحانه لهم رئيسا هو له كالوزير النّاصح المشفق، من شأنه تمييز الأصلح و الأنفع له و الأمر به، و جعل بين يدي ذلك الوزير ملكا آخر هو كالحاجب له و المتصرّف بين يديه، من شأنه تمييز صداقة الأصدقاء للملك من عداوة الأعداء له، و جعل لذلك الحاجب ملكا خازنا يضبط عنه ما يتعرّفه من الأمور ليطالعها الوزير عند الحاجة، ثمّ جعل بين يديه ملكين آخرين: أحدهما ملك الغضب و هو كصاحب الشرطة موكّل بالخصومات و الغلبة و البطش و الانتقام، و الثاني ملك اللذّة و المتولّي لمشتهيات الإنسان بالطلب و الأمر باستحضار، و بين يديه ملائكة اخرى تسعى في تحصيل ما يأمر به و يطلبه، ثمّ جعل سبحانه وراء هؤلاء سبعة أخرى من الملائكة دأبهم إصلاح غذاء الإنسان، فالأوّل موكّل بجذب الغذاء إلى داخل المعدّة إذ الغذاء لا يدخل بنفسه، فإنّ الإنسان لو وضع اللقمة في فيه و لم يكن لها جاذب لم تدخل، و الثاني موكّل بحفظه في المعدة إلى تمام نضجه و حصول الغرض منه، و الثالث موكّل بطبخه و تنضيجه، و الرّابع موكّل بتفريق صفوته و خلاصته في البدن سدّا لبدل ما يتحلّل منه، و الخامس موكّل بالزّيادة في أقطار الجسم على التناسب الطّبيعي بما يوصله إليه الرّابع فهما كالباني و المناول، و السّادس موكّل بفصل صورة الدّم من الغذاء، و السّابع الّذي يتولّى دفع الفضلة الغير المنتفع بها عن المعدة.

ثمّ وكّل تعالى خمسة أخرى في خدمته شأنهم أن يوردوا عليه الأخبار من خارج، و جعل لكلّ واحد منهم طريقا خاصّا و فعلا خاصّا به، و جعل لهم رئيسا يبعثهم و يرجعون إليه بما عملوه، و جعل لذلك الرئيس خازنا كاتبا يضبط عنه ما يصل إليه من تلك الأخبار، ثمّ جعل بين هذا الخازن و بين الخازن الأوّل ملكا قويّا على التصرف و الحركة سريع الانتقال بحيث ينتقل في اللحظة الواحدة من المشرق إلى المغرب و من تخوم الأرض إلى السّماء

العليا قادرا على التصرّفات العجيبة، و جعله مؤتمرا للوزير تارة و للحاجب أخرى، و هو موكّل بتفتيش الخزانتين و مراجعة الخازنين بإذن الوزير و واسطة الحاجب إذا أراد استعلام أمر من تلك الأمور، فهذه هي الملائكة الّتي خصّ اللّه تعالى بها بدنه، و جعلها أقرب الملائكة المتصرّفين في خدمته إليه.

ثمّ إنّ وراء هؤلاء أطوارا أخر من الملائكة الأرضيّة الملائكة الموكّلين بأنواع الحيوانات الّتي ينتفع بها الإنسان و بها تكون مسخّرة له، و أنواع النبات و المعادن و العناصر الأربعة و الملائكة السّماويّة الّتي لا يعلم عددهم إلّا اللّه سبحانه و تعالى كما قال:

(وَ ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) [سورة المدّثّر: ٣٣].

فإنّ كلّ واحد منها موكّل بفعل خاصّ و له مقام خاصّ لا يتعدّاه و لا يتجاوزه كما قال تعالى حكاية عنهم:

وَ ما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ [سورة الصّافات: ١۶۴].

و هم بأسرهم متحرّكون بمصالح الإنسان و منافعه من أوّل حياته إلى حين وفاته بإذن المدبّر الحكيم، دع ما سوى الملائكة من ساير الموجودات في هذا العالم المشتملة على منافعه و ما أفاض عليه من القوّة العقليّة الّتي هي سبب الخيرات الباقية و النعم الدائمة الّتي لا تنقطع موادّها و لا يتناهى تعدادها فإنّ كلّ ذلك في الحقيقة نعم إلهيّة ربانيّة للعبد بحيث لو اختل شيء منها لاختلّت منفعته من تلك الجهة، و معلوم أنّه لو قطع وقته أجمع بالنظر إلى آثار رحمة اللّه تعالى في نوع من هذه النعم لانتهى دونها فكره و قصر عنها إحصاؤه و حصره، و هو مع ذلك كلّه غافل عن شكر اللّه، جاهل بمعرفة اللّه، مصرّ على معصية اللّه، فحقّ أن يقول سبحانه و تعالى بعد تنبيه له على ضرب نعمه و الامتنان بها عليه:

وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها، إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ [سورة إبراهيم:٣۴].

ظلوم لنفسه بمعصية اللّه معتاد للكفر بآلاء اللّه.

قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ [سورة عبس: ١٧].

إِنَّ الْإِنْسانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ [سورة الزّخرف: ١۵].

فسبحان الّذي لا تحصى نعماؤه و لا تستقصى آلاؤه.

و غاية هذا الحكم تنبيه الغافلين من مراقد الطبيعة على لزوم شكر اللّه سبحانه، و الاعتراف بنعمه المستلزم لدوام إخطاره بالبال.

### ۱-۵-۱۰-۲-۲-۱-۷(في أنّ شكر النعمة نعمة منه تعالى)

قوله: و لا يؤدّي حقّه المجتهدون.

أقول: هذا الحكم ظاهر الصدق من وجهين:

أحدهما، أنّه لمّا كان أداء حقّ النعمة هو مقابلة الإحسان بجزاء مثله، و ثبت في الكلمة السّابقة أنّ نعم اللّه

سبحانه لا تحصى، لزم من ذلك أنّه لا يمكن مقابلتها بمثل.

الثّاني، أنّ كلّ ما نتعاطاه من أفعالنا الاختياريّة مستندا إلى جوارحنا و قدرتنا و إرادتنا و ساير أسباب حركاتنا، و هي بأسرها مستندة إلى جوده و مستفادة من نعمته.

و كذلك ما يصدر عنّا من الشكر و الحمد و سائر العبادات نعمة منه أ فتقابل (فتقابل) نعمة بنعمة، و روى أنّ هذا الخاطر خطر لداود و كذلك لموسى عليهما السّلام فقال:

يا ربّ كيف أشكرك و أنا لا أستطيع أن أشكرك إلّا بنعمة ثانية من نعمك.

و في رواية أخرى:

و شكر ذلك نعمة أخرى توجب عليّ الشكر لك فأوحى اللّه تعالى إليه: إذا عرفت هذا فقد شكرتني و في خبر:

إذا عرفت أن النعم منّي رضيت منك بذلك شكرا .

فأمّا ما يقال في العرف: من أنّ فلانا مؤدّ لحقّ اللّه تعالى، فليس المراد منه جزاء النعمة، بل لمّا كانت المطلوبات للّه تعالى من التكاليف الشرعيّة و العقليّة تسمّي حقوقا له لا جرم سمّي المجتهد في الامتثال مؤدّيا لحقّ اللّه، و ذلك الأداء في الحقيقة من أعظم نعمه تعالى على عبده، إذ كان الامتثال و سائر أسباب السلوك الموصل إلى اللّه تعالى كلّها مستندة إلى جوده و عنايته، و إليه الإشارة بقوله تعالى:

يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ [سورة الحجرات: ١٧].

و ما كان في الحقيقة نعمة للّه لا يكون أداء لنعمة اللّه و جزاء لها و إن أطلق ذلك في العرف إذ كان من شأن الحقّ المفهوم المتعارف بين الخلق استلزامه وجوب الجزاء و الأداء ليسارعوا إلى الإتيان به رغبة و رهبة فيحصل المقصود من التكليف حتّى لو لم يعتقدوا أنّه حقّ للّه بل هو مجرّد نفع خالص لهم لم يهتمّوا به غاية الاهتمام إذ كانت غايته غير متصوّرة لهم كما هي، و قلّما تهتمّ النّفوس بأمر لا تتصوّر غايته و منفعته خصوصا مع المشقّة اللّازمة في تحمّله إلّا بباعث قاهر من خارج.

قوله: الّذي لا يدركه بعد الهمم و لا يناله غوص الفطن.

### ١-٥-١٠-٢-٢-١-٨(في انّ الواجب ليس بمركب و ما ليس بمركب ليس بمدرك الحقيقة)

أقول: إسناد الغوص هاهنا إلى الفطن على سبيل الاستعارة.

إذ الحقيقة إسناده إلى الحيوان بالنسبة إلى الماء مستلزم لتشبيه المعقولات بالماء، و وجه الاستعارة هاهنا أنّ صفات الجلال و نعوت الكمال لمّا كانت في عدم تناهيها و الوقوف على حقائقها و أغوارها نسبة (تشبه) البحر الخضم الّذي لا يصل السائح له إلى ساحل، و لا ينتهي الغائض فيه إلى قرار، و كان السائح لذلك البحر و الخائض في تيّاره هي الفطن الثاقبة، لا جرم كانت الفطنة شبيهة بالغائص في البحر فأسند الغوص إليها، و في معناه الغوص في الفكر و الغوص في النوم، و يقرب منه إسناد الإدراك إلى بعد الهمم إذ كان الإدراك حقيقة في

لحوق جسم لجسم آخر.

و إضافة الغوص إلى الفطن، و البعد إلى الهمم، إضافة لمعنى الصّفة بلفظ المصدر إلى الموصوف، و التقدير: لا تناله الفطن الغائصة، و لا تدركه الهمم البعيدة، و وجه الحسن في هذه الإضافة و تقديم الصفة: أنّ المقصود لمّا كان هو المبالغة في عدم إصابة ذاته تعالى بالفطنة من حيث هي ذات غوص، و بالهمّة من حيث هي بعيدة، كانت تلك الحيثيّة مقصودة بالقصد الأوّل، و قد بيّنا أنّ البلاغة تقتضي تقديم الأهمّ و المقصو الأوّل على ما ليس كذلك، و برهان هذا المطلوب ظاهر، فإنّ حقيقته تعالى لمّا كانت بريّة عن جهات التركيبات، عريّة عن اختلاف الجهات، منزهة عن تكثر المتكثّرات، و كانت الأشياء إنّما تعلم بما هي من جهة حدودها المؤلّفة من أجزائها، فإذن صدق أنّ واجب الوجود ليس بمركّب و ما ليس بمركّب ليس بمدرك الحقيقة، و صدق أنّ واجب الوجود ليس بمدرك الحقيقة فلا تدركه همّة و إن بعدت، و لا تناله فطنة و إن اشتدّت، فكلّ سائح في بحار جلاله غريق، فكلّ مدّع للوصول فبأنوار كبريائه حريق، لا إله إلّا هو سبحانه و تعالى عمّا يقولون علوّا كبيرا.

قوله: الّذي ليس لصفته حدّ محدود و لا نعت موجود.

أقول: المراد ليس لمطلق ما تعتبره عقولنا له من الصّفات السلبيّة و الإضافيّة نهاية معقولة تقف عندها فيكون حدّا له، و ليس لمطلق ما يوصف به أيضا وصف موجود يجمعه فيكون نعتا له و منحصرا فيه.

قال أبو الحسن الكيدريّ رحمه اللّه :

و يمكن أن يؤوّل قوله: حدّ محدود، على ما يؤوّل به كلام العرب: و لا يرى الضبّ بها ينحجر، أي ليس بها ضبّ فينحجر حتّى يكون المراد أنّه ليس له صفة فتحدّ، إذ هو تعالى واحد من كلّ وجه، منزّه عن الكثرة بوجه مّا فيمتنع أن يكون له صفة تزيد على ذاته كما في سائر الممكنات.

و صفاته المعلومة ليست من ذلك في شيء، إنّما هي نسب و إضافات لا يوجب وصفه بها كثرة في ذاته.

قال: و ممّا يؤكّد هذا التّأويل قوله بعد ذلك:

فمن وصف اللّه سبحانه فقد قرنه، و هذا التّأويل حسن و هو راجع إلى ما ذكرناه في المعنى، و أمّا وصفه الحدّ بكونه محدودا فللمبالغة على طريقة قولهم: شعر شاعر، و على هذا التأويل يكون قوله: و لا نعت موجود، سلبا للنعت عن ذاته سبحانه، إذ التقدير ليس له صفة تحدّ و لا نعت، و قيل: معنى قوله: ليس لصفته حدّ، أي ليس لها غاية بالنسبة إلى متعلّقاتها كالعلم بالنسبة إلى المعلومات، و القدرة إلى المقدورات.

قوله: و لا وقت معدود و لا أجل ممدود.

أقول: وصف الوقت بكونه معدودا لقوله تعالى:

فِي أَيَّامٍ مَعْدُوداتٍ [سورة البقرة: ٢٠٣].

و كقوله:

وَ ما نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ [سورة هود: ١٠٤].

و هو المعلوم الداخل في الإحصاء و العدّ، و ذلك أنّ العدّ لا يتعلّق بالوقت الواحد من حيث هو واحد، فإنّه من تلك الحيثيّة ليس معدودا بل مبدأ للعدد، و إنّما يتعلّق به من حيث إنّه داخل في الأوقات الكثيرة الموجودة في الزّمان، إمّا بالفرض أو بالفعل الّتي يلحق جملتها عند اعتبار التفصيل كونها معدودة إذ يقال: هذا الفرد معدود في هذه الجملة، أي داخل في عدّها و مراده في هذين الحكمين: نفي نسبة ذاته و ما يلحقها إلى الكون في الزّمان، و أن يكون ذات أجل ينتهي إليه فينقطع وجودها بانتهائه، و بيان ذلك من وجهين:

أحدهما، أنّ الزّمان من لواحق الحركة الّتي هي من لواحق الجسم، فلمّا كان الباري سبحانه منزّها عن الجسميّة استحال أن يكون في زمان.

الثّاني أنّه تعالى إن أوجد الزّمان و هو في الزّمان لزم كون الزمان متقدّما على نفسه و إن أوجده بدون أن يكون فيه كان غنيّا في وجوده عنه فهو المطلوب فإذن صدق هذين السلبين في حقّه معلوم، و قد حصل في هذه القرائن الأربع السجع المتوازي مع نوع من التجنيس.

قوله: الّذي فطر الخلائق بقدرته و نشر الرّياح برحمته و وتد بالصخور ميدان أرضه.

### ۱-۵-۱۰-۲-۲-۱-۹(في بيان معنى الفطر و الإنفطار)

أقول: لمّا قدّم الصفات السلبيّة شرع في الصفات الثبوتيّة و هذه الاعتبارات الثلاثة موجودة في القرآن الكريم،

أمّا الأوّل

فقوله تعالى:

الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ [سورة الإسراء: ۵۱].

و أمّا الثاني

فقوله تعالى:

وَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ [سورة الفرقان: ۴۸].

و أمّا الثالث

فقوله تعالى:

وَ أَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ [سورة لقمان: ۱۰].

و قوله:

أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً وَ الْجِبالَ أَوْتاداً [سورة النبأ: ۶- ۷].

أمّا المراد بقوله: فطر الخلائق بقدرته، فاعتباره من حيث استناد المخلوقات إلى قدرته و وجودها (عنها)، و لمّا كانت حقيقة الفطر الشقّ في الأجسام كانت نسبته هاهنا إلى الخلق استعارة.

و للإمام فخر الدّين الرّازي في بيان الاستعادة في أمثال هذا الموضع بحث لطيف، قال:

«و ذلك أنّ المخلوق قبل دخوله في الوجود كان معدوما محضا، و العقل يتصوّر من العدم ظلمة متّصلة لا انفراج فيها و لا شقّ، فإذا أخرجه الموجد المبدع من العدم إلى الوجود فكأنّه بحسب التخيّل و التوهّم شقّ ذلك العدم و فطره و أخرج ذلك الموجود منه».

قلت: إلّا أنّ ذلك الشقّ و الفطر على هذا التقدير لا يكون للموجود المخرج بل للعدم الّذي خرج هذا الموجود منه، اللّهم إلّا على تقدير حذف المضاف و إقامة المضاف إليه مقامه حتّى يكون التقدير الّذي فطر عدم الخلائق، و هو استعمال شائع في العرف و العربيّة كثيرا، و حسنه بين النّاس ظاهر، و مثله:

فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى [سورة الأنعام: ۹۵].

على قول بعض المفسّرين كما سنبيّنه.

و قال ابن الأنباري :

لمّا كان أصل الفطر شقّ الشيء عند ابتدائه، فقوله: فطر الخلائق، أي خلقهم و أنشأهم بالتركيب و التأليف الّذي سبيله أن يحصل فيه الشقّ و التأليف عند ضمّ بعض الأشياء إلى بعض، ثمّ إنّ الفطر كما يكون شقّ إصلاح كقوله تعالى:

فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ [سورة الأنعام: ۱۴].

كذلك يكون شقّ إفساد كقوله تعالى:

إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ [سورة الانفطار: ۱].

هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ [سورة الملك: ۳].

و أمّا قوله: و نشر الرّياح برحمته، فبيانه أنّ نشر الرّياح و بسطها لمّا كان سببا عظيما من أسباب بقاء أنواع الحيوان و النّبات و استعدادات الأمزجة للصحّة و النموّ و غيرها حتّى قال كثير من الأطبّاء: إنّها تستحيل روحا حيوانيّا، و كانت عناية اللّه سبحانه و تعالى و عموم رحمته شاملة لهذا العالم و هي مستند كلّ موجود لا جرم كان نشرها برحمته، و من أظهر آثار الرّحمة الإلهيّة بنشر الرّياح حملها للسحاب المترع بالماء و إثارتها على وفق الحكمة ليصيب الأرض الميتة فينبت بها الزرع و يملأ الضريح كما قال سبحانه:

وَ مَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ [سورة النمل: ۶۳].

و قال:

يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ وَ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ [سورة الرّوم: ۴۶].

و قال:

وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ [سورة الحجر: ۲۲].

و المراد تنبيه الغافلين على ضروب نعم اللّه بذكر هذه النعمة الجليلة ليستديموها بدوام شكره و المواظبة على طاعته، كما قال تعالى:

وَ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ [سورة البقرة: ۲۳۱].

و قوله:

ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَ تَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هذا وَ ما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ [سورة الزخرف: ۱۳].

قال بعض الفضلاء: إنّ بعض العرب يستعمل الرّيح في العذاب، و الرّياح في الرّحمة، و كذلك نزل القرآن الكريم قال تعالى:

بِرِيحٍ صَرْصَرٍ [سورة الحاقة: ۶].

و قال: الرِّيحَ الْعَقِيمَ [سورة الذاريات: ۴۱].

و قال: يرسل الرّياح مبشرات، و الرياح لواقع، و أمثاله.

قوله: «و وتد بالصخور ميدان أرضه».

## ۱-۵-۱۰-۲-۲-۱-۱۰ (في بيان المراد من أوتاد الأرض و المقصود من الوتد)

أقول: المراد نسبة نظام الأرض إلى قدرته سبحانه، و

هاهنا بحثان

: البحث الأوّل

في أنّ قول القائل: وتدت كذا بكذا معناه جعلته وتدا له، و الموتود هاهنا في الحقيقة إنّما هو الأرض، و قد جعل الموتود هنا هو ميدان الأرض و هو عرض من الأعراض لا يتصوّر جعل الجبل وتدا له، إلّا أنّا نقول: لمّا كان الميدان، علّة حاملة على إيجاد الجبال و إيتاد الأرض بها كان الاهتمام به أشدّ، فلذلك قدّمه و أضافه إضافة الصفة إلى الموصوف، و إن كان التقدير: و وتد بالصخور أرضه المائدة.

البحث الثّاني [و فيه خمسة أوجه]

، أنّ تعليل وجود الجبال بميدان الأرض ورد هاهنا و في القرآن الكريم في مواضع: كقوله تعالى:

وَ أَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ [النحل: ۱۵].

و كقوله: وَ الْجِبالَ أَوْتاداً [النبأ: ۷].

و لا بدّ من البحث عن وجه هذا التعليل، و فيه خمسة أوجه:

الوجه الأوّل

قال المفسّرون في معنى هذه الآيات: إنّ السفينة إذا ألقيت على وجه الماء فانّها تميل من جانب إلى جان و تتحرّك، فإذا وضعت الأجرام الثقيلة فيها استقرّت على وجه الماء و سكنت، قالوا فكذلك لمّا خلق اللّه تعالى الأرض على وجه الماء اضطربت و مادت، فخلق اللّه عليها الجبال و وتدها بها فاستقرّت على وجه الماء بسبب ثقل الجبال.

قال الإمام فخر الدّين: و يتوجّه على هذا الكلام أن يقال: لا شكّ أنّ الأرض أثقل من الماء، و الأثقل يغوص فيه و لا يبقى طافيا عليه، و إذا لم يبق كذلك امتنع أن يقال:

إنّها تميد و تميل بخلاف السفينة إذ كانت مركّبة من الأخشاب، و داخلها مجوّف مملوء من الهواء فلذلك تبقى طافية على الماء فلا جرم تميل و تضطرب إلى أن ترسي بالأجرام الثقيلة فإذن الفرق ظاهر.

الوجه الثّاني

ما ذكره هو قال: إنّه قد ثبت بالدلائل اليقينيّة أنّ الأرض كرة، و ثبت أيضا أنّ هذه الجبال على سطح الأرض جارية مجرى خشونات و تضريسات حاصلة على وجه الكرة، فإذا ثبت هذا فلو فرضنا أن هذه الخشونات ما كانت حاصلة بل كانت الأرض كرة حقيقيّة خالية عن الخشونات و التضريسات لصارت بحيث تتحرّك بالاستدارة بأدنى سبب، لأنّ الجرم البسيط المستدير يجب كونه متحرّكا على نفسه و إن لم يجب ذلك عقلا إلّا أنّها تصير بأدنى سبب تتحرّك على هذا الوجه، أمّا إذا حصل على سطح كرة الأرض هذه الجبال فكانت كالخشونات الواقعة على وجه الكرة، فكلّ واحد من هذه الجبال إنّما يتوجّه بطبعه إلى مركز العالم و توجّه ذلك الجبل نحو مركز العالم بثقله العظيم و قوّته الشديدة يكون جاريا مجرى الوتد الّذي يمنع كرة الأرض من الاستدارة و كان تخليق هذه الجبال على الأرض كالأوتاد المعدودة في الكرة المانعة من الحركة المستديرة.

الوجه الثالث

ان نقول: لما كانت فائدة الوتد أن يحفظ الموتود في بعض المواضع عن الحركة و الاضطراب حتّى يكون قارّا ساكنا، و كان من لوازم ذلك السكون في بعض الأشياء صحّة الاستقرار على ذلك الشيء و التصرّف عليه و كان من فائدة وجود الجبال و التّضريسات الموجودة في وجه الأرض أن لا تكون مغمورة بالماء ليحصل للحيوان الاستقرار و التصرّف عليها، لا جرم كان بين الأوتاد و الجبال الخارجة من الماء في الأرض اشتراك في كونهما مستلزمين لصحّة الاستقرار مانعين من عدمه، لا جرم حسنت استعارة نسبة الإيتاد إلى الصخور و الجبال.

و أمّا إشعاره بالميدان، فلأن الحيوان كما يكون صادقا عليه أنّه غير مستقرّ على الأرض بسبب انغمارها في الماء لو لم توجد الجبال، كذلك يصدق على الأرض انّها غير مستقرّة تحته، و مضطربة بالنّسبة إليه، فثبت حينئذ أنّه لولا وجود الجبال في سطح الأرض لكانت مضطربة و مائدة بالنّسبة إلى الحيوان لعدم تمكّنه من الاستقرار عليها.

الوجه الرّابع

قال بعض العلماء: إنّه يحتمل أن تكون الإشارة بالصخور إلى الأنبياء و الأولياء و العلماء، و بالأرض إلى الدّنيا.

و أمّا وجه التّجوّز بالصخور عن الأنبياء و الأولياء و العلماء، فلأنّ الصخور و الجبال لمّا كانت على غاية من الثبات و الاستقرار، مانعة لما يكون تحتها من الحركة و الاضطراب، عاصمة لما يلتجئ إليها من الحيوان عمّا يوجب له الهرب، فيسكن بذلك اضطرابه و قلقلته، أشبهت الأوتاد من بعض هذه الجهات.

ثمّ لمّا كانت الأنبياء و العلماء هم السبب في انتظام أمور الدنيا و عدم اضطراب أحوال أهلها كانوا كالأوتاد للأرض، فلا جرم صحّت استعارة لفظ الصخور لهم، و لذلك يحسن في العرف أن يقال: فلان جبل منيع يأوى إليه كلّ ملهوف، إذا كان يرجع إليه في المهمّات و الحوائج، و العلماء أوتاد اللّه في الأرض.

الوجه الخامس

أن المقصود من جعل الجبال كالأوتاد في الأرض أن يهتدي بها على طرقها و المقاصد فيها، فلا تميد جهاتها المشتبهة بأهلها و لا تميل بهم فيتيهون فيها عن طرقهم و مقاصدهم، و باللّه التّوفيق.

و باقي أقواله عليه السّلام إلى قوله:

ثمّ أنشأ الخلق إنشاء.

و شرحها في التوحيد و التنزيه و المعارف و التحقيق، و ذلك يطول مع انّه قد سبق في قولنا و قول غيرنا كثيرا، فترجع من هذا المكان إلى قوله: ثمّ أنشأ، و نقول ما هو المراد منه و هو هذا:

## ۱-۵-۱۰-۲-۲-۲(الفصل الثاني في نسبة إيجاد العالم إلى قدرة اللّه تعالى جملة و تفصيلا، و في كيفيّة ذلك و هو اقتصاص في معرض المدح)

قوله: أنشأ الخلق إنشاء، و ابتدأه ابتداء، بلا رويّة أجالها، و لا تجربة استفادها، إلى قوله: و لا يحدّونه بالأماكن، و لا يشيرون إليه بالنّظائر

### ۱-۵-۱۰-۲-۲-۲-۱(شرح ألفاظ الخطبة)

أقول: لم أجد لأهل اللغة فرقا بين الإنشاء و الابتداء، و هو الإيجاد الّذي لم يسبق بمثله، إلّا أنّه يمكن أن يفرق هاهنا بينهما صونا لكلامه عليه السّلام عن التّكرار بأن يقال: المفهوم من الإنشاء هو الإيجاد الّذي لم يسبق غير الموجد الموجد إليه، و المفهوم من الابتداء هو الإيجاد الّذي لم يقع من الموجد قبل، و الرّوية: الفكر، و همامة النّفس اهتمامها بالأمور و من روى همامة نفس، فالمراد تريد العزوم مأخوذ من الهمهمة و هي ترديد الصّوت الخفيّ، و روى أيضا همّة نفس، و الإحالة: التحويل و النقل و التّغيير و الانقلاب من حال إلى آخر، و روى أجال بالجيم، و روى أيضا أجّل أي وقّت، و الملائمة: الجمع. و الغرائز: جمع غريزة و هي الطّبيعة الّتي طبع عليها الإنسان كأنّها غرّزت فيه، و السنخ الأصل، و روى أشباحها جمع شبح و هو الشّخص، و القرائن جمع قرينة، و هي ما يقترن بالشّيء، و الأحناء: جمع حنو، و هي الناحية، و الأجواء: جمع جوّ و هو الفضاء الواسع. و فتقها: شقّها و الأرجاء جمع رجاء مقصور، و هو النّاحية و السكائك جمع سكاكة كذوابة و ذوائب، و هي الفضاء ما بين السّماء و الأرض، و كل مكان خال فهو هواء و أجار أي أجرى و من روى، أحار أي أدار و جمع. و تلاطم الماء:

تراد أمواجه، و ضرب بعضها بعضا. و الزّخّار: مبالغة في الزاخر و هو الممتلي. و متن كلّ شيء: ما صلب منه و اشتد. و عصف الرّيح: شدّة جريانها. و ريح زعزع: تحرّك الأشياء بقوّة و تزعزعها. و الرّيح العاصفة: الشديدة كأنّها لشدّتها تكسّر الأشياء و تقصفها. و سلّطها أي جعل لها سلاطة و هي القهر. و الفتيق: المنفتق. و الدفيق:

المندفق. و الاعتقام: الشدّ و العقد. و اعتقم أيضا (الأرض) مهبّها: أي جعله خاليا لا نبت به، من قولهم: عقمت الرّحم إذا لم يقدر بها ولد، و روى بغير تاء أي جعلها عقيمة لا تلقح شجرا و لا سحابا. و المربّ: المجمع. و العصف: الجري بشدّة و قوّة.

و الصفق و التصفيق: الضرب المترادّ المصوّت. و إثارة الموج: رفعه و هيّجه، و أصل البحر: الماء المتّسع الغمر، و ربّما خصّص في العرف بالمالح. و تموّج البحر: اضطرابه، و موجه: ما ارتفع منه حال هيجانه و حركته. و المخض: التحريك. السقاء: وعاء اللبن و الماء أيضا. و المائر: المتحرّك. و العباب بالضمّ: معظم الماء، و عبّ أي علا و تدفّق.

و الركام: الماء المتراكم. و المنفهق: الواسع. و التسوية: التعديل. و المكفوف: الممنوع من السقوط (الجوهري). و السقف اسم للسماء. و سمك البيت: سقفه، و السموك: الارتفاع.

و العمد: جمع كثرة لعمود البيت، و دعامة البيت: عموده و ما يمنعه من السقوط.

و الدسار: كلّ شيء أدخلته في شيء لشدّة كمسمار و حبل و نحوهما. و المستطير: المنتشر.

و الفلك: من أسماء السماء، قيل: مأخوذ من فلكة المغزل في الاستدارة. و الرّقيم: اسم للفلك أيضا و اشتقاقه من الرقم و هو الكتابة و النّقش لأنّ الكواكب به تشبه الرّقوم.

و الأطوار: الحالات المختلفة و الأنواع المتباينة. قال الكسائي: أصل الملائك: مئالك بتقديم الهمزة من الألوك و هي الرّسالة، ثمّ قلّبت و قدّمت اللّام، و قيل: ملأك ثمّ تركت همزته لكثرة الاستعمال، فقيل: ملك فلمّا جمعوه ردّوها إليه، فقالوا ملائكة و ملائك.

و السأم: الملال. و السدنة: جمع سادن و هو الخازن. و مرق السّهم من الرمية إذا خرج من الجانب الأخر. و القطر: النّاحية. و الركن: الجانب. و تلفع بثوبه: التحف به.

و النظائر: الأمثال.

و لنرجع إلى المعنى فنقول: أنشأ الخلق إنشاء و ابتدأه ابتداء، يشير إلى كيفيّة إيجاد الخلق على الجملة عن قدرة اللّه تعالى بعد أن ينبّه على أصل الإيجاد بقوله: فطر الخلائق بقدرته، فإنّ الباري تعالى لمّا لم يكن مسبوقا بغيره لا جرم صدق الإنشاء منه، و لمّا لم يكن العالم موجودا قبل وجوده لا جرم صدق ابتداؤه له.

### ۱-۵-۱۰-۲-۲-۲-۲(في بيان انّ إيجاد العالم كان بلا تفكّر و لا حركة)

قوله: بلا رويّة أجالها و لا تجربة استفادها و لا حركة أحدثها و لا همامة نفس اضطرب فيها.

أقول: لمّا كانت هذه الكيفيّات الأربع من شرائط علوم النّاس و أفعالهم الّتي لا يمكن حصولها إلّا بها، أراد

تنزيه اللّه سبحانه عن أن يكون إيجاده للعالم موقوفا على شيء منها.

أمّا الرويّة و الفكر فلمّا كانت عبارة عن حركة القوّة المفكّرة في تحصيل مبادئ المطالب و الانتقال منها إليها أو عن تلك القوّة أيضا نفسها كان ذلك في حقّ اللّه تعالى محالا لوجهين:

أحدهما انّ القوّة المفكرة من خواصّ نوع الإنسان.

الثاني أن فائدتها تحصيل المطالب المجهولة و الجهل على اللّه محال.

و أمّا التجربة فلمّا كانت عبارة عن حكم العقل بأمر على أمر بواسطة مشاهدات متكرّرة معدّة لليقين بسبب انضمامه قياس خفيّ إليها، و هو أنّه لو كان هذا الأمر اتّفاقيّا لما كان دائما و لا أكثريّا، كان توقف فعل اللّه تعالى على استفادة الأحكام منها محالا لوجهين:

أحدهما أنّها مركّبة من مقتضى الحسّ و العقل، و ذلك أنّ الحسّ بعد مشاهدة وقوع الإسهال مثلا عقيب شرب الدّواء مرّة و مرّة ينتزع العقل منها حكما كلّيّا بأنّ ذلك الدواء مسهل، و معلوم أنّ اجتماع الحسّ و العقل من خواصّ نوع الإنسان.

الثاني انّ التجربة إنّما تفيد علما لم يكن، فالمحتاج إلى التجربة لاستفادة العلم بها ناقص بذاته مستكمل بها و المستكمل بالغير محتاج إليه فيكون ممكنا على ما مرّ و ذلك على اللّه محال.

و أمّا الحركة فقد عرفت أنّها من خواصّ الأجسام، و الباري سبحانه منزّه عن الجسميّة فيمتنع صدق المتحرّك عليه و إن صدق أنّه محرّك الكلّ، لأنّ المتحرّك ما قامت به الحركة، و المحرّك أعم من ذلك.

و أمّا الهمامة أو الهمّة، فلمّا كانت مأخوذة من الاهتمام، و حقيقته الميل النفساني الجازم إلى فعل الشيء مع التألّم و الغمّ بسبب فقده كان ذلك في حقّ اللّه تعالى محالا لوجهين:

أحدهما، أنّ الميل النفساني من خواصّ الإنسان طلبا لجلب المنفعة، و الباري سبحانه منزّه عن الميول النفسانيّة و جلب المنافع.

الثاني، أنّه مستلزم للتألّم المطلوب، و التألّم على اللّه تعالى محال، و إذ ليس إيجاده تعالى للعالم على أحد الأنحاء المذكورة، فهو إذن بمحض الاختراع و الإبداع البرئ من الحاجة إلى أمر خارج ذاته المقدّسة:

بَدِيعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [سورة البقرة: ١١٧].

و اعلم أنّه عليه السّلام أردف كلّا من هذه الأمور بما هو كيفيّة في وجوده، فأردف الرّويّة بالإحالة و التجربة بالاستفادة و الحركة بالإحداث و الهمامة بالاضطراب لتنتفي الكيفيّة بانتفاء ما هي عن ذاته المقدّسة، و باللّه التوفيق.

قوله: أجال الأشياء لأوقاتها و لاءم بين مختلفاتها، و غرّز غرائزها و ألزمها أشباحها.

أقول: لمّا نبّه على نسبة إيجاد العالم إلى اللّه تعالى جملة، أشار بعده إلى أنّ ترتيبه و ما هو عليه من بديع الصنع و الحكمة كان مفصّلا في علمه وفق حكمته البالغة قبل إيجاده.

و المراد بقوله: أجال الأشياء لأوقاتها: الإشارة إلى ربط كلّ ذي وقت بوقته بحسب ما كتب في اللوح المحفوظ بالقلم الإلهي بحيث لا يتأخّر متقدّم و لا يتقدّم متأخّر منها، و معنى الإجالة نقل كلّ منها إلى وقته، و تحويله من العدم و الإمكان الصرف إلى مدّته المضروبة لوجوده، و اللّام في لأوقاتها لام التعليل أي لأجل أوقاتها إذ كلّ وقت يستحق بحسب قدرة اللّه و علمه أن يكون فيه ما لا يكون في غيره، و على النسخة الأخرى فمعنى تأجيلها جعل أوقاتها آجالا لها لا تتقدّم عليها و لا تتأخر عنها كما قال:

فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ [سورة الأعراف: ٣۴].

و نبّه بقوله: و لأم بين مختلفاتها، على كمال قدرة اللّه تعالى، و بيان ذلك في صورتين:

إحديهما أنّ العناصر الأربعة متضادّة الكيفيّات، ثمّ إنّها إذا اجتمعت بقدرة اللّه تعالى و على وفق حكمته حتّى انكسرت صورة كلّ واحد منها بالآخرة و هو المسمّى بالتفاعل حصلت كيفيّة متوسّطة بين الأضداد متشابهة و هي المزاج فامتزاج اللطف بالكثيف على ما بينهما تضادّ الكيفيّات و غاية البعد بقدرته التّامّة من أعظم الدلائل الدّالة على كمالها.

الثّانية، أنّ الملائمة بين الأرواح اللطيفة و النفوس المجرّدة الّتي لا حاجة بها في قوامها في الوجود إلى مادّة أصلا و بين هذه الأبدان المظلمة الكثيفة و اختصاص كلّ نفس ببدن منها و تدبيره و استعماله فيما يعود إليها من المصالح على النظام الأقصد و الطريق الأرشد ممّا يشهد بكمال قدرته و لطيف حكمته.

و قوله: و غرّز غرائزها، إشارة إلى ركز القوى الجسمانيّة النفسانيّة فيما هي قوى له، و خلق كلّ ذي طبيعة على خلقه و مقتضى قواه الّتي غرزت فيه من لوازمه و خواصّه مثلا كقوّة التعجب و الضحك للإنسان، و قوّة الشجاعة للأسد و الجبن للأرنب، و المكر للثعلب و غير ذلك، و عبّر عن إيجادها فيها بالغرز و هو الرّكز، استعارة لما يعقل من المشابهة بينها و بين العود الّذي يركز في الأرض من جهة المبدأ و من جهة الغاية، و ذلك أنّ اللّه سبحانه لمّا غرّز هذه الغرائز في محالّها و أصولها و كانت الغاية من ذلك ما يحصل منها من الآثار الموافقة لمصلحة العالم أشبه ذلك غرر الإنسان العود في الأرض لغاية أن يثمر ثمرة منتفعا بها.

و قوله: و ألزمها أسناخها، إشارة إلى أنّها لا تفارق أصولها و لا يمكن زوالها عنها لأنّ اللّازم هذا شأنه، و من روى أشباحها بالشين المعجمة فالمراد أنّ ما غرّز في الأشخاص من اللوازم و الغرائز لا تفارقها، سواء كانت تلك الغرائز من لوازم الشخص كالذكاء و الفطنة بالنسبة إلى بعض النّاس و البلادة و الغفلة لآخر أو من لوازم المهيّات و طباعها لوجود المهيّات في أشخاصها، هذا إن قلنا: إنّ الضمير في قوله: و ألزمها عائد إلى الغرائز، أمّا ان قلنا انّه عايد إلى الأشياء كان المراد أنّ اللّه سبحانه لمّا أجال الأشياء لأوقاتها و لائم بين مختلفاتها و غرّز غرائزها في علمه و قضائه ألزمها بعد كونه كلّية أشخاصها الجزئيّة الّتي وجدت فيها.

لا يقال: إنّ لوازم المهيّات مقتضى المهيّات فكيف يمكن نسبة إلزامها لأصولها إلى قدرة اللّه تعالى.

لأنّا نقول: المستند إلى مهيّة الملزوم ليس إلّا مهيّة لازمة، و امّا وجوده له فبقدرة اللّه تعالى، فيكون معنى إلزامها لأصولها إيجادها في أصولها تبعا لإيجاد أصولها على تقدير وجودها.

قوله: عالما بها قبل ابتدائها، محيطا بحدودها و انتهائها، عارفا بقرائنها و أحنائها.

### ۱-۵-۱۰-۲-۲-۲-۳(في إحاطة علمه تعالى بالأشياء)

أقول: المنصوبات الثلاثة و هي قوله: عالما و عارفا و محيطا، منصوبة على الحال، و العامل فيها قوله: ألزمها إعمالا للأقرب، و الأحوال الثلاثة مفسّرة لمثلها عقيب الأفعال الثلاثة الأول إذ كانت صالحة لأن تكون أحوالا عنها.

و المراد في القضيّة الأولى إثبات الأفعال الأربعة له حال كونه عالما بالأشياء قبل إيجادها، حاضرة في علمه بالفعل كلّيها و جزئيّها.

و في القضيّة الثانية نسبة تلك الأفعال إليه حال إحاطة علمه بحدودها و حقائقها المميّزة لبعضها عن بعض، و إنّ كلّا منه بحدّه واقف عنده و هو نهايته و غايته، و يحتمل أن يريد بانتهائها انتهاء كلّ ممكن إلى سببه و انتهاء الكلّ في سلسلة الحاجة إلى اللّه.

و في القضيّة الثالثة نسبه الأفعال إلى قدرته حال علمه بما يقترن بالأشياء من لوازمها و عوارضها، و علمه بكلّ شيء يقترن بشيء آخر على وجه التركيب أو المجاورة كاقتران بعض العناصر ببعض في أحيازها الطبيعيّة على التّرتيب الطبيعي و علمه بأحنائها و جوانبها الّتي بها تنتهي و تقارن غيرها.

### ۱-۵-۱۰-۲-۲-۲-۴ (في بيان تعداد أسماء اللّه الحسنى)

و بيان هذه الأحكام له تعالى ببيان أنّه عالم بكلّ المعلومات من الكلّيّات و الجزئيّات، و ذلك ممّا علم في العلم الإلهي.

فإن قلت: إطلاق اسم العارف على اللّه تعالى لا يجوز لقول النّبي صلّى اللّه عليه و آله: إنّ للّه تسعة و تسعين اسما من أحصاها دخل الجنّة. و إجماع علماء النقل على أن هذا الإسم ليس منها.

قلت: الأشبه أنّ أسماء اللّه تعالى تزيد على التسعة و التسعين لوجهين: أحدهما قول النّبي صلّى اللّه عليه و آله:

أسئلك بكلّ اسم سمّيت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علّمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك.

فإنّ هذا صرح في أنّه استأثر ببعض الأسماء.

الثاني، أنّه صلّى اللّه عليه و آله قال في رمضان:

إنّه اسم من أسماء اللّه تعالى .

و كذلك كان الصحابة يقولون: فلان أوتي الاسم الأعظم و كان ذلك ينسب إلى بعض الأنبياء و الأولياء و ذلك يدلّ على أنّه خارج من التسعة و التسعين، فإذا كان كذلك كان كلّ الكلام في قوله صلّى اللّه عليه و آله: إنّ للّه تسعة و تسعين اسما من أحصاها دخل الجنّة، قضيّة واحدة معناها الإخبار بأنّ من أسماء للّه تعالى تسعة و تسعين من أحصاها يدخل الجنّة، و يكون تخصيصها بالذكر لاختصاصها بمزيد شرف لا يكون لباقي الأسماء و هي كونها مثلا جامعة لأنواع من المعاني المنبئة عن الكمال بحيث لا يكون لغيرها لا لنفي أن يكون للّه تعالى اسم

غيرها، و إذا كان كذلك جاز أن يكون العارف من تلك الأسماء.

لا يقال: إنّ الإسم الأعظم غير داخل فيها لاشتهارها و اختصاص معرفته بالأنبياء، و إذا كان كذلك فكيف يصدق عليها أنّها أشرف الأسماء.

لأنّا نقول: يحتمل أن يكون خارجا منها و يكون شرفها حاصلا بالنسبة إلى باقي الأسماء الّتي هي غيره، و يحتمل أن يكون داخلا فيها إلّا أنّا لا نعرفه بعينه و يكون ما يختصّ به النبيّ أو الوليّ إنّما هو تعيينه منها.

## ۱-۵-۱۰-۲-۲-۵(في كيفيّة الخلق و تفصيل إيجاده و الإشارة إلى مباديه)

قوله: ثمّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء (و شقّ الأرجاء، و سكائك الهواء) إلى قوله:

فسوّى منه سبع سموات.

أقول: لمّا أشار عليه السّلام في الفصل المتقدّم إلى نسبة خلق العالم إلى قدرة اللّه تعالى على سبيل الإجمال، شرع بعده في تفصيل الخلق و كيفيّة إيجاده و الإشارة إلى مباديه و لذلك حسن إيراد ثمّ هاهنا،

و في هذا الفصل أبحاث

البحث الأوّل

اعلم أنّ خلاصة ما يفهم من هذا الفصل أنّ اللّه قدّر أحيازا و أمكنة أجرى فيها الماء الموصوف و خلق ريحا قويّة على ضبطه و حفظه، حمله عليها و أمرها بضبطه، و يفهم من قوله: الهواء من تحتها فتيق و الماء من فوقها دفيق.

أنّ تلك الأحياز و الأمكنة تحتها، و أنّها أمرت بحفظه و ضبطه لتوصّله إلى تلك الأحياز، و ربّما فهم منه أنّ تلك الأحياز تحتها للماء و هي سطح الريح الحاوي له، و أنّ تحت تلك الريح فضاء آخرا واسعا و هي محفوظة بقدرة اللّه تعالى، كما ورد في الخبر:

ثمّ خلق سبحانه ريحا آخرا لأجل تموّج ذلك الماء فأرسلها و عقد مهبّها. أي أرسلها بمقدار مخصوص على وفق الحكمة و المصلحة الّتي أرادها بإجرائها و لم يرسلها مطلقا، و من روى بالتّاء فالمراد أنّه أخلى مهبّها عن العوائق أو أنّه أرسلها بحيث لا يعرف مهبّها و أدام حركتها و ملازمتها لتحريك الماء و أعصف جريانها و أبعد مبتداهما، ثمّ سلّطها على تموّج ذلك الماء فلمّا عبّ عبابه و قذف بالزبد رفع تعالى ذلك الزّبد في الفضاء و كوّن منه السّماوات العلى.

البحث الثّانى

أنّ هذه الإشارة وردت في القرآن الكريم فإنّه أشير فيه إلى أنّ السماوات تكوّنت من الدّخان، كقوله تعالى:

ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ [سورة فصّلت: ۱۱].

و المراد بخار الماء، كذلك وردت في أقوال كثيرة:

(في نقل أقوال الحكماء في خلق السّموات و الأرض)

الأوّل

ما روى عن الباقر محمّد بن علي عليه السّلام قال: لمّا أراد اللّه سبحانه و تعالى أن يخلق السّماء أمر الرّياح فضربن البحر حتّى أزبد فخرج من ذلك الموج، و الزّبد دخان ساطع من وسطه من غير نار فخلق اللّه منه السّماء.

الثاني

ما نقل أنّه جاء في السفر الأوّل من التّوراة:

أنّ مبدأ الخلق جوهر خلقه اللّه، ثمّ نظر إليه نظر الهيبة فذابت أجزاؤه فصارت ماء فثار من الماء بخارا كالدّخان فخلق منه السّماوات، و ظهر على وجه الماء زبد مثل زبد البحر، فخلق منه الأرض، ثمّ أرساها بالجبال.

و في رواية أخرى فخلق منه أرض مكّة ثمّ بسط الأرض من تحت الكعبة و لذلك تسمّى مكّة أمّ القرى

الثالث

نقل عن كعب ما يقرب من ذلك قال :

إنّ اللّه خلق ياقوتة خضراء ثمّ نظر إليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد، ثمّ خلق الرّيح فجعل الماء على متنها، ثمّ وضع العرش على الماء، كما قال تعالى:

وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ [سورة هود: ٧].

الرّابع

ما نقل عن تاليس الملطي ، و كان من مشاهير الحكماء القدماء فإنّه نقل عنه، بعد أن وحّد الصانع الأوّل للعالم و نزّهه أنّه قال:

لكنّه أبدع العنصر الّذي فيه صور الموجودات و المعلومات كلّها و سمّاه المبدع الأوّل، ثمّ نقل عنه أنّ ذلك العنصر هو الماء، قال: و منه أنواع الجواهر كلّها من السّماء و الأرض و ما بينهما و هو علّة كلّ مبدع و علّة كلّ مركب من العنصر الجسماني، فذكر:

أن من جمود الماء تكوّنت الأرض، و من انحلاله تكوّن الهواء، و من صفوته تكوّنت النّار، و من الدّخان و الأبخرة تكوّنت السّماء.

و قيل: إنّه أخذت ذلك من التّوراة.

الخامس

ما وجدته في كتاب سلينوس (بلينوس) الحكيم الّذي سمّاه الجامع لعلل الأشياء قريبا من هذه الإشارة و ذلك أنّه قال: إنّ الخالق تبارك و تعالى كان قبل الخلق و أراد أن يخلق الخلق، فقال: ليكن كذا و كذا، فكان ما أراد

بكلمته، فأوّل الحدث كلمة اللّه المطاعة الّتي كانت بها الحركة، ثمّ قال بعده: إنّ أوّل ما حدث بعد كلام اللّه تعالى الفعل، فدلّ بالفعل على الحركة، و دلّ بالحركة على الحرارة، ثمّ لمّا نقصت الحرارة جاء السكون عند فنائها، فدلّ بالسكون على البرد.

ثمّ ذكر بعد ذلك: أنّ طبائع العناصر الأربعة إنّما كانت من هاتين القوّتين أعني الحرّ و البرد، قال: و ذلك أنّ الحرارة حدث منها اللين، و من البرودة اليبس، فكانت أربع قوى مفردات فامتزج بعضها ببعض، فحدث من امتزاجها الطبائع الأربع و كانت هذه الكيفيّات قائمة بأنفسها غير مركّبة فمن امتزاج الحرارة و اليبس حصلت النّار، و من الرطوبة و البرودة حدث الماء و من الحرارة و الرطوبة حدث الهواء و من امتزاج البرد و اليبس حصلت الأرض.

ثمّ قال: إنّ الحرارة لمّا حرّكت طبيعة الماء و الأرض تحرّك الماء للطفه عن ثقل الأرض، و أثقلت ما أصابه من الحر فصار بخارا لطيفا هوائيّا رقيقا روحانيّا، و هو أوّل دخان طلع من أسفل الماء و امتزج بالهواء فسما إلى العلو لخفّته و لطافته، و بلغ الغاية في صعوده على قدر قوّته و نفرته من الحرارة فكان منه الفلك الأعلى و هو فلك زحل، ثمّ حرّكت النّار الماء أيضا فطلع منه دخان هو أقلّ لطفا ممّا صعد أوّلا و أضعف، فلمّا صار بخارا سما إلى العلو بجوهره و لطافته و لم يبلغ فلك زحل لعلّة لطافته عمّا قبله فكان منه الفلك الثاني و هو فلك المشتري، (و هكذا) بيّن في طلوع الدخان مرّة و مرّة، و تكون الأفلاك الخمسة الباقية عنه.

فهذه الإشارات كلّها متطابقة على أنّ الماء هو الأصل الّذي تكوّنت عنه السّماوات و الأرض و ذلك مطابق لكلامه عليه السّلام.

البحث الثّالث

قوله: و أدام مربّها.

قال قطب الدّين الرّاوندي: أي أدام جمع الريح للماء و تسويتها له. قلت: تقرير ذلك أنّ الماء لمّا كان مقرّ الريح الّذي انتهت إليه و عملت في تحريكه كان ذلك هو مربّها أي الموضع الّذي لزمته و أقامت به، فقوله: و أدام مربّها أي أدام حركة الماء و اضطرابه و مخضه و هو محلّ إربابها، و يحتمل أن يكون قد استعمل اسم الموضع استعمال المصدر، و التقدير: أدام إربابها أي ملازمتها لتحريك الماء، و أيضا فيحتمل أن يكون قد شبّهها في كونها سببا للآثار الخيريّة، و في كثرتها و قوّتها بالديمة فكان محلّها و مقرّها الّذي يصل إليه و يقيم به، قد أدامه اللّه أي سقاه اللّه ديمة.

و قوله: و أبعد منشأها، قال: أي أبعد ارتفاعها.

قلت: المنشأ محلّ النّشوء و هو الموضع الّذي أنشأها منه فلا يفهم منه الارتفاع اللّهم إلّا على تقدير استعماله لموضع الإنشاء استعمال المصدر أي بلغ بإنشائها غاية بعيدة، و الأقرب أنّه يشير إلى أنّها نشأت من مبدأ بعيد و لا يمكن الوقوف على أوّله و هو قدرة الحقّ سبحانه وجوده.

و قوله: و أمرها.

قال رحمه اللّه: أمر الموكّلين بها من الملائكة بضرب الماء بعضه بعضا، و تحريكه لمخض اللبن للزّبد و أطلق

الأمر عليها مجازا، لأنّ الحكيم لا يأمر الجماد.

قلت: (بل) حمله على أمر الريح أولى لأنّ في التقدير الّذي ذكره يكون التجوّز في لفظ الأمر لعدم القول المخصوص هناك فيحمل على قهر ملائكتها و في نسبته إلى الرّيح أيضا (مجاز) إذا أريد ملائكتها، أمّا إذا حملناه على ظاهره كان التجوّز في لفظ الأمر دون النسبة فكان أولى.

و قوله: مخض السقاء و عصفها بالفضاء.

أي و مثل مخض السقاء و مثل عصفها، فحذف المضاف الّذي هو صفة المصدر و أقام المضاف إليه مقامه فلذلك نصبه نصب المصادر.

و اعلم أنّ اللّام في قوله: بتصفيق الماء، للمعهود السّابق في قوله: ماء متلاطما لأنّ المائين واحد، و مثل هذا التكرار جاز في الكلام الفصيح كقوله تعالى:

كَما أَرْسَلْنا إِلى فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ [سورة المزّمّل: ١٥- ١٦].

فان قلت: إنّ الأجزاء و الأرجاء و سكائك الهواء أمور عدميّة فكيف يصحّ نسبتها إلى الإنشاء عن القدرة؟

قلت: إنّ هذه الأشياء عبارة عن الخلاء و الأحياز، و الخلاف في أنّ الخلاء و الحيّز و المكان هل هي أمور وجوديّة أو عدميّة مشهور، فإن كانت وجوديّة كانت نسبتها إلى القدرة ظاهرة، و يكون معنى فتقها و شقّ العدم عنها كما مرّ في قوله: فطر الخلائق بقدرته، و إن كانت عدميّة كان معنى فتقها و شقّها و نسبتها إلى القدرة تقديرها و جعلها أحيازا للماء و مقرّا له لأنّه لمّا كان تمييزها عن مطلق الهواء و الخلاء بإيجاد اللّه فيها الماء صار تعيّنها له بسبب قدرته تعالى فيصحّ نسبتها إلى إنشائه فكأنّه سبحانه شقّها و فتقها بحصول الجسم فيها.

روى أنّ زرارة و هشاما اختلفا في الهواء أهو مخلوق أم لا؟ فرفع بعض موالي الصادق جعفر بن محمّد عليه السّلام إليه ذلك و قال له: إنّي متحيّر و أرى أصحابنا يختلفون فيه، فقال عليه السّلام: ليس هذا بخلاف يؤدّي إلى الكفر و الضلال.

و اعلم، أنّه عليه السّلام إنّما أعرض عن بيان ذلك لأنّ أولياء اللّه الموكّلين بإيضاح سبيله (سبله) و تثبيت خلقه على صراط المستقيم لا يلتفتون بالذّات إلّا إلى أحد أمرين:

أحدهما ما يؤدّي إلى الهدى أداء ظاهرا واضحا.

و الثّاني ما يصرف عن الضّلال و يردّ إلى سواء السبيل، و بيان أنّ الهواء مخلوق أو غير مخلوق لا يفيد كثير فائدة في أمر المعاد فلا يكون الجهل به ممّا يضرّ في ذلك فكان ترك بيانه و الإشتغال بما هو أهمّ منه أولى.

[البحث الرابع]

(في بيان ما تكوّنت منه السّماء)

البحث الرابع، أنّ القرآن الكريم نطق بأنّ السّماء تكوّنت من الدّخان و كلامه عليه السّلام ناطق بأنّها تكوّنت من الزبد، و ما ورد في الخبر:

أنّ ذلك الزّبد هو الّذي تكوّنت منه الأرض، فلا بدّ من بيان وجه الجمع بين هذه الإشارات فنقول:

وجه الجمع بين كلامه عليه السّلام، و بين لفظ القرآن الكريم ما ذكره الباقر عليه السّلام و هو قوله:

فخرج من ذلك الموج و الزبد دخان ساطع من وسطه من غير نار فخلق منه السّماء.

و لا شكّ أنّ القرآن الكريم لا يريد بلفظ الدّخان حقيقته، لأنّ ذلك إنّما يكون عن النّار، و اتّفق المفسّرون على أنّ هذا الدّخان لم يكن عن نار بل عن تنفّس الماء و تبخيره بسبب تموّجه، فهو إذن استعارة للبخار الصاعد من الماء و إذا كان كذلك فنقول:

إنّ كلامه عليه السّلام، مطابق للفظ القرآن الكريم و ذلك أنّ الزّبد بخار يتصاعد على وجه الماء عن حرارة حركته إلّا أنّه ما دامت الكثافة غالبة عليه و هو باق على وجه الماء لم ينفصل فإنّه يخصّ باسم الزبد و ما لطف و غلبت عليه الأجزاء الهوائيّة فانفصل خصّ باسم البخار، و إذا كان الزبد بخارا و البخار هو المراد بالدخان في القرآن الكريم كان مقصده و مقصد القرآن واحد فكان البخار المنفصل هو الّذي تكوّنت عنه السّماوات و الّذي لم ينفصل هو الّذي تكوّنت عنه الأرض و هو الزّبد.

و أمّا وجه المشابهة بين الدّخان و البخار الّذي صحّت لأجله استعارة لفظه فهو أمران:

أحدهما حسّي و هو الصّورة المشاهدة من الدّخان و البخار حتّى لا يكاد يفرق بينهما في الحسّ البصري.

و الثاني معنوي و هو كون البخار أجزاء مائيّة خالطت الهواء بسبب لطافتها عن حرارة الحركة كما أنّ الدّخان كذلك و لكن عن حرارة النّار، فانّ الدّخان أيضا أجزاء مائيّة انفصلت من جرم المحترق بسبب لطافتها عن حرّ النّار فكان الإختلاف بينهما ليس إلّا بالسّبب، فلذلك صحّ استعارة اسم أحدهما للآخر و باللّه التوفيق.

[البحث الخامس]

(في أنّ الماء أصل في تكوين الخلق و بيان جواهر الفرد)

البحث الخامس، قال المتكلّمون:

إنّ هذه (الظواهر) من القرآن، و كلام عليّ عليه السّلام لمّا دلّت على ما دلّت عليه من كون الماء أصلا تكوّنت عنه السّموات و الأرض و غير ذلك، و ثبت أنّ التّرتيب المذكور في المخلوقات أمر ممكن في نفسه، و ثبت أنّ الباري تعالى فاعل مختار قادر على جميع الممكنات، ثمّ لم يقم عندنا دليل عقلي يمنع من اجراء هذه الظواهر على ما دلّت عليه بظاهرها، وجب علينا القول بمقتضى تلك الظواهر، و لا حاجة بنا إلى التأويل.

لا يقال: إنّ جمهور المتكلّمين متّفقون على إثبات جوهر الفرد و أنّ الأجسام مركّبة عنه، فبعضهم يقول:

إن الجواهر كانت ثابتة في عدمها و الفاعل المختار كساها صفة التأليف و الوجود.

و بعضهم و إن منع ثبوتها في العدم إلّا أنّه يقول:

إنّ اللّه تعالى يوجد أوّلا تلك الجواهر، ثمّ يؤلّف بينها فيوجد منها الأجسام، فكيف يقال: إنّ السّموات و الأرض

تكوّنت من الماء، لأنّا نقول: هذا ظاهر لأنّه يجوز أن يخلق اللّه تعالى أوّل الأجسام من تلك الجواهر، ثمّ تكوّن باقي الأجسام عن الأجسام الأول.

و أمّا الحكماء فلمّا لم يكن الترتيب الّذي اقتضته هذه الظواهر في تكوين الأجسام موافقا لمقتضى أدلّتهم لتأخّر وجودها العناصر عندهم عن وجود السّموات، لا جرم عدل بعضهم إلى تأويلهما توفيقا بينها و بين مقتضى أدلّتهم و ذكروا من التأويل وجهين:

(في أنّ العالم عالمان: عالم الأمر و عالم الخلق)

الوجه الأول

، قالوا: العالم عالمان: عالم يسمّى عالم الأمر و هو عالم الملائكة الروحانيّة و المجرّدات، و عالم يسمّى عالم الخلق و هو عالم الجسمانيّة و على ذلك حملوا قوله تعالى:

(أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ) [سورة الأعراف: ۵۴].

ثمّ قالوا: ما من موجود في عالم الجسمانيّات إلّا و له نسبة إلى عالم الرّوحانيّات، و هو مثال له بوجه مّا و لولا ذلك لأنسدّ طريق التّرقي إلى العالم الروحانيّ و تعذّر السفر إلى الحضرة الإلهيّة.

ثمّ كان من بحثهم أن بيّنوا أنّ قدرة اللّه سبحانه ترجع إلى كون ذاته عالمة بالكلّ علما هو مبدأ الكلّ مبدئيّة بالذّات غير مأخوذة عن شيء و لا متوقفة على وجود شيء، ثمّ لمّا دلّ دليلهم على أنّ رتبة صدور عالم الأمر أعلى في الوجود و أسبق نسبته إلى قدرة المبدع الأول من عالم الخلق إذ كان صدور عالم الخلق إنّما هو بواسطة عالم الأمر كان اعتبار إيجاد عالم الأمر عن القدرة أمرا أوّلا و إيجاد عالم الخلق عنها أمرا ثانيا متأخّرا عنه، فعند ذلك قالوا: إنّ الّذي أشار إليه عليه السّلام هاهنا موافق لما أصّلناه و مناسب له، و ذلك أنّه أشار بالأجواء و الأرجاء و سكائك الهواء إلى سلسلة وجود الملائكة المسمّاة بالعقول الفعّالة على مراتبها متنازلة، و بإنشائها إلى إيجادها، و بفتقها و شقّها إلى وجودها، و بالماء المتلاطم المتراكم إلى الكمالات الّتي وجبت عنه سبحانه، و بإجرائه فيها إلى إفاضته على كلّ واحد منها ما استحقّه بواسطة ما قبله، و بالرّيح العاصف إلى الأمر الأوّل الّذي أشرنا إليه عن القدرة.

و أمّا وجه المناسبة بين هذه الأمور و بين ما ذكره، فأمّا في التعبير عن العقول بالأرجاء و الأجواء و السّكائك فمن جهة أنّها قابلة للفيض و الكمالات عن مبدئها الأوّل كما أنّ الأرجاء و الأجواء و سكائك الهواء قابلة للماء عمّا يخرج عنه من سحاب أو ينبوع، و أمّا في تشبيه الفيض بالماء فلأنّه لمّا لم يكن بحيث يتوقّف إلّا على تمام القابل فحيث وجد سأل بطبعه إليه كذلك، كذلك الفيض الإلهي لا يتوقّف صدوره عن واهبة إلّا على تمام القابل لكون الفاعل تامّ الفاعليّة في ذاته، و لأنّ الماء لمّا كان به قوام كلّ حيّ جسمانيّ في عالم الكون، كذلك الفيض الإلهيّ هو مبدأ قوام كلّ موجود قالوا:

و مثل هذا التشبيه جاء في القرآن الكريم، قال جمهور المفسّرين و منهم ابن عبّاس رضي اللّه عنه في قوله تعالى:

أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها [سورة الرّعد: ۱۷].

إنّ المراد بالماء هو العلم، و بالأودية قلوب العباد، و بإنزاله إفاضته على القلوب، و بقوله: فسالت أودية بقدرها: أن كلّ قلب منها يصل إليه مقدار ما يستحقّه و يقبله.

قالوا: و ذلك أنّ اللّه سبحانه أنزل من سماء الكبرياء و الجلالة و الإحسان ماء بيان القرآن و علومه على قلوب العباد، لأنّ القلوب يستقرّ فيها أنوار علوم القرآن كما أنّ الأودية تستقرّ فيها المياه النازلة من السّماء، و كما أنّ كلّ وادي فانّما يحصل فيه من مياه الأمطار ما يليق بسعته و ضيقه، فكذلك هاهنا كلّ قلب إنّما يحصل فيه من أنوار علم القرآن ما يليق بذلك القلب من طهارته و خبثه و قوّة فهمه و بصره و تمام التشبيه في الآية مذكور في التفاسير.

و أمّا تشبيه الأمر الأول بالرّيح العاصفة فلأنّ وقوعه لمّا كان دفعة غير منسوب إلى زمان يتوقّف عليه كان أنسب ما يشبه به من الأجسام في السّرعة و النفوذ و هو الرّيح العاصف لكونها أسرع الأجسام حركة، و لذلك أكّدها بوصف العصف تقريرا للسرعة التّامة.

(وَ ما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ) [سورة القمر: ٥٠].

و بوصف الزعزعة و القصب تحقيقا للقوّة الغالبة و الشدّة الشديدة، و أمّا أمره لها (بردّه) و تسليطها على شدّة فلأنّه لمّا صوّرها بصورة الريح شاع أن يقال: أنّه أمرها و هو عبارة عن نسبة ذلك الأمر إلى ذاته تعالى النّسبة الّتي تحدثها عقولنا الضعيفة، و فائدة الرّد و الشدّ هاهنا هو ضبط أمره سبحانه على وفق حكمته الكمالات الفائضة عنه على كلّ مورد مورد بحسب نوعه المستلزم لردّه عمّن ليس له ذلك الكمال المعيّن، و أمّا قرنها إلى حدّه، فإشارة إلى احاطة أمره سبحانه بما لتلك القوابل من الكمالات الفائضة و اشتماله عليها.

و قوله: الهواء من تحتها فتيق، إشارة إلى قبول القوابل المذكورة، و الماء من فوقها دفيق إشارة إلى ما يحمله أمر اللّه من الفيض المذكور، و يلقيه على تلك القوابل، و كلّ ذلك بترتيب عقليّ لأزمان تلحقه فيعقل فيه التراخي.

و أمّا الريح الثانية، فأشار بها عليه السّلام إلى الأمر الثاني، و وصفها باعتقام مهبّها، إشارة إلى عقد ذلك الأمر و إيقاعه على وفق الحكمة الإلهيّة، و إلى عدم مانع لجريان ذلك الأمر، و بإدامة مربّها إلى إفاضة مقارّ ذلك الأمر فكأنّه شبّه الفيض الصادر بهذا الأمر على هيولات الأجسام الفلكيّة بالديمة الهاطلة على الأماكن الّتي يجتمع بها و يقيم، أو أراد أنّ المحالّ القابلة لذلك الأمر المستلزمة له ذاتيّة دائمة، و أشار بعصف مجراها إلى سرعة ذلك الأمر كما وصف به الريح الأولى، و يبعد منشأها إلى عدم أوليّة مبدائية، و بأمره لهذا الريح إلى نسبة ذلك الأمر إلى ذاته كما مرّ، و بتصفيق الماء الزخار و آثاره أمواج البحار إلى نسبة فيضان صور الأفلاك و كمالاتها إلى أمره سبحانه بواسطة تلك الكمالات الفعليّة للملائكة و أنّها غير مستقلّة بإيجاد شيء بل على شرائط بعضها لبعض و لغيرها، و بالبخار إلى تلك الملائكة و بمخضها له مخض السقاء و عصفها به كعصفها بالفضاء و ترديد بعضه على بعض و إلى قوّة أمر اللّه عليها و تصريفها على حسب علمه بنظام الكلّ و تقدير ما لكلّ فلك من الكمالات في ذات كلّ مبدأ من تلك المبادئ.

و قوله: حتّى عبّ عبابه، إشارة إلى بلوغ الكمالات لتلك الملائكة الحاصلة لها بالفعل عن أمر اللّه إلى رتبه أن يعطي بواسطتها الفيض لغيرها، و كذلك قوله: و رمى بالزبد ركامه، إشارة إلى إعطاء صور الأفلاك و كمالاتها بواسطتها، و لمّا كانت صور الأفلاك محتاجة في قيامها في الوجود إلى الهيولى كانت نسبتها إلى الملائكة

المجرّدة نسبة أخسّ إلى أشرف فبالحريّ أن أطلق عليها اسم الزبد، و لأنّ هذه الصورة حاصلة عن تلك الكمالات العقليّة و فائضة عليها كما أنّ الزّبد منفصل عن الماء و مكوّن عنه فتشابها. و أمّا رفعه في هواء منفتق، و جوّ منفهق، فإشارة إلى إلحاق صور الأفلاك بموادّها المستعدّة أو إلى تخصيص وجود الأفلاك باحيازها و رفعها إليها.

و قوله: فسوّى عنه سبع سماوات، إشارة إلى كمال الأفلاك بما هي عليه من الوضع و التعديل و الترتيب، و أمّا تخصيصه بالسّبع فلأنّ الفلكين الباقيين في الشريعة معروفان باسمين آخرين و هما العرش و الكرسي، ثمّ قالوا: و إلى هذا أشار الحكماء السابقون أيضا، فإنّ مراد تاليس الملطي بالعنصر الأوّل هو المبدع الأوّل و كونه هو الماء، لأنّ المبدع الأوّل واسطة في باقي الموجودات و فيه صورها و عنه تفاض كمالاتها كما أنّ بالماء قوام كلّ حيّ عنصري و بواسطته تكوّن و كذلك سرّ ما جاء في التّوراة، فانّ المراد بالجوهر المخلوق للّه أوّلا هو المبدع الأوّل و كونه تعالى نظر إليه نظر الهيبة، و ذوبان أجزائه إشارة إلى صدور الفيض عنه بأمر اللّه سبحانه و قدرته، و الزّبد الّذي تكوّنت منه الأرض و الدّخان الّذي تكوّنت منه السّماوات إشارة إلى كمالات السّماوات و الأرض و صورها الصادرة عن كمالات عللها صدور البخار و الزبد عن الماء و كلّ هذا تجوّزات و استعارات يلاحظ في تفاوت حسنها قرب المناسبة و بعدها.

الوجه الثاني

قالوا: يحتمل أن يكون مراده بالريح الأولى هو العقل الأوّل فإنّه الحامل للفيض الإلهيّ إلى ما بعده و هو المحيط بصور الموجودات، و يؤيّد ذلك قوله:

الهواء من تحتها فتيق و الماء من فوقها دفيق.

فانّ الهواء إشارة إلى القوابل بعده و بواسطته، و بالماء إشارة إلى الفيض الصادر عن الأوّل سبحانه، فإنّ التدفّق لمّا كان مستلزما لسرعة حركة الماء و جريانه عبّر به عن الفيض الّذي لا توقّف فيه، و بالريح الثانية عن العقل الثاني، فإنّه هو الواسطة في إفاضة أنوار اللّه سبحانه على ما بعده من العقول الّتي بواسطتها تصدر السّموات السّبع، و وصف الريحين بالعصف، و القصف إشارة إلى ما يخصّ هذين المبدئين من القدرة.

و أمره للريح الثانية بتصفيق الماء الزخّار و إثارة موج البحار إشارة إلى تحريك العقل الثاني للعقول الّتي بعده إلى إفاضة كمالات الأفلاك بأمر اللّه تعالى، و باقي التأويل كما في التأويل الأوّل.

قوله: جعل سفلاهنّ موجا مكفوفا، إلى قوله: و سقف سائر، و رقيم مائر.

أقول:

هاهنا أبحاث.

البحث الأوّل

هذا الكلام يجري مجرى الشرح و التفسير لقوله: فسوّى، لأنّ التسوية عبارة عن التعديل و الوضع و الهيئة الّتي عليها السّماوات بما فيهنّ، و الغرض بهذا التفصيل تنبيه الأذهان الغافلة عن حكمة الصانع سبحانه في ملكوت

السّماوات و بدائع صنعه و ضروب نعمه ليتذكّروا نعمة ربّهم فيواظبوا على عبادته و حمده على تمام ذلك الإحسان كما قال تعالى:

ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَ تَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هذا وَ ما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ [سورة الزخرف: ١٣].

فإنّ كلّ هذه نعم على العباد و هي إن كان فيها ما يبعد عن الأذهان الضعيفة كونه نعمه على العباد كحركات السّماوات مثلا، فإنّي أحسب أنّ كثيرا من الغافلين يقولون:

و ما فائدة حركة السّماء في حقّنا لكنّه إذا انتبهت أذهانهم لذلك علمت أنّه لولا تلك الحركة لم يحصل شيء من المركّبات في هذا العالم أصلا فلم يكن العبد في نفسه فضلا عمّا يجري عليه من النعم الخارجة عنه، إلّا أنّ تلك الحركة قد تستلزم نعمة هي أقرب إلى العبد من غيرها كالاستضاءة بنور الكواكب و الاهتداء بها في ظلمات البرّ و البحر و إعدادها الأبدان للصحّة و نحو ذلك، و قد يستلزم نعما أخرى إلى أن يتّصل بالعبد كإعدادها الأرض مثلا لحصول المركّبات الّتي منها قوام حياة العبد.

(في عظمة شأن السّموات)

و اعلم أنّ اللّه سبحانه ذكر أمر السّماوات في كتابه في مواضع كثيرة، و لا شكّ أن إكثاره من ذكرها دليل عظيم شأنها و على أنّ له سبحانه فيها أسرارا لا تصل إليها عقول البشر.

إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ قوله عليه السّلام:

و علياهنّ سقفا محفوظا، كقوله تعالى:

وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً [سورة الأنبياء: ٣٢].

و قوله تعالى: وَ حَفِظْناها مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ رَجِيمٍ [سورة الحجر: ١٧].

و قوله تعالى: وَ حِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ مارِدٍ [سورة الصافات: ٧].

و قوله (ع): و سمكا مرفوعا بغير عمد يدعمها، و لا دسار ينظمها.

كقوله تعالى:

خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها [سورة لقمان: ١٠].

و قوله تعالى: وَ يُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ [سورة الحج: ٦٥].

و قوله (ع): ثمّ زيّنها بزينة الكواكب و ضياء الثّواقب.

كقوله تعالى: إِنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِزِينَةٍ الْكَواكِبِ [سورة الصّافات: ٦].

و قوله عليه السّلام: و أجرى فيها سراجا مستطيرا و قمرا منيرا.

كقوله تعالى: وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً [سورة نوح:۱۶].

البحث الثاني- في هذا الفصل استعارات

الأولى

قوله: جعل سفلاهنّ موجا مكفوفا، استعار لفظ الموج للسّماء (للسمكة) لما بينهما من المشابهة في العلوّ و الارتفاع و ما يتوهّم من اللون، و قال بعض الشارحين:

أراد أنّها كانت في الأولى موجا ثمّ عقدها و كفّها أي منعها من السقوط.

الثانية

قوله: سقفا محفوظا استعار لفظ السقف من البيت للسماء في الأصل لما بينهما من المشابهة في الارتفاع و الإحاطة، ثمّ كثر ذلك الاستعمال حتّى صار اسما من أسماء السّماء و يحتمل أن لا يكون منقولا، و أراد بقوله محفوظا، أي من الشيطان.

قال ابن عبّاس رضي اللّه عنه :

كانت الشياطين لا تحجب عن السّماوات و كانوا يدخلونها و يختبرون أخبارها فلمّا ولد عيسى عليه السّلام منعوا من ثلاث سماوات، فلمّا ولد محمّد صلّى اللّه عليه و آله منعوا من السّماوات كلّها فما منهم أحد استرق السمع إلّا رمى بشهاب فذلك معنى قوله تعالى:

وَ حَفِظْناها مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ رَجِيمٍ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ مُبِينٌ [سورة الحجر: ۱۷- ۱۸].

و سنشير إلى سرّ ذلك إنشاء اللّه تعالى.

قوله: «بغير عمد يدعمها و لا دسار ينتظمها».

أقول: لمّا كان مقتضى قدرة العبد و غايتها إذا تمكّن من بناء بيت و إنشاء سقف، أنّه لا بدّ له من أساطين و عمد يقوم عليها ذلك السقف و روابط تشدّ بعضه إلى بعض و كانت قدرة الحقّ سبحانه و تعالى أجل و أعلى من الحاجة إلى أمثال ذلك، أراد أن يشير إلى عظمته سبحانه و قوّة قهره بسلب صفات المخلوقين عنه و شرائط آثارهم عن قدرته.

و المعنى أنّ هذه الأجرام العظيمة بقيت واقعة في الجوّ العالي و يستحيل أن يكون وقوفها هناك لذواتها، لأنّ الأجسام متساوية في الجسميّة فلو وجب حصول جسم في حيّز لوجب حصول كلّ جسم في ذلك الحيّز، و لأنّ الأحياز و الخلاء متشابه فلا اختصاص فيه لموضوع دون آخر و لا يجوز أن يقال: إنّها معلّقة بجسم آخر و إلّا لكان الكلام في وقوف ذلك الجسم في الجوّ كالكلام في أوّل و يلزم التسلسل فلم يبق إلّا أن يقال: إنّ وقوفها بقدرة الصانع الحكيم القادر المختار.

و إن قلت: قوله تعالى: تَرَوْنَها، يفهم منه أنّ هناك عمد و لكنّها غير مرئيّة لنا و ذلك ينافي سلبه عليه السّلام للعمد مطلقا.

قلت: الجواب عنه من وجوه :

أحدها، أنّه يحتمل أن يكون قوله: ترونها كلاما مستأنفا و التقدير بغير عمد و أنتم ترونها كذلك.

الثّاني، يحتمل أن يكون في الكلام تقديم و تأخير كما نقل عن الحسن البصري أنّه قال: التقدير ترونها بغير عمد.

الثالث، و هو الألطف ما ذكره الإمام فخر الدّين رحمه اللّه فقال: إنّ العماد هو ما يعمد عليه و السّماوات متعمدة و قائمة على قدرة اللّه تعالى فكانت هي العمد الّتي لا ترى و ذلك لا ينافي كلامه عليه السّلام.

الرابع، و هو الأحقّ ما ذكرته و هو أنّه قد ثبت في أصول الفقه: أنّ تخصيص الشيء بحكم لا يدلّ على أنّ حكم غيره بخلاف ذلك الحكم، فتخصيص العمد المرئيّة للسّماوات بالسلب لا يستلزم ثبوت العمد غير المرئيّة لها.

الثالثة الثواقب

استعارة في الأصل للشهب عن الأجسام الّتي تثقب جسما آخر و تنفذ فيه، و وجه المشابهة الّتي لأجلها سمّي الشهاب ثاقبا لأنّه يثقب بنوره الهواء كما يثقب جسم آخر (جسما) لكنّه لكثرة الاستعمال فيه صار إطلاقه عليه حقيقة أو قريبا منها.

الرابعة، قوله: سراجا مستطيرا

استعارة للشّمس و وجه المشابهة أنّ السّراج القويّ المستطير لمّا كان من شأنه أن يضئ ما حوله و ينتشر في جميع نواحي البيت و يهتدي به من الظلمة، كذلك الشّمس مضيئة لهذا العالم و يهتدي بها المتصرّف فيه.

الخامسة، قوله: رقيم

استعارة أصليّة للفلك تشبيها له باللوح المرقوم فيه، ثمّ كثر استعمال هذا اللفظ في الفلك حتّى صار اسما من أسمائه.

[البحث الثالث]

(في تشبيه العالم ببيت واحد)

البحث الثالث، اعلم أنّ هذه الاستعارات تستلزم ملاحظة أخرى و هو تشبيه هذا العالم بأسره ببيت واحد، فالسّماء كقبة خضراء نصبت على الأرض و جعلت سقفا محفوظا محجوبا عن أن تصل إليه مردة الشياطين كما تحمي غرف البيت بالسهام و الحراب عن مردة اللصوص، ثمّ هو مع غاية علوّه و ارتفاعه غير محمول بعمد تدعمه و لا منظوم بدسار يشدّه، بل بقدرة صانعه و مبدعه، ثمّ إنّ تلك القبّة متزيّنة بالكواكب و ضيائها الّذي هو أحسن الزّينة و أكملها، فلو لم يحصل صور الكواكب في الفلك لبقي سطحا مظلما، فلمّا خلق اللّه تعالى هذه الكواكب المشرقة في سطحه لا جرم استنار و زاد بذلك النّور و الضّوء، كما قال ابن عباس في قوله:

بِزِينَةٍ الْكَواكِبِ [سورة الصّافات: ۶].

أي بضوءها.

و أنت إذا تأمّلت هذه الكواكب المشرقة المضيئة في سطح الفلك وجدتها عند النظر إليها كجواهر مرصوصة في سطح من زمرّد على أوضاع اقتضتها الحكمة أو كما قال:

و كأنّ أجرام النجوم لوامعا  درر نثرن على بساط أزرق

ثمّ جعل من جملتها كوكبين هما أعظم الكواكب جرما و أشدّها إشراقا و أتمّها ضياء، و مع اشتمالهما على تمام الحسن و الزينة جعل أحدهما ضياء للنّهار و الآخر ضياء للّيل، ثمّ لم يجعل ذلك السقف ساكنا بل جعله متحرّكا ليكون أثر صنعه فيه أظهر و صنع حكمته فيه أبدع و لم يجعل ذلك السقف طبقا واحدا بل طباقا أسكن في كلّ طبق ملاء من جنوده و خواصّ ملكه الّذين ضربت بينهم و بين من دونهم حجب العزّة و أستار القدرة فلا يستطيع أحد أن ينظر إليهم فضلا عن أن يشبّه بمالكهم و خالقهم سبحانه و تعالى عمّا يقول الظالمون علوّا كبيرا، هذا هو الحكمة الظاهرة الّتي يتنبّه لها من له أدنى فطنة، فيحصل منها عبرة شاملة لأصناف الخلق بحيث إذا لاحظوا مع جزئي من جزئيّات آثار هذه القدرة أيّ أثر كان استعظم و استحسن من أيّ ملك فرض من ملوك الدنيا لم يكن بينهما من المناسبة إلّا خيال ضعيف، فإنّ أيّ ملك فرض إذا همّ بوضع بنيان و بالغ في تحسينه و ترويق سقوفه، و ترصيعها بأنواع الجواهر، و تزيينه بالأوضاع المعجبة لأبناء نوعه، و بذل فيه جهده، و استفرغ فيه فكره، لم يكن غايته إلّا أن يلحظ ممّا عمله نسبة خياليّة بعيدة إلى ظاهر هذا الصنع العجيب و التّرتيب اللطيف، هذا مع اشتمل عليه من الحكم الخفيّة و الأسرار الإلهيّة الّتي تعجز القوى البشريّة عن إدراكها، و يحتاج فيما لاح منها إلى لطف قريحة و توقّد ذهن.

فَسُبْحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [سورة يس: ٨٣].

فانظر أيّها المستبصر بعين بصيرتك المناسبة بين بيتك الّذي تبنيه و هذا البيت العظيم، و قس سراجك إلى سراجه و زينتك إلى زينته ثمّ لاحظ مع ذلك أنّه إنّما خلقه لك و لأبناء نوعك ليكون فيه و منه قوام حياتكم و وجودكم و لتستدلّوا بملكوت ما خلق على كمال قدرته و حكمته لترجعوا بذلك إلى حضرته طاهرين من الرجس متشبّهين بسكّان سقف هذا البيت و غرفه، لا أنّ له حاجة إليه فإنّه الغنيّ المطلق الّذي لا حاجة به إلى شيء، و العجب من الإنسان أنّه ربّما رأى خطّا حسنا أو ترويقا على حائط فلا يزال يتعجّب من حسنه و حذق صانعه، ثمّ يرى هذا الصنع العجيب و الإبداع اللطيف فلا يدهشه عظمة صانعه و قدرته و لا يحيّره جلال مبدعه و حكمته.

[البحث الرابع]

(في تطابق الشرع و البرهان في انّ تعداد الأفلاك تسع)

البحث الرابع، الشرع و البرهان قد تطابقا على أنّ هاهنا تسع أفلاك بعضها فوق بعض، فمنها سبع سماوات ثمّ الكرسي و العرش بعبارة النّاموس الإلهي، ثمّ أكثرها يشتمل على الكواكب و هي أجرام نورانيّة مستديرة مصمتة مركوزة في اجرام الأفلاك.

فأوّل الأفلاك ممّا يلينا ليس فيه من الكواكب إلّا القمر، و ليس في الثاني إلّا عطارد، و ليس في الثالث إلّا الزّهرة، و ليس في الرابع إلّا الشمس، و ليس في الخامس إلّا المريخ، و ليس في السادس إلّا المشتري و ليس في

السابع إلّا زحل، و هذه هي المسمّاة بالكواكب السبعة السيّارة، و ما سواها من الكواكب فيشتمل عليها الفلك الثّامن، و أمّا التّاسع فخال عن الكواكب أو إن كان فليس بمدرك لنا، ثمّ قد دلّ البرهان على أنّ الأفلاك هي المتحرّكة بما فيها من الكواكب و أنّ تلك الحركة دوريّة و كان كلامه عليه السّلام مطابقا لذلك حيث قال:

في فلك دائر، و سقف سائر، و رقيم مائر.

(في أنّ النّظام الموجود نظام أتمّ و أحسن)

إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ اللّه سبحانه خلق الموجودات كلّها على أتمّ أنحاء الوجود و أكمله فجميع الموجودات من الأفلاك و مقاديرها و أعدادها و حركاتها المختلفة هيئاتها، و هيئة الأرض و ما عليها من حيوان و نبات و معدن و نحوه إنّما وجد على الوجه الّذي وجد عليه لحصول النظام الكلّي للعالم و لو كان بخلاف ما عليه لكان شرّا و ناقصا، فخلق الأفلاك و الكواكب و ما هي عليه من الحركات و الأوضاع و جعلها أسبابا لحدوث الحوادث في عالم الكون و الفساد بواسطة كيفيّات تحدثها فيها من حرارة و برودة و رطوبة و يبوسة يوجب ذلك امتزاج بعضها ببعض امتزاجات مختلفة و مستعدّة لقبول صور مختلفة من حيوان و نبات و معدن، و أظهر الكواكب تأثيرا هو الشمس و القمر، فإنّ بحركة الشمس اليوميّة يحصل النهار و الليل، فالنّهار هو زمان طلوعها يكون زمان التكسب و الطلب للمعاش الّذي به يحصل قوام الحياة و يكون سببا إلى السعادة الأخرويّة، ثمّ إنّها في مدّة حركتها اليوميّة لا تزال تدور فتغشى جهة بعد جهة حتّى تنتهي إلى المغرب و قد أخذت كلّ جهة من الجهات حظّا من الإشراق و الاستعداد به.

و أمّا الليل و هو زمان غروبها فإنّ فيها هدوء الخلق و قرارهم الّذي به تحصل الراحة و انبعاث القوّة الهاضمة و تنفيذ الغذاء إلى الأعضاء كما قال تعالى:

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهارَ مُبْصِراً [سورة يونس: ۶۷].

وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً وَ جَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً [سورة النبأ: ۱۰- ۱۱].

ثمّ كانت الشمس من جهة ضوئها كسراج (يرفع) يرتفع لأهل كلّ بيت بمقدار حاجتهم ثمّ يرفع عنهم فصار النّور و الظلمة على تضادّهما متظاهرين على ما فيه مصلحة هذا العالم.

و أمّا بحسب حركاتها الجنوبيّة و الشماليّة فقد جعل سبحانه ذلك سببا لإقامة الفصول الأربعة ففي الشتاء تغور الحرارة و النبات فيتولّد منها موادّ البحار و يكثر السحاب و الأمطار و يقوى أبدان الحيوانات بسبب احتقان الحرارة الغريزيّة في البواطن، و في الربيع تتحرّك الطبائع و تظهر الموادّ المتولّدة في الشتاء فيطلع النبات و ينوّر الشجر و يهيج الحيوان للفساد، و في الصيف يحتدم الهواء و تنحلّ فضول الأبدان و يجفّ وجه الأرض و يتهيّأ للبناء و العمارة، و في الخريف يظهر اليبس و البرد فينتقل فيه الأبدان على التدريج إلى الشتاء فإنّه لو وقع الانتقال دفعة لهلكت و فسدت.

و أمّا القمر فإنّ بحركته تحصل الشهور و الأعوام كما قال سبحانه:

لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ [سورة يونس: ۵].

فيتمكّن العبد بالحساب من ترتيب معاشه بالزراعة و الحراثة و إعداد مهمّات الشتاء و الصيف، و باختلاف حاله في زيادته و نقصانه يختلف أحوال الرطوبات في هذا العالم، فلو أنّه سبحانه خلق الأفلاك دون الكواكب لكان إن خلقها مظلمة لم يحصل ما ذكرنا من اختلاف الفصول و الحرّ و البرد، فلم يتمّ في هذا العالم ما كانت أسبابا فيه من الاستعدادات و لم يتميّز لنا «فصل عن فصل» قصد عن قصد كما قال تعالى:

وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ [سورة النحل: ١۶].

و قوله:

وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ [سورة الأنعام: ٩٧].

و ان خلقها مضيئة تشابه أثرها في الأمكنة و الأزمنة، بل خلق فيها الكواكب و لم يخلقها ساكنة و إلّا لأفرط أثرها في موضع بعينه فيفسد استعداده و يخلوا موضع آخر عن التأثيرات، و لمّا تميّزت فصول السّنة، و لمّا حصل البرد المحتاج إليه و الحرّ المحتاج إليه فلم يتمّ نشوء النبات و الحيوان، و على الجملة فالنظام الكلّي لا يحصل إلّا فهو أكمل أنحاء الوجود، كلّ ذلك يدلّ على كمال رحمة اللّه بخلقه و شمول عنايته لهم، إذ كان جميع ما ذكرناه من المنافع الحاصلة في هذا العالم مستندة إلى علوّ تدبيره و كمال حكمته كما قال تعالى:

وَ سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبَيْنِ وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ وَ آتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ [سورة إبراهيم: ٣٣- ٣۴].

لا يقال: السئوال على ما ذكرتم من وجهين:

أحدهما، أنّ الترتيب الّذي ذكرتموه في تخصيص كلّ فلك ببعض الكواكب يشكل بقوله تعالى:

إِنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِزِينَةٍ الْكَواكِبِ [سورة الصافات: ۶].

و قوله تعالى:

وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ [سورة الملك: ۵].

الثاني، أنّ الشهب الثواقب الّتي جعلت رجوما للشياطين على ما نطق به القرآن الكريم، إمّا أن يكون من الكواكب الّتي زيّنت بها السّماء أو لا تكون، و الأوّل باطل، لأنّ هذه الشهب تبطل بالانقضاض و تضمحلّ فكان يلزم من ذلك على مرور الزمان فناء الكواكب و نقصان أعدادها، و معلوم أنّه لم يوجد ذلك النقصان ألبتة. و الثاني أنّه يشكل بقوله تعالى:

وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَ جَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ [سورة الملك:۵].

فإنّه نصّ على كون الشهب الّتي جعلت رجوما للشياطين هي تلك المصابيح و الكواكب الّتي زيّنت بها السّماء.

لأنّا نجيب عن الأوّل: بأنّه لا تنافي بين ظاهر الآية و بين ما ذكرناه، و ذلك أنّ السّماء الدّنيا لمّا كانت لا تحجب ضوء الكواكب و كانت أوهام الخلق حاكمة عند النظر إلى السماء و مشاهدة الكواكب بكونها مزيّنة بها لا جرم صحّ قوله تعالى:

إِنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِزِينَةٍ الْكَواكِبِ.

لأنّ الزّينة با إنّما هي بالنسبة إلى أوهام الخلق للسّماء الدنيا.

و عن الثاني أنّا نقول: هذه الشهب غير تلك الثواقب الباقية.

فأمّا قوله:

زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَ جَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ.

فنقول: كلّ مضيء حصل في الجوّ العالي أو في السّماء فهو مصباح لأهل الأرض إلّا أنّ تلك المصابيح، منها باقية على طول الزمان و هي الثوابت، و منها متغيّرة و هي الشهب الّتي يحدثها اللّه تعالى و يجعلها رجوما للشياطين و يصدق عليها أنّها زينة للسّماء أيضا بالنسبة إلى أوهامنا و باللّه التوفيق.

قوله: ثمّ فتق ما بين السّماوات العلى إلى قوله: و لا يشيرون إليه بالنظائر. و فيه أبحاث:

البحث الأوّل، هذا الفصل أيضا من تمام التفسير لقوله:

«فسوّى منه سبع سماوات».

إذ كان ما أشار إليه هاهنا من فتق السّماوات إلى طبقاتها و إسكان كلّ طبقة منها ملاء معينا من ملائكته هو من تمام التسوية و التعديل لعالم السّماوات.

فإن قلت: لم أخّر ذكر فتق السّماوات و إسكان الملائكة لها عن ذكر إجراء الشّمس و القمر فيها و تزيينها بالكواكب، و معلوم أنّ فتقها متقدّم على اختصاص بعضها ببعض الكواكب.

قلت: إنّ إشارته عليه السّلام إلى تسوية السّماوات إشارة جميلة فكانّه قدّر أوّلا أنّ اللّه خلق السّماوات كرة واحدة كما عليه بعض المفسّرين لقوله تعالى:

أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً [سورة الأنبياء: ٣٠].

ثمّ ذكر علياهنّ و سفلاهنّ لجريانهما مجرى السطحين الداخل و الخارج لتلك الكرة، ثمّ أشار إلى بعض كمالاتها و هي الكواكب و الشمس و لقمر جملة، ثمّ بعد ذلك أراد التفصيل فأشار إلى تفصيلها و تمييز بعضها عن بعض بالفتق، و إسكان كلّ واحدة منهن ملاء معيّنا من الملائكة ثمّ عقّب ذلك بتفصيل الملائكة، و لا شكّ أنّ تقديم الإجمال في الذكر و تعقيبه بالتفصيل أولى في الفصاحة و البلاغة في الخطابة من العكس.

إذا عرفت ذلك فنقول: قوله عليه السّلام:

ثمّ فتق ما بين السّماوات العلى كقوله تعالى:

أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما [سورة الأنبياء: ٣٠].

و قوله:

«فملأهنّ أطوارا من ملائكته منهم سجود لا يركعون».

كقوله تعالى:

وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ [سورة الرعد: ۱۵].

و قوله:

وَ لَهُ يَسْجُدُونَ، [سورة الأعراف: ۲۰۶].

و نحوه و قوله: و صافّون لا يتزايلون، كقوله تعالى:

وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ [سورة الصّافات: ۱۶۵].

وَ الصَّافَّاتِ صَفًّا [سورة الصّافات: ۱].

و قوله: و مسبّحون لا يسأمون، كقوله تعالى:

يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ هُمْ لا يَسْأَمُونَ [سورة فصّلت: ۳۸].

و قوله: و لا فترة الأبدان، كقوله تعالى:

لا يَفْتُرُونَ [سورة الأنبياء: ۲۰].

قوله: و منهم أمناء على وحيه، كقوله تعالى:

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ [سورة الشعراء: ۱۹۴].

و قوله: و ألسنة إلى رسله، كقوله تعالى:

جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا [سورة فاطر: ۱].

و قوله: مختلفون بقضائه و أمره، كقوله:

تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ [سورة القدر: ۴].

و قوله تعالى:

يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ [سورة النحل: ۲].

و قوله: و منهم الحفظة لعباده، كقوله تعالى:

يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً [سورة الأنعام: ۶۱].

و قوله:

وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ [سورة الانفطار: ١٠].

و قوله:

لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ [سورة الرعد:١١].

و قوله: و السدنة لأبواب جنانه، كقوله تعالى:

وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها [سورة الزمر: ٧١- ٧٣].

و قوله: و المناسبة لقوائم العرش أكتافهم، كقوله تعالى:

وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ [سورة الحاقة: ١٧].

و قوله: بأجنحتهم كقوله تعالى:

أُولِي أَجْنِحَةٍ [سورة فاطر: ١].

(تفصيل الأقوال في تفسير الآية: أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ ...))

البحث الثاني، اعلم، أنّ للنّاس في تفسير قوله:

أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما [سورة الأنبياء: ٣٠].

: أحدها، قال ابن عبّاس و الضحّاك و عطاء و قتادة:

إنّ السماء و الأرض كانتا شيئا واحدا ملتزمتين ففصّل اللّه بينهما في الهواء.

الثاني، قال كعب: خلق اللّه السّماوات و الأرض بعضها على بعض ثمّ خلق ريحا توسّطها ففتحها بها.

الثالث، قال مجاهد و السّدى: كانت السّماوات طبقة واحدة ففتقها و جعلها سبع سماوات و كذلك الأرض.

الرابع، قال عكرمة و عطيّة و ابن عبّاس برواية أخرى عنه:

إنّ معنى كون السّماء رتقا أنّها كانت لا تمطر، و كانت الأرض رتقا أي لا تنبت نباتا، ففتق اللّه السّماء بالمطر و الأرض بالنبات، و يؤيّد ذلك قوله تعالى بعد ذلك:

وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ [سورة الأنبياء: ٣٠].

و نظيره قوله تعالى:

فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ [سورة القمر: ١١].

و قوله:

وَ الْأَرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ [سورة الطارق: ١٢].

و قوله تعالى:

أَنَّا صَبَبْنَا الْماءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنا فِيها حَبًّا [سورة عبس: ۲۵- ۲۷].

الخامس، قال بعض الفضلاء: إنّ معنى قوله كانتا رتقا أي كانت أمورا كلّية في علم اللّه تعالى و في اللوح المحفوظ، و قوله: ففتقناهما إشارة إلى تشخّصاتها في الوجود الخارجي و تمييز بعضها عن بعض، و هذا القول مناسب للأقوال الثلاثة الأول، و يصلح تحقيقا لها، و يحمل الريح الّتي ذكرها كعب على أمر اللّه تعالى استعارة لما بينهما من المشابهة في السرعة.

السّادس، قال بعضهم: إنّ معنى الرّتق في هذه الآية هو انطباق دائرة معدّل النّهار على فلك البروج، ثمّ إنّ الفتق بعد ذلك عبارة عن ظهور الميل، قالوا: و ممّا يناسب ذلك قول ابن عباس و عكرمة، فإنّهم لمّا قالوا: إنّ معنى كون السّماء رتقا أنّها لا تمطر، و معنى كون الأرض رتقا أنّها لا تنبت، كان الفتق و الرتق بالمعنى الّذي ذكرناه إشارة إلى أسباب ما ذكروه، إذ انطباق الدائرتين و هو الرتق يوجب خراب العالم السفلى و عدم المطر، و ظهور الميل الّذي هو الفتق يوجب وجود الفصول و ظهور المطر و النبات و سائر أنواع المركّبات.

إذا عرفت (ذلك) هذا فاعلم، أن قوله عليه السّلام:

«ثمّ فتق ما بين السّموات العلى».

موافق للأقوال الثلاثة الأولى مع القول الخامس، و التحقيق به أليق، و أمّا القول السّادس فهو بعيد المناسبة لقوله عليه السّلام، و بيان ذلك: أنّ قوله: ثمّ فتق ما بين السّموات العلى إنّما هو في معرض بيان كيفيّة تخليق العالم الأعلى، و لذلك أردفه و عقّبه بالفاء في قوله:

«فملأهنّ أطوارا من ملائكته».

و الرتق و الفتق في هذا القول متأخّر عن كلام الأجرام العلويّة بما فيها و ما يتعلّق بها و لا يقبل تقدّم ظهور الميل بوجه مّا على وجود الملائكة السّماويّة و إسكانها أطباق السّماوات و باللّه التوفيق.

## ۱-۵-۱۰-۲-۲-۲-۶(في بيان أنواع الملائكة و أصنافها)

(في بيان أنواع الملائكة و أصنافها)

البحث الثالث،

الملائكة على أنواع كثيرة و مراتب متفاوتة

فالمرتبة الأولى، الملائكة المقربون

كما قال تعالى:

نْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَ لَا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ

[سورة النساء:۱۷۲].

الثانية، الملائكة الحاملون للعرش

كقوله:

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ [سورة غافر: ۷].

و قوله:

وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ [سورة الحاقة: ۱۷].

الثّالثة، الحافّون حول العرش

كما قال تعالى:

وَ تَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ [سورة الزمر: ۷۵].

و قوله:

وَ مَنْ حَوْلَهُ [سورة غافر: ۷].

الرّابعة، ملائكة السّموات و الكرسي

الخامسة، ملائكة العناصر

السادسة، الملائكة الموكّلون بالمركّبات

من المعدن و النبات و الحيوان.

السابعة، الملائكة الحفظة الكرام الكاتبون

كما قال تعالى:

وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِراماً كاتِبِينَ [سورة الانفطار: ۱۰].

و يدخل فيهم المعقّبات المشار إليه بقوله تعالى:

لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ [سورة الرعد: ۱۱].

الثامنة، ملائكة الجنّة و خزنتها

كما قال تعالى:

وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ [سورة الزمر: ۷۳].

التّاسعة، ملائكة النار

كما قال تعالى:

عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ [سورة التحريم: ۶].

و قال:

عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ [سورة المدثر: ۳۰].

و قال:

وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النَّارِ إِلَّا مَلائِكَةً [سورة المدثر: ۳۱].

إذا عرفت ذلك، فنقول: اتّفق الكلّ على أنّ الملائكة ليس عبارة عن أشخاص جسمانيّة كثيفة تجيء و تذهب كالناس و البهائم بل القول المحصّل فيها قولان:

الأوّل، هو قول المتكلّمين: إنّها أجسام نورانيّة إلهيّة خيّرة سعيدة قادرة على التصرّفات السريعة، و الأفعال الشاقّة، ذوات عقول و أفهام، و بعضها أقرب عند اللّه من البعض و أكمل درجة، كما قال تعالى حكاية عنهم:

وَ ما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ [سورة الصافات: ۱۶۴].

و القول الثاني، قول غيرهم و هي: أنّها ليست بأجسام لكنّ منها ما هو مجرّد عن الجسميّة، و عن تدبير الأجسام، و منها من له الأمر الأوّل دون الثاني، و منها من ليس بمجرّد بل جسمانيّ حالّ في الأجسام و قائم بها و لهم في تنزيل المراتب المذكورة على قولهم تفصيل.

أمّا المقرّبون فإشارة إلى الذوات المقدّسة عن الجسميّة و الجهة، و عن حاجتها إلى القيام بها و عن تدبيرها.

و أمّا حملة العرش فالأرواح الموكّلة بتدبير العرش، و قيل هم الثمانية المذكورة في القرآن الكريم:

وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ [سورة الحاقة: ۱۷].

و هم رؤساء الملائكة المدبّرين للكرسي و السّماوات السبع، و ذلك أنّ هذه الأجرام لها كالأبدان فهي بأبدانها أشخاص حاملون للعرش فوقهم.

و أمّا الحافّون حول العرش فقيل: هم صفوف و أقربهم إلى العرش هي الأرواح الحاملة للكرسي، و الموكّلة و المتصرّفة فيه.

و أمّا ملائكة السّماوات، فالأرواح الموكّلة بها و المتصرفة (المتعرّفة) فيها بالتحريك الإدارة (الإرادة) بإذن اللّه عزّ و جلّ، و كذلك ملائكة العناصر و الجبال و البحار و البراري و القفار و سائر المركّبات من المعدن و النبات و الحيوان المسخر كلّ منها لفعله المخصوص على اختلاف مراتبها.

و أمّا الملائكة الحافظون الكرام الكاتبون فلهم فيها أقوال:

أحدها، قال بعضهم: إنّ اللّه تعالى خلط الطبائع المتضادّة و ممزّج بين العناصر المتنافرة حتّى استعدّ ذلك الممزج بسبب ذلك الامتزاج لقبول النّفس المدبّرة و القوى الحسيّة و المحرّكة.

فالمراد بتلك الحفظة الّتي أرسلها اللّه، هي تلك النفوس و القوى الّتي تحفظ تلك الطبائع المقهورة على امتزاجاتها و هي الضابطة على أنفسها أعمالها، و المكتوب في ألواحها صور ما تفعله لتشهد به على أنفسها يوم القيامة كما قال تعالى:

لُوا شَهِدْنا عَلى أَنْفُسِنا وَ غَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَ شَهِدُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ [سورة الأنعام: ١٣٠].

و هي المعقّبات من بين يدي الإنسان و من خلفه الحافظون له من أمر اللّه، و قيل:

الحفظة للعباد غير الحفظة على العباد و الكاتبين لأعمالهم، و سنشير إلى ذلك.

الثاني، قال بعض القدماء: إنّ هذه النفوس البشريّة و الأرواح الإنسانيّة مختلفة بجواهرها، فبعضها خيّرة و بعضها شريرة، و كذا القول في البلادة، و الزكاء و الفجور و العفّة و الحريّة و الهذالة و الشرف و الدنائة و غيرها من الهيئات، و لكلّ طائفة من هذه الأرواح السفليّة روح سماويّ هو لها كالأب المشفق و السيّد الرحيم يعينها على مهمّاتها في يقظتها و مناماتها، تارة على سبيل الرؤيا و أخرى على سبيل الإلهامات، و هي مبدء لما يحدث فيها من خير و شرّ، و تعرف تلك المبادئ في مصطلحهم بالطباع التّامّ، يعني أنّ تلك الأرواح الفلكيّة في تلك الطباع و الأخلاق تامّة كاملة بالنسبة إلى هذه الأرواح السفليّة و هي الحافظة لها و عليها كما قال تعالى:

فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرامٍ بَرَرَةٍ [سورة عبس: ١٣- ١٦].

الثالث، قول بعضهم: إنّ للنفوس المتعلّقة بهذه الأجساد مشاكلة و مشابهة مع النفوس المفارقة عن الأجساد فيكون لتلك المفارقة ميل إلى النفوس الّتي لم تفارق فيكون لها تعلّق أيضا بوجه مّا بهذه الأبدان بسبب ما بينها و بين نفوسها من المشابهة و الموافقة فتصير معاونة لهذه النفوس على مقتضى طباعها، و شاهدة عليها كما قال تعالى:

ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [سورة ق: ١٨].

وَ جاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَ شَهِيدٌ [سورة ق: ٢١].

و أمّا ملائكة الجنّة، فاعلم أنّ الجنان المذكورة في القرآن ثمان ، و هي: جَنَّةِ النَّعِيمِ [سورة الشعراء: ٨٥]، و جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ [سورة الكهف: ١٠٧]، و جَنَّةُ الْخُلْد [سورة الفرقان: ١٥]، و جَنَّةُ الْمَأْوى [سورة النجم: ١٥]، و جَنَّات عَدْنٍ [سورة مريم: ٦١ و في سور كثيرة]، و دارُ السَّلامِ [سورة الأنعام: ١٢٧]، و دارُ الْقَرارِ [سورة غافر: ٣٩]، و جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ [سورة آل عمران: ١٣٣]، و من وراء الكلّ عرش الرّحمن ذي الجلال و الإكرام.

(سكّان الجنان و خزّانها)

إذا عرفت ذلك، فاعلم، أنّ لهذه الجنان سكّانا و خزّانا من الملائكة.

أمّا السّكان، فهم الّذين عند ربّك لا يستكبرون عن عبادته و لا يستحسرون، يسبحون اللّيل و النّهار لا يفترون، و هم الّذين يتلقّون عباد اللّه الصالحين، بالشّفقة و البشارة بالجنّة، و ذلك أنّ الإنسان الطائع إذا أكملت طاعته و بلغ النهاية في الصورة الإنسانيّة و استحقّ بأعماله الصالحة و ما اكتسبه من الأفعال الزكيّة صورة ملكيّة، و رتبة سماويّة تلقّيه الملائكة الطيّبون بالرأفة و الرّحمة و الشفقة، و تقبّلوه بالروح و الرّيحان، و قبلوه كما تقبل القوابل و الرايات أولاد الملوك بفاخر أمور الدّنيا و طيّبات روائحها من مناديل السندس و الإستبرق، و بالفرح و السرور، و مرّوا به إلى الجنّة فيعاين من البهجة و السرور ما لا عين رأت ، و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر، و يبقى معهم عالما درّاكا ما شاء ربّك عطاء غير مجذوذ، و يتّصل بإخوانه المؤمنين في الدنيا أخباره و أحواله، و يتراءى لهم في مناماتهم بالبشارة و السعادة و حسن المنقلب، و إذا كان يوم القيامة الكبرى عرجت به ملائكة الرحمة إلى جنان النعيم و السرور المقيم لا يذوقون فيها الموت إلّا الموتة الأولى في غرف من فوقها غرف مبنيّة، تجري من تحتهم الأنهار، وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ [سورة يونس: ١٠].

قال بعض حكماء الإسلام: إنّ تلك الملائكة المتلقّية له بالروح و الريحان هي روحانيّات الزهرة و المشتري و كأنّ القائل يقول: إنّ النفوس الإنسانيّة السعيدة إذا فارقت أبدانها و حملت القوّة المتوهّمة معها و الهيئات المتخيّلة الّتي حصلت من الوعد الكريم في دار الدنيا من الجنان و الحدائق و الأنهار و الأثمار و الحور العين و الكأس المعين و اللؤلؤ و المرجان و الولدان و الغلمان فإنّه يفاض عليها بحسب استعدادها و طهارتها و رجاء ثواب الآخرة، صورة عقليّة في غاية البهاء و الزينة مناسبة لما كانت متخيّلة من الأمور المذكورة مناسبة مّا، و لما كان لهذين الكوكبين أثر تامّ في إعداد النفوس للمتخيّلات البهيّة الحسنة، و للفرح و السرور كما ينسب في المشهور إلى روحانيتهما من الأفعال الحسنة نسب تلقّى الإنسان بعد المفارقة بالرأفة و الرّحمة و الشفقة إلى روحانيتهما، و اللّه أعلم.

أمّا الخزنة للجنان، فيشبه أن يكون هم السكّان لها أيضا باعتبار آخر، و ذلك أنّه لما كان الخازن هو المتولّي لأحوال أبواب الخزانة بفتحها و تفريق ما فيها على مستحقيها بإذن ربّ الخزانة و مالكها، و غلقها و منعها عن غير مستحقّها و كانت الملائكة هم المتولّون لإفاضة الكمالات و تفريق ضروب الإحسان و النعم على مستحقّيها و حفظها و منعها من غير مستحقّيها و المستعدّين بالطاعة لها بإذن اللّه و حكمته لا جرم صدق أنّهم خزّان الجنان بهذا الإعتبار، و هم الّذين يدخلون على المؤمنين من كلّ باب:

سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ [سورة الرّعد: ٢٤].

قال بعض الفضلاء: إنّ العبد إذا راض نفسه حتّى استكمل مراتب القوّة النظريّة، و مراتب القوّة العمليّة فإنّه يستعدّ بكلّ مرتبة من تلك المراتب لكمال خاص يفاض عليه من اللّه تعالى و تأتيه الملائكة فيدخلون عليه من كلّ باب من تلك الأبواب بالسّلام و التحيّة و الإكرام ثمّ إنّ الرضاء بقضاء اللّه من خير و شرّ، باب عظيم من تلك الأبواب فالملك الّذي يدخل على الإنسان منه برضاء اللّه كما قال تعالى:

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ [سورة المائدة: ١١٩].

هو رضوان خازن الجنان و اللّه أعلم.

و أمّا ملائكة النّار، فقال بعض الفضلاء: هي تسعة عشر نوعا من الزبانية لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ [سورة التحريم:

۶]، و هم الخمسة الّذين ذكرنا أنّهم يوردون عليه الأخبار من خارج، و رئيسهم و الخازنان و الحاجب و الملك المتصرّف بين يديه بإذن ربّه، و ملكا الغضب و الشّهوة، و السبعة الموكّلون بأمر الغذاء، و ذلك أنّه إذا كان يوم الطامّة الكبرى و كان الإنسان ممّن طغى و آثر الحياة الدّنيا حتّى كانت الجحيم هي المأوى كانت أولئك التسعة عشر من الزبانية هم الناقلين له إلى الهاوية بسبب ما استكثر من المشتهيات، و اقترف من السيّئات و أعرض عن قوله تعالى:

وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى ثُمَّ يُجْزاهُ الْجَزاءَ الْأَوْفى وَ أَنَّ إِلى رَبِّكَ الْمُنْتَهى [سورة النجم: ۳۹- ۴۱].

و اعلم وفّقك اللّه أنّ هؤلاء الّذين ذكر هذا القائل، أنّهم ملائكة النّار ربّما كانوا أيضا مع إنسان آخر من ملائكة الجنان، و ذلك إذا استخدمهم ذلك الإنسان في دار الدنيا على وفق أوامر اللّه، و أوفقهم على طاعة اللّه دون أن يطلب منهم فوق ما خلقوا لأجله و أمروا به من طاعته، و يعبر بهم إلى معصية اللّه و ارتكاب نواهيه و محارمه و باللّه التوفيق.

البحث الرابع، أنّه عليه السّلام ذكر من الملائكة أنواعا و أشار بالسجود و الركوع و الصفّ و التسبيح إلى تفاوت مراتبهم في العبادة و الخضوع (الخشوع)، و ذلك أنّ اللّه سبحانه قد خصّ كلّا منهم بمرتبة معيّنة من الكمال في العلم و القدرة لا يصل إليها من دونه، و كلّ من كانت نعمة اللّه عليه أكمل و أتمّ كانت عبادته أعلى و طاعته أوفى ثمّ إنّ السجود و الركوع و الصفّ و التسبيح عبادات متعارفة بين الخلق و متفاوتة في استلزام كمال الخضوع و الخشوع، و لا يمكن حملها على ظواهرها المفهومة منها لأنّ وضع الجبهة على الأرض و انحناء الظهر و الوقوف في خطّ واحد و حركة اللسان بالتسبيح أمور مبنيّة على وجود هذه الآلات الّتي هي خاصّة ببعض الحيوانات فبالحريّ أن يحمل تفاوت المراتب المذكورة لهم على تفاوت كمالاتهم في الخضوع و الخشوع لكبرياء اللّه و عظمته إطلاقا للفظ الملزوم على لازمه على أنّ السجود في اللغة هو الانقياد و الخضوع كما مرّ.

إذا عرفت ذلك، فنقول: يحتمل أن يكون قوله عليه السّلام: منهم سجود، إشارة إلى مرتبة الملائكة المقربين لأنّ درجتهم أكمل درجات الملائكة فكانت نسبة عبادتهم و خضوعهم إلى خضوع من دونهم كنسبة خضوع السجود إلى خضوع الركوع.

فإن قلت: إنّه قد تقدّم أنّ الملائكة المقربين مبرّؤون عن تدبير الأجسام و التعلّق بها فكيف يستقيم أن يكونوا من سكّان السّماوات و من الأطوار الّذين ملئت بهم.

قلت: إنّ علاقة الشّيء بالشيء و إضافته إليه يكفي فيها أدنى مناسبة بينهما، و المناسبة هاهنا حاصلة بين الأجرام السماويّة و بين هذا الطور من الملائكة و هي مناسبة العلّة للمعلول أو الشرط للمشروط، فكما جاز أن ينسب الباري جلّ جلاله إلى الإختصاص بالعرش و الإستواء عليه في لفظ القرآن الكريم مع تنزيهه تعالى و تقدّسه عن هذا الظّاهر، و لم يجز في الحكمة أن يكشف للخلق من عظمة الحقّ سبحانه أكثر من هذا القدر، فكذلك جاز أن ينسب الملائكة المقربون إلى الكون في السّماوات بطريق الأولى و ان تنزّهوا عن الأجسام و تدبيرها، لأنّ عليّا عليه السّلام قاصد مقصد الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و قصد القرآن الكريم و ناطق به، فليس له أن يفصح بما تنبوا عنه الأفهام، و باللّه التوفيق.

و قوله: و ركوع، يشبه أن يكون إشارة إلى حملة العرش إذ كانوا أكمل ممّن دونهم فكانت نسبة عبادتهم إلى عبادة من دونهم كنسبة خضوع الركوع إلى خضوع الصفّ.

قوله: و صافّون، يحتمل أن يكون إشارة إلى الملائكة الحافّين من حول العرش.

قيل: إنّهم يقفون صفوفا لأداء العبادة كما أخبر تعالى عنهم:

وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ [سورة الصّافات: ١۶۵].

و تحقيق ذلك، أنّ لكلّ واحد منهم مرتبة معيّنة و درجة معيّنة من الكمال يخصّه و تلك الدرجات باقية غير متغيّرة و ذلك يشبه الصفوف.

و ممّا يؤيّد القول بأنّهم الحافّون حول العرش ما جاء في الخبر:

أنّ حول العرش سبعين ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل و التكبير، و من ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد إلّا و هو يسبّح.

قوله: و مسبّحون، يحتمل أن يكون المراد بهم الصّافون و غيرهم من الملائكة، و الواو العاطفة و إن اقتضت المغايرة إلّا أنّ المغايرة حاصلة، إذ هم من حيث هم صافّون غيرهم من حيث هم مسبّحون، و تعدّد هذه الاعتبارات يسوّغ تعديد الأقسام بحسبها، و عطف بعضها على بعض، و يؤيّد ذلك الجمع بين كونهم صافّين و بين كونهم مسبّحين في قوله تعالى:

وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ [سورة الصافات: ١۶۵].

و يحتمل أن يريد نوعا و أنواعا أخر من ملائكة السّماوات، فأمّا سلب الركوع عن السّاجدين، و سلب الانتصاب عن الراكعين، و سلب المزائلة عن الصافّين، و سلب السأم عن المسبّحين، فإشارة إلى كمال في مراتبهم المعيّنة، كلّ بالنّسبة إلى من هو دونه، و تأكيد لها بعدم النقصانات اللاحقة فإنّ الركوع و إن كان عبادة إلّا أنّه نقصان بالنّسبة إلى السّجود، و الانتصاب نقصان في درجة الراكع بالنّسبة إلى ركوعه، و كذلك التزايل انفصال عن مرتبة الصفّ و نقص فيها، و كذلك السأم في التسبيح نقصان فيه و إعراض عن الجهة المقصودة به و أيضا فالسأم و الملال عبارة عن إعراض النفس عن الشيء بسبب كلال بعض القوى الطبيعيّة عن أفعالها، و ذلك غير متصوّر في حقّ الملائكة السّماويّة. و أمّا سلب غشيان النوم عنهم في قوله لا يغشاهم نوم العيون فهو ظاهر الصّدق:

و بيانه أنّ غشيان النوم لهم مستلزم لصحّة النوم عليهم و اللّازم باطل في حقّهم فالملزوم مثله، أمّا الملازمة فظاهرة، و أمّا بطلان اللّازم فلأنّ النوم عبارة عن تعطيل الحواس الظاهرة عن أفعالها لعدم انصباب الروح النفساني إليها و رجوعها بعد الكلال و الضعف، و الملائكة السّماويّة منزّهون عن هذه الأنساب و الآلات، فوجب أن يكون النوم غير صحيح في حقّهم فوجب أن لا يغشاهم، و أمّا سلب سهو العقول و غفلة النسيان.

فاعلم أنّ الغفلة عبارة عن عدم التفطن للشيء و عدم تعقّله بالفعل، و هي أعمّ من السّهو و النسيان، و كالجنس لهما.

بيان ذلك أنّ السّهو هو الغفلة عن الشيء مع بقاء صورته، أو معناه في الخيال، أو الذّكر بسبب اشتغال النّفس و

التفاتها إلى بعض مهمّاتها، و أمّا النسيان فهو الغفلة عنه مع انمحاء صورته، أو معناه عن إحدى الخزانتين بالكلّيّة، و لذلك يحتاج النّاسي للشيء إلى تجشّم كسب جديد و كلفة في تحصيله ثانيا، و لهذا يظهر الفرق بين الغفلة و السّهو و النّسيان.

و إذا عرفت ذلك ظهر أنّ هذه الأمور الثلاثة من لواحق القوى الإنسانيّة، فوجب أن تكون مسلوبة عن الملائكة السّماويّة لسلب معروضاتها عنهم، و لمّا ذكر سهو العقول و نفاه عنهم أردفه بسلب ما هو أعمّ منه و هو الغفلة لاستلزام سلبها سلب النسيان، و قد كان ذلك كافيا في سلب النسيان إلّا أنّه أضاف الغفلة إليه ليتأكّد سلبه بسلبها.

و أمّا قوله: و لا فترة الأبدان، فلأنّ الفترة هي وقوف الأعضاء البدنيّة عن العمل و قصورها بسبب الخلل الأرواح البدنيّة و ضعفها و رجوعها للاستراحة، و كلّ ذلك من توابع المزاج الحيواني فلا جرم صدق سلبها عنهم.

قوله: و منهم أمناء على وحيه و ألسنة رسله مختلفون بقضائه و أمره.

يشبه أن يكون هذا القسم داخلا في الأقسام السابقة من الملائكة، و إنّما ذكره ثانيا باعتبار وصف الأمانة على الوحي و الرّسالة، و الإختلاف بالأمر إلى الأنبياء عليهم السّلام و غيرهم، لأنّ من جملة الملائكة المرسلين جبرئيل عليه السّلام و هو من الملائكة المقرّبين.

و اعلم لمّا ثبت أنّ الوحي و سائر الإضافات (الإفاضات) من اللّه تعالى على عباده إنّما هو بواسطة الملائكة، كما علمت كيفيّة ذلك، لا جرم صدق أنّ منهم أمناء على وحيه و ألسنة إلى رسله إذ كان الأمين هو الحافظ لما كلّف بحفظه على ما هو عليه ليؤدّيه إلى مستحقّه.

و إفاضة الوحي النازل بواسطة الملائكة محفوظة نازلة كما هي مبرّاة عن الخلل الصّادرة عن سهو لعدم معروضات السهو هناك، أو عن عمد لعدم الدّاعي إليه، و لقوله تعالى:

يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ [سورة النحل: ۵۰].

و أمّا كونهم ألسنة إلى رسله، فهي استعارة حسنة، إذ يقال: فلان لسان قومه، أي المفصح عن أحوالهم و المخاطب عنهم فيطلق عليه اسم اللسان لكونه مفصحا عمّا في النفس، و لمّا كانت الملائكة وسائط بين الحقّ سبحانه، و بين رسله في تأدية خطابه الكريم إليهم لا جرم حسن استعارة هذا اللفظ لهم لمكان المشابهة.

و المراد هاهنا بالاختلاف: «التّردد بأمر اللّه» و ما قضى به مرّة بعد أخرى، و بالقضاء: الأمور المقضيّة إذ يقال: هذا قضاء اللّه أي مقضي اللّه، و لا يراد به المصدر فانّ معنى ذلك هو سطر ما كان و ما يكون في اللوح المحفوظ بالعلم الإلهي، و ذلك أمر قد فرغ منه، كما قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

جفّ القلم بما هو كائن .

فإن قلت: كيف يصحّ أن يكون هذا القسم داخلا في السجود، لأنّ من كان أبدا ساجدا كيف يتصوّر أن يكون مع ذلك متردّدا في الرسالة و النزول و الصعود مختلفا بالأوامر و النّواهي إلى الرّسل عليهم السّلام.

قلت: إنّا بيّنا أنّه ليس المراد بسجود الملائكة هو وضع الجبهة على الأرض بالكيفيّة الّتي نحن عليها، و إنّما هو عبارة عن كمال عبوديّتهم للّه تعالى و خضوعهم تحت قهر قدرته و ذلّتهم برقّ الإمكان و الحاجة تحت ملك

وجوب وجوده، و معلوم انّه ليس بين السجود بهذا المعنى و بين تردّدهم بأوامر اللّه تعالى و اختلافهم بقضائه على وفق مشيّته و أمره منافاة، بل كلّ ذلك من كمال عبوديّتهم و خضوعهم لعزّته و اعترافهم بكمال عظمته.

قوله: و منهم الحفظة لعباده.

فاعلم، أنّ في هذا القسم مطلوبين: أحدهما ما الحفظة؟ و الثّاني ما المراد منهم؟

ثمّ الحفظة، منهم حفظة للعباد، كما قال تعالى:

لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ [سورة الرعد: ١١].

و منهم حفظة على العباد، كما قال تعالى:

وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً [سورة الأنعام: ۶١].

و المراد من الأوّلين حفظ العباد بأمر اللّه تعالى من الآفات الّتي تعرض لهم، و من الآخرين ضبط الأعمال و الأقوال من الطاعات و المعاصي كما قال:

كِراماً كاتِبِينَ يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ [سورة الانفطار: ١١- ١٢].

و كقوله:

ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [سورة ق: ١٨].

قال ابن عبّاس :

إنّ مع كلّ إنسان ملكين أحدهما على يمينه و الآخر على يساره، فإذا تكلّم الإنسان بحسنة كتبها من على يمينه، و إذا تكلّم بسيّئة قال من على اليمين لمن على اليسار: انتظر لعلّه يتوب منها، فإن لم يتب كتب عليه.

قال المفسرون: فائدة ذلك انّ المكلّف إذا علم أنّ الملائكة موكلون به يحضرون عليه أعماله و يكتبونها في صحائف تعرض على رؤوس الأشهاد في موقف القيامة، كان ذلك أزجر له عن القبائح.

و اعلم، أنّه يحتمل أن يكون التعدّد المذكور في الحفظة تعدّدا بحسب الذوات، و يحتمل أن يكون بحسب الإعتبار.

قال بعض من زعم أنّ الحفظة للعباد هي القوى (الّتي أرسلها اللّه تعالى من سماء جوده على الأبدان البشريّة:

يحتمل أن يكون الحفظة على العباد هي مبادئ تلك القوى)، و يكون معنى كتبة السيّئات و الحسنات و ضبطهما على العباد إمّا باعتبار ما يصدر و يتعدّد عن العبد من السيّئات و الحسنات في علم تلك المبادئ، أو يكون معناها كتبة صور الأفعال الخيريّة و الشرّية إلى العبد بقلم الإفاضة في لوح نفسه بحسب استعدادها لذلك. قال: و يشبه أن تكون إشارة ابن عباس رضي اللّه عنه، بانتظار ملك اليسار كاتب السيّئات توبة العبد إلى أنّه ما دامت السيّئة حالة غير ممكنة من جوهر نفس العبد، فإنّ رحمة اللّه تعالى تسعة فإذا تاب من تلك السيّئة لم تكتب في لوح نفسه، و إن لم يتب حتّى صارت ملكة راسخة في نفسه كتب و عذّب بها يوم تقوم الساعة.

قال: و يحتمل أن يكون الحفظة على العباد هم بأعيانهم من الحفظة لهم، فإنّ النّفس تحفظ في جوهرها ما يفعله من خير و شرّ و تحصّيه يوم البعث على نفسها إذا زالت عنها الغواشي البدنيّة و تجده مصوّرا مفصّلا لا يغيب عنها منه شيء كما قال تعالى:

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً [سورة آل عمران: ٣٠].

و كما قال تعالى:

وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً [سورة الإسراء: ١٣- ١٤].

و كما قال تعالى:

إِذا بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ وَ حُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ [سورة العاديات: ٩- ١٠].

و قال: و أمّا معنى كونهم من ملائكة السّماء فلأن أصلهم من ملائكة السّماء، ثمّ أرسلوا إلى الأرض، و اللّه أعلم.

و أمّا السّدنة لأبواب جنانه: فقد عرفت ما قيل فيهم.

قوله: فمنهم الثابتة في الأرضين السّفلى أقدامهم، المارقة من العليا أعناقهم، و الخارجة من الأركان أقطارهم (من الأقطار أركانهم) و المناسبة لقوائم العرش أكتافهم:

فاعلم أنّ هذه الأوصاف وردت في صفة الملائكة الحاملين للعرش في كثير من الأخبار، فيشبه أن يكونوا هم المقصودون بها هاهنا، و روى عن ميسرة أنّه قال:

أرجلهم في الأرض السفلى، و رؤوسهم قد خرقت العرش و هم خشوع لا يرفعون طرفهم، و هم أشدّ خوفا من أهل السّماء السّابعة، و أهل السّماء السّابعة أشدّ خوفا من أهل السّماء السّادسة، و هكذا إلى سماء الدنيا.

و عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

لا تتفكروا في عظمة ربّكم و لكن تفكّروا فيما خلق من الملائكة فانّ خلقا منهم يقال له إسرافيل من زوايا العرش على كاهله، و قدماه في الأرض السفلى، و قد مرق رأسه من سبع سماوات، و أنّه ليتضاءل من عظمة اللّه حتّى يصير كأنّه الوصع .

و الوصع طائر صغير.

و عن ابن عباس أيضا انّه قال: لمّا خلق اللّه تعالى حملة العرش قال لهم: احملوا عرشي فلم يطيقوا، فقال لهم: قولوا: لا حول و لا قوّة إلّا باللّه، فلمّا قالوا ذلك استقلّ عرش ربّنا فنفذت أقدامهم في الأرض السابعة على متن الثرى فلم تستقرّ فكتب في قدم كلّ ملك منهم اسما من أسمائه فاستقرت أقدامهم .

و وجه هذا الخبر أنّ وجودهم و بقائهم و حولهم و قوّتهم الّتي بها هم (على) ما هم إنّما هو من حوله و قوّته و هيبته، فلو أنّه سبحانه خلقهم و قال لهم: احملوا عرشي و لم تكن لهم استعانة و لا مدد بحول اللّه و قوّته و

معونته لم ينتهضوا بحمل ذرّة من ذرّات مبدعاته و مكوّناته فضلا عن تدبير العرش الّذي هو أعظم الأجرام الموجودة في العالم.

إذا عرفت ذلك فنقول:

أمّا من قال بأنّ الملائكة أجسام كان حمل صفاتهم المذكورة في هذه الأخبار في كلامه عليه السّلام على ظاهرها أمرا ممكنا (و انّه) و اللّه تعالى قادر على جميع الممكنات.

و أمّا من نزّههم عن الجسميّة فقال: إنّ اللّه سبحانه لمّا خلق الملائكة السّماويّة مسخّرين لأجرام السّماوات مدبّرين لعالمنا عالم الكون و الفساد و أسبابا لما يحدث فيه كانوا محيطين بإذن اللّه علما بما في السّماوات و الأرض، فلا جرم كان منهم من ثبت في تخوم الأرض السفلى أقدام إدراكاتهم الّتي ثبتت و استقرّت باسم اللّه الأعظم و علمه الأعزّ الأكرم و نفذت في بواطن (الوجودات) الموجودات خبرا، و مرقت من السّماء العليا أعناق عقولهم، و خرجت من أقطارها أركان قواهم العقليّة.

و قوله: المناسبة لقوائم العرش أكتافهم.

يريد أنّهم مشبّهون و مناسبون لقوائم العرش في بقائهم و ثباتهم عن التزايل (الزائل) من تحته أبدا إلى ما شاء اللّه.

فإن قلت: فهل هناك قوائم غير الحاملين للعرش الّذي أشار إليهم، و تكون هذه الطائفة من الملائكة مناسبة لتلك القوائم أم لا؟.

قلت: قد جاء في الخبر أنّ العرش له قوائم، روى عن جعفر بن محمد الصّادق عن أبيه عليهما السّلام، عن جدّه صلّى اللّه عليه و آله أنّه قال:

إنّ بين القائمة من قوائم العرش و القائمة الأخرى خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام .

قال بعض المحققين: إنّ هناك قوائم ثمان قد فوّض اللّه تعالى إلى كلّ ملك من الملائكة الثمانية الحاملين للعرش تدبير قائمة منها و حملها و وكّله بها.

إذا عرفت ذلك فنقول:

يحتمل أن يكون قد أشار عليه السّلام بقوله مناسبة لقوائم العرش أكتافهم إلى اثبات قوائم العرش و اثبات مناسبة لاكتاف هؤلاء الملائكة مع تلك القوائم، و وجه المناسبة أنّ الكتف لمّا كان محلّ القوّة و الشدّة استعاره عليه السّلام هاهنا للقوّة و القدرة الّتي يخصّ كلّ ملك من تلك الملائكة، و بها يريد (يدبّر) تلك القوائم من العرش.

و لا شكّ أنّ بين كلّ قائمة من تلك القوائم، و بين كلّ قدرة من تلك القدر مناسبة مّا، لأجلها خصّ اللّه سبحانه ذلك الملك بحمل تلك القائمة و ذلك معنى قوله المناسبة لقوائم العرش أكتافهم، و يحتمل أن يكون كما استعار لهم لهم لفظ الأقدام استعار لهم أيضا لفظ الأكتاف ثمّ شبّه قيامهم بأمر اللّه في حملهم للعرش بقيام الأساطين الّتي يبني عليها الواحد منّا عرشه فهم مناسبون و مشابهون لقوائم العرش الّتي يبني عليها من غير أن يكون هناك تعرّض لإثبات قوائم بل ما يشبه القوائم.

قوله: ناكسة دونه أبصارهم متلفعون تحته بأجنحتهم.

الضميران في دونه و تحته راجعان إلى العرش و قد جاء في الخبر عن وهب ابن منبّه قال: إنّ لكلّ ملك من حملة العرش و من حوله أربعة أجنحة، أمّا جناحان فعلى وجهه مخافة أن ينظر إلى العرش فيصعق، و أمّا جناحان فيهفوا بهما ليس كلام إلّا التسبيح و التحميد .

و كنّى عليه عليه السّلام بنكس أبصارهم عن كمال خشيتهم للّه تعالى و اعترافهم بقصور أبصار عقولهم عن إدراك ما وراء كمالاتهم المقدّرة لهم و ضعفها عن قبول ما (عمّا) لا يحتمله من أنوار اللّه و عظمته المشاهدة في خلق عرشه و ما فوقهم من مبدعاته، فإنّ شعاع أبصارهم منته واقف دون حجب عزّة اللّه.

و عن يزيد الرّقاشيّ : أنّ للّه تعالى ملائكة حول العرش يسمّون المخلخلين تجري أعينهم مثل الأنهار إلى يوم القيامة يميدون كأنّما تنفضهم (تنقضهم) الرّياح من خشية اللّه تعالى فيقول لهم الرّبّ جلّ جلاله:

ما الّذي يخفيكم؟ فيقولون: ربّنا لو أنّ أهل الأرض اطّلعوا من عزّتك و عظمتك على ما اطّلعنا عليه، ما ساغوا طعاما و لا شرابا، و لا انبسطوا في فرشهم و لخرجوا إلى الصحراء يخورون كما يخور الثّور.

و اعلم، أنّه لمّا كان الجناح من الطائر و الإنسان عبارة عن محلّ القوّة و القدرة و البطش صحّ أن يستعار للملائكة على سبيل الكناية عن كمالهم في قدرتهم و قوّتهم الّتي يطيرون في بيداء جلال اللّه و عظمته، و تصدر بواسطتهم كمالات ما دونهم من مخلوقات اللّه، و صحّ أن توصف تلك الأجنحة بالقلّة و الكثرة في آحادهم، و يكون ذلك كناية عن تفاوت مراتبهم و زيادة كمال بعضهم على بعض، و لمّا استعار لفظ الأجنحة استلزام ذلك أن يكون قد شبّههم بالطائر ذي الجناح، ثمّ لمّا كان الطائر عند قبض جناحه يشبه المتلفّع بثوبه و الملتحف به و كانت أجنحة الملائكة الّتي هي عبارة عن كمالهم في قدرهم و علومهم مقبوضة قاصرة عن التعلّق بمثل مقدورات اللّه و مبدعاته، واقفة دون جلاله و عظمته في صنعه، لا جرم أشبه ذلك قبض الأجنحة المشبّه للتلفّع بالثوب، فاستعار عليه السّلام لفظ التلفّع أيضا و كنّى به عن كمال خضوعهم و انقهارهم تحت سلطان اللّه و قوّته و المشاهدة في صورة عرشه.

فإن قلت: إنّك بيّنت أنّ المراد بالركوع هم حملة العرش فكيف يستقيم مع ذلك أن يقال: إنّ هذا القسم هم حملة العرش أيضا، فإنّ من كان أقدامهم في تخوم الأرضين، و أعناقهم خارجة من السّماوات السّبع، و من الكرسي و العرش، كيف يكون مع ذلك راكعا؟

قلت: الجواب عنه قد سبق في قوله: و منهم أمناء على وحيه، فإن الرّكوع أيضا المقصود منه الخشوع لعزّ اللّه و عظمته و ذلك غير مناف للأوصاف المذكورة هاهنا، و باللّه التوفيق.

قوله: مضروبة بينهم و بين من دونهم حجب العزّة و أستار القدرة.

إشارة إلى أنّ الآلات البشريّة قاصرة عن إدراكهم و الوصول إليهم، و ذلك لتنزّههم عن الجسميّة و الجهة و قربهم من عزّة مبدعهم الأوّل جلّ جلاله، و بعد القوى الإنسانيّة عن الوقوف على أطوارهم المختلفة و مراتبهم المتفاوتة، و إذا كان الحال في الملك العظيم من ملوك الدنيا إذا بلغ في التّعزز و التعظيم إلى حيث لا يراه إلّا أجلّاء خواصّه، و كان الحال أيضا في بعض خواصّه كذلك كالوزير و الحاجب و النديم، فإنّهم لا يصل إليهم كلّ

النّاس بل لا يصل إليهم إلّا من كانت له إليهم وسيلة تامّة و علاقة قويّة، و كان منشأ ذلك إنّما هو عظمة الملك و هيبته و قربهم منه، فكان الحائل بينهم و بين غيرهم إنّما هو حجب عزّة الملك و أستار قدرته و قهره، فكيف الحال في جبّار الجبابرة، و مالك الدنيا و الآخرة، و حال ملائكته المقرّبين و من يليهم من حملة العرش الروحانيّين، فبالحريّ أن ينسب عدم وصول قوانا الضعيفة إليهم و إدراكها لمراتبهم إلى حجب عزّة اللّه و عظمته لهم و كمال ملكه و تمام قدرته و ما أهلّهم له من قربه و مطالعة أنوار كبريائه عزّ سلطانه و (لا إله إلّا هو) و لا إله غيره.

قوله: و لا يتوهّمون ربّهم بالتصوير.

إشارة إلى تنزيههم عن الإدراكات الوهميّة و الخياليّة في حقّ مبدعهم عزّ سلطانه، إذ كان الوهم إنّما يتعلّق بالأمور المحسوسة ذات الصور و الأحياز و المحالّ الجسمانيّة فالوهم و إن أرسل طرفه إلى قبلة وجوب الوجود و بالغ في تقليب حدقته فلن يرجع إلّا بمعنى جزئيّ يتعلّق بمحسوس حتّى أنّه لا يقدر نفسه و لا يدركها إلّا ذات مقدار و حجم، و لمّا كان الوهم من خواصّ المزاج الحيوانيّ لا جرم سلب التوهّم عن الطور من الملائكة لعدم قوّة الوهم هناك، فإنّ هذه القوّة لمّا كانت موجودة للإنسان لا جرم كان يرى ربّه في جهة و يشير إليه متحيّزا ذا مقدار و صورة، و لذلك وردت الكتب الإلهيّة و النواميس الشرعيّة مشحونة بصفات التجسيم كالعين و اليد، و الإصبع و الإستواء على العرش و نحو ذلك خطابا للخلق بما تدركه أوهامهم و توطينا لهم و إيناسا، حتّى أنّ الشارع لو أخذ في مبدأ الأمر بيّن لهم أنّ الصانع الحكيم ليس داخل العالم و لا خارجه و لا في جهة من الجهات و ليس بجسم و لا عرض لاشتدّ نفار أكثرهم من قبول ذلك و عظم إنكارهم له، فإنّ الوهم في طبيعته لا يثبت موجودا بهذه الصفة و لا يتصوّره، و من شأنه أن ينكر ما لا تصوّر فكان منكرا لهذا القسم من الموجودات و الخطابات الشرعيّة و إن وردت بصفات التجسيم إلّا أنّ الألفاظ الموهمة لذلك لمّا كانت قابلة للتأويل محتملة له، كانت وافية بالمقاصد، إذ العاميّ المغمور في ظلمات الجهل يحمله على ظاهره و يحصل بذلك تقييده عن تشتّت اعتقاده، و ذو البصيرة المترقّي عن تلك الدرجة يحمله على ما يحتمله عقله من التأويل، و كذلك حال من هو أعلى منه، و النّاس في ذلك على مراتب فكان إيرادها حسنا و حكمة.

قوله: و لا يجرون عليه صفات المصنوعين.

أقول: إجراء صفات المصنوعين عليه إنّما يكون بمناسبته، و مماثلته مع مصنوعاته و مكوّناته، و كلّ ذلك بقياس من الوهم و محاكاة من المتخيّلة له بصورة المصنوع، فكان الوهم يحكم أوّلا بكون الباري عزّ سلطانه مثلا لمصنوعاته الّتي يتعلّق إدراكه بها من المتحيّزات و ما يقوم بها و يخيّله بصورة منها ثمّ يساعده العقل في مقدّمة أخرى هي أنّ حكم الشيء حكم مثله فيجري حينئذ عليه صفات مصنوعاته الّتي حكم بمثليّته لها، و لمّا كانت الملائكة السّماويّة منزّهين عن الوهم و الخيال، لا جرم وجب تنزيههم عن أن يجروا عليه صفات مصنوعاته، سبحانه و تعالى عمّا يقول الظالمون علوّا كبيرا.

و كذلك قوله: و لا يحدّونه بالأماكن و لا يشيرون إليه بالنظائر فإنّ الحاكم بحدّه في مكان و تحيّزه فيه و المشير إليه بالمثل المتصوّر له بالقياس إلى نظير يشاكله و يشابهه، إنّما هو الوهم و الخيال، و لمّا عرفت انّهما يخصّان للحيوان العنصري لا جرم كانت هذه الأحكام مسلوبة عن الملائكة السماويّة مطلقا و باللّه التوفيق.

## ۱-۵-۱۰-۲-۲-۳الفصل الثالث في كيفيّة خلق آدم عليه السّلام

الفصل الثالث في كيفيّة خلق آدم عليه السّلام

قوله: ثمّ جمع سبحانه من حزن الأرض و سهلها إلى قوله: و تناسل الذريّة.

(شرح ألفاظ الخطبة)

أقول: الحزن من الأرض: ما غلظ منها و اشتدّ كالجبل، و السهل: ما لان، و عذبها:

ما طاب منها و استعدّ للنبات و الزرع، و السّبخ: ما ملح منها، و المسنون: الطين الرطب في قول ابن عبّاس، و عن ابن السكيت عن أبي عمر: أنّه المتغير، و قول ابن عبّاس أنسب إلى كلام عليّ عليه السّلام، لأنّ قوله: و سنّها بالماء حتّى لزبت، أي أنّه خلّطها بالماء حتّى صارت طينا رطبا يلتصق، و صلصلت: قال بعضهم: الصلصال هو المنتن من قولهم: صلّ اللحم و أصلّ إذا أنتن، و قيل: هو الطين اليابس الّذي يصلصل و هو غير مطبوخ، و إذا طبخ فهو فخار، و قيل: إذا توهّمت في صوته مدّا فهو صليل، و إذا توهّمت فيه ترجيعا فهو صلصلة، و لاطها بالبلّة أي خلّطها بالرطوبة و مزّجها بها، و البلّة بالكسرة: النداوة، و بالفتح واحدة البلّ، و اللازب: اللاصق، و أصل الباء الميم، و جبل: أي خلق، و الأحناء: جمع حنو و هي الجوانب، و الوصول: جمع كثرة للوصول و هي المفاصل و جمع القلّة أوصال، و أعضاء جمع عضو بالكسر و الضمّ، كاليد و الرجل للحيوان، و أصلدها: أي جعلها صلدا و هي الصلبة المساء، و الذّهن: في اللغة الفطنة و الحفظ، و في الإصطلاح العلمي عبارة عن القوى المدركة من العقل و الحس الباطن، و الفكر: جمع فكرة و هي قوّة للنفس بها تحصل الإدراكات العقليّة، و يشبه أن يكون أصل الإنسان: أنس و هو الأنيس، و الألف و النون في أصل لحوقها له للتثنية، و ذلك لأنّ الأنس أمر نسبيّ لا يتحقّق إلّا بين شيئين فصاعدا، و لمّا كان كلّ واحد من النّاس يأنس بصاحبه قيل إنسان، ثمّ كثر استعماله مثنّى فأجريت على النون وجوه الإعراب، و المساءة: الغم، و الجوارح: الأعضاء: و الاختدام و الاستخدام بمعنى، و الإداوة: جمع أدات، و أصلها الواو و لذلك ردّت في الجمع، و الاستيداء: طلب الأداء، و الخنوع:

الخضوع، و اشتقاق: إبليس من الأبلاس و هو اليأس و البعد، لبعده من رحمة اللّه.

و الحميّة الأنفة. و اعترتهم: أي غشيتهم. و الوهن: الضعف، و النظرة بفتح النون و كسر الظاء: الإمهال. و السخط: الغضب، و اغترّه أي استغفله، و نفست عليه بالأمر نفاسة:

إذا لم تره مستحقّا له، و العزيمة: الاهتمام بالشيء، و الجذل: السرور، و الإهباط:الإنزال.

إذا عرفت هذا فنقول: للنّاس في هذه القصّة طريقان:

الطريق الأول، أنّ جمهور المسلمين و المفسرين و المتكلمين حملوا هذه القصّة على ظاهرها ثمّ ذكروا فيها أبحاثا:

[البحث الأوّل]

(في بيان تكرّر قصّة آدم و الملائكة و إبليس في القرآن)

البحث الأوّل: أنّ هذه قد كرّرها سبحانه في كتابه الكريم في سبع سور، و هي:

سورة البقرة، و الأعراف، و الحجر، و سورة بني إسرائيل، و الكهف، و طه، و سورة ص، و ذلك (لمن) لما يشتمل عليه من تذكير الخلق و تنبيههم من مراقد الطبيعة الّتي جذبهم إليها إبليس، و التحذير من فتنته و فتنة جنوده، و الجذب إلى جناب اللّه و مطالعة أنوار كبريائه كما قال تعالى:

يا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطانُ كَما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ [سورة الأعراف: ٢٧].

فقوله عليه السّلام: تربة كقوله تعالى:

خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ [سورة آل عمران: ٥٩].

و قوله: سنّها بالماء، كقوله تعالى:

مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ [سورة الحجر: ٢٦].

و قوله: لاطها بالبلّة حتّى لزبت كقوله تعالى:

مِنْ طِينٍ لازِبٍ [سورة الصافات: ١١].

و قوله: حتّى صلصلت، كقوله تعالى:

مِنْ صَلْصالٍ [سورة الحجر: ٢٨].

و قوله: ثمّ نفخ فيه من روحه، كقوله:

وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي [سورة الحجر: ٢٩].

و قوله:

وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ [سورة السجدة: ٩].

و قوله: ذا أذهان يجيلها، و فكر يتصرّف فيها، و جوارح يختدمها، كقوله تعالى:

وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ [سورة النحل: ٧٨].

قوله: و استأدى اللّه سبحانه الملائكة وديعته لديهم، و عهد وصيّته إليهم، كقوله تعالى:

فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ [سورة الحجر: ٣٠- ٣١].

و قوله: اعترته الحميّة إلى قوله تعزّز بخلقة النار، و استهون خلق الصلصال، كقوله تعالى حكاية عن إبليس:

أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ [سورة الأعراف: ١٢].

و قوله: فأعطاه اللّه النظرة، حذف قبله، تقديره: فسأل النظرة، و ذلك قوله:

فَأَنْظِرْنِي [سورة ص: ٧٩]. فأعطاه اللّه النظرة إلى يوم الوقت المعلوم.

كقوله تعالى:

قالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ [سورة ص: ٨٠- ٨١].

و قوله: ثمّ أسكن سبحانه آدم دارا أرغد فيها عيشه، كقوله تعالى:

وَ قُلْنا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَ كُلا مِنْها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما [سورة البقرة: ٣٥].

و قوله: و حذّره إبليس و عداوته، كقوله:

فَقُلْنا يا آدَمُ إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقى [سورة طه: ١١٧].

و قوله: فاغترّه إبليس نفاسة عليه بدار المقام و مرافقة الأبرار، كقوله:

فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ [سورة طه: ١٢٠].

و قوله:

فَدَلَّاهُما بِغُرُورٍ [سورة الأعراف: ٢٢].

و قوله: فباع اليقين بشكّه و العزيمة بوهنه، كقوله تعالى:

فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً [سورة طه: ١١٥].

و قوله: و استبدل بالجذل و جلا و بالاغترار ندما، كقوله تعالى:

قالا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ [سورة الأعراف: ٢٣].

و قوله: ثمّ بسط اللّه في توبته و لقاء كلمة رحمته، كقوله تعالى:

فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ [سورة البقرة: ٣٧].

و قوله: و وعده المردّة إلى جنته ذلك الوعد، في قوله تعالى:

فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدايَ فَلا يَضِلُّ وَ لا يَشْقى [سورة طه: ١٢٣].

و قوله: فاهبطه إلى دار البليّة، كقوله تعالى:

اهْبِطا مِنْها جَمِيعاً [سورة طه: ١٢٣].

[البحث الثاني]

(في خلقت آدم من تراب)

البحث الثاني: أن اللّه تعالى أشار في مواضع من كتابه الكريم إلى خلق آدم من تراب، فقال:

إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ [سورة آل عمران: ۵۹].

و قال في موضع آخر:

إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ [سورة ص: ۷۱].

و قال في موضع آخر:

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ [سورة الحجر: ۲۶].

قال المتكلّمون:

و إنّما خلقه اللّه على هذا الوجه، إما لمحض المشيئة، أو لما فيه من دلالة الملائكة على كمال قدرته و عجيب صنعته، لأنّ خلق الإنسان في هذه المراتب أعجب عندهم من خلقه من جنسهم.

إذا عرفت ذلك، فاعلم أنّ كلامه عليه السّلام هاهنا يجري مجرى (الترتيب) التفسير لهذه الآيات .

فإنّه أشار أوّلا إلى كونه من تراب بقوله:

«ثمّ جمع سبحانه من سهل الأرض و حزنها و عذبها و سبخها تربة»، و نحو ذلك ما روي عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أنّه قال:

إنّ اللّه خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر و الأبيض و الأسود و بين ذلك، السهل و الحزن و الخبيث و الطيّب.

و اعلم، أنّ جمهور المفسّرين على أنّ الإنسان في قوله تعالى:

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ [سورة المؤمنون: ۱۲].

هو أبونا آدم عليه السّلام، و نقل عن محمّد بن عليّ الباقر عليه السّلام أنّه قال:

قد انقضى قبل آدم الّذي هو أبونا ألف ألف آدم أو أكثر .

قال بعض العلماء: و هذا لا ينافي حدوث العالم، فانّه كيف كان لا بدّ من الانتهاء إلى إنسان هو أوّل النّاس، فأمّا أنّ ذلك الإنسان هو أبونا آدم فلا طريق إلى إثباته إلّا من جهة السّمع.

[البحث الثالث]

(في حقيقة سجود الملائكة لآدم (ع))

البحث الثالث: أجمع المسلمون على أنّ سجود الملائكة لآدم لم يكن سجوده عبادة، لأنّ العبادة لغير اللّه كفر، ثمّ اختلفوا على ثلاثة أقوال:

الأوّل، أنّ ذلك السجود كان للّه و كان آدم كالقبلة، و كما يحسن أن يقال: سجدوا لآدم، كذلك يحسن أن يقال: سجدوا للقبلة بدليل قول حسّان بن ثابت:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن
أليس أوّل من صلّى لقبلتكم و أعرف النّاس بالآيات و السّنن

فقوله: صلّى لقبلتكم، نصّ على المقصود.

الثاني، أنّ السجود كان لآدم تعظيما له و تحيّة كالسّلام منهم عليه، و قد كانت الأمم السّالفة تفعل ذلك كما يحيّى المسلمون بعضهم بعضا، و عن صهيب : أنّ معاذا رضي اللّه عنه لمّا قدم من اليمن يجد للنّبي صلّى اللّه عليه و آله، فقال له:

يا معاذ ما هذا؟ فقال: رأيت اليهود تسجد لعظمائها و علماءها، و رأيت النصارى تسجد لقسّيسيها و بطارقتها، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: تحيّة الأنبياء، فقال صلّى اللّه عليه و آله: كذبوا على أنبيائهم.

الثالث، أنّ السجود في أصل اللغة عبارة عن الانقياد و الخضوع كما قال الشاعر:

ترى الأكم فيها سجّدا للحوافر، أي أن تلك الجبال الصغار كانت مذلّلة لحوافر الخيل، و منه قوله تعالى:

وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدانِ [سورة الرحمن: ۶].

و القول الثاني هو مقتضى كلامه عليه السّلام إذ فسّر السجود به فقال: «و الخضوع لتكرمته» و الخنوع لتكرمته، و باللّه التوفيق.

[البحث الرابع]

(في أنّ الملائكة المأمورين بالسجود من هم؟)

البحث الرابع: اختلفوا: في الملائكة الّذين أمروا بالسّجود لآدم، فاستعظم بعضهم سجود ملائكة السماء له، و قالوا: المأمورون بذلك هم الملائكة الّذين أهبطوا مع إبليس إلى الأرض، قالوا: و ذلك أنّ اللّه تعالى لمّا خلق السّماوات و الأرض، و خلق الملائكة أهبط منهم ملأ إلى الأرض يسمّون بالجنّ رأسهم إبليس، و أسكنهم إيّاها و كانوا أخفّ الملائكة عبادة، فأعجب إبليس بنفسه، و تداخله الكبر فأطلع اللّه عزّ و جلّ على ما انطوى عليه، فقال له و لجنده:

إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ [سورة ص: ۷۲].

و قال بعضهم: إنّ المأمورين بالسجود لآم هم كلّ الملائكة بدليل قوله تعالى:

فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ [سورة ص: ۷۳].

فأكّد جمعهم بأكمل وجوه التأكيد.

[البحث الخامس]

(في أنّ إبليس أهو من الملائكة أم لا؟)

البحث الخامس: أكثر المتكلّمين لا سيّما المعتزلة على أنّ إبليس لم يكن من الملائكة، و قال جمهور المفسّرين و منهم ابن عبّاس: إنّه كان من ملائكة الأرض الّذين أهبطوا قبل آدم.

حجّة الأوّلين قوله تعالى:

إِلَّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ [سورة الكهف: ۵۰].

و الجنّ لم يكونوا من الملائكة بدليل قوله تعالى للملائكة:

أَ هؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ [سورة سبأ: ۴۰].

و قول الملائكة:

سُبْحانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ [سورة سبأ: ۴۱].

و احتجّ من قال إنّه منهم باستثناء إبليس من الملائكة في غير موضع من القرآن الكريم، و الاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل، و ذلك يدلّ على أنّ إبليس من الملائكة.

و أجابوا عن حجّة الأوّلين من وجهين:

أحدهما المعارضة بقوله تعالى:

وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً [سورة الصافات: ۱۵۸].

و ذلك الجعل هو قول قريش: الملائكة بنات اللّه بدليل قوله تعالى:

وَ جَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً [سورة الزخرف: ۱۹].

فهذه الآية تدلّ على أنّ الملائكة من الجنّ.

الثاني، أنّ كون إبليس من الجنّ لا ينافي كونه من الملائكة لأنّ الملائكة يصدق عليهم اسم الجنّ لأنّ الجنّ مأخوذ من الاجتنان و هو الاستتار، و منه سمّي الجنين لاستتاره في بطن أمّه، و منه (المجنون) الجنون لاستتار العقل فيه، و الملائكة مستترون عن الأعين فوجب جواز إطلاق لفظ الجنّ عليهم.

و اعلم، أنّ الخلاف لفظيّ فإنّه إذا ثبت أنّ الملائكة الّذين أهبطوا إلى الأرض قبل آدم هم المسمّون بالجنّ، و إبليس من الجنّ، ثبت أنّ إبليس من الملائكة، و ليس النّزاع في أنّه من ملائكة الأرض أو من ملائكة السّماء، بل في كونه من الملائكة مطلقا، فإذن ليس بينهم خلاف في المعنى.

[البحث السّادس]

(في بيان سبب عداوة إبليس لآدم)

البحث السّادس: اختلفوا في سبب عداوة إبليس لآدم فقال بعضهم: إنّه الحسد، و ذلك أنّ إبليس لمّا رأى ما أكرم اللّه به آدم من إسجاد الملائكة و تعليمه ما لم يطّلع عليه الملائكة حسده و عاداه.

و قال آخرون: إنّ السبب تباين أصليهما و لمنافرة الأصلين أثر قويّ في منافرة الفرعين، قالوا: و تباين أصليهما هو منشأ القياس الفاسد من إبليس حين أمر بالسّجود، و ذلك قوله:

أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ [سورة الأعراف: ١٢].

و كأنّه في خطابه يقول: إنّ آدم جسمانيّ كثيف و أنا روحانيّ لطيف، و الجسمانيّ أدون حالا من الرّوحاني، و الأدون كيف يليق أن يكون مسجودا للأعلى.

و أيضا فإنّ أصل آدم من صلصال من حماء مسنون، و الصلصال في غاية الدناءة، و أصلي من أشرف العناصر، و إذا كان أصلي خيرا من أصله وجب أن أكون خيرا منه و أشرف، و الأشرف يقبح أن يؤمر بالسّجود للأدون.

قالوا: فكان ذلك قياسا منه، فأوّل من قاس هو إبليس، فأجابه اللّه تعالى جوابا على سبيل التنبيه دون التّصريح بقوله:

اخْرُجْ مِنْها مَذْؤُماً مَدْحُوراً [سورة الأعراف: ١٨].

قال بعض الفضلاء: و تقريره أنّ الّذي قاله تعالى نصّ بحكم الحكمة الإلهيّة و القدرة الرّبانيّة، و الّذي قاله إبليس قياس، و من عارض النصّ بالقياس كان مرجوما ملعونا.

[البحث السّابع]

(في احتجاج الأشاعرة بخلق الكفر في الكافرين و جوابهم)

البحث السّابع: احتجّت الأشعريّة على أنّه تعالى قدير خلق الكفر في الكافرين، من هذه القصّة بوجهين:

أحدهما، أنّه تعالى أنظر إبليس مع أنّه يعلم أنّه إنّما قصده إغواء بني آدم، و لو أهلكه استراحوا و عدم الشرّ الحاصل منه و من ذرّيته.

الثاني، أنّه قال: اغويتني، فنسب الإغواء إلى اللّه تعالى، مع أنه تعالى لم ينكر عليه هذا الكلام و هذا تصريح في أنّه تعالى يفعل الإغواء.

أجابت المعتزلة عن الأوّل: بأنّ اللّه تعالى خلق آدم و ذرّيته قادرين على رفع إبليس عن أنفسهم، فهم الّذين اختاروا الكفر و الفساد، أقصى ما في الباب أن يقال: إنّ الاحتراز عن القبيح حال عدم إبليس أسهل منه حال وجوده إلّا أنّ على هذا التقدير تصير وسوسته سببا لزيادة المشقّة في أداء الطّاعات فيزداد المكلّف بتكلّفها ثوابا كما قال عليه السّلام:«أفضل الأعمال أحمزها أي أشقّها».

و ذلك لا يمنع الحكيم من فعله، كما أنّ إنزال المشاقّ و الآلام و إنزال المتشابهات صار سببا لزيادة الشبهات، و مع ذلك لم يمتنع فعلها من اللّه تعالى، و هذا الوجه قريب من قوله عليه السّلام: استتماما للبليّة.

و عن الثاني أنّ المراد من قوله: بما أغويتني أي بما خيّبتني من رحمتك، و قيل: معنى إضافة غوايته إلى اللّه تعالى، أنّ اللّه تعالى لمّا أمره بالسّجود لآدم عصى و غوى فكان الباري هو الأصل في حصول الإغواء له فلذلك نسبه إليه، و احتجّ أيضا من جواز الخطاء على الأنبياء عليهم السّلام من هذه القصّة، بقوله تعالى:

وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى [سورة طه: ١٢١].

و أجاب من أوجب عصمتهم من حين الولادة بأنّه لمّا دلّ الدّليل على وجوب عصمتهم وجب صرف هذا اللفظ و نحوه على ترك الأولى و هو في حقّهم سيّئة و معصية، و إن كان في حقّ غيرهم حسنة، كما قيل:

حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين.

و من أوجب عصمتهم من حين الرّسالة فله أن يحمل هذه المعصية على ما قبل الرّسالة، و المسألة مستقصاة في الكلام.

[البحث الثامن]

(في معنى تلقّي آدم كلمات ربّه و تفصيل الأقوال فيه)

البحث الثامن: قال القفّال: أصل التلقّي في قوله:

فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ [سورة البقرة: ٣٧].

و قوله عليه السّلام: و لقّاه كلمة رحمته، هو التعرّض للقادم (للقاء) وضع (ثمّ يوضع في) موضع الاستقبال للمسيء و الجاني (للشّيء الجائي) (ثمّ يوضع) ثمّ وضع موضع القبول و الأخذ، قال اللّه تعالى:

وَ إِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ [سورة النمل: ۶].

أي تلقّنه ، و يقال: تلقينا الحجاج أي استقبلناهم، (و يقال:) تلقّيت هذه الكلمة من فلان أي أخذتها منه، و إذا كان هذا أصل الكلمة و كان من: تلقي رجلا فتلاقيا، لقي كل واحد منهما صاحبه و أضيف بالاجتماع (فأضيف الاجتماع) إليهما معا فصلح (صلح) أن يشتركا في الوصف بذلك، (فيقال:) كلّ ما تلقّيته فقد تلقّاك، فجاز أن يقال: تلقى آدم من ربّه كلمات، أي أخذها و وعاها و استقبلها بالقبول، و لقاء اللّه إيّاها أي أرسلها إليه و واجهه.

ثمّ ذكر المفسّرون في ذلك الكلمات أقوالا:

الأوّل، روى سعيد بن جبير عن ابن عبّاس رضي اللّه عنه:

انّ آدم عليه السّلام قال: يا ربّ ألم تخلقني بيدك بلا واسطة؟

قال: بلى، (قال: يا ربّ ألم تنفخ فيّ من روحك؟ قال: بلى،) قال: ألم تسكنّي جنّتك؟ قال: بلى، قال: ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال: بلى، قال: إن تبت و أصلحت أ تردّني إلى الجنّة؟ قال: نعم، و هو قوله تعالى: فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ.

الثاني، قال النخعي: أتيت ابن عباس، فقلت: ما الكلمات الّتي تلقّاها آدم من ربّه؟

قال: علّم اللّه تعالى آدم و حوّاء أمر الحجّ و الكلمات الّتي يقال فيه فحجّا، فلمّا فرغا أوحى اللّه تعالى إليهما: «إنّي قد قبلت توبتكما».

الثالث، قال مجاهد و قتادة و في إحدى الروايتين عنهما: هي قوله:

رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ [سورة الأعراف: ٢٣].

الرّابع، قال سعد بن جبير عن ابن عبّاس رضي اللّه عنهم: إنّها قوله:

لا إله إلّا أنت سبحانك و بحمدك عملت سوءا و ظلمت نفسي فاغفر لي إنّك خير الغافرين.

لا إله إلّا أنت سبحانك و بحمدك عملت سوءا و ظلمت نفسي فارحمني إنّك أرحم الرّاحمين، لا إله إلّا أنت سبحانك و بحمدك عملت سوءا و ظلمت نفسي فتب عليّ إنّك أن التّواب الرّحيم.

الخامس، قول عائشة: لمّا أراد اللّه تعالى أن يتوب على آدم طاف بالبيت سبعا، و البيت حينئذ ربوة حمراء، فلمّا صلّى ركعتين استقبل (القبلة) البيت، و قال: اللّهم إنّك تعلم سرّي و علانيتي فاقبل معذرتي، و تعلم حاجتي فاعطني سؤلي، و تعلم ما في نفسي، فاغفر لي ذنوبي، اللّهمّ إنّي أسألك إيمانا تباشر به قلبي، و يقينا صادقا حتّى أعلم أنّه لن يصيبني إلّا ما كتبت لي، و أرضني بما قسمت لي.

فأوحى اللّه تعالى إليه: يا آدم قد غفرت لك ذنبك، و لن يأتيني أحد من ذرّيّتك فيدعوني بمثل ما دعوتني به إلّا قد غفرت ذنوبه و كشفت همومه، و نزعت الفقر من بين عينيه و جاءته الدّنيا و هو لا يريدها.

البحث التّاسع: في حقيقة التّوبة.

قال الإمام الغزالي رحمة اللّه عليه: التوبة عبارة عن معنى مركّب من ثلاثة أمور مترتبة: علم، ثمّ حال، ثمّ ترك.

أمّا العلم فأن يعلم العبد ضرر الذّنوب و كونه حجابا بينه و بين اللّه تعالى، و قيدا يمنعه من دخول الجنّة، فإذا علم ذلك بيقين غالب على قلبه فإنّ ذلك يوجب له تألّما نفسانيّا بسبب فوات الخير العظيم المطلوب لكلّ عاقل، فيسمّى تألمه بسبب فعله المفوّت لمحبوبه و مطلوبه ندما، فإذا غلب هذا الألم على القلب أوجب له القصد إلى أمرين: أحدهما ترك الذنوب الّتي كان ملابسا لها أوّلا، و الثاني العزم على ترك الذنب المفوّت لمطلوبه في المستقبل إلى آخر العمر فهذه حقيقتها، و ينشأ من ذلك تلافي ما فات بالجبر و القضاء و إن كان قابلا للجبر.

و العلم هو الأصل في إظهار هذه الخيرات، فإنّ القلب إذا أيقن بأنّ الذنوب كالسّموم المهلكة، و الحجب الحائلة بينه و بين محبوبه فلا بدّ أن يتمّ نور ذلك اليقين فتشتعل فيه نيران الندم فيتألّم به القلب، و حينئذ ينبعث من تلك النار طلب الانتهاض للتدارك، فالعلم و الندم و القصد المتعلّق بالترك في الحال، و الاستقبال، و التلافي للماضي، ثلاثة معان مترتّبة يطلق اسم التّوبة على مجموعها، و ربّما أطلق اسم التوبة على الندم وحده، و جعل العلم كالباعث، و الترك كالثمرة المتأخّرة، و لهذا الإعتبار قال صلّى اللّه عليه و آله:

«الندم توبة» ، إذ الندم مستلزم لعلم أوجبه و لعزم يتبعه.

و أمّا وجوبها فمن وجهين: أحدهما، أنّ التوبة مرضاة للرحمن

مسخطة للشيطان، مفتّحة لأبواب الجنان معدّة لإشراق شموس المعارف الإلهيّة على ألواح النّفوس، مستلزمة للمواهب الربّانيّة من الملك القدّوس.

الثاني، الأوامر الواردة بها في القرآن الكريم : يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً [سورة التحريم: ٨].

و الوعد الصادق على فعلها:

عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَ يُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ [سورة التحريم: ٨].

و الوعد الحتم على تركها:

وَ مَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [سورة الحجرات: ١١].

و نحوه ممّا يدلّ على وجوبها.

فأمّا قبولها فمن وجهين:

أحدهما، قوله تعالى:

وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَ يَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ [سورة الشورى: ٢٥].

و قوله تعالى:

غافِرِ الذَّنْبِ وَ قابِلِ التَّوْبِ [سورة غافر: ٣].

الثاني، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

«أفرج بالتّوبة من العبد المذنب».

و الفرج وراء القبول فهو دليل على القبول.

و قال صلّى اللّه عليه و آله:

«لو عملتم الخطايا إلى (حتّى) السّماء ثمّ ندمتم عليها لتاب اللّه عليكم».

البحث العاشر: فيما عساه يبقى من المقاصد المشكلة في هذه القصّة

: الأوّل: الوديعة و الوصيّة

الّتي استأداها اللّه سبحانه من الملائكة في قوله عليه السّلام:

«و استأدى اللّه سبحانه الملائكة وديعته لديهم».

إشارة إلى قوله تعالى:

فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ [سورة الحجر: ٢٩].

فكان تعالى قد عهد إليهم بهذا القول و أوصاهم بمقتضاه ثمّ استأداه منهم بما ذكره عليه السّلام في قوله تعالى:

اسْجُدُوا لِآدَمَ [سورة البقرة: ٣۴].

الثاني، قوله: «فاغتره» إبليس، فالاغترار طلب الغرّة من آدم و التماسها منه بالوسوسة الّتي ألقاها إليه كما سنبيّن معنى الوسوسة إنشاء اللّه.

الثالث، قوله: «دار المقام»، هي جنّة الخلد و مرافقة الأبرار، إشارة إلى مصاحبة الملائكة: فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ [سورة القمر: ۵۵].

الرّابع، قوله: فباع اليقين بشكّه، للشارحين.

فيه أقوال: أنّ معيشة آدم كانت في الجنّة على حال يعملها يقينا:

أوّلها، و ما كان يعلم كيف معاشه في الدنيا إذا انتقل إليها و لا حاله بعد مفارقة الجنّة، ثمّ إنّ إبليس شكّكه في صدق مقاله: «إنّي لكما لمن الناصحين»، فنسي ما كان عنده يقينا ممّا هو فيه من الخير الدائم و شكّ في نصح إبليس فكأنّه باع اليقين بالشكّ بمتابعته، و هي استعارة حسنة على سبيل الكناية عن استيعاض آدم الشكّ عن اليقين.

الثّاني، قالوا: لمّا أخبره اللّه تعالى عن عداوة إبليس له تيقّن ذلك فلمّا وسوس له إبليس شكّ في نصحه فكأنّه باع يقين عداوته بالشكّ (في ذلك).

الثالث، قول من نزّه آدم عليه السّلام، هاهنا مثل قديم للعرب لمن عمل عملا لا يفيده و ترك ما ينبغي له أن يفعله، تمثّل به أمير المؤمنين عليه السّلام هاهنا و لم يرد أنّ آدم عليه السّلام شك في أمر اللّه تعالى.

الرابع، قوله: «و العزيمة بوهنه». قال ابن عبّاس في قوله تعالى:

وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً [سورة طه: ۱۱۵].

(أي لم نجده) حفظا لما أمر اللّه به.

و قال قتادة: صبرا. و قال ضحاك: صريمة أمر.

و حاصل هذه الأقوال يعود إلى أنّه لم يكن له قوّة على حفظ أوامر (ما أمر) اللّه، فكأنه باع العزم الّذي كان ينبغي له، و القوّة الّتي كان ينبغي أن يحتفظ بها عن متابعة إبليس بالضعف و الوهن عن تحمّل ما أمر اللّه به.

الخامس، قوله: «دار البليّة»، هي دار الدنيا ، إذ كانت دار المحنة و الابتلاء بمقاساة إبليس و مجاهدته.

و سجن الصّالحين، كما قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

«الدّنيا سجن المؤمن و جنّة الكافر».

(في بيان التحذير عن المعاصي في قصة آدم و إبليس)

و اعلم، أنّ في هذه القصّة تحذيرا عظيما عن المعاصي، و ذلك من وجوه:

أحدها، أنّ من تصوّر ما جرى على آدم بسبب إقدامه على هذه الزّلّة كان على و جل شديد من المعاصي.

قال الشاعر:

| | |
|---|---|
| يا ناظرا نورا بعيني راقد (راغد) | و مشاهدا للأمر غير مشاهد |
| تصل الذنوب إلى الذنوب و ترتجي | درك الجنان و نيل فوز (نور) العابد |
| أنسيت أنّ اللّه أخرج آدما | منها إلى الدّنيا بذنب واحد |

و عن فتح الموصلي انّه قال: كنّا قوما من أهل الجنّة فسبانا إبليس إلى الدنيا فليس لنا إلّا الهمّ و الحزن حتّى نردّ إلى الدّار الّتي أخرجنا منها.

و ثانيها، التحذير عن الاستكبار و الحسد و الحرص، عن قتادة في قوله تعالى:

أَبى وَ اسْتَكْبَرَ [سورة البقرة: ۳۴].

قال: حسد عدوّ اللّه إبليس آدم على ما أعطاه اللّه تعالى من الكرامة فقال: أنا ناريّ و هذا طيني ثمّ ألقى الحرص و الحسد في قلب ابن آدم حتّى حمله على ارتكاب المنهي عنه.

و ثالثها، انّه تعالى بيّن العداوة الشديدة بين ذرّيّة آدم و إبليس، و هذا تنبيه عظيم على وجوب الحذر منه و من ذريّته كما قال:

أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ [سورة يس: ۶۰].

و أمثال ذلك في هذا الباب كثيرة فاطلب من مظانّها و اللّه المستعان و عليه التكلان.

هذا آخر الطريق الأوّل من الطريقين المذكورين الموعودين في هذا، و الطريق الثاني منهما هو الطريق من حيث التأويل لهذه القصّة، و قد تركناه بأسره لاستغنائنا عنه، لأنّ كلّ يمكن في (من) هذا المقام من التأويل، سيجيء من تأويلنا في موضعه إن شاء اللّه، و الأولى أن يحمل آدم فيما ذكره هاهنا في هذه القصّة على مطلق النوع الإنساني.

و إذا تقرّر هذا فلنرجع إلى المتن مرّة أخرى، و نقول ما قال فيه الشارح قدّس اللّه سرّه.

فقوله: ثمّ جمع سبحانه من حزن الأرض و سهلها و عذبها و سبخها تربة سنّها بالماء حتّى خلصت، و لاطها بالبلّة حتّى لزبت، إشارة إلى أصل امتزاج العناصر، و إنّما خصّ هذين العنصرين و هما الأرض و الماء دون الباقيين لأنّهما الأصل في تكوّن الأعضاء المشاهدة الّتي تدور عليها صورة الإنسان المحسوسة.

و قوله: «حتّى خلصت و حتّى لزبت».

إشارة إلى بلوغها في الاستعداد الغاية الّتي معها تفاض صورة ما يتكوّن منها.

و قوله: «فجبل منها صورة ذات أحناء و وصول و أعضاء و فصول».

إشارة إلى خلق الصّورة الإنسانيّة و إفاضتها بكمال أعضائها و مفاصلها و ما تقوم به صورة.

و قوله: «منها»، الضمير راجع إلى التربة و يفهم من ظاهر اللفظ أنّ الصورة الإنسانيّة هي المفاضة على كمال استعداد التربة من غير واسطة انتقالات أخر في أطوار الخلقة، و إنّما يتمّ ذلك إذا حملنا آدم على أوّل شخص يكون من هذا النوع فأمّا إذا حملنا على مطلق النوع كان المراد أنّه جبل منها الصّورة الإنسانيّة بوسائط من صور ترددت في أطوار الخلقة كما قال تعالى:

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ [سورة المؤمنون: ١٢- ١٣].

فالصورة الإنسانيّة جبلت من النطفة المتولّدة من فضل الهضم الرابع المتولّد من الأغذية، و هي إمّا حيوانيّة أو نباتيّة، و الحيوانيّة تنتهي إلى النباتيّة، و النباتيّة إنّما تتولّد من صفو الأرض و الماء و هي التربة المستعدة للإنبات و ليس في ذلك مخالفة للظاهر، فانّ تلك التربة بعد أن تواردت عليها أطوار الخلقة و أدوار الفطرة صارت منيّا فصدق عليها ان الصّورة الإنسانيّة جبلت منها.

و قوله: «أجمدها حتّى استمسكت و أصلدها حتّى صلصلت».

الضمير في الجملتين راجع إلى الصّورة و ما يتعلّق بها من الأعضاء فالإجماد لغاية الاستمساك راجع إلى بعضها كاللحم و الأعصاب و العروق و أشباهها، و الأصداد لغايته راجع إلى بعض آخر كالعظام و الأسنان، و إسناد ذلك إلى المدبّر الحكيم سبحانه لأنّه العلّة الأولى و إن كان هناك لهذه الآثار أسباب قريبة طبيعيّة كالحارّ الغريزي فإنّه المستعدّ لتحريك الموادّ و يتبعه البرد ليسكنه عند الكمالات من الخلق، و كالرطوبة فإنّها هي الّتي تتخلق و تتشكل و يتبعها اليبوسة لحفظ الأشكال و إفادة التماسك.

و قوله: «لوقت معدود و أجل معلوم (و أمد معلوم).

يحتمل أن يراد به أن لكلّ مرتبة من مراتب تركيب بدن الإنسان و انتقاله في أدوار الخلقة وقتا معدودا يقع فيه و أجلا معلوما يتمّ به، و يحتمل أن يراد بالوقت المعدود و الأجل المعلوم الوقت الّذي يعلم اللّه سبحانه انحلال هذا التركيب فيه كما قال تعالى:

وَ ما نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ [سورة هود: ١٠٤].

قوله: «ثمّ نفخ فيها من روحه».

أقول: الضمير المؤنّث راجع إلى الصورة، و قد علمت أنّ هذه الإشارة جارية في القرآن الكريم كما قال تعالى: فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ [سورة الحجر: ٢٩].

و المراد بالتسوية إفاضة تمام إعداد البدن و تهيئته لقبول النقش، و المراد بالنفخ هاهنا هو إفاضة النفس عليه عند كمال ذلك الاستعداد، و استعمال النفخ هاهنا استعارة حسنة فإنّ النفخ له صورة و هو إخراج الهواء من فم النافخ إلى المنفوخ فيه ليشتعل فيه النار.

و لمّا كانت حقيقة النفخ ممتنعة في حقّ اللّه تعالى وجب العدول إلى حمل لفظه على ما يشبهه، و لمّا كان اشتعال نور النفس في فتيلة البدن عن الجود الإلهيّ المعطي لكلّ قابل ما يستحقّه بحسب محاكاة خيالنا

الضعيف ما نشاهد من اشتعال النار في المحل القابل لها عن صورة النفخ، لا جرم حسن التعبير و التجوّز بلفظ النفخ عن إفاضة الجود الإلهيّ للنفس على البدن لما كان لمشابهته المتخيّلة و إن كان الأمر أجلّ ممّا عندنا و أعلى.

و أمّا نسبة الرّوح إلى اللّه.

(في المراد من الرّوح في الآية: نفخت)

فاعلم

أنّ الروح يحتمل أن يراد به أحد ثلاثة معان

: الأوّل جبرئيل عليه السّلام و هو روح اللّه الأمين

، و نسبته إليه ظاهرة، و أمّا نسبته النفخ إلى اللّه حينئذ فلكونه العلّة الأولى، و جبرئيل واسطة جعله اللّه تعالى مبدأ في هذا اللفظ لنفخ النفس في صورة آدم منه.

الثّاني، جود اللّه و نعمته و فيضه

الصّادر على آدم و غيره و إنّما كان ذلك روحا لأنّه مبدأ كلّ حياة فهو الروح الكلّيّة الّتي بها قوام كلّ وجود، و نسبته إليه ظاهرة، و تكون من هاهنا للتبعيض.

الثالث، أن يراد بالروح النّفس الإنسانيّة

و تكون من زايدة، و إنّما نسب إليه دون ساير مصنوعاته اللطيفة لما علمت انّ الروح منزّه عن الجهة و المكان و في قوّته العلم بجميع الأشياء و الإطلاع عليها، و هذه مضاهاة و مناسبة بوجه مّا مع العلّة الّتي ليست حاصلة لما عدا هذا الجوهر ممّا هو جسم أو جسمانيّ، فلذلك شرّفها بالإضافة إليه.

(في قوى الإنسان باطنيّة و ظاهريّة)

و قوله: «فمثلت إنسانا».

إشارة إلى الصّورة المجبولة، و فيه لطيفة و هي أنّها إنّما كانت إنسانا بنفخ الروح فيها، و لذلك رتّب صيرورتها إنسانا بالفاء على نفخ الروح فيها.

و قوله: «ذا أذهان يجليها»، إشارة إلى ما للإنسان من القوى الباطنة المدركة و المتصرّفة، و معنى إجالتها تحريكها و بعثها في انتزاع الصّور الجزئيّة كما للحسّ المشترك، أو المعاني الجزئيّة كما للوهم.

و قوله: «و فكر يتصرّف بها».

إشارة إلى القوى المفكّرة في آحاد النوع الإنساني و تصرّفها في تفتيش الخزانتين و تركيب بعض مودوعاتها ببعض و تحليلها.

و قوله: «و جوارح يختدمها».

إشارة إلى عامّة الأعضاء الّتي بيّنا أنّها كلّها خدم للنفس، و الأدوات الّتي تقبّلها (تقلّبها) من تلك الأدوات يشبه ان يختص بالأيدي كقوله تعالى:

فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلى ما أَنْفَقَ فِيها [سورة الكهف: ۴۲].

و يمكن أن يكون أعمّ من ذلك كالبصر و القلب لقوله عليه السّلام:

«يا مقلّب القلوب و الأبصار». فيصدق عليها اسم التقليب.

و قوله: «و معرفة يفرق بها بين الحقّ و الباطل».

إشارة إلى استعداد النفس لدرك المعقولات الثانية المسمّى عقلا بالملكة بحسب مالها من المعارف الأولى، أعني البديهيّات فإنّ الحقّ و الباطل أمور كلّيّة و ليس للقوى البدنيّة في إدراك الأمور الكلّيّة حظّ، و يحتمل أن يشير بالمعرفة إلى القوّة الاستعداديّة الأولى للإنسان المسمّاة عقلا هيولانيّا.

و قوله: «و الأذواق و المشام و الألوان و الأجناس».

نبّه هاهنا على ثلاثة أمور:

أحدها أنّ للإنسان آلة بها يدرك المذوقات، و أخرى بها يدرك المشمومات، و أخرى بها يدرك الألوان، و قد بيّنا ذلك.

الثاني، نبّه على أنت النّفس مدركة للجزئيّات بواسطة هذه القوى، إذ عدّها في نسق ما تتصرّف فيه النفس و تفرّق بينه و بين غيره.

الثالث، انّه أخّر قوله: «الأجناس»، تنبيها على أنّ النفس تنتزع الأمور الكلّيّة من تصفّح الجزئيّات فإنّ الأجناس أمور كلّيّة و النفس بعد إدراك الجزئيّات و تصفّحها تتنبّه لمشاركات بينها و مبائنات فتنتزع منها تصوّرات كلّيّة و تصديقات كلّيّة، و كأنّه عنى بالأجناس هاهنا الأمور الكلّيّة مطلقا لا بعضها كما هو في الإصطلاح العلمي.

و قوله: «معجونا بطينة الألوان المختلفة».

النصب على الحال من قوله إنسانا أو الصفة له، و المراد الإشارة إلى أنّ اختلاف أبدان النوع بعضها من بعض بالألوان، بسبب قوّة استعداداتها لذلك كما قال (ص):

فجاء منهم الأحمر و الأبيض و الأسود، كما سبق.

و طينة الألوان: أصلها، و عجنه بها: مزجه بها، و تهيّئه و إعداده لقبولها على اختلافها، و كذلك الحال في البدن الواحد فانّه ليس لجملة أجزائه لون واحد، فإنّ امتزاج بعض الأعضاء يقتضي أن يكون أبيض كالعظام و الأسنان، و بعضها أحمر كالدم، و بعضها أسود كالحدقة و الشعر، و كذلك اختلاف الأشخاص في الصّفات المكنّى بها عن الاختلاف الواردة في تمام الخبر من قوله:

«و السهل و الحزن و الخبيث و الطيّب».

يرجع إلى أنّ الأرض لمّا كانت أكثر العناصر شركة في هذه الأبدان كان لاختلاف بقاعها أثر تامّ في تفاوت الامتزاج لقبول الأخلاق بالسّهو و الحزونة و الخبيث و الطيّب.

و قوله: «و الأشباه المؤتلفة و الأضداد المتعادية و الأخلاط المتباينة من الحرّ و البرد و البلّة و الجمود (و المساءة و السرور)».

أمّا الأشباه المؤتلفة فكالعظام و الأسنان و أشباهها فإنّها أجسام متشابهة ائتلف بعضها مع بعض، و بها قامت الصورة البدنيّة و امتزجت بطينتها، و أمّا الأضداد المتعادية فكالكيفيّات الأربع الّتي ذكرها عليه السّلام، و هي الحرارة و البرودة و الرطوبة الّتي هي البلّة، و اليبس الّذي هو الجمود، و عبّر عنه بلازمه و هو الجمود على ان الجمود في اللغة هو اليبس أيضا، و أمّا الأخلاط المتباينة فهي الأخلاط الأربعة، كما عرفت من الدم و البلغم و الصّفراء و السوداء، و أمّا المساءة و السرور فهي من الكيفيّات النفسانيّة و ماهيّة كلّ منهما ظاهرة.

(في سبب السرور في الإنسان)

و أمّا أسبابها فاعلم، انّ للسرور سببا جسمانيّا معدّا و هو كون حامله الّذي هو الروح النّفساني على كمال أحواله في الكمّيّة لأنّ زيادة الجوهر في الكم يوجب زيادة القوّة في الكيفيّة و هي ان يكون معتدلا في اللطافة و الغلظ، و أن يكون شديد الصفا.

و أمّا السبب الفاعلي له فالأصل فيه تخيّل الكمال كالعلم و القدرة و الإحساس بالمحسوسات الملائمة و التمكّن من تحصيل المرادات و القهر و الاستيلاء على الغير و الخروج عن المؤلم و تذكر الملذّات. و أمّا أسباب الغم فمقابلات هذه، أمّا السّبب المعدّ الجسمانيّ فهو إمّا قلّة الروح كما للناقهين و المنهوكين بالأمراض و (الشيوخ) و المشايخ، و أمّا غلظه (غلظة) فكما للسوداويين، و أمّا رقّته (رقّة) فكما للنساء، و أمّا الفاعلي فمقابل أسباب السرور، و قد يشتدّ كلّ منهما بعد الأسباب المذكورة بتكرّره فيصير السرور أو الغمّ ملكة، و يسمّى صاحبه مفراحا أو مخرانا، و مقصوده عليه السّلام التنبيه على أنّ طبيعة الإنسان فيها قوّة قبول و استعداد لهذه الكفيّات و أمثالها، و تلك القوّة هي المراد بطينة المساءة و السّرور، و الفرق بينها و بين الاستعداد أنّ القوّة تكون على الضدّين و الاستعداد لا يكون إلّا لأحدهما.

قوله: «و استأدى اللّه سبحانه الملائكة وديعته لديهم، و عهد وصيّته إليهم إلى قوله:

إلّا إبليس».

أقول: لمّا كان الّذي يشير إليه كلّ إنسان بقوله أنا هو النّفس الناطقة كان آدم عندهم عبارة عن النّفس الناطقة ثمّ قالوا: المراد بالملائكة الّذين أمروا بالسّجود لآدم هي القوى البدنيّة الّتي أمرت بالخضوع و الخشوع لتكرمة النّفس العاقلة، و الانقياد تحت حكمها و هو الأمر الّذي لأجله خلقوا، أمّا عهد اللّه لديهم و وصيّته إليهم فهو المشار إليه بقوله تعالى:

إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ [سورة ص: ٧٢].

و الخطاب هاهنا خطاب الحكمة الإلهيّة بالقضاء الأزلي قبل الوجود و الاستيذاء لذلك العهد و تلك الوصيّة هو طلب المأمور به أوّلا من الانقياد، و الخضوع من تلك القوى بعد الوجود على ألسنة الرّسل عليهم السّلام بالوحي المنزل و هو قوله:

«فاسجدوا لآدم»، و قوله: «فسجدوا»، إشارة إلى القوى المطيعة لنفوسها العاقلة في أشخاص عباد اللّه الصّالحين، قوله: «إلّا إبليس» و قبيله إشارة إلى الوهم و سائر القوى التابعة له في معارضة العقل في أشخاص الكفار و الفاسقين عن أوامر اللّه سبحانه، و قد عرفت أنّ الوهم رئيس القوى البدنيّة فهي إذن عند معارضته للعقل و متابعتها له جنود إبليس و قبيله.

و أمّا قوله: «اعترته الحميّة، و غلبت عليه الشّقوة، و تعزّز بخلقة النّار و استوهن خلق الصلصال».

فقالوا: إنّ المراد بكون إبليس و قبيله (جنوده) خلقوا من نار، أنّ الأرواح الحاملة لهذه القوى كما عرفت أجسام لطيفة تتكوّن عن لطافة الأخلاط و هي حارّة جدّا (حدّا) مائلة إلى (في) الإفراط، و النّاريّة و الهوائيّة عليها أغلب و تولّدها عنهما أسهل و هي آخر أجزاء البدن، و كذلك القلب الّذي هو منبعها فكانت تلك الأرواح كالأبدان لهذه القوى، فكذلك نسب إبليس إلى النار فقال تعالى حكاية عنه:

خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ [سورة الأعراف: ١٢].

و قال:

وَ الْجَانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ [سورة الحجر: ٢٧].

أي قدّرنا قبل وجوده أن تكون الناريّة و الهوائيّة على وجود أغلب.

و قال بعضهم أنّه لمّا كانت النّار ألطف العناصر و كانت هذه القوى و أرواحها ألطف الأمور الجسمانيّة، و تكوّنها عن ألطف الأخلاط كانت نسبتها إلى النّار أولى من سائر العناصر لمكان المشابهة في اللطافة، فجاز أن يطلق على أصله أنّه نار.

(في بيان سبب استكبار إبليس عن السجود)

لا يقال: إذا كان آدم هو النفس الناطقة فما معنى قول إبليس و خلقته من طين.

لأنّا نقول: كما صدق أن إبليس مخلوق من نار بمعنى أنّ الغالب على الروح الحامل له هو عنصر النار كذلك يصدق أنّ آدم من طين بمعنى أنّ الغالب على بدنه الأرضيّة، و أيضا فإنّ الوهم لا يدرك إلّا المعاني الجزئيّة المتعلّقة بالمحسوسات فلا يصدق حكمه و مساعدته إلّا فيما كان محسوسا، و لمّا ثبت أنّ النفس جوهر مجرّد لم يكن إعتقاد إبليس أنّ الإنسان شيء غير هذا البدن المتكوّن عن الطين، إذا ثبت ذلك فنقول:

اعتراء الحميّة و التعزّز بالانتساب إلى عنصر النار نسبة مجازيّة، إذا العادة جارية بأن يأنف الإنسان من الأصل الناقص و أن يفتخر و يتعزّز بالأصل الشريف و الانتساب إليه، فكان لسان حال إبليس و القوى المتابعة له يقول على جهة الاستنكار و الاستكبار: أ أسجد لبشر خلقته من صلصال من حماء مسنون، و أنا مخلوق من النّار الّتي هي أشرف العناصر، قالوا: و لمّا علم اللّه ذلك من حال إبليس لعنه و طرده و أخرجه من الجنّة، و ذلك قوله

تعالى:

فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَ إِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلى يَوْمِ الدِّينِ [سورة الحجر: ۳۴- ۳۵].

قالوا: و ذلك انّك علمت أنّ الجنّة تعود إلى معارف الحقّ سبحانه، و الابتهاج بمطالعة أنوار كبريائه، و درجات الجنّة هي المراتب الّتي ينتقل العقل فيها في مقامات السلوك إلى حظائر القدس و مجاورة الملاء الأعلى، و علمت أنّ حال الوهم قاصر عن الانتقال على تلك المراتب فطرده و لعنه و تحريم الجنّة عليه يعود إلى تكوينه على الطبيعة الّتي هو عليها القاصرة عن إدراك العلوم الكلّيّة الّتي هي ثمار الجنّة و قطوفها و القضاء عليه بذلك قالوا: و ممّا ينبّه على ذلك قوله:

رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ [سورة الحجر: ۳۹- ۴۰].

أي بما خلقتني على هذه الجبلّة لا اهتدي لدخول الجنّة و لا أتمكّن منها لأجذبنّهم إلى المشتهيات و تزيين الملذّات الجاذبة لهم عن عبادتك حتّى لا يهتدوا إلى الجنّة الّتي لأجلها خلقتهم و لا يلتفتوا إليها إلّا من عصمته منّي و جعلت له سلطانا على قهري و غلبتي و هم عبادك المخلصون أي النفوس الكاملة المطهّرة عن متابعة قواها المسلّط على قهر شياطينها و قهرها و كذلك قوله:

قالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ [سورة الحجر: ۳۶].

فإنّه لمّا كان البعث الأوّل هو مفارقة النّفوس لأبدانها و انبعاثها إلى عالمها و كانت طبيعة الوهم قاضية بمحبّة البقاء في دار الدنيا إذ لا حظّ له في غيرها أحسن من لسان حاله أنّ يقول: «ربّ انظرني إلى يوم يبعثون».

و قوله: فأعطاه اللّه النظرة، لمّا كان الوهم باقيا في البدن هو و جنوده إلى يوم البعث حسن من لسان الحكمة الإلهيّة أن يقول إنّك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم و ذلك معنى إعطائه النظرة، قوله: «استحقاقا السخطة، و استتماما للبليّة، و إنجازا للعدة».

فقد عرفت أنّ البليّة نصب على المفعول له، ثمّ إنّ إفساد (فساد) الوهم و ابتلاء الخلق به و الشرّ الصادر عنه أمور داخلة في القضاء الإلهي بالعرض فيصدق عليه أنّه مراد و أنّ الإنظار و الإمهال له و كذلك استحقاق السخطة و إنجاز العدة، و اطلاق لفظ السخطة استعارة فإنّ السخط لمّا كان عبارة عن حالة للإنسان يستلزم وجود مغضوب عليه غير مرضيّ بأفعاله، و كان حال إبليس في إنظار اللّه إيّاه و فسوقه عن أمر ربّه مستلزما لإعراض اللّه سبحانه عنه و عمّن عصاه بمتابعته كان هناك نوع مشابهة، فحسن لأجلها إطلاق لفظ السخطة أمّا العدة فتعود إلى قضاء الحكمة الإلهيّة ببقاء الوهم إلى يوم البعث، و إنجازها يعود إلى موافقة القدر لذلك القضاء، و قال بعضهم: إنّه لمّا كان هاهنا صورة مطرودة و مبعّد و ملعون حسن إطلاق (لفظ) السخطة و استحقاقها و انّه إنّما انظر لأجلها و هو ترشيح للاستعارة.

قوله: «ثمّ أسكن اللّه سبحانه آدم دارا أرغد فيها عيشه، و آمن فيها محلّته و حذّره إبليس و عداوته».

(في طهارة الإنسان بالفطرة)

أقول: الدار الّتي أسكن فيها آدم هي الجنّة و الإشارة هاهنا إلى (أنّ) الإنسان من أوّل زمان إفاضة القوّة العاقلة

عليه إلى حين استرجاعها مادام مراعيا لأوامر الحقّ سبحانه غير منحرف عن فطرته الأصليّة و لا معرض عن عبادته و لا ملتفت إلى غيره فإنّه في الجنّة و إن كانت الجنّة على مراتب كما قال تعالى:

لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ [سورة الزمر: ٢٠].

و لذلك قال صلّى اللّه عليه و آله:

كلّ مولود يولد على الفطرة و إنّما أبواه هما اللذان يهوّدانه و ينصّرانه.

إذ كانت نفسه قبل الجواذب الخارجيّة عن القبلة الحقيقيّة غير مدنّسة بشيء من الإعتقادات الفاسدة و الهيئات الرديئة، و ان كانت المرتبة السامية و الغرفة العالية إنّما تنال بعد المفارقة، و استصحاب النّفس لأكمل زاد، و أمّا إرغاد العيش فيعود إلى ابتهاجه بالمعقولات و المعارف الكلّيّة و أمان المحلّة أمان مكانه في الجنّة أن يعرض له خوف أو حزن مادام فيها، و أمّا تحذيره من إبليس و عدواته فظاهر من الأوامر الشرعيّة و لسان الوحي ناطق كما قال تعالى:

إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِزَوْجِكَ [سورة طه: ١١٧].

(في بيان وجه عداوة إبليس مع آدم (ع))

و وجه العداوة ظاهر ممّا قلنا، فإنّ النفس لمّا كانت من عالم المجرّدات و كان الوهم بطبعة منكرا لهذا القسم من الممكنات كان منكرا لما تأمر به النّفس من الأمور الكلّيّة الّتي لا حظّ له في إدراكها و ذلك من مقتضيات العداوة، و لأنّ نظام أمر النفس و مصلحتها لا يتمّ إلّا بقهر الوهم و القوى البدنيّة عن مقتضيات طباعها و تمام مطالب القوى لا يحصل إلّا بانقهار النفس فكانت بينهما مجاذبة طبيعية و عداوة أصليّة إذ لا معنى للمعاداة إلّا المجانبة لما يتصوّر كونه مؤذيا.

قوله: «فاغترّه عدوّه نفاسة عليه بدار المقام و مرافقة الأبرار».

أقول: يقال: إنّ اللّه تعالى لمّا حذّره إبليس و عداوته كان قد نهاه عن أكل شجرة يقال أنها شجرة البرّ، و أعلمه أنّه إن أكل منها كان ظالما لنفسه مستحقّا لسخط اللّه عليه، و ذلك قوله تعالى:

وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ [سورة البقرة: ٣٥].

قالوا: و تلك الشجرة هي الشجرة الخبيثة الّتي اجتثّت من فوق الأرض مالها من قرار و هي عائدة إلى المشتهيات الدنيويّة الفانية و اللذّات البدنيّة الخارجة عن المحدودات في أوامر اللّه، و تناولها هو العبور فيها إلى طرف الإفراط عن وسط القانون العدل.

و أمّا كونها شجرة البرّ فقالوا: إنّ البرّ لمّا كان هو قوام الأبدان و عليه الاعتماد في أنواع المطعومات و الملاذ البدنيّة حسن أن يعبّر به عنها، فيقال: هي شجرة البرّ كناية عن الفرع بالأصل.

فأمّا اغترار إبليس له فاعلم، أنّ حقيقة الغرور هو سكون النّفس إلى ما يوافق الهوى و يميل إليه بالطبع عن شبهة و خدعة من إبليس، فاغتراره يعود إلى استغفال النفس بالوسوسة الّتي حكى اللّه تعالى عنها بقوله:

فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ قالَ يا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَ مُلْكٍ لا يَبْلى [سورة طه: ١٢٠].

(في بيان حقيقة الوسوسة)

و لنبحث عن حقيقة الوسوسة فنقول:

انّ الفعل إنّما يصدر عن الإنسان بواسطة أمور مترتبة ترتيبا طبيعيّا، أوّلها تصوّر كون الفعل ملائما و هو المسمّى بالداعي، ثمّ إنّ ذلك الشعور يترتّب عليه ميل النفس إلى الفعل المسمّى ذلك الميل إرادة فيترتّب على ذلك الميل حركة القوّة النزوعيّة المحرّكة للقوّة المسمّاة القدرة المحرّكة للعضل إلى الفعل.

إذا عرفت ذلك فنقول:

صدور الفعل عن مجموع القدرة و الإرادة أمر واجب فليس للشّيطان فيه مدخل، و وجود الميل عن تصوّر كونه نافعا و خيرا أمر لازم فلا مدخل للشّيطان أيضا فيه فلم يبق له مدخل إلّا في إلقاء ما يتوهّم كونه نافعا أو لذيذا إلى النفس ممّا يخالف أمر اللّه سبحانه فذلك الالتقاء في الحقيقة هو الوسوسة و هو عين ما حكى اللّه سبحانه عنه بقوله:

وَ ما كانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي [سورة إبراهيم: ٢٢].

(في بيان سبب متابعة الشيطان)

إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ متابعة إبليس يعود إلى انقياد النفس لجذب الوهم و القوى البدنيّة الّتي هي الشيطان عن الوجهة المقصودة و القبلة الحقيقيّة، و هي عبادة الحقّ سبحانه، و فتنتها لها بتزيين ما حرّم اللّه عليها، فأمّا ما يقال: إنّ إبليس لم يكن له تمكّن من دخول الجنّة، و إنّما توسّل بالحيّة و دخل في فمها إلى الجنّة حتّى تمكّن من الوسوسة لآدم عليه السّلام و اغتراره، فقالوا:

المراد بالحيّة هي القوّة المتخيّلة، و ذلك أنّ الوهم إنّما يتمكّن من التصرّف و بعث القوى المحرّكة كالشهوة و الغضب الّتي هي جنوده و شياطينه على طلب الملاذ البدنيّة و الشهوات الحسيّة الدنيّة، و جذب النّفس إليها بتصوير كونها لذيذة نافعة بواسطة القوّة المتخيّلة، و وجه تشبيهها بالحيّة أنّ الحيّة لمّا كانت لطيفة سريعة الحركة تتمكّن من الدخول في المنافذ الضيّقة و تقدر على التصرّف الكثير، و هي مع ذلك سبب من أسباب الهلاك بما تحمله من السمّ و كانت المتخيّلة في سرعة حركاتها و قدرتها على التصرّف السريع، و الإدراك ألطف من سائر القوى، و هي الواسطة بين النفس و الوهم، كانت بما اشتملت عليه من تحمّل كيد إبليس و إلقاء الوسوسة بواسطتها إلى النفس سببا قويّا للهلاك السرمد و العذاب المؤبّد، لا جرم كان أشبه ما يشبه به الحيّة لما بينهما من المناسبة فحسن إطلاق لفظ الحيّة عليها.

قوله: «نفاسة عليه»، ترشيح للاستعارة لأنّه لمّا كان جذب الوهم للنفس إلى الجنّة السافلة مانعا لها من الكرامة بدار المقامة و مستنزلا لها عن درجة مرافقة الملأ الأعلى، و كان ذلك أعظم ما تنفس به كما قال تعالى:

وَ فِي ذلِكَ فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ [سورة المطفّفين: ٢٦].

و عرفت أنّ ذلك الجذب عن صورة معاداة كما سبق و كان من لوازم المعاداة النفاسة على العدوّ بكلّ ما يعدّ

كمالا له لا جرم حسن اطلاق النفاسة هاهنا ترشيحا لاستعارة العداوة، (و النصب على المفعول له).

قوله: «فباع اليقين بشكّه و العزيمة بوهنه».

أي لمّا حصلت الوسوسة و الاغترار لآدم فانقاد لها كان قد بدّل ما تيقّنه و من أنّ شجرة الخلد و الملك الّذي لا يبلي هو نور الحقّ و البقاء في جنّته و دوام مطالعة كبريائه بالشكّ فيه بواسطة وسوسة إبليس، و ذلك أنّ الأمور الموعودة من متابع الآخرة و ما أعدّه اللّه لعباده الصالحين أمور خفيت حقائقها على أكثر البصائر البشريّة، و إنّما الغاية في تشويقهم إليها أن يمثّل لهم بما هو مشاهد لهم من اللذّات البدنيّة الحاضرة فترى كثيرا منهم لا يخطر بباله أن يكون في الجنّة أمر زائد على هذه اللّذات فهو يجتهد في تحصيلها، إذ لا يتصوّر وراءها أكثر منها، ثمّ إن صدق بها على سبيل الجملة تصديقا للوعد الكريم فإنّه لا يتصوّر كثير تفاوت بين الموعود به و الحاضر، بحيث يرجّح ذلك التفاوت عنده ترك الحاضر لما وعد به، بل يكون ميل طبعه إلى الحاضر، و توهّم كونه أنفع و أولى به أغلب عليه، و أن تيقّن بأصل عقله أنّ الأولى به و أنفع له و الأبقى هو متاع الآخرة، فتارة يطرأ على ذلك اليقين غفلة عنه و نسيان له بسبب الاشتغال باللّذات الحاضرة و الانهماك فيها، و ذلك معنى قوله تعالى: فَنَسِيَ.

و تارة لا تحصل الغفلة الكلّيّة بل يكون الوهم المذكور قويّا فيعارض ذلك اليقين بحيث يوجب في مقابلته شبهة و شكّا، و ذلك معنى قوله عليه السّلام: فباع اليقين بشكّه، و لا منافاة بين قوله تعالى: فَنَسِيَ، و بين الشكّ هاهنا.

و قوله: و العزيمة بوهنه، أي تعوّض من العزم و التصميم الّذي كان ينبغي له في طاعة الحقّ سبحانه بالضعف و التعاجز عن تحمّله كما قال تعالى:

وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً [سورة طه: ١١٥].

و اطلاق لفظ البيع هاهنا استعارة حسنة إذ كان مدار البيع على استعاضة شيء بشيء سواء كان المستعاض أجلّ أو أنقص، و مثله قوله تعالى:

أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَياةَ الدُّنْيا بِالْآخِرَةِ [سورة البقرة: ٨۶].

فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ [سورة البقرة: ١۶].

و قوله: «فاستبدل بالجذل و جلا»، و بالاغترار ندما، إلى قوله: «و تناسل الذّرّيّة».

فيه تقديم و تأخير، و تقديره: و العزيمة بوهنه، فأهبطه اللّه إلى دار البليّة و تناسل الذريّة، فاستبدل بالجذل و جلا و بالاغترار ندما، ثمّ أناب إلى اللّه فبسط له في توبته و لقاه كلمة رحمته و وعده المردّ إلى جنّته، و ذلك لأنّ الإهباط عقيب الزلّة، و استبدال الجذل بالوجل بعد الإهباط من الجنّة، و الإخراج منها، و قد ورد القرآن الكريم بهذا النظم في سورة البقرة، و هو قوله:

فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطانُ عَنْها فَأَخْرَجَهُما مِمَّا كانا فِيهِ وَ قُلْنَا اهْبِطُوا [سورة البقرة: ٣۶].

ثمّ قال عقيبه:

فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ [سورة البقرة: ٣٧].

و ورد أيضا على النظم الّذي ذكره عليه السّلام في سورة طه و ذلك قوله:

وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وَ هَدى قالَ اهْبِطا [سورة طه: ١٢١- ١٢٣].

فقدم الاجتباء و التوبة على الإهباط و كلاهما حسن، قالوا: و معنى الإهباط له هو انزاله عن دار كرامته و استحقاق إفاضة نعيم الجنّة، و ذلك أنّ النفس الناطقة إذا أعرضت عن جناب الحق سبحانه، و التفتت إلى متابعة الشياطين و أبناء الجنّ و موافقة إبليس بعدت عن رحمة اللّه و تسوّد لوحها عن قبول الأنوار الإلهيّة، و امّا دار البليّة و تناسل الذريّة، فإشارة إلى الدنيا، فإنّ الإنسان إذا التفت بوجهه إليها، و أقبل بكلّيه عليها هبط من أعلى علّيّين إلى أسفل سافلين، و لم يزل ممنوّا ببلاء (على) أثر إذ لا يقدّم في كلّ لحظة و وقت فوت مطلوب أو فقد محبوب يطلب ما لا يدرك، و يجد ما لا يطلب و كفى بانقطاعه عن اللّه تعالى بالتفاته إليها بلاء و أعظم به شفاء إذ كان سبب البعد عن رحمته و الطرد عن أبواب جنّته.

فإن قلت: لم ذكر تناسل الذريّة في معرض الإهانة لآدم مع أنّه في الحقيقة من الأمور الخيريّة المندرجة في سلك العناية الإلهيّة، فإنّ به بقاء النوع و دوام الإفاضة.

قلت: إنّه و إن كان كذلك إلّا أنّه لا نسبة له في الحقيقة إلى الخير الّذي كان في الجنّة، فإنّ تناسل الذريّة خير إضافيّ عرضيّ بالنسبة إلى الكمال الّذي يحصل لأبناء النوع و ذريّته.

ثمّ النسبة إن حصلت فنسبة (أخص) أخسّ إلى أشرف، فإنّ إنزاله و إهباطه عن استحقاق تلك المراتب السامية و الإفاضات العالية إلى هذه المرتبة الّتي يشارك فيها البهيمة و سائر أنواع الحشرات نقصان عظيم و خسران مبين.

قوله: «و استبدل بالجذل و جلا، و بالاغترار ندما.

ظاهر، فإنّ المقبل بوجهه على عباده الحقّ سبحانه المستشرق لأنوار كبريائه المعرض عمّا سواه أبدا مسرور مبتهج فإذا أعرض عمّا يوجب السرور و الفرج و التفت إلى خسائس الأمور بسبب شيطان قاده إليها و زيّنها لعينه فانكشف عنه سرّ اللّه و بدت سوأته للناظرين بعين العاقبة من عباد اللّه الصالحين، ثمّ أخذت بصبعه العناية الإلهيّة و تداركته الرحمة الربّانيّة فانتبه من رقدة الغافلين في مراقد الطبيعة فرأى السلائل و الأغلال قد أحاطت به و شاهد الجحيم مسعّرة عن جنبتي الصراط المستقيم، و تذكّر قوله تعالى: فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدايَ فَلا يَضِلُّ وَ لا يَشْقى وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى [سورة طه: ١٢٣- ١٢٤].

فلا بدّ و أن يصبح و جلا قلقا يقلّب كفّيه حسرة و ندما و جلا ممّا يلحقه من سخط اللّه نادما على ما فرّط في جنب اللّه.

و قوله: «ثمّ بسط اللّه سبحانه له في توبته، و لقّاه كلمة رحمته».

فالمراد الإشارة إلى أنّ الجود الإلهي لا بخل فيه، و لا منع من جهته، و إنّما النقصان من جنبه (جهة) القابل و عدم استعداده فإذا استعدّت النفس لتدارك رحمة اللّه و جذبتها العناية الإلهيّة من ورطات الهلاك الأبدي فأيّدتها بالمعونة على إبليس و جنوده و بصّرتها بمفاتح أفعاله (بمقابح أحواله) و ما يدعوا إليه، فأخذت في مقاومته و الترصّد لدفع مكائده، فذلك هو معنى إنابتها و توبتها، و أمّا كلمة رحمة اللّه الّتي لقّاها آدم فتعود إلى

السوانح الإلهيّة الّتي (تنسخ) تسنخ للعبد فتكون سببا لجذبه عن مهاوي الهلاك و توجيهه عن الجنّة السافلة إلى القبلة الحقيقيّة و إمداده بالملائكة حالا فحالا و رفعه في مدارج الجلال الّتي هي درجات الجنّة.

و قوله: «و وعده المردّ إلى جنّته».

إشارة إلى وعد القضاء الإلهيّ الناطق عنه لسان الوحي الكريم:

فَمَنِ اتَّبَعَ هُدايَ فَلا يَضِلُّ وَ لا يَشْقى [سورة طه: ۱۲۳].

يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَ يُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ [سورة التحريم: ۸].

و كذلك سائر أنواع وعد التائبين فهذا ما يتعلّق بهذه القصّة من التأويل، و باللّه العصمة و التوفيق.

## ۱-۵-۱۰-۲-۲-۴ الفصل الرابع في بعث الأنبياء و الرّسل من ذريّته و الكتب النازلة عليهم من اللّه تعالى

قوله: «و اصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، و على تبليغ الرّسالة أمانتهم، لمّا بدّل أكثر خلقه عهد اللّه إليهم فجهلوا حقّه، و اتّخذوا الأنداد معه، و اجتالهم الشياطين عن معرفته، و اقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، و واتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، و يذكّرونهم منسيّ نعمته، و يحتجّوا عليهم بالتبليغ، و يثيروا لهم دفائن العقول، و يروهم آيات (المقدرة) القدرة (المقدّرة): من سقف فوقهم مرفوع، و مهاد تحتهم موضوع، و معايش تحييهم، و آجال تفنيهم، و أوصاب تهرمهم، و أحداث تتابع عليهم، و لم يخل اللّه سبحانه خلقه من نبيّ مرسل، أو كتاب منزل، أو حجّة لازمة، أو محجة قائمة: رسل لا تقصّر بهم قلّة عددهم، و لا كثرة المكذّبين لهم: من سابق سمّي له من بعده أو غابر عرّفه من قبله: على ذلك نسلت القرون، و مضت الدهور، و سلفت الآباء، و خلقت الأبناء.

إلى أن بعث اللّه سبحانه محمّدا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، لإنجاز عدته، و تمام (إتمام) نبوّته، مأخوذا على النبيّين ميثاقه، مشهورة سماته، كريما ميلاده، و أهل الأرض يومئذ ملل متفرّقة، و أهواء منتشرة، و طرائق متشتّتة، بين مشبّه للّه بخلقه، أو ملحد في اسمه، أو مشير إلى غيره، فهداهم به من الضّلالة، و أنقذهم بمكانه من الجهالة، ثمّ اختار سبحانه لمحمّد صلّى اللّه عليه و آله لقاءه، و رضي له ما عنده، و أكرمه عن دار الدنيا، و رغب به عن مقام (مقارنة) البلوى فقبضه إليه كريما صلّى اللّه عليه و آله، و خلّف فيكم ما خلّفت الأنبياء في أممها، إذ لم يتركوهم هملا، بغير طريق واضح، و لا علم قائم، كتاب ربّكم فيكم: مبيّنا حلاله و حرامه، و فرائضه و فضائله، و ناسخه و منسوخه، و رخصه و عزائمه، و خاصّه و عامّه، و عبره و أمثاله، و مرسله و محدوده، و محكمه و متشابهه، مفسّرا مجمله (جمله) و مبيّنا غوامضه، بين مأخوذ ميثاق علمه، و موسّع على العباد في جهله، و بين مثبت في الكتاب فرضه، و معلوم في السّنّة نسخه، و واجب في السّنة أخذه، و مرخّص في الكتاب تركه، و بين واجب بوقته، و زائل في مستقبلة، و مباين بين محارمه، من كبير أوعد عليه نيرانه، أو صغير أرصد له غفرانه، و بين مقبول في أدناه، موسّع في أقصاه.

(في شرح ألفاظ الفصل الرّابع من الخطبة)

أقول: الإصطفاء: الاستخلاص، و الأنداد: الأمثال، و اجتالتهم، أي أدارتهم و اجتذبتهم، و واتر، أي أرسل وترا بعد وتر، أي واحدا بعد آخر، و الفطرة الخلقة، و المهاد الفراش، و الأوصاب الأمراض، و الأحداث المصائب و تخصيصها بذلك عرفيّ، و الحجّة ما يحجّ به الإنسان غيره أي يغلبه به، و المحجّة جادّة الطريق، و الغابر الباقي و الماضي أيضا و هو من الأضداد، و القرن الأمّة، و نسلت أي درجت و مضت مأخوذ من نسل ريش الطائر و نسل الوبر إذ وقع، و العدة الوعد، و إنجازها قضاؤها، و السمة:

العلامة، و ميلاد الرجل محلّ ولادته من الزمان أو المكان، و الملحد العادل عن الاستقامة على الحقّ، و النسخ في اللغة الإزالة، و الرخصة التساهل في الأمر، و العزيمة الهمّة، و هذه الألفاظ الثلاثة مخصوصة في العرف بصورة (على معان) أخرى كما نذكره، و أرصدت له كذا أي هيّأته له، و هاهنا أبحاث:

البحث الأوّل: الضمير في ولده راجع إلى آدم عليه السّلام، ثمّ إن كانت الإشارة بآدم إلى النوع الإنساني فنسبة الولادة إليه في العرف ظاهرة صادقة، فإنّ كلّ أشخاص نوع هم أنباء ذلك النوع في اصطلاح أهل التأويل، و كذلك إن كان المراد به أوّل شخص وجد.

و اعلم أنّ اصطفاء اللّه للأنبياء يعود إلى إفاضة الكمال النبويّ عليهم بحسب ما و هبت لهم العناية الإلهيّة من القبول و الاستعداد، و أخذه على الوحي ميثاقهم و على تبليغ الرسالة أمانتهم هو حكم الحكمة الإلهيّة عليهم بالقوّة على ما كلّفوا به من ضبط الوحي في ألواح قواهم و جذب سائر النفوس الناقصة إلى جناب عزّة بحسب ما أفاضهم من القوّة على ذلك الاستعداد له و ما منحهم من الكمال الّذي يقتدرون معه على تكميل الناقصين من أبناء نوعهم، و لمّا كانت صورة العهد و أخذ الأمانة في العرف أن يوغر إلى الإنسان بأمر و يؤكّد عليه القيام به بالإيمان و إشهاد الحقّ سبحانه، و كان الحكم الإلهي جاريا بإرسال النفوس الإنسانيّة إلى هذا العالم و كان مراد العناية الإلهيّة من ذلك البعث أن يظهر ما في قوّة كلّ نفس من كمال أو تكميل إلى الفعل، و كان ذلك لا يتمّ إلّا بواسطة بعضها للبعض، كان الوجه الّذي بعثت عليه مشابها للعهد و الميثاق المأخوذ و الأمانة المودعة كلّ لما في قوّته و ما أعدّ له فحسن إطلاق هذه الألفاظ و استعارتها هاهنا.

(في بيان سبب إرسال الرّسل و آثارهم في الإنسان)

قوله: «لمّا بدّل أكثر خلق اللّه عهده إليهم فجهلوا حقّه و اتّخذوا الأنداد معه و اجتالتهم الشياطين عن معرفته و اقتطعتهم عن عبادته إلى آخره».

إشارة إلى وجه الحكمة الإلهيّة في وجود الأنبياء عليهم السّلام و لوازمه و هي شرطيّة متصلة قدّم فيها التالي لتعلّق ذكر الأنبياء عليهم السّلام بذكر آدم، و التقدير لمّا بدّل أكثر فخلق اللّه عهده إليهم اصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم فبعثهم في الخلق، و ذلك العهد هو المشار إليه بقوله تعالى:

وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ [سورة الأعراف: ١٧٢].

قال ابن عبّاس:

لمّا خلق اللّه آدم مسح على ظهره فأخرج منه كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة فقال:

أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى [سورة الأعراف: ١٧٢].

فنودي يومئذ: حفّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة .

و اعلم، أنّ أخذ الذرّية يعود إلى إحاطة اللوح المحفوظ بما يكون من وجود النوع الإنساني بأشخاصه، و انتقاشه بذلك عن قلم القضاء الإلهي، و لمّا كان بالإنسان تمام العالمين في الوجود الخارجي فكذلك هو في التقدير القضائي المطابق له، و به يكون تمام التقدير و جفاف القلم، و امّا إشهادهم على أنفسهم فيعود إلى إنطاق إمكانهم بلسان الحاجة إليه و أنّه الإله المطلق الّذي لا إله غيره، و امّا بيان ملازمة الشرطيّة فلأنّه لمّا كان الغالب على الخلق حبّ الدنيا، و الإعراض عن مقتضى الفطرة الأصليّة الّتي فطرهم عليها، و الالتفات عن القبلة الحقيقيّة الّتي أمروا بالتوجّه إليها، و ذلك بحسب ما ركّب فيهم من القوى البدنيّة المتنازعة إلى كمالاتها لا جرم كان من شأن كونهم على هذا التركيب المخصوص أن يبدّل أكثرهم عهد اللّه سبحانه إليهم من الدوام على عبادته و الاستقامة على صراطه المستقيم، و عدم الانقياد لعبادة الشيطان، كما قال سبحانه:

أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ [سورة يس: ۶۰].

و أن يجهلوا حقّه للغفلة بحاضر لذّاتهم عمّا يستحقّه من دوام الشكر، و أن يتخذوا الأنداد معه لنسيانهم العهد القديم، و أن يجتذبهم عن معرفته الّتي هي ألذّ ثمار الجنّة، و أن تقطعهم عن عبادته الّتي هي المرقاة إلى اقتطاف تلك الثّمرة، و لمّا كان من شأنهم ذلك وجب في الحكمة الإلهيّة أن يختصّ صنفا منهم بكمال أشرف يقتدر معه أبناء ذلك الصنف على ضبط الجوانب المتجاذبة، و على تكميل الناقصين ممّن دونهم، و هم صنف الأنبياء عليهم السّلام (و الغاية منهم ما أشار إليه) بقوله: «ليستأدوهم ميثاق فطرته»، أي ليبعثوهم على أداء ما خلقوا لأجله و فطروا عليه من الإقرار بالعبوديّة للّه، و يجذبوهم عمّا التفتوا إليه من اتّباع الشّهوات الباطلة (الباطنة) و اقتناء اللّذات الوهميّة الزائلة، و ذلك البعث و الجذب تارة يكون بتذكيرهم نعم اللّه الجسميّة و تنبيههم على شكر ما أولاهم به من منه العظيمة، و تارة يكون بالترغيب فيما عنده (عقده) سبحانه ممّا أعدّه لأوليائه الأبرار، و تارة بالترهيب ممّا أعدّه لأعدائه الظالمين من عذاب النار، و تارة بالتنفير عن خسائس هذه الدار، و بيان وجوه الاستهانة بها و الاستحقار، و إلى ذلك أشار بقوله: «و يذكّروهم منسيّ نعمته».

و لا بدّ للمجادلة و المخاطبة من احتجاج مقنع و مقحم فيحتجّوا عليهم بتبليغ رسالات ربّهم و إنذارهم لقاء يومهم الّذي يوعدون، و يثيروا (يشيروا) لهم وجوه الأدلّة على وحدانيّة المبدع الأوّل، و تفرّده باستحقاق العبادة، و هو المراد بدفائن العقول و كنوزها، و استعمال الدفائن هاهنا استعارة لطيفة فإنّه لمّا كانت جواهر العقول و نتائج الأفكار موجودة في النفوس بالقوّة أشبهت الدفائن، فحسن استعارة لفظ الدفينة لها، و لمّا كانت الأنبياء هم الأصل في استخراج تلك الجواهر لإعداد النفوس لإظهارها حسنت إضافة إثارتها إليهم، و كذلك ليرشدهم إلى تحصيل مقدّمات تلك الأدلّة و البراهين و موادّها و هي آيات القدرة الإلهيّة و آثارها من سقف فوقهم محفوظ مرفوع مشتمل على بدائع الصنع و غرائب الحكم، و مهاد تحتهم موضوع، فيه ينتشرون و عليه يتصرفون، و معايش بها يكون قوام حياتهم الدنيا، و بلاغا لمدّة بقائهم لما خلقوا له، و آجال مقدّرة بها يكون فناؤهم و رجوعهم إلى بارئهم، و أعظم بالأجل آية رادعة و تقديرا جاذبا إلى اللّه تعالى، و لذلك قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

أكثروا من ذكرها ذم اللّذات .

إلى غير ذلك من الأمراض الّتي تضعف قواهم و تهرمهم، و المصائب الّتي تتتابع عليهم فإنّ كلّ هذه الآثار موادّ

احتجاج الأنبياء على الخلق لينبّهوهم بصدورها عن العزيز الجبار عزّ سلطانه، على انّه هو الملك المطلق الّذي له الخلق و الأمر، و ليقرّروا في أذهانهم صورة ما نسوه من العهد المأخوذ عليهم في الفطرة الأصليّة من أنّه سبحانه هو الواحد الحقّ المتفرّد باستحقاق العبادة، و إلى ذلك أشار القرآن الكريم:

وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَ هُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ [سورة الأنبياء: ٣٢].

و قوله:

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها [سورة البقرة: ١٦۴] و قوله تعالى:

وَ السَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ وَ الْأَرْضَ فَرَشْناها فَنِعْمَ الْماهِدُونَ وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [سورة الذّاريات: ۴٧- ۴٩].

إلى غير ذلك من الآيات الدّالة على احتجاج الخالق سبحانه على خلقه بألسنة رسله و تراجمة وحيه، و جذبهم بهذه الألطاف إلى القرب من ساحل عزّته و الوصول إلى حضرة قدسه سبحانه و تعالى عمّا يشركون، وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ [سورة إبراهيم: ٣۴].

(في أنّ اللّه سبحانه لم يخل أمّة من بنيّ مرسل)

قوله: «و لم يخل اللّه سبحانه خلقه إلى قوله: و خلقت الأبناء».

أقول: المقصود الإشارة إلى بيان عناية اللّه سبحانه بالخلق حيث لم يخل أمّة منهم من نبيّ مرسل يجذبهم إلى جناب عزّته كما قال تعالى:

وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ [سورة فاطر: ٢۴].

أو (و) كتاب منزل يدعوهم إلى عبادته و يذكّرهم فيه منسيّ عهده و يتلى عليهم فيه أخبار الماضين و العبر اللاحقة للأوّلين و يحتجّ عليهم فيه بالحجج البالغة، و الدلائل القاطعة، و يوضح لهم فيه أمور نظامهم و ينبّههم على مبدئهم و معادهم، و الانفصال هاهنا انفصال مانع من الخلوّ كما هو مصرّح به.

قوله: «رسل لا تقصّر بهم قلّة عددهم، و لا كثرة المكذّبين لهم».

أي هم رسل كذلك، و المراد الإشارة إلى أنّهم و إن كانوا قليلي العدد بالنسبة إلى كثرة الخلق، و كان عدد المكذّبين لهم كثيرا كما هو المعلوم من أنّ كلّ نبيّ بعث إلى أمّة فلا بدّ فيهم فرقة تنابذه و تعانده، و تكذّب مقالة فإنّ ذلك لا يولّيهم قصورا عن أداء ما كلّفوا القيام به من حمل الخلق على ما يكرهون ممّا هو مصلحة لهم في معاشهم و معادهم، بل يقوم أحدهم وحده و يدعوا إلى طاعة بارئه و يتحمّل أعباء المشقة التّامّة في مجاهدة أعداء الدّين، و ينشر دعوته في أطراف الأرض بحسب العناية الأزليّة و الحكمة الإلهيّة، و تبقى آثارها محفوظة و سنتها قائمة إلى أن تقتضي الحكمة وجود شخص آخر منهم يقوم ذلك المقام، رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ [سورة النساء: ١۶۵].

قوله: «من سابق سمّي من بعده». تفصيل (تفضيل) للأنبياء، و «من» هاهنا للتمييز و التبيين، و المراد أنّ السّابق منهم قد اطلعه اللّه تعالى على العلم بوجود اللاحق له بعده فبعضهم كالمقدّمة لتصديق البعض كعيسى عليه السّلام حيث قال:

وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ [سورة الصفّ: ۶].

و بين لاحق سمّاه من قبله كمحمّد صلّى اللّه عليه و آله، و على ذلك أي على هذه الوتيرة و الأسلوب و النظام الإلهي، مضت الأمم و سلفت الآباء و خلفتهم (خلفت) الأبناء.

قوله: «إلى أن بعث اللّه سبحانه محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» إلى قوله: «من الجهالة».

و اعلم أنّه عليه السّلام ساق هذه الخطبة من لدن آدم إلى أن انتهى إلى محمّد صلّى اللّه عليه و آله كما هو الترتيب الطبيعي إذ هو الغاية من طينة النبوّة و خاتم النبيّين كما نطق به القرآن الكريم:

ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ [سورة الأحزاب: ۴۰].

ثمّ شرع بعد ذلك في التنبيه على كيفيّة اهتداء الخلق به و انتظام أمورهم في معاشهم و معادهم بوجوده، كلّ ذلك استدراج لأذهان السامعين و تمهيد لما يريد أن يقرّره عليهم من مصالح دينيّة أو دنيويّة فأشار إلى أنّه الغاية من طينة النبوّة و تمام لها بقوله:

إلى أن بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله لإنجاذ عدته لخلقه على ألسنة رسله السابقين بوجوده و إتمام نبوّته صلّى اللّه عليه و آله.

قوله: «مأخوذا على النبيّين ميثاقه».

المراد بأخذ ميثاقه عليهم ما ذكر و قرّر في فطرتهم من الاعتراف بحقيّة نبوّته صلّى اللّه عليه و آله تصديقه فيما سيجيء به، إذ كان ذلك من تمام عبادة الحقّ سبحانه، فبعث صلّى اللّه عليه و آله حال ما كان ذلك الميثاق مأخوذا على الأنبياء و من عداهم، و حال ما كانت إمارات ظهوره و البشارة بمقدّمة مشهورة بينهم مع زكاء أصله و كرم مادّة حملته و شرف وقت سمح به، ثمّ أراد أن يزيد بعثة محمّد صلّى اللّه عليه و آله تعظيما، و يبيّن فضيلة شرعه و كيفيّة انتفاع الخلق به فقال: و أهل الأرض يومئذ ملل متفرقة و أهواء (منتشرة) متشتّتة، و الواو في قوله: «و أهل الأرض» للحال (أيضا)، و موضع الجملة نصب، و قوله: «و أهواء»، خبر مبتدأ محذوف، تقديره أهوائهم أهواء متفرّقة، و كذلك قوله: «و طوائف» أي و طوائفهم طرائق متشتّتة، أي بعثه و حال أهل الأرض يوم بعثه ما ذكر من تفرّق الأديان و انتشار الآراء و اختلافها و تشتّت الطرق و المذاهب.

(في بيان أحوال الأمم السابقة على نبيّنا (ص))

و اعلم أنّ الخلق عند مقدم محمّد صلّى اللّه عليه و آله إمّا من عليه اسم الشرائع أو غيرهم، أمّا الأوّلون فاليهود و النصارى و الصائبة و المجوس، و قد كانت أديانهم اضمحلّت من أيديهم، و إنّما بقوا متشبهين بأهل الملل، و قد كان الغالب عليهم دين التشبيه و مذهب التجسيم كما حكى القرآن الكريم عنهم:

وَ قالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصارى نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ [سورة المائدة: ۱۸].

وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَ قالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ [سورة التوبة: ٣٠].

وَ قالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِما قالُوا [سورة المائدة: ۶۴].

و المجوس أثبتوا أصلين أسندوا إلى أحدهما الخير، و إلى الثاني الشرّ، ثمّ زعموا أنّه جرت بينهما محاربة ثمّ إنّ الملائكة توسطت و أصلحت بينهما على أن يكون العالم السفلى للشرير مدّة سبعة آلاف سنة إلى غير ذلك من هذيانهم و خطبهم.

و أمّا غيرهم من أهل الأهواء المنتشرة و الطوائف المتشتّتة فهم على أصناف شتّى، فمنهم العرب أهل مكّة و غيرهم، و قد كان منهم معطّلة و منهم محصّلة نوع تحصيل، أمّا المعطّلة فصنف منهم أنكروا الخالق و البعث و الإعادة، و قالوا بالطبع المحيي، و الدهر (المفني) المهلك، و هم الّذين حكى القرآن عنهم:

وَ قالُوا ما هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا وَ ما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ [سورة الجاثية: ٢۴].

و قصروا الحياة و الموت على تحلّل الطبائع المحسوسة و تركّبها، فالجامع هو الطبع و المهلك هو الدهر، وَ ما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ [سورة الجاثية: ٢۴].

و صنف منهم أقرّوا بالخالق و ابتداء الخلق عنه و أنكروا البعث و الإعادة و هم المحكيّ عنهم في القرآن الكريم، وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا [سورة يس: ٧٨- ٧٩].

و صنف منهم اعترفوا بالخالق و نوع من الإعادة لكنّهم عبدوا الأصنام و زعموا أنّها شفعاؤهم عند اللّه كما قال: وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُمْ وَ لا يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ [سورة يونس: ١٨].

و من هؤلاء قبيلة ثقيف و هم أصحاب اللات بالطائف و قريش و بنو كنانه، و غيرهم أصحاب العزّى، و منهم من كان يجعل الأصنام على صور الملائكة و يتوجّه بها إلى الملائكة، و منهم من كان يعبد الملائكة، كما قال تعالى:

بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ [سورة سبأ: ۴١].

و امّا المحصّلة فقد كانوا في الجاهليّة على ثلاثة أنواع من العلوم:

أحدها علم الأنساب و التواريخ و الأديان، و الثاني علم تعبير الرؤيا، و الثالث علم الأنواء، و ذلك بما يتولّاه الكهنة و القافة منهم، و عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله :

من قال: مطرنا بنوء كذا فقد كفر بما أنزل على محمّد (ص).

و من غير العرب البراهمة من أهل الهند، و مدار مقالتهم على التحسين و التقبيح العقليّين و الرجوع في كلّ الأحكام إلى العقل و إنكار الشرائع و انتسابهم إلى رجل منهم يقال له براهام.

و منهم أصحاب البددة، و البدّ عندهم شخص في هذا العالم لا يولد و لا ينكح و لا يطعم و لا يشرب و لا يهرم و لا يموت.

و منهم أهل الفكرة و هم أهل العلم، منهم بالفلك و أحكام النجوم، و منهم أصحاب الروحانيّات الّذين أثبتوا وسائط روحانيّة تأتيهم بالرسالة من عند اللّه في صورة البشر من غير كتاب فتأمرهم و تنهاهم، و منهم عبدة الكواكب، و منهم عبدة الشمس، و منهم عبدة القمر، و هؤلاء يرجعون بالآخرة إلى عبادة الأصنام إذ لا يستمرّ لهم طريقة إلّا بشخص حاضر ينظرون إليه و يرجعون إليه في مهمّاتهم، و لهذا كان أصحاب الروحانيات و الكواكب يتّخذون (يأخذون) أصناما على صورها فكان الأصل في وضع الأصنام ذلك، إذ يبعد ممّن له أدنى فطنة أن يعمل خشبا بيده ثمّ يتّخذه إلها إلّا أنّ الخلق لمّا عكفوا عليها و ربطوا حوائجهم بها من غير إذن شرعي و لا حجّة و لا برهان من اللّه تعالى كان عكوفهم ذلك و عبادتهم لها إثباتا لإلهيّتها، و وراء ذلك من أصناف الآراء الباطلة و المذاهب الفاسدة أكثر من أن تحصى و هي مذكورة في الكتب المصنّفة في هذا الفنّ .

و إذا عرفت ذلك ظهر معنى قوله عليه السّلام: من «مشبّه للّه بخلقه» كالبقيّة من أصحاب الملل السابقة، فانّهم و إن أثبتوا صانعا إلّا أنّ أذهانهم مكيّفة بكيفيّة بعض مصنوعاته في نفس الأمر من الجسميّة و توابعها، و من ملحد في اسمه كالّذين عدلوا عن الحقّ عن أسمائه بتحريفها عمّا هي عليه إلى أسماء اشتقّوها لأوثانهم و زادوا فيها و نقصوا كاشتقاقهم اللّات من اللّه، و العزّى من العزيز و مناة من المنّان، و هذا التأويل مذهب ابن عبّاس، و منهم من فسّر الملحدين في أسماء اللّه تعالى بالكاذبين في أسمائه، و على هذا كلّ من سمّي اح بما لم يسمّ به نفسه (ذهنه) و لم ينطق به (كتاب) و لا ورد فيه إذن شرعيّ فهو ملحد في أسمائه.

و قوله: «و من مشير إلى غيره». كالدهريّة و غيرهم من عبدة الأصنام، و الانفصال هاهنا لمنع الخلوّ أيضا، فلمّا اقتضت العناية بعثته صلّى اللّه عليه و آله ليهتدوا سبيل الحقّ و يفيئوا من ضلالهم القديم إلى سلوك الصراط المستقيم، و لينقذهم ببركة نوره من ظلمات الجهل إلى أنوار اليقين، فقام بالدعوة إلى سبيل ربّه بالحكمة و الموعظة الحسنة و المجادلة بالّتي هي أحسن، فجلى اللّه بنوره صداء قلوب الخلق، و أزهق باطل الشيطان بما جاء به من الحقّ و الصدق و انطلقت الألسن بذكر اللّه و استنارت البصائر بمعرفة اللّه و كمل به دينه في أقصى بلاد العالم، و أتمّ به نعمته على كافّة عباده، كما قال تعالى:

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً [سورة المائدة: ٣].

أحبّ اللّه سبحانه لقاءه كما أحبّ هو لقاء اللّه كما قال صلّى اللّه عليه و آله:

من أحبّ لقاء اللّه أحبّ اللّه لقاءه .

و رضي له ما عنده من الكرامة التامّة، و النعمة العامّة في جواره الأمين في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فأكرمه عن دار الدنيا، و رغب به عن مجاورة البلوى و مقام الأذى فقبضه (اللّه) إليه عند انتهاء أجله كريما عن أدناس الذنوب طاهرا في ولادته الجسمانيّة و الرّوحانيّة صلّى اللّه عليه و آله، ما برق بارق و ذرّ شارق.

قوله: «و خلّف فيكم ما خلّفت الأنبياء في أممها، إذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح، و لا علم قائم».

أقول: لما كان هذا الشّخص الّذي هو النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله ليس ممّا يتكوّن وجود مثله في كلّ وقت لما أنّ المادّة الّتي تقبل كمال مثله إنّما يقع في قليل من الأمزجة وجب إذن أن يشرع للنّاس بعده في أمورهم سنّة باقية بإذن اللّه و أمره و وحيه و إنزاله الروح القدس عليه، و واجب أن يكون قد دبّر لبقاء ما يسنّه و يشرعه في أمور المصالح الإنسانيّة تدبيرا، و الغاية من ذلك التدبير هو بقاء الخلق و استمرارهم على معرفة الصانع المعبود و دوام

ذكره و ذكر المعاد، و حسم وقوع النسيان فيه مع انقراض القرآن الّذي يلي النبيّ و من بعده، فواجب إذن أن يأتيهم بكتاب من عند اللّه و يكون وافيا بالمطالب الإلهيّة و الأذكار الجاذبة إلى اللّه سبحانه و لإخطاره بالبال في كلّ حال مشتملا على أنواع من الوعد على طاعة اللّه و رسوله بجزيل الثواب عند المصير إليه، و الوعيد على معصيته بعظيم العقاب عند القدوم عليه، و لا بدّ أن يعظّم أمره و يسنّ على الخلق تكراره و حفظه، أو (بحثه) بعضه، و دراسته و تعلّمه و تعليمه و تفهّم معانيه و مقاصده ليدوم به التذكّر للّه سبحانه، و الملأ الأعلى من ملائكته، ثمّ يسنّ عليهم أفعالا و أعمالا تتكرّر في أوقات مخصوصة تتقارب و يتلوا بعضها بعضا مشفوعة بألفاظ تقال و نيّات تنوي في الخيال ليحصل بها دوام تذكّر المعبود الأوّل و ينتفع بها في أمر المعاد و إلّا فلا فائدة فيها، و هذه الأفعال كالعبادات الخمس المفروضة على النّاس و ما يلحقها من الوظائف و لمّا بدأ عليه السّلام هاهنا بذكر الكتاب العزيز لكونه مشتملا على ذكر سائر ما جاء به الرّسول (ص) إمّا مطابقة أو التزاما و في بسط قوانينيّة الكلّيّة بحسب السنّة النبويّة وفاء بجميع المطالب الإلهيّة، فنحن نبدأ بذكر شرفه و وظائفه و شرائط تلاوته و نؤخّر الكلام في باقي العبادات إلى مواضعها.

(في بيان فضيلة القرآن)

البحث الثاني: في فضيلة الكتاب،

أمّا الفضيلة فمن وجوه

: الأوّل، قوله تعالى

: وَ هذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ أَنْزَلْناهُ أَ فَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ [سورة الأنبياء: ۵۰].

كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ [سورة ص:۲۹].

و قوله:

وَ ما كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ [سورة يونس: ۳۷].

الثاني، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

: من قرأ القرآن ثمّ رأى أنّ أحدا أوتي أفضل ممّا أوتي فقد استصغر ما (عظمه) عظّم اللّه تعالى .

الثالث، قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

: ما من شفيع أفضل منزلة عند اللّه تعالى يوم القيامة من القرآن، لا نبيّ و لا ملك، و لا غيره .

و يلوح لك من سرّ هذه الإشارة أنّ ذلك انّما هو في حقّ من تدبّره، و سلك المنهج (النهج) المطلوب منه المشتمل عليه، و وصل (به) إلى جناب اللّه في جوار الملائكة المقرّبين، و لا غاية من الشفاعة إلّا الوصول إلى نيل الرّضوان من المشفوع، و علمت أنّ تمام رضوان اللّه بغير سلوك الطريق المشتمل عليها الكتاب العزيز لا يحصل، و لا ينفع فيه شفاعة شافع كما قال تعالى:

فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشَّافِعِينَ فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ [سورة المدّثّر: ۴۸- ۴۹].

الرابع، قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

: «لو كان القرآن في إهاب لما مسّته النار» .

و المراد أيّ ظرف وعاه و تدبّره و سلك طريقه لم تمسّه النار، أمّا نار الآخرة فظاهر، و أمّا نار الدنيا فلأنّ الواصلين من أولياء اللّه الكاملين في قوّتهم النظريّة و العمليّة يبلغون حدّا تنفعل العناصر عن نفوسهم فتتصرّف فيها كتصرّفها في أبدانها فلا يكون لها في أبدانهم تأثير، و قد عرفت أسباب ذلك في المقدمات.

الخامس، قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

: أفضل عبادة أمّتي (قراءة) القرآن، و أهل القرآن هم أهل اللّه و خاصّته ، و المقصود مع شرائطه الّتي سنذكرها.

(في بيان وظائف القارئ للقرآن)

البحث الثالث: في وظائفه، أمّا مداومة الكتاب بالتلاوة و الدرس فيحتاج إلى وظائف و إلّا لم ينتفع بها كما قال أنس:

ربّ تال للقرآن و القرآن يلعنه .

و الّذي ينبغي أن يوظّف في ذلك [و هي أمور عشرة]

ما لخّصه الإمام أبو حامد الغزّالي في كتاب الإحياء فإنّه لا مزيد عليه و هي أمور عشرة:

الأوّل، أن يتصوّر الإنسان حال سماعه للتلاوة عظمة كلام اللّه سبحانه

و إفاضة كماله و لطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام الخلق في إيصال معاني كلامه إلى أذهانهم، و كيف تجلّت لهم الحقائق الإلهيّة في طيّ حروف و أصوات هي صفات البشر؟ إذ يعجز البشر عن الوصول إلى مدارج الجلال و نعوت الكمال إلّا بوسيلة، و لولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش و لا ثرى، و لتلاشي ما بينهما من عظمة سلطانه و سبحات نوره، فالصّموت و الحروف للحكمة جسد، و هي بالنسبة إليه نفس و روح، و لمّا كان شرف الأجساد و عزّتها بشرف أرواحها فكذلك شرف الحروف و الصّوت بشرف الحكمة الّتي فيها.

الثاني، التعظيم للمتكلّم

، و ينبغي أن يحضر في ذهن القاري عظمة المتكلّم، و يعلم أنّ ما يقرأه ليس بكلام البشر، و أنّ في تلاوة كلام اللّه غاية الخطر فإنه تعالى قال:

لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ [سورة الواقعة: ٧٩].

و كما أنّ ظاهر جلد المصحف و ورقه محروس عن ظاهر بشرة اللّامس الغير (المتطهر) المطهر، فكذلك باطن معناه كلمة عزّة و جلالة (بحكم عزّه و جلاله) محجوب عن باطن القلب (إذ لا) أن يستضيء بنوره إلّا إذا كان متطهّرا عن كلّ رجس، مستنيرا بنور التعظيم و التوقير عن ظلمة الشرك، و كما لا تصلح للمسّ جلد المصحف

كلّ يد، فلا يصلح لتلاوة حروفه كلّ إنسان، و لا لحمل أنواره كلّ قلب، و لهذا (و لأجل هذا) الإجلال كان عكرمة بن أبي جهل إذا نشر المصحف يغشى عليه و يقول: هو كلام ربّي فيعظّم الكلام بتعظيم المتكلّم، و علمت أنّ عظمة المتكلّم لا تخطر في القلب بدون الفكر في صفات جلاله و نعوت كماله و أفعاله، و إذا خطر ببالك الكرسيّ و العرش و السّماوات و الأرضون و ما بنيهما، و علمت أنّ الخالق لجميعها و القادر عليها و الرّازق لها هو اللّه الواحد القهّار، و أنّ الكلّ في قبضته، و السّموات مطويّات بيمينه، و الكلّ سائر إليه و أنّه الّذي يقول: هؤلاء في الجنّة و لا أبالي فإنّك تستحضر من ذلك عظمة المتكلّم ثمّ عظمة الكلام.

الثالث، حضور القلب و ترك حديث النفس

، قيل في تفسير قوله:

يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ [سورة مريم: ١٢].

أي بجدّ و اجتهاد، و أخذه بالجدّ أن يتجرّد عند قراءته بحذف جميع المشغلات و الهموم عنه، و هذه الوظيفة تحصل ممّا قبلها، فإنّ المعظم للكلام الّذي يتلوه يستبشر به و يستأنس إليه و لا يغفل عنه، فإنّ (في) القرآن ما يستأنس به القلب إن كان التالي له أهلا، و كيف يطلب الأنس بالفكر في غيره و فيه بساتين العارفين، و رياض الأولياء، و ميادين أولي الألباب.

الرابع، التدبّر

و هو طور وراء حضور القلب فإنّ الإنسان قد لا يتفكّر في غير القرآن، و لكنّه يقتصر على سماع القرآن من نفسه هو لا يتدبّره، و المقصود من التلاوة التدبّر قال سبحانه:

أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها [سورة محمّد: ٢٤].

أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً [سورة النساء: ٨٢].

و قال:

وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا [سورة المزمّل: ٤].

لأنّ التّرتيل يمكّن الإنسان من تدبّر الباطن، و قال صلّى اللّه عليه و آله: لا خير في عبادة لا فقه فيها، و لا في قراءة لا تدبّر فيها.

و إذا لم (يمكن) يكن التدبّر إلّا بالترديد فليردّد، قال أبو ذر: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ليلة يردّد قوله تعالى:

إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [سورة المائدة: ١١٨].

الخامس، التفهّم

و هو أن يستوضح من كلّ آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات اللّه تعالى و أفعاله و أحوال أنبيائه و

المكذّبين لهم و أحوال ملائكته و ذكر أوامره و زواجره و ذكر الجنّة و النّار و الوعد و الوعيد، فليتأمّل معاني هذه الأسماء و الصّفات لتنكشف له أسرارها، فتحتها دفائن الأسرار و كنوز الحقائق، و إلى ذلك أشار عليّ عليه السّلام بقوله:

ما أسرّ إليّ رسول اللّه (ص) شيئا كتمه عن النّاس إلّا أن يؤتي اللّه عزّ و جلّ عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم .

و قال ابن مسعود:

من أراد علم الأوّلين و الآخرين فعليه بالقرآن .

و اعلم، أنّ أعظم علوم القرآن تحت أسماء اللّه تعالى و صفاته، و لم يدرك الخلق منها إلّا بقدر أفهامهم، و إليه الإشارة بقوله:

أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً [سورة الرعد: ١٧].

فالماء هو العلم أنزله من سماء جوده ففاضت أودية القلوب كلّ على حسب استعداده و إمكانه و إن كان وراء ما أدركوه أطوار أخرى لم يقفوا عليها، و كنوز لم يعثروا على أغوارها.

أمّا أفعاله تعالى، و ما أشار إليه من خلق السّماوات و الأرض و غيرها، فالّذي ينبغي أن يفهم التالي منها و هو صفات اللّه و جلاله لاستلزام الفعل الفاعل، فيستدلّ بعظمة فعله على عظمته ليلاحظ بالأخرة الفاعل دون الفعل، فيقرأ في المقام الأوّل:

هذا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي ما ذا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ [سورة لقمان: ١١].

و يقرأ في المقام الثاني:

كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ [سورة القصص: ٨٨].

فمن عرف الحقّ رآه في كلّ شيء، و من بلغ إلى حذف (حدّ) العرفان عن درجة الإعتبار لم ير معه غيره فإذا تلا قوله:

أَ فَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ [سورة الواقعة: ٥٨].

أَ فَرَأَيْتُمُ الْماءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ [سورة الواقعة: ٦٨].

أَ فَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ [سورة الواقعة: ٧١].

فلا ينبغي أن يقصّر نظره على النطفة و الماء و النّار، بل ينظر في المني و هو نطفة، ثمّ في كيفيّة انقسامها إلى اللحم و العظم و العصب و العروق و غيرها، ثمّ في كيفيّة أشكال أعضائها المختلفة من المستدير و الطويل و العريض و المستقيم و المنحني و الرّخوة و الصلب و الرقيق و الغليظ، و ما أودع في كلّ من القوّة و هيّأ (وهبا) له من المنفعة الّتي لو اختلّ شيء منها لا لاختلّ أمر البدن و مصالح الإنسان، فليتأمل في هذه العجائب و أمثالها

ليترقّى فيها إلى عجيب قدرة اللّه تعالى و المبدأ الّذي صدرت عنه هذه الآثار، فلا يزال مشاهدا لكمال الصانع في كمال صنعه.

و أمّا أحوال الأنبياء عليهم السّلام، فليفهم من سماع كيفيّة تكذيبهم و قتل بعضهم صفة استغناء اللّه تعالى عنهم، و لو هلكوا بأجمعهم لم يتضرّر بذلك و لم يؤثّر في ملكه، فإذا سمع نصرتهم فليفهم أنّ ذلك بتأييد إلهيّ كما قال تعالى:

حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا فَنُجِّيَ مَنْ نَشاءُ [سورة يوسف: ۱۱۰].

و أمّا أحوال المكذّبين لهم كعاد و ثمود و كيفيّة إهلاكهم فلينبّه من سماعه لاستشعار الخوف من سطوة اللّه و نقمته و ليكن حظّه منه الإعتبار في نفسه، و أنّه إن غفل و أساء الأدب فربّما أدركته النقمة و نفذت فيه القضيّة حيث لا ينفع مال و لا بنون، و كذلك إذا سمع أحوال الجنّة و النّار فليحصل منهما على خوف و رجاء و ليتصوّر أنّه بقدر ما يبعد عن أحدهما يقرب من الآخر، و ليفهم منها و من سائر القرآن أنّ استقصاء ما هناك من الأسرار الإلهيّة غير ممكن لعدم نهايته، قال تعالى:

قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً [سورة الكهف: ۱۰۹].

و قال عليّ عليه السّلام:

لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب .

فمن لم يتفهّم معاني القرآن في تلاوته و سماعه و لو في أدنى المراتب لدخل في قوله تعالى:

أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعْمى أَبْصارَهُمْ أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها [سورة محمّد: ۲۳-۲۴].

و تلك الأفعال هي الموانع الّتي سنذكرها.

السّادس، التخلّي عن موانع الفهم

فإنّ أكثر النّاس منعوا من فهم القرآن لأسباب و حجب أسد لها الشيطان على قلوبهم فحجبت عن عجائب أسراره، قال صلّى اللّه عليه و آله:

لولا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت و معاني القرآن .

و معاني القرآن و أسراره من جملة الملكوت.

و الحجب المانعة

: أوّلها، الإشتغال بتحقيق الحروف و إخراجها من مخارجها

، و التشدّق (الشدق) بها عن ملاحظة المعنى، و قيل: إنّ المتولّي لحفظ ذلك شيطان و كل بالقرائة ليصرف عن

معاني كلام اللّه فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف، و يخيل (يحيل) إليهم أنّه لم يخرج من مخرجه فيكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف، فمتى تنكشف له المعاني، و أعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبس.

و ثانيها، أن يقلّد مذهبا سمعه

، أو تفسيرا ظاهرا نقل إليه عن ابن عباس، أو مجاهد، أو غيرهما فيحمل على التعصّب له من غير علم فيصير نظره موقوفا على مسموعه حتّى لو لاح له بعض الأسرار حمل عليه شيطان التقليد جهله، و لم يسوّغ له مخالفة آبائه و معلّميه في ترك ما هو عليه من الإعتقاد، و إلى مثل هذا أشارت الصوفيّة بقولهم: العلم حجاب، و عنوا بالعلم العقائد الّتي استمرّ عليها أكثر الناس بالتعليم و التقليد، أو بمجرّد كلمات جدليّة حرّرها المتعصّبون للمذاهب، و ألقوها إليهم لا العلم الحقيقيّ الّذي هو المشاهدة بأنوار البصيرة، ثمّ ذلك التقليد قد يكون باطلا كمن يحمل «الاستواء على العرش» على ظاهره فان خطر له في القدّوس أنّه المقدّس عن كلّ ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من استقرار ذلك الخاطر في نفسه حتّى ينساق إلى كشف ثان و ثالث، و لكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره، و يجعله وسوسة، و قد يكون حقّا و يكون أيضا مانعا من الفهم لأنّ الحقّ الّذي كلّف الخلق طلبه، له مراتب و درجات و ظاهر و باطن، فجمود الطبع على ظاهره يمنع من الوصول إلى الباطن.

فإن قلت: كيف يجوز أن يتجاوز الإنسان المسموع، و قد قال (ص):

من فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النّار .

و في النهي عن ذلك آثار كثيرة.

قلت: الجواب عنه من وجوه:

الأوّل، أنّه معارض بقوله صلّى اللّه عليه و آله:

إنّ للقرآن ظهرا و بطنا و حدّا و مطلعا .

و بقول علي عليه السّلام:

إلّا أن يؤتي اللّه عبدا فهما في القرآن .

و لو لم يكن سوى التّرجمة المنقولة فما فائدة ذلك الفهم.

الثاني، أنّه لو لم يكن غير المنقول لاشترط أن يكون مسموعا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و ذلك ممّا لا يصادف إلّا في بعض القرآن، و أمّا ما يقوله ابن عباس و ابن مسعود و غيرهما من أنفسهم فينبغي أن لا يقبل و يقال هو تفسير بالرأي.

الثالث، أنّ الصّحابة و المفسّرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات، فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها، و سماع ذلك عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله محال فكيف يكون الكلّ مسموعا.

الرابع، أنّه عليه السّلام دعا لابن عبّاس فقال:

اللّهم فقّهه في الدّين، و علّمه التأويل .

فإن كان التأويل مسموعا كالتنزيل و محفوظا مثله فلا معنى لتخصيص ابن عباس بذلك.

الخامس، قوله تعالى:

لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ [سورة النساء: ٨٣].

فأثبت للعلماء استنباطا، و معلوم أنّه وراء المسموع فإذن الواجب أن يحمل النّهي عن التفسير بالرأي على أحد معنيين:

أحدهما، أن يكون للإنسان في الشّيء رأي و له إليه ميل بطبعه فيتأوّل القرآن على وفق رأيه حتّى لو لم يكن له ذلك الميل لما خطر ذلك التأويل له، و سواء كان الرأي مقصدا صحيحا أو غير صحيح، و ذلك كمن يدعوا إلى مجاهدة القلب القاسي، فيستدلّ على تصحيح غرضه من القرآن بقوله تعالى:

اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى [سورة طه: ٢٤].

و يشير إلى أنّ قلبه هو المراد بفرعون كما يستعمله بعض الوعّاظ تحسينا للكلام و ترغيبا للمستمع و هو ممنوع.

الثاني، أن يتسرّع إلى تفسير القرآن بظاهر العربيّة من غير استظهار بالسّماع و النقل فيما يتعلّق بغرائب القرآن و ما فيها من الألفاظ المبهمة و ما يتعلّق به من الاختصار و الحذف و الإضمار و التقديم و التأخير و المجاز، فمن لم يحكم ظاهر التفسير و بادر إلى استنباط المعاني بمجرّد فهم العربيّة كثر غلطه و دخل في زمرة من يفسّر بالرأي، مثاله قوله تعالى:

وَ آتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِها [سورة الإسراء: ٥٩].

فالناظر إلى ظاهر العربيّة ربّما يظنّ أنّ المراد أنّ الناقة كانت مبصرة و لم تكن عمياء، و المعنى: آية مبصرة، ثمّ لا يدري أنّهم إذا ظلموا غيرهم، و من ذلك المنقول المنقلب كقوله تعالى:

وَ طُورِ سِينِينَ [سورة التين: ٢].

أي و طور سينا، و كذلك باقي أجزاء البلاغة، فكلّ مكتف في التفسير بظاهر العربيّة من غير استظهار بالنقل فهو مفسّر برأيه، فهذا هو المنهيّ عنه دون التفهّم لأسرار المعاني، و ظاهر أنّ النقل لا يكفي فيه، و إنّما ينكشف للراسخين في العلم من أسراره بقدر صفاء عقولهم، و شدّة استعدادهم له و للطلب و الفحص و التفهّم و ملاحظة الأسرار و العبر و يكون لكلّ واحد منهم جدّ في الترقي إلى درجة منه بعد الاشتراك في الظّاهر، و مثاله ما فهم بعض العارفين من قوله صلّى اللّه عليه و آله في سجوده:

أعوذ بعفوك من عقابك، و أعوذ برضاك من سخطك، (و أعوذ بمعافاتك من عقوبتك)، و أعوذ بك من منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك .

و فوق ما يقول القائلون، انّه قيل له:

وَ اسْجُدْ وَ اقْتَرِبْ [سورة العلق: ۱۹].

فوجد القرب في السّجود فنظر إلى الصّفات فاستعاذ ببعضها من بعض، فانّ الرّضا و السّخط و صفان متضادّان ثمّ زاد قربه فاندرج القرب الأوّل فيه فرقي إلى الذّات، فقال: أعوذ بك منك، ثمّ زاد قربه بما استحيا به على سائر القرب فالتجأ إلى الثّناء، فأثنى بقوله:

لا أحصي ثناء عليك، ثمّ علم أنّ ذلك قصور، فقال: أنت كما أثنيت على نفسك، فهذه خواطر تسنح للعارفين، لا يفهم من تفسير الظاهر و ليس مناقضا له، و إنّما هو استكمال لما تحته من الأسرار.

الثالث، من الموانع أن يكون مبتلى من الدّنيا بهوى مطاع

فانّ ذلك سبب لظلمة القلب و كالصداء على المرآة فيمنع جليّة الحقّ أن يتجلّى فيه، و هو أعظم حجاب للقلب و به حجب الأكثرون، و كلّما كانت الشّهوات أكثر تراكما على القلب كان البعد عن أسرار اللّه أكثر، و لذلك قال صلّى اللّه عليه و آله:

الدّنيا و الآخرة ضرّتان بقدر ما تقرب من إحديهما تبعد من الأخرى .

السابع، يخصّص نفسه بكلّ خطاب في القرآن من أمر أو نهي

، أو وعد أو وعيد، و يقدّر أنّه هو المقصود به، كذلك إن سمع قصص الأوّلين و الأنبياء عليه السّلام علم أنّ السمر غير مقصود، و إنّما المقصود الإعتبار، فلا يعتقد أنّ كلّ خطاب خاصّ في القرآن فالمراد به الخصوص فإنّ القرآن و سائر الخطابات الشرعيّة و ارادة بإيّاك أعني و اسمعي يا جاره ، و هي كلّها نور و هدى و رحمة للعالمين، و لذلك أمر الحقّ تعالى الكافّة بشكر نعمة الكتاب فقال:

وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ ما أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتابِ وَ الْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ [سورة البقرة: ۲۳۱].

و إذ قدّر أنّه المقصود لم يتّخذ دراسة القرآن عملا بل قرأه كقرائة العبد كتاب مولاه الّذي كتبه إليه ليتدبّره و يعمل بمقتضاه كما قال حكيم:

هذا القرآن رسائل (وسائل) أتتنا من قبل ربّنا عزّ و جلّ بعهوده نتدبّرها في الصّلوات، و نقف عليها في الخلوات، و نعدّها (و ننفذها) في الطاعات بالسّنن المتّبعات.

الثامن، التأثّر

و هو أنّ يتأثّر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات، فيكون له بحسب كلّ فهم حال و وجد يتصف به عند ما يوجّه نفسه في كلّ حالة إلى الجهة الّتي فهمها من خوف أو حزن أو رجاء أو غيره، فيستعدّ بذلك و ينفعل و يحصل له التأثّر و الخشية، و مهما قويت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه، فإنّ التضييق غالب على العارفين فلا يرى ذكر المغفرة و الرّحمة إلّا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله تعالى:

وَ إِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى [سورة طه: ۸۲].

فإنّه قرن المغفرة بهذه الشروط الأربعة، و كذلك قوله:

وَ الْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ [سورة العصر: ١- ٢].

السّورة ذكر فيها أربعة شروط، و حيث أوجزه و اقتصر، ذكر شرطا واحدا جامعا للشرائط، فقال تعالى:

إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ [سورة الأعراف: ۵۶].

إذ كان الإحسان جامعا لكلّ الشّرائط، و تأثر العبد بالتّلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوّة، فعند الوعيد يتضاءل من خشية اللّه، و عند الوعد يستبشر فرحا باللّه، و عند ذكر صفات اللّه و أسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله، و عند ذكر الكفّار في حقّ اللّه ما يمتنع عليه كالصحابة و الولد يغضّ صوته، و ينكسر في باطنه حياء من قبح أفعالهم، و يكبّر اللّه و يقدّسه عمّا يقول الظالمون، و عند ذكر الجنّة ينبعث بباطنه شوقا إليها، و عند ذكر النّار ترعد فرائصه خوفا منها و لمّا قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لابن مسعود:

اقرأ عليّ، قال: فافتتحت سورة النساء، فلمّا بلغت:

فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً [سورة النساء: ۴۱].

رأيت عينيه تذر فان من الدمع، فقال لي: حسبك الآن.

و ذلك لاستغراق تلك الحالة بقلبه بالكلّيّة، و بالجملة فالقرآن إنّما يراد بهذه الأحوال و استجلابها إلى القلب و العمل بها، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم و لانت عليه (له) جلودكم، فإذا اختلفتم فلستم تقرؤونه .

و قال تعالى:

الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً [سورة الأنفال: ٢].

و إلّا فالمؤونة في تحريك اللّسان خفيفة، قال بعضهم، (بعض القراء):

قرأت (القرآن) على شيخ لي، ثمّ رجعت اقرأ عليه ثانيا فانتهرني و قال: جعلت القراءة عملا، اذهب فاقرأه على اللّه تعالى، و انظر ماذا يأمرك، و ماذا يفهمك.

و مات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن عشرين ألفا من الصّحابة لم يكن ليحفظ القرآن (منهم) غير ستّة، و اختلف منهم في إثنين، و كان أكثرهم يحفظ السورة و السورتين، و كان الّذي يحفظ البقرة و الأنعام من علمائهم.

كلّ ذلك من اشتغالهم (لاشتغالهم) بتفهّم معاني القرآن عن حفظه كلّه، و جاء إليه (ص) واحد ليعلّمه القرآن فانتهى إلى قوله تعالى:

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [سورة الزلزلة: ٧- ٨].

فقال: يكفيني هذا و انصرف، فقال رسول اللّه (ص) انصرف الرجل و هو فقيه .

فالعزيز مثل تلك الحالة الّتي يمنّ اللّه تعالى بها على القلب عقيب تفهّم الآية، و أمّا التالي باللسان المعرض عن العمل فجدير بأن يكون المراد بقوله تعالى:

وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى [سورة طه: ۱۲۴].

و إنّما حظّ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، و حظّ العقل تفسير المعاني، و حظّ القلب الاتّعاظ و التأثّر بالانزجار و الائتمار.

التاسع، الترقي

، و هو ان يوجّه قلبه و عقله إلى القبلة الحقيقيّة فيسمع الكلام من اللّه تعالى لا من نفسه.

و

درجات القراءة ثلاث

أدناها ان يقدّر العبد كأنّه يقرأ على اللّه تعالى واقفا بين يديه و هو ناظر إليه، و مستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السئوال و التضرّع و الابتهال.

الثانية، أن يشهد كأنّه يخاطبه بألطافه و يناجيه بإنعامه و إحسانه ، و هو في مقام الحياء و التعظيم لمنن اللّه و الإصغاء إليه و الفهم عنه.

الثالثة، أن يرى في الكلام المتكلّم، و في الكلمات الصّفات ، و لا ينظر إلى قلبه و لا إلى قراءته و لا إلى التعلّق بالإنعام من حيث هو منعم عليه بل يقصر الهمّ على المتكلّم، و يوقف فكره عليه و يستغرق في مشاهدته، هذه درجة المقرّبين، عنها أخير الصادق جعفر بن محمّد الباقر عليه السّلام فقال:

لقد تجلّى اللّه تعالى لخلقه في كلامه و لكنّهم لا يبصرون .

و قال أيضا و قد سألوه عن حالة لحقته في الصّلاة حتّى خرّ مغشيّا عليه، فلمّا أفاق قيل له في ذلك فقال:

ما زلت (اردّد) اكرّر هذه الآية على قلبي حتّى سمعت (سمعتها) من المتكلّم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته.

ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة، و بهذا الترقّي يكون العبد ممتثلا لقوله تعالى:

فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ [سورة الذاريات: ۵۰].

و بمشاهدة المتكلّم دون ما عداه يكون ممتثلا لقوله تعالى:

وَ لا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ [سورة الذاريات: ۵۱].

فإنّ رؤية غير اللّه معه شرك خفيّ لا مخلص منه إلّا برؤيته وحده.

العاشر، التبرّي ، و المراد به أن يبرأ من حوله و قوّته و لا يلتفت إلى نفسه بعين الرضا و التزكية (فإذا تلا آيات الوعد و مدح الصالحين حذف نفسه عن درجة الإعتبار و شهد فيها الموقنين و الصّديقين، و يشوّق إلى أن يلحقه

اللّه تعالى بهم)، و إذا تلا آيات المقت و الذمّ للمقصّرين شهد نفسه هناك و قدّر أنّه المخاطب خوفا و إشفاقا.

قيل ليوسف بن أسباط: إذا قرأت القرآن بما ذا تدعو، قال: بما ذا أدعو أستغفر اللّه عن تقصيري سبعين مرّة، و من رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان ذلك سبب قربه، فإنّ من شهد البعد في القرب لطف له بالخوف حتّى يسوقه إلى درجة أعلى في القرب، و من شهد القرب في البعد ردّه أمنه إلى درجة أدنى في البعد ممّا هو فيه، و مهما شاهد نفسه بعين الرّضا صار محجوبا بنفسه، فإذا جاوز حدّ الالتفات إلى نفسه و لم يشاهد إلّا اللّه في قراءته انكشف له الملكوت، و المكاشفات تابعة لحال المكاشف، فحيث يتلوا آيات الرجاء يغلب عليه استبشار و ينكشف له صورة الجنّة فيشاهدها كأنّه يراها، و إن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتّى يرى أنواع عذابها، و ذلك لأن كلام اللّه تعالى وارد باللطف و السهولة و الشدّة و العسف و الرّجاء و الخوف و ذلك بحسب أوصافه إذ منها الرّحمة و اللطف و الإنعام و البطش، فبحسب مشاهدة الكمالات و الصفات يتقلّب في اختلاف الحالات، و بحسب كلّ حالة منها يستعدّ لنوع من المكاشفة مناسب لتلك الحالة إذ يستحيل أن يكون حال المستمع واحدا و المسموع مختلف، إذ فيه كلام رضي، و كلام غضب، و كلام إنعام، و كلام انتقام، و كلام جبروت و تكبّر، و كلام جنّة و تعطّف.

فهذه هي وظائف التلاوة و لنرجع إلى المتن فنقول:

قوله: «و خلّف فيكم ما خلّفت الأنبياء في أممها إذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح و لا علم قائم».

إشارة إلى وضح ما يجب وضعه في الحكمة الإلهيّة على ألسنة الرسل عليهم السّلام من العبادات الشرعيّة و القوانين الكلّيّة الّتي بها يبقى ذكر اللّه سبحانه محفوظا، و استعمال لفظ القائم هاهنا استعارة حسنة للآثار الباقية عن الأنبياء الّتي يهتدي بها الأوصياء و الأولياء الّذين يرجع إليهم الخلق.

قوله: «كتاب ربّكم»، عطف بيان لما في قوله: «ما خلّفت الأنبياء»، و لا ينبغي أن يفهم من «ما» شخص الكتاب حتّى يكون ما أتى به محمد (ص) من الكتاب هو عين ما أتت به الأنبياء السّابقون عليهم السّلام و شخصه فإنّ ذلك محال، بل المراد «بما» نوع ما خلّفت الأنبياء في أممها من الحقّ، و ما جاء به محمّد (ص) شخص من أشخاص ذلك النوع، و بيان ذلك أنّ القوانين الكلّيّة الّتي اشتركت في الإتيان بها جميع الأنبياء عليهم السّلام من التوحيد و التنزيه للّه تعالى و أحوال البعث و القيامة و سائر القواعد الكلّيّة الّتي بها يكون النظام الكلّي للعالم كتحريم الكذب و الظلم و القتل و الزنا و غير ذلك ممّا لم يخالف فيه نبيّ نبيّا بمنزلة بماهيّة واحدة كلّية وجدت في أشخاص، و كما تعرض لبعض أشخاص الماهيّة عوارض لا تكون للشخص الآخر و بها يكون اختلاف بين الأشخاص بحسب الموادّ الّتي نشأت منها الصّور الشخصيّة، كذلك الكتب المنزلة على ألسنة الأنبياء عليهم السّلام بمنزلة أشخاص اشتملت على ماهيّة واحدة تختلف بحسب الزيادات و العوارض على تلك الماهيّة بحسب اختلاف الأمم و الأوقات المشتملة على المصالح المختلفة باختلافها.

قوله: «مبيّنا»، منصوب على الحال و العامل خلّف و ذو الحال الفاعل و هو ضمير النبيّ صلّى اللّه عليه و آله.

قوله: «حلاله و حرامه، و فضائله و فرائضه»، إشارة إلى الأحكام الخمسة الشرعيّة الّتي يدور عليها علم الفقه، و هي الوجوب و الندب و الحظر و الكراهة و الإباحة، و عبّر بالحلال عن المباح و المكروه، و بالحرام عن المحظور، و بالفضائل عن المندوب، و بالفرائض عن الواجب، و بالنسخ عن رفع الحكم الثابت بالنصّ المتقدّم

بحكم آخر مثله، فالناسخ هو الحكم الرافع كقوله:

فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ [سورة التوبة: ۵].

و المنسوخ هو الحكم المرفوع، كقوله:

لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ [سورة البقرة: ۲۵۶].

و بالرخص عمّا أذن في فعله مع قيام السبب المحرّم له لضرورة أو غيرها كقوله:

فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ [سورة البقرة: ۱۷۳].

و بالغرائم عمّا كان من الأحكام الشرعيّة جاريا على وفق سببه الشرعي لقوله:

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ [سورة محمّد: ۱۹].

و بالعام هاهنا عن اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد، كقوله تعالى:

وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [سورة النساء: ۱۷۶].

و كقوله:

وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ.

و بالخاصّ عمّا لم يتناول الجميع بالنسبة إلى ما يتناوله كقوله:

مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا [سورة آل عمران: ۹۷].

و الخاصّ المطلق هو ما يمنع تصوّر مفهومه من وقوع الشركة فيه كما عرفته، و العبر جمع عبرة و هي الإعتبار و اشتقاقها من العبور و هو انتقال الجسم من موضع إلى آخر، و لما كان الذّهن ينتقل من الشيء إلى غيره حسن إطلاق العبرة عليه، و أكثر ما يختصّ إطلاق العبرة بانتقال ذهن الإنسان من المصائب الواقعة بالغير أو (الأمور) المكروهة له إلى نفسه فيقدّرها كأنّها نازلة به فيحصل له بسبب ذلك انزعاج عن الدنيا و انتقال الذهن إلى ما ورائها من أمر المعاد و الرجوع إلى بارئه و يسمّى ذلك عبرة، و كذلك من المصائب اللاحقة له في نفسه المذكّرة له بجناب العزّة و الملفتة له بتكرارها عن دار البلوى و المحن، فينتقل ذهنه بسببها إلى أنّ الدنيا دار البوار و أنّ الآخرة هي دار القرار، و ذلك كقصّة أصحاب الفيل، و كقوله:

فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكالَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولى إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشى [سورة النازعات: ۲۶].

و قوله تعالى:

وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ [سورة الذّاريات: ۲۱].

و إن كان قد تستعمل العبرة في كلّ ما يفيد اعتبارا من طرف الإحسان أيضا، كقوله تعالى:

وَ إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِها [سورة المؤمنون: ٢١].

و كقوله تعالى:

فِئَةٌ تُقاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ أُخْرى كافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَ اللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشاءُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ [سورة آل عمران: ١٣].

فجعل سبحانه نصر المؤمنين على قلّتهم، و خذلان المشركين على كثرتهم، و مشاهدة المسلمين لكونهم مثليهم محلّا مثليهم محلّا للعبرة، إذ يحصل بذلك انتقال الذّهن من نعمه إلى أنّه الإله المطلق المستحقّ للعبادة، المتفرّد بالقدرة على ما يشاء أهل الرحمة و الجود و إفاضة تمام الوجود.

و أمّا الأمثال فظاهرة كقوله تعالى:

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ [سورة النحل: ٧٥].

و كقوله:

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ ناراً [سورة البقرة: ١٧].

و نحوه.

و أراد بالمرسل الألفاظ المطلقة المهملة و هي الألفاظ الّتي لا تمنع نفس مفهوماتها وقوع الشركة فيها لكنّها لم تبيّن فيها كميّة الحكم و مقداره، و لم تقيّد بقيد (يفيد) العموم و لا الخصوص و هي محتملة لهما كأسماء المجموع في النكرات، كقوله تعالى:

وَ عَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ [سورة الأعراف: ۴۶].

و كان لمفرد المعرّف باللام أو المنكّر، كقوله:

وَ الْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ [سورة العصر: ١- ٢].

و كقوله:

إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ [سورة الحجرات: ۶].

و قوله:

فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ [سورة النساء: ٩٢].

فإنّ كلّ هذه الألفاظ يراد بها الطبيعة دون الكلّ أو البعض إلّا بدليل منفصل، و الفرق بينها و بين العامّ، أنّ لكلّ شيء ماهيّة هو بها ما هو، و هي مغايرة لكلّ ما عداها فإنّ مفهوم الإنسان مثلا ليس إلّا أنّه الإنسان، فأمّا أنّه واحد أو كثير، أو ليس أحدهما فمفهوم آخر مغاير لماهيّته.

إذا عرفت ذلك فاللفظ الدالّ على الحقيقة من حيث هي من غير دلالة على شيء آخر معها هو اللفظ المطلق و

المهمل، و الدالّ معها على قيد العموم بحيث يفهم منه تعدّد الماهيّة و تكثرها في جميع مواردها فهو اللفظ العامّ، أو في بعض مواردها و هو الخاصّ، و إن كان العموم و الخصوص للمعاني، و أراد بالحدود المقيّد، كقوله تعالى في الكفّارة في موضع آخر:

فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ [سورة النساء: ۹۲].

و أمّا المحكم و المتشابه و المجمل و المبيّن فقد سبق بيانها في المقدّمة مثال المحكم قوله تعالى:

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ [سورة التوحيد: ۱].

مثال المتشابه قوله:

الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى [سورة طه: ۵].

مثال المجمل، قوله تعالى:

إِلَّا ما يُتْلى عَلَيْكُمْ [سورة المائدة: ۱].

و قوله:

وَ أُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذلِكُمْ [سورة النساء: ۲۴].

مثال المبيّن، قوله بعد ذلك:

أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِكُمْ [سورة النساء: ۲۴].

و التفسير هو التبيين، و الغوامض دقائق المسائل، و إنّما أضاف هذه المعاني كلّها إلى الكتاب لاشتماله عليها و كونه مبدءا لها، و لمّا كانت محتاجة إلى البيان كان الرّسول (ص) هو المبيّن لها بسنّته الكريمة.

قوله: «بين مأخوذ ميثاق علمه، و موسّع على العباد في جهله» إلى آخره.

الضمائر تعود إلى الأحكام المذكورة المشتمل عليها الكتاب العزيز و ذكر عليه السّلام منها أنواعا:

أحدها، ما يجب تعلّمه و غير موسّع للخلق في جهله كوحدانيّة الصانع و أمر المعاد و العبادات الخمس و شرائطها.

و ثانيها، ما لا يتعيّن على كافّة الخلق كافّة الخلق العلم به، بل يعذّر بعضهم في الجهل و يوسّع لهم في تركه كالآيات المتشابهات، و كأوائل السور كقوله تعالى:

كهيعص، و حمعسق، و نحوها.

و ثالثها، ما هو مثبت في الكتاب فرضه معلوم في السنّة نسخه، و ذلك كقوله تعالى: وَ اللَّاتِي يَأْتِينَ الْفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا وَ الَّذانِ يَأْتِيانِها مِنْكُمْ فَآذُوهُما فَإِنْ تابا وَ أَصْلَحا فَأَعْرِضُوا عَنْهُما [سورة النساء: ۱۵- ۱۶].

فكانت الثيّب إذا زنت في بدو الإسلام تمسّك في البيوت إلى الممات، و البكر تؤذى بالكلام و نحوه بمقتضى هاتين الآيتين، ثمّ نسخ ذلك في حقّ الثيّب بالرجم، و في حقّ البكر بالجلد و التعذيب بحكم السنّة .

و رابعها، ما هو بعكس ذلك أي مثبت في السنّة: أخذه مأذون في الكتاب في تركه، و ذلك كالتوجّه إلى بيت المقدّس في ابتداء الإسلام، فانّه كان ثابتا في السنّة ثمّ نسخ بقوله تعالى:

فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ [سورة البقرة: ۱۴۴].

و كثبوت صلاة الخوف في القرآن حال القتال الرافع لجواز تأخيرها في السنّة إلى انجلاء القتال.

و خامسها، ما يجب لوقته و يزول في مستقبله كالحجّ الواجب في العمر مرّة، و كالنذور المقيّدة بوقت معيّن و أمثالها، فإنّ وجوبها تابع لوقتها المعيّن و لا يتكرّر بتكرّر أمثاله.

قوله: «و مباين بين محارمه»، عطف على المجرورات السابقة و الياء المفتوحة، و في معنى الكلام و تقديره لطف، فإنّ المحارم لمّا كانت هي محالّ الحكم المسمّى بالحرمة صار المعنى: و بين حكم مباين بين محالّة هو الحرمة.

و قوله: «من كبير أوعد عليه نيرانيه، أو صغير أرصد له غفرانه».

بيان لتلك المحالّ و إشارة إلى تفاوتها بالشدّة و الضعف في كونها مبعّدة عن رحمة اللّه على سبيل الجملة، فالأوّل كالقتل في قوله تعالى:

وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ [سورة النساء: ۹۳].

و كذلك ساير الكبائر من الظّلم و الزّنا و غيرها، و الثّاني، قال الفقهاء كالتطفيف بالحبّة، و سرقة باقة من بصل و نحو ذلك، و إرصاد الغفران بإزاء هذه و أمثالها في الكتاب العزيز كقوله تعالى:

إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ [سورة فصّلت: ۴۳].

للناس على ظلمهم.

و ساير آيات الوعد بالمغفرة، فإنّها إن كانت عامّة في كلّ الذنوب فالصغائر داخلة بطريق الأولى و إلّا كانت محمولة على الصغائر، و سرّ أولويّتها بالغفران أنّها لا يكاد تكسب النّفس ملكة الإفراط و الجور إلّا عن بعد بعيد و تكرار طويل بخلاف الكبائر، فإنّ الإقدام عليها في غالب الأحوال لا يقع إلّا عن نفس مستعدّة للشرّ، بعيدة عن رحمة اللّه، و باللّه العصمة التوفيق.

### ۱-۵-۱۰-۲-۲-۵ الفصل الخامس: في الحجّ و ترتيبه و أركانه.

و هذا الفصل له طول و عرض، و هذا المقام غير محتاج إليه لأن غرضنا من نقل هذه الخطبة مع شرحها كما سبق ذكره، كان بيان إيجاد العالم و إيجاد آدم من الأسفل إلى الأعلى و بالعكس، و بيان الملائكة و الجنّ و

كيفيّة السجود و التّرك و غير ذلك، ثمّ بيان الكتاب القرآني و ما اشتمل عليه من العلوم و الأسرار، استشهادا و إعضادا بقوله عليه السّلام، و قد حصل.

و أمّا الحجّ و أقسامه و ترتيبه، فسيجيء في موضعه من المقدّمة السادسة، و نفس التأويل أيضا إن شاء اللّه.

هذا آخر بحث العالم المعبّر عنه بالآفاق و ما يتعلّق به من كلامنا و كلام غيرنا من الأئمّة و المشايخ رضوان اللّه عليهم أجمعين، تارة من الأعلى إلى الأسفل و تارة من الأسفل إلى الأعلى، مضافا إلى بحث آدم و إبليس و الملك و الجنّ و الجنّة و النّار و غير ذلك من الأسرار، و حيث فرغنا من هذا بهذه الوجوه المختلفة و الاستشهادات المتنوّعة، نقطع هذا البحث عليه و نشرع في غيره و هو بحث الحروف و تطبيقها بالعالم إجمالا و تفصيلا كما شرطناه في أوّل الكتاب، و خصّصنا به المقدّمة الثالثة و هي هذه:

## ٢- المقدّمة الثالثة

### ٢-١ في بيان الحروف الآفاقيّة الإلهيّة و تطبيقها بالحروف القرآنيّة مطابقا للحروف الأنفسيّة الإنسانيّة

اعلم، أنّ هذه المقدّمة مشتملة على بيان حروف اللّه الآفاقيّة و تطبيقها بحروف اللّه القرآنية، و بيان أنّ العالم على سبيل الإجمال واقع على ترتيبها، و بل الوجود مطلقا مع مظاهره العلويّة و السفليّة المعبّر عنها بالكتب و الصحف تارة، و بالآيات و الكلمات و الحرف أخرى، و الحقّ أنّه إذا ثبت أنّ الوجود كلّه كتاب اللّه الكبير المشتمل على حروفه و كلماته و آياته، لم يكن هذا البحث ضروريّا لأنّه يفهم منه المقصود، لكن لمّا تقرّر في الفهرست أن نبيّنه على سبيل التفصيل دون الإجمال، صار ضروريّا، و معلوم أنّ فائدة التفصيل أعظم من فائدة الإجمال، و عليه تقديم بحث الحروف على بحث الكلمات و الآيات، و هي أنّ الكلمات و الآيات مركّبان من الحروف، و تقديم البسائط على المركّبات أمر ضروريّ كتقديم أجزاء الكلّ على الكلّ، و هذا ترتيب طبيعيّ و قانون عقلي لا يجوز خلافه.

و إذا عرفت هذا،

#### ٢-١-١ (في أنّ حروف العالم عبارة عن الحقائق البسيطة من الأعيان) (في علم الحقّ سبحانه)

فاعلم، أنّ حروف العالم المعبّر عنه بالكتاب الكبير الآفاقي عبارة عن الحقائق البسيطة من الأعيان و الماهيّات الثابتة في علم الحقّ أزلا و أبدا المتقدّمة على المركبات، و المشخّصات المعبّرة عنهما بالكلمات و الآيات بالذّات و الشّرف دون الزّمان و المكان و يسمّيها العارف الشّئون الذّاتيّة و الكمالات الوجوديّة.

#### ٢-١-٢ (في أنّه تعالى كلّ يوم في شأن)

المشار إليها في قوله تعالى:

كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ [سورة الرّحمن: ٢٩].

و معناه، أي كلّ يوم من أيّام الألوهيّة أو الرّبوبية أو الزمانيّة المقدرة من نقطة إلى نقطة هو في شأن من إظهار تلك الحروف الوجوديّة و الآيات و الكلمات المركبة منها، و هذه الآية نزلت في معرض أنّ النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال فرغ اللّه تعالى من أربع، من الخلق و الخلق، و الرزق و الأجل، فقالت اليهود فالآن ليس له شغل، و هذا أمر بالتعطيل، و إعتقاد فاسد عند التحقيق، فقال النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

نعم له شغل من غير اشتغال به و هو إيصال ما ثبت في القضاء إلى القدر. فنزل جبرئيل عليه السّلام بقوله تعالى:

كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ [سورة الرّحمن: ٢٩].

و شأنه ما ذكرناه، و هو إيصال القضاء الّذي هو الإجمال إلى القدر الّذي هو التفصيل، لقوله أيضا:

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ [سورة السجدة: ٥].

أي من العلويّات إلى السّفليّات، و من الرّوحانيّات إلى الجسمانيّات، أو من الملكوت إلى الملك، أو من الغيب إلى الشهادة، فإنّ الكلّ واحد كما قيل:

العين واحدة و الحكم مختلف و ذاك سرّ لأهل العلم ينكشف

فافهم جدا فإنّه دقيق.

و إلى الشؤون المذكورة أشار القوم في اصطلاحهم بقولهم:

الشؤون الذاتيّة اعتبار نقوش الأعيان و الحقائق في الذّات الأحديّة كالشجرة و أغصانها و أوراقها و أزهارها و ثمارها في النّواة مثلا و هي الّتي تظهر في الحضرة الواحديّة و تنفصل في الحضرة الأحديّة، و قسّموها أيضا أقساما و جعلوا هذا القسم من الحروف العاليات و الشئون الذاتيّات، لقولهم:

الحروف العاليات هي الحقائق الكامنة في ذاته المقدّسة، كالشجرة في النواة.

و معلوم أنّ الذّات الأحديّة أعلى العاليات و أعظم الموجودات و أشرفها و بل موجودها و منشئها، و إلى هذه الحروف و ثبوتها في الحضرة العلميّة، و العوالم الغيبيّة المعبّرة عنهما بالذّات الأحديّة، أشار العارف نظما و قال:

كنّا حروفا عاليات لم نقل متعلّقات في ذري أعلى القلل
أنا أنت فيه و نحن أنت و أنت هو و الكلّ في هو هو فسل عمّن وصل

و قد سبقت هذه في الخطبة للكتاب و غيرها من المواضع، و ما اتّفق لها شرح و لا بسط، و هذا الموضع أنسب من كلّ المواضع، لأنّه مخصوص ببحث الحروف، و حيث أن شرحها يحتاج إلى مقدّمة كلمة، تقدّم أوّلا تلك المقدّمة ثمّ نشرع فيها.

فنقول:

### ٢-١-٣ (في أنّ الوجود من حيث هو وجود واحد من جميع الجهات)

اعلم، أنّ أصول جميع المحققين من أرباب التوحيد كما سبق ذكرها غير مرّة، و هي أنّ الوجود من حيث هو

وجود، واحد من جميع الجهات، و ليس فيه تكثر بوجه من الوجوه، و ذلك الوجود هو الحقّ تعالى جلّ ذكره و ليس لغيره وجود أصلا، لا ذهنا و لا خارجا، و قد أثبتوا هذا بالبراهين العقليّة و الدّلائل القطعيّة بعد أن شاهدوه بعين البصيرة كشفا و ذوقا، و هذا الوجود نظرا إلى إطلاقه و وحدته، و تجرّده و تنزّهه عن التقيّد و التعيّن سمّوه بالمطلق، و نظرا إلى تنزّله في هذه المراتب المذكورة و تقيّده بصور المظاهر المختلفة سمّوه بالمقيّد و مع إسقاط هذين القيدين أي الإطلاق و التقييد سمّوه بهو هو، لأنّه من حيث هو هو لا مطلق و لا مقيّد، لأنّ الإطلاق بالنّسبة إليه يوهم أنّه الإطلاق الّذي بإزاء التقييد، و التقييد بالتقييد الّذي هو بإزاء المطلق و ليس كذلك، لأنّ المراد بالإطلاق عليه عندهم سلب القيد مطلقا و بالتقييد إضافة المقيّدات إليه لقولهم:

التوحيد إسقاط الإضافات.

### ۲-۱-۴ (في انّ التوحيد إسقاط الإضافات)

و الإضافة أمر اعتباريّ نسبيّ لا وجود له في الخارج، فمرادهم حينئذ يكون الوجود من حيث هو وجود و اعتباره في عالمي الوحدة و الكثرة و حضرتي الإطلاق و التقييد و الوجوب و الإمكان و الذّات و الصّفة و الظهور و البطون، و إلّا الوجود من حيث هو هو منزّه عن جميع ذلك فضلا عن الإطلاق و عدم الإطلاق و التقييد و عدم التقييد، و كذلك الظهور و البطون و الأوّل و الآخر، لأنّ الأوّل اسم له بالنّسبة إلى الآخر، و الظّاهر بالنسبة إلى الباطن، و كذلك القديم بالنّسبة إلى الحادث، و الواجب بالنسبة إلى الممكن، و العالم إلى المعلوم، و القادر إلى المقدور، و هلمّ جرّا، و الحاصل انّه ليس له اسم عند التّحقيق و لا صفة و لا رسم و لا نعت و لا عين و لا فصل و أمثال ذلك من الاعتبارات، فإنّ الكلّ عند التحقيق إضافات معدومات، و نسب اعتباريات، و إلى هذا المعنى أشار الامام المعصوم سلطان الأولياء و الوصيّين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام في بعض خطبه و هي الّتي سبقت متنا و شرحا و هو قوله:

«أوّل الدّين معرفته و كمال معرفته التصديق به و كمال التصديق به توحيده و كمال توحيده الإخلاص له و كمال الإخلاص له نفي الصّفات عنه لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف و شهادة كلّ موصوف انّه غير الصفة، فمن وصف اللّه سبحانه فقد قرنه و من قرنه فقد ثنّاه و من ثنّاه فقد جزّأه و من جزّأه فقد جهله و من جهله فقد أشار إليه و من أشار إليه فقد حدّه و من حدّه فقد عدّه و من عدّه فقد أبطل أزله»، إلى قوله:

«مع كلّ شيء لا بمقارنة و غير كلّ شيء لا بمزايلة».

فإنّ الكلّ إشارة إلى تنزيهه عن الأسماء و الصّفات و النّسب و الإضافات و التقييد و الإطلاق و أمثال ذلك.

### ۲-۱-۵ (في أنّ ظهور الوجود المطلق لا يكون إلّا من حيث الإضافات)

و إذا عرفت هذا فاعلم أنّ ظهور هذا الوجود المطلق المقدس المنزّه عن جميع الاعتبارات ليس إلّا من حيث النّسب و الإضافات السّاقطة عند التّوحيد الصّرف و التجرّد المحض، و تنزّله و تقيّده من عالم الوحدة إلى عالم الكثرة ليس إلّا بذلك لقوله في الأوّل:

إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ [العنكبوت: ۶].

و لقوله في الثاني:

كنت كنزا مخفيّا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق.

و ترتيب ظهوره و نزوله من عالم الإطلاق و التجريد إلى عالم التقييد و التفصيل، و تعيّنه ترتيب ظهور الألف من عالم إطلاقه، و تجرّده إلى عالم التركيب و الترتيب، أعني كما ينسب هذا الوجود المطلق الواحد إلى كلّ واحد واحد من المقيّدات الممكنة و يحصل بسببه ظهور و كثرة فكذلك الألف فانّه ينسب أيضا إلى كلّ واحد واحد من الحروف المقطّعة و يحصل بسببه ظهور و كثرة، فكما يحصل للألف بسبب تعيّن كلّ حروف من الحروف اسم و وصف مغاير لاسم آخر و وصف آخر، فكذلك الحقّ تعالى فإنّه يحصل به بسبب تعيّن كلّ موجود مشخّص اسم و وصف مغاير لاسم آخر و وصف آخر، لأنّ الألف مثلا كما يحصل له أسم الباء بالنسبة إلى الباء و اسم الجيم بالنسبة إلى الجيم و اسم الدّال بالنسبة إلى الدال، فكذلك الحقّ تعالى فانّه يحصل له اسم العالم بالنسبة إلى المعلوم و اسم القادر بالنسبة إلى المقدور و اسم الخالق بالنسبة إلى المخلوق، و كذلك جميع الأسماء و الصفات، و الوحدات و الكثرات:

وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ [سورة العنكبوت: ۴۳].

و قد سبق ان العلم ماله تأثير في المعلوم بالنسبة إلى الواجب أو الممكن، و قد تقدّم أنّه تعالى عالم بالمعلومات الذّاتيّة أذلا و أبدا، فحينئذ ظهوره بصورة معلوم من المعلومات لا يكون إلّا على الوجه الّذي كان عالما بذلك المعلوم، فظهوره بصور مفردات العالم و بسائطه الّتي هي مظاهره الأوّليّة العلويّة لا يكون إلّا على الوجه الّذي كانت هي عليه، و هذه المفردات في الآفاق و الكتاب الإلهيّ تسمّي حروفا، و ظهوره بصور مركبات العالم و مشخّصاته الّتي هي مظاهره الثانية لا يكون إلّا على الوجه الّذي كانت هي عليه، و هذه المركبات في الآفاق و الكتاب الإلهي تسمّى كلماتا، و ظهوره بصور كليّات العالم و أجناسه الّتي هي مظاهره الثالثة لا يكون إلّا على الوجه الّذي كانت هي عليه، و هذه الكلّيّات في الآفاق و الكتاب الإلهي يسمّى آياتا، و ظهوره بصورة الكلّ من حيث الكلّ يسمّى كتابا و مصحفا و غير ذلك من الأسماء لقولهم:

أحد بالذات كلّ بالأسماء.

و كذلك الألف المجرّد فإنّه أيضا يصير موسوما في كلّ مرتبة من مراتب ظهوره بأسماء من أسماء الحروف الّتي هي مظاهره حرفا كانت أو كلمة أو آية، لأنّ في الحقيقة ليس هناك إلّا الألف و الكلّ هو مع تعيّن آخر علما كان أو عينا كما ستعرفه.

هذا من حيث العلم و الوجود العلمي، و أمّا من حيث العين و الوجود العيني فكذلك، لأنّ الوجود العلمي لا يوجد في العين إلّا مطابقا للعلم، فإذا وجدت هذه المعلومات العلميّة في الخارج و حصل له الوجود الخارجي يصير موسوما باسم خارجي أيضا، فإنّه إذا ظهر بصورة العقلي صار متعينا به في الخارج و سمّى به و إذا ظهر بصورة النّفس صار متعيّنا به في الخارج و سمّي به، و كذلك الجسم الكلّ فانّه إذا ظهر بصورة الجسم المطلق صار متعيّنا به في الخارج و سمّي به، و قس على ذلك جميع الموجودات العلويّة و السفليّة لقوله تعالى:

هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [سورة الحديد: ۳].

و لقوله:

أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ [سورة فصّلت: ۵۳- ۵۴].

و لقول العارف:

تجلّى لي المحبوب من كلّ وجهة فشاهدته في كلّ معنى و صورة

و كذلك الألف فإنّه إذا ظهر بصورة الباء صار متعيّنا به في الخارج و سمّي بالباء، و إذا ظهر بصورة الجيم صار متعيّنا به في الخارج و سمّي بالجيم، و إذا ظهر بصورة الدّال صار متعينا به و سمّي بالدّال و كذلك إلى آخر الحروف، و من هذا وقع العقل الأوّل بمثابة الباء في الوجود و النّفس الكلّيّة بمثابة الجيم، و الجسم الكلّي بمثابة الدّال إلى آخر الموجود و آخر الحروف، و قد سبق ترتيب ذلك غير مرّة في الدّائرة الوجوديّة و غيرها، و هذا هو المراد من هذا البحث في هذه المقدّمة إلى أن يتحقّق عندك أنّ ظهور الوجود الحقيقي أو الحقّ تعالى جل ذكره بصورة العالم أو الموجودات الممكنة بعينه ظهور الألف المجرّد بصور الحروف و تراكيبها كلّها، و هذا وضع إلهيّ و قانون ربّانيّ قد نطق به الأنبياء و الرّسل صلوات اللّه عليهم أجمعين.

### ۲-۱-۶ (في أنّ الظهور و الإضافات لا بدّ له تعالى من حيث الكمال و الاقتضاءات الأسمائيّة)

و إذا عرفت هذا فاعلم انّه تعالى من حيث الذّات و الوجود و ان كان منزّها مستغنيا من نسبة هذه الإضافات و الظهور إليه لكن من حيث الكمالات الذّاتيّة و الاقتضاءات الأسمائيّة لا بدّ له من ذلك فانّه من هذه الحيثيّة عين الكلّ، فإنّ الكلّ لا يظهر في الكلّ إلّا من حيث كلّيّته، و فيه قيل: ليس في الوجود سوى اللّه تعالى و أسمائه و صفاته و أفعاله فالكلّ هو و به و منه و إليه.

كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [سورة القصص: ۸۸].

### ۲-۱-۷ (في بيان نسبة الموجودات العلميّة و العينيّة إلى) (الفيض الأقدس و الفيض المقدّس)

ثمّ اعلم أنّ الوجودات العلميّة المذكورة منسوبة إلى الفيض الأقدس و القابليّة الصرفة الّتي ليست بجعل الجاعل، و الموجودات العينيّة منسوبة إلى الفيض المقدّس الّذي هو إعطاء وجود كلّ موجود في الخارج بحسب وجوده العلمي الأزلي الذّاتي، و كلّ ذلك بوجه آخر منسوب إلى النفس الرحماني الّذي هو سبب إخراج هذه الموجودات من العلم إلى العين كإخراج الكلمات و الآيات و الحروف في النفس الإنساني على سطح الهواء.

و بيان ذلك و هو أنّ الكلمات الصّوريّة كما أنّ إخراجها من القوّة إلى الفعل موقوفة على النّفس الإنسانيّة بأسباب من المخارج حتّى يحصل له الوجود الخارجي في الهواء إن كانت روحانيّة، و في الألواح إن كانت جسمانيّة بقلم المعلوم و الدّواة المعلومة، فكذلك الكلمات الوجوديّة الإلهيّة فإنّ إخراجها من العلم إلى العين موقوفة على النفس الرّحماني بأسباب إلهيّة حتّى يحصل له الوجود الخارجي في العالم إن كانت روحانيّة، و إن كانت جسمانيّة بقلم العقل الأوّل و دواة النّفس الكليّة لقوله تعالى:

ن وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ [سورة القلم: ۱].

لأنّه إشارة إلى هذا الترتيب الإلهي و القانون الربّاني، و أصل ذلك كلّه من علمه بذاته أزلا لأنّ أوّل التعيّن و التقيّد له في عالم الإطلاق و التجرّد هو من علمه بذاته لأنّه إذا صار عالما بذاته صارت ذاته معلوما له، و كلّ معلوم متعيّن فتتعيّن ذاته بذلك و من تعيّنه تعيّن الكلّ، و ذلك لأنّه لو لم يكن عالما بذاته لم يكن عالما بكمالاته و إذا لم يكن عالما بكمالاته لم يكن عالما بمعلوماته الذّاتيّة، لأنّ من جملة معلوماته ذاته و كمالاته، فلو لم يكن عالما بذاته و كمالاته الذاتيّة لم يتمكن من إبرازها في الخارج على الوجه الّذي هو عليه فلم يصدق حينئذ انّه ظاهر أو باطن أو عالم أو قادر و ليس الحال كذلك، فمن علمه بذاته صار متعيّنا و صار عالما بالكلّ و من علمه بالكل صار عالما بظهوره بصورة الكلّ فظهر بصورة الكلّ مطابقا لعلمه به فصار الكلّ مظهرا له و صار هو ظاهر في الكلّ و صدق عليه انّه:

هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [سورة الحديد: ٣].

و أمّا الظهور و الترتيب الوجودي في ذلك فكان بالنفس الرّحماني على الوجه المذكور، و إليه أشار القوم في اصطلاحهم بقولهم: النفس الرحمانيّ هو الوجود الإضافيّ الوحدانيّ الحقيقيّ المتكثّر بصور المعاني الّتي هي الأعيان و أحوالها في الحضرة الواحديّة، سمّي به تشبيها بنفس الإنسان المختلف بصوره الحروف مع كونه هواء ساذجا في نفسه و نظرا إلى الغاية الّتي هي ترويج الأسماء الداخلة تحت حيطة الإسم الرحمن عن كمونها و هو كمون الأشياء فيها و كونها بالقوّة كترويح الإنسان بالنفس، و حيث إنّ ظهور الحقّ تعالى بصور المظاهر كان منحصرا في الأسماء و الصفات و الأفعال و الأكوان قالوا: حجب الذات بالصفات و الصفات بالأفعال و الأفعال بالأكوان.

و قالوا:

جمالك في كلّ الحقائق سائر و ليس له إلّا جلالك ساتر
تجلّيت للأكوان خلف ستورها فنمّت بما ضمّت عليه الستائر

### ٢-١-٨(في توقف انكشاف الأفعال على انكشاف الأكوان و هكذا)

و من هذا صار انكشاف الأفعال موقوفا على انكشاف الأكوان، و انكشاف الصّفات على انكشاف الأفعال، و انكشاف الذّات على انكشاف الصفات، فمن كشف له الأكوان على ما ينبغي، كشف له الأفعال على ما هي عليها، و من كشف له الأفعال على ما ينبغي كشف له الصّفات على ما هي عليها، و من كشف له الصّفات على ما ينبغي كشف له الذّات على ما هي عليها، و صار من العارفين الكاملين المحققين و قال بلسان الحال و القال:

لقد كنت دهرا قبل ان يكشف الغطا أخالك أنّي ذاكر لك شاكر
فلمّا أضاء اللّيل أصبحت شاهدا بأنّك مذكور و ذكر و ذاكر

رزقنا اللّه و إيّاكم الوصول إلى هذا المقام بمحمّد و آله الكرام.

و إذا تقرّر هذا و عرفت بعض أسرار الوجود و الحروف و تطبيق كلّ واحد منهما بالآخر فلنشرع في شرح الأبيات الموعودة الّتي سبقت في هذا المعنى، و نقول:

اعلم، أنّ قوله: «كنّا حروفا عاليات لم نقل»، إشارة إلى تعيّن الأشياء في علمه الذّاتي قبل تعيّنه في الخارج، و

«عاليات»، إشارة إلى علوّها لثبوتهما في الذات و ليس أعلى من الذات شيء، «و لم نقل»، إشارة إلى الانتقال من العلم إلى العين، أي كنّا حروفا و بسائط أي حقايق و أعيانا في الحضرة الذاتيّة العلميّة أعني كنّا معلوما في الحضرة العلميّة و كان عالما بنا و بحقائقنا ...

قوله عليه السّلام:

«كان اللّه و لم يكن معه شيء».

أي لم يكن في الخارج، و كذلك أمير المؤمنين عليه السّلام في قوله:

«ربّ إذ لا مربوب، و عالم إذ لا معلوم، و قادر إذ لا مقدور».

و الكلّ إشارة إلى عدم الوجود.

و قوله: «متعلقات في ذرى أعلى القلل»: إشارة إلى ثبوتهم في الذات الّتي هي أعلى القلل الوجوديّة بالاتفاق، (و) حيث كنّا من معلوماته الذاتيّة الأزليّة الدّائمة صار إزالتنا علما و عينا من المستحيلات و إن لم يصدق عليه اسم القدم و الوجوب، لأنّه القديم بالذات و نحن القديم بالغير، و أنّه واجب بالذات و نحن واجب بالغير و مادام الواجب (الغير) باقيا لا بدّ و أن نكون نحن من الباقين معه، قال:

أنا أنت فيه و نحن أنت و أنت هو  و الكلّ في هو هو فسل عمّن وصل

### ٢-١-٩ (في بيان الوحدة المحضة و التوحيد و الصّرف)

و هذا إشارة إلى الوحدة المحضة لا الإثنينيّة المغايرة للتوحيد الصرف، لأنّ المغايرة بين الذات الأحديّة العلميّة و العينيّة ليس إلّا بالاعتبار و في الحقيقة ليس هناك مغايرة،

أ أنت أم أنا؟ هذا العين في العين  حاشاي حاشاي من إثبات إثنين

لأن المغايرة الحقيقيّة بين الذّات و كمالاتها الذاتيّة مستحيلة و من دقّة هذا المعنى و لطافته قال:

«و الكلّ في هو هو فسل عمّن وصل»، أي الكلّ من حيث الكلّ ظاهر في الكلّ، فسل عمّن وصل إلى هذا المقام لأنّ كلّ عاقل يعرف أنّ الكلّ من حيث الكلّ لا يظهر إلّا في الكلّ كما قيل:

الكلّ بالكلّ مربوط و ليس له  عنه انفصال خذوا لما قلته عنّي

و قولهم:

و كلّ مليح حسنه من جماله  معار له بل حسن كلّ مليحة

و ذلك لأنّ عند التوحيد الجمعي الحقيقي كما بيّناه مرارا لا يبقى للغير عين و لا أثر فكيف يتصوّر هناك المغايرة أصلا، و ليس في الوجود سوى اللّه تعالى و أسمائه و صفاته و أفعاله و الكلّ هو و به و منه و إليه، و إليه الإشارة أيضا، أي إلى التوحيد الحقيقي في مقام الفناء و الطمس الكلّي، بقوله تعالى:

كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ [سورة القصص: ٨٨].

و قوله:

كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ [سورة الرّحمن: ٢٧].

فهذا سرّ لا يعرفه إلّا الّذي وصل إليه وصولا حقيقيّا ذوقيّا كشفيّا لقولهم:

«من لم يذق لم يعرف».

و لهذا قال الشيخ قدّس اللّه سرّه :

«و هذا لا يعرفه عقل بطريق نظر فكريّ، بل هذا الفنّ من الإدراك لا يكون إلّا عن كشف إلهيّ، منه يعرف ما أصل صور العالم القابلة لأرواحه».

و يكفى في هذا قوله تعالى:

هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [سورة الحديد: ٣].

لأنّه يقوم بجواب الكلّ، و لا يعرفه أيضا إلّا الواصل الحقيقي المستغرق في عين الجمع و الفرق لا في أحدهما، لأنّ له في هذا المقام الدرجة العليا و الغاية القصوى المعبر عنها ...

### ٢-١-١٠ (في ان ظهور الوجود بصور الموجودات مثل ظهور الألف بصور الحروف)

و ليس الغرض هاهنا هذا البحث، لأنّ هذا البحث قد سبق مرارا و سيجيء مرارا، بل الغرض أن يتحقق عندك أن ظهور الوجود بصور الموجودات بعينه كظهور الألف بصور الحروف و المركبات، و إذا تحقّق هذا فرجع مرّة أخرى و نقول: اعلم أنّ تقييد الوجود المطلق بصور المقيّدات الّتي هي مظاهره بعينه كتقييد الألف المجرّد بصور الحروف المقيّدة الّتي هي مظاهره، و تنزّله من حضرة الذّات إلى حضرة الأسماء و الصفات بعين كتنزّل الألف المجرّد إلى حضرة التعيّنات و التقيّدات، و بيان ذلك مفصلا و هو أنّ الألف كما إذا يعيّن بتعيّن و يقيّد بقيد من صور الحروف و تعيّناتها صار موسوما بذلك الإسم الّذي لذلك الحرف باء كان أو تاء، ثاء كان أو جيما، ليس من هذا في الحقيقة قدح في ذاته و لا نقص في إطلاقه لأنّه على وحدته الذّاتيّة المقتضية لتنزّهه و تجرّده فذلك الحقّ تعالى فإنه إذا ظهر بصورة مظهر أو تعيّن بتعيين موجود من صور الموجودات و تعيّناتها صار موسوما بذلك الإسم الّذي لذلك الموجود عقلا كان أو نفسا، روحا كان أو جسما، إنسانا أو ملكا فانّه ليس من هذا في الحقيقة قدح في ذاته و لا نقص في إطلاقه، و تصديق هذا بالنسبة إلى الحروف، و هو أنّه ليس في الحقيقة وجود الحروف إلّا وجودا اعتباريا إضافيّا نسبيّا لا حقيقة له في نفس الأمر لأن الألف من حيث تنزّله من الإطلاق و التجرّد و إضافته إلى الغير ظهر بصورة الحروف من الباء و التّاء أو غير ذلك من الحروف حصل لتلك الحروف وجودا اعتباريّا اعتبار نسبة المجرّد إلى المقيّد و إلّا في نفس الأمر الحروف معدومات موهومات موجودات بالنسبة و الإضافة و ليس لها وجودا حقيقيّا أصلا لأنّ الوجود الحقيقي للألف فقط و من هذا قيل:

ليس هناك حروف إلّا و الألف معه صورة كان أو معنى، أمّا الصّورة فلأنّ الباء مثلا ألف مع قيد كما أن المقيّد مطلق مع قيد و كذلك الجيم و الميم و باقي الحروف لأنّك إذا قلت باء أو قلت تاء وجدت الألف فيهما، و كذلك الميم و الجيم و النون فإنّ الياء و الواو فيهما يقومان مقام الألف كما لا يخفى على أهله.

و أمّا المعنى فلأن الألف صار بانخفاضه من الارتفاع و اعوجاجه من الاستقامة، فإذا زال الانخفاض و ارتفع الاعوجاج صار ألفا كما كان، فافهم جدا فانّه لطيف، و تعرف هذا من صورة الألف إذا سوّيت صورة من شمعة مثلا و غيرتها من تلك الصورة إلى صورة اخرى، فإنّ الذّات و الحقيقة من تلك الشمعة لا تتغيّر أصلا و إن تغيّر صورتها و أوضاعها، و هذا المثال قريب إلى المادّة و الصورة و تغيير الصورة ساعة فساعة و بقاء المادة على قرارها.

و أمّا بالنسبة إلى الحقّ و ظهوره بصورة الخلق فهو أنّه ليس في الحقيقة وجود الخلق إلّا وجوديّا اعتباريّا إضافيّا لا حقيقيّة له في الخارج لأن الوجود الخارجي الحقيقي ليس إلّا للحقّ، فالوجود المضاف الاعتباري هو الّذي يحصل بتنزّلات الحقّ في صور مظاهره أعني أنّ الحقّ تعالى إذا نزل من حضرة إطلاقه و تجرّده و تقيّد بصورة من الصور عقلا كان أو نفسا أو غيرهما من الموجودات حصل بذلك التنزّل لذلك الموجود وجود إضافيّ نسبيّ معدوم في الحقيقة موجود بالاعتبار بحيث لو أسقطت عنه تلك الإضافة لم يبق إلّا عدما صرفا لقولهم: التوحيد إسقاط الإضافات، فعند التحقيق ليس للخلق و لا للمظاهر وجود إلّا بالاعتبار و الإضافة و كلّ ما يكون وجود بالاعتبار و الإضافة لا يكون إلّا معدوما مضمحلّا.

### ۲-۱-۱۱في معيّة الوجوديّة

فالوجود الحقيقي حينئذ لا يكون إلّا للحقّ و يكون له المعيّة معهم معيّة وجوديّة ذاتيّة لقوله:

وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ [سورة الحديد: ۴].

و لقوله:

وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ [سورة ق: ۱۶].

### ۲-۱-۱۲في أنّ ليس في الوجود غيره تعالى و إن صورة العالم صورته سبحانه

و هذه المعيّة بعينه معيّة الألف مع الحروف صورة كان أو معنى أمّا الصورة فلأنّك إذا تحقّقت ان الوجود واحد و أنّه الحقّ تعالى و أنّه ليس في الوجود غيره تحققت أنّ صورة العالم بأسره صورته لقوله:

هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ [سورة الحديد: ۳].

بحيث لو غاب عنها طرفة عين لم يبق له أثر لا ذهنا و لا خارجا، و هذا معنى قيّوميّته للأشياء بحكم قوله:

لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ [سورة البقرة: ۲۵۵].

و قد سبق في قول الشيخ الأعظم قدّس اللّه سره ما يعضد هذا تصريحا و هو قوله:

ان العالم غيب لم يظهر قطّ و الحقّ تعالى ظاهر ما غاب قطّ و النّاس في هذه المسألة على عكس القول، فيقولون: العالم ظاهر و الحقّ تعالى غيب، فهم بهذا الإعتبار في مقتضى هذا التّنزّل كلّهم عبيد للسوى، و قد عافى اللّه بعض عبيده عن هذا الداء و الحمد للّه.

### ۲-۱-۱۳ (في انّه تعالى حقيقة كلّ شيء كما هو سبحانه صورة كلّ شيء)

و أمّا المعنى فلأنّك إذا عرفت انّه ليس في الخارج حقيقة إلّا هو، عرفت انّه حقيقة كلّ شيء و باطنه كما هو صورة كلّ شيء و ظاهره لقوله:

أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ [سورة فصلت: ۵۳- ۵۴].

و هذا شهود الأنبياء و الأولياء و الأقطاب و الكلّ كما بيّناه مرارا و ليس هناك مشهد أعظم من هذا المشهد في هذا الطريق، جعلنا اللّه الوصول إليه، و ليس وراء عبّادان قرية إشارة إلى هذا، و كذلك: «قاب قوسين أو أدنى»، و بناء على هذه القواعد، و كما لا يكون هناك حرف من الحروف إلّا و يكون الألف معه صورة و معنى، فكذلك لا يكون هناك موجود من الموجودات إلّا و يكون الحقّ تعالى معه صورة و معنى، و مثال معيّة الأولى بعينه مثال المداد مع كلّ حرف من حروف هذا الكتاب من غير تفاوت و نقصان لأنّ المداد بالنسبة إلى الحروف لا يكون أقرب إلى حرف من حرف آخر من حيث هو مداد، و مثال معيّة الثانية مثال البحر مع أمواجه لأنّ البحر من حيث هو بحر لا يكون أقرب إلى موج من موج فإنّ الكلّ بالنسبة إليه على سواء، و فيه قيل:

البحر بحر على ما كان من قدم  انّ الحوادث أمواج و أنهار

و هذه الأمثلة في غاية الحسن لأجل هذا المعنى، فاجعل قلبك إليها تظفر بأسراره كثيرة منها:

وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ [سورة العنكبوت: ۴۳].

و الغرض منها أن يتحقّق أن ظهور الحقّ بصورة العالم و الخلق بعينه كظهور الألف بصورة الحروف و أنّ الوجود أو العالم واقع على ترتيب الحروف حذو النعل بالنعل كما عرفت بعضها و ستعرف إن شاء اللّه البعض الآخر.

### ۲-۱-۱۴ (في تفسير قوله (ص): ظهرت الموجودات من باء بسم اللّه الرّحمن الرّحيم)

و إذا عرفت هذا فاعلم:

أنّ هذا البحث لا يتحقق على ما ينبغي إلّا بعد تفسير قولهم:

بالباء ظهر الوجود و بالنقطة تميّز العابد عن المعبود و قول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«ظهرت الموجودات من باء بسم اللّه الرّحمن الرّحيم»

و قول أمير المؤمنين عليه السّلام:

«أنا النقطة تحت الباء».

لأنّ كلّ هذا إشارة إلى تنزّل الحقّ و ظهوره بصورة الخلق، كتنزّل الألف و ظهوره بصورة الحروف لأنّ تعيّن الحقّ المطلق الّذي هو المعبود بصورة الخلق المقيّد الّذي هو العابد ليس إلّا بسبب النقطة التعيّنيّة الوجوديّة المسمّاة بالإمكان الّتي تحت الوجود البائي الأوّل الإمكاني المسمّى بالعقل الأوّل تارة و بالروح الأعظم أخرى المتميّز بها العابد الّذي هو العبد عن المعبود الّذي هو الرّبّ و كذلك الحروف، لأنّ تعيّن الألف المجرّد الّذي

هو بمثابة الذّات بصورة الباء المقيّد ليس إلّا بسبب النقطة التعينيّة البائيّة الّتي تحت الباء التميّز بها الباء عن الألف أعني كما أنّ الألف إذا نزل من حضرة إطلاقه إلى حضرة تقيّده في صورة البائيّة الّتي هي أوّل مرتبة من مراتبه في عالم الكثرة لم يكن تميّزه منه إلّا بالنقطة البائيّة المتميّزة بها عن غيره من الحروف فكذلك الحقّ تعالى فإنّه إذا نزل من حضرة ذاته و مقام إطلاقه و صورة أحديته في صورة تعيّنه و تقيّده المعبّر عنها بصورة الإمكان في حضرة و احديّته لا يكون تميّز تلك الصورة المقيّدة عنه إلّا بالنقطة العنديّة الإمكانيّة الواقعة تحت تعيّنه المتميّزة بها عن غيره من الموجودات، و أوّل تلك الصورة المقيّدة تارة تسمّى بالعقل و تارة بالرّوح و تارة بالنور، و أمثال ذلك كما تسمّى الصّورة المقيّدة الحروفيّة تارة بالباء و تارة بالجيم، و تارة بالدّال إلى آخر الحروف، و لعظمة سرّ هذه الصورة المقيّدة الّتي هي بإزاء الباء في الحروف من الكتاب ورد عن النّبي عليه السّلام:

ظهرت الموجودات من باء بسم اللّه الرّحمن الرّحيم.

لأنّ بسم اللّه الرّحمن الرّحيم على سبيل الإجمال شامل لجميع العالم و مراتبه العلويّة و السّفليّة، و الألف منها اختفى تحت الباء كما اختفى الحقّ جلّ جلاله في الحضرة الواحديّة و تحت التعيّن الأوّل المسمّى بالعقل و آدم و غير ذلك، و نظرا إلى هذا قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

و اللّه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من باء بسم اللّه الرّحمن الرّحيم .

و كذلك الشيخ أبو مدين المغربي في قوله:

«ما رأيت شيئا إلّا و رأيت الباء مكتوبة عليه».

و كذلك الشيخ العارف ابن الفارض المصري في قوله:

فلو كنت بي من نقطة الباء خفضة رفعت إلى ما لم تنله بحيلة

و كذلك القول السابق من الشيخ الأعظم قدس اللّه سرّه:

بالباء ظهر الوجود و بالنقطة تميّز العابد عن المعبود.

و هذا المكان بالنسبة إلى هذه الكلمات و الأبحاث الّتي نحن في صدد إثباتها يحتاج إلى أقسام ثلاثة:

الأوّل، إلى تحقيق الباء و التعيّن الأوّل الّذي هو مظهره.

و الثاني إلى تحقيق النقطة و كيفيّة التميّز بها عن غيره.

و الثالث إلى تطبيق الحروف الآفاقيّة و الأنفسيّة بالحروف القرآنية كما شرطناه أوّلا.

## ۲-۱-۱۵القسم الأوّل في تحقيق الباء و التعيّن الأوّل الّذي هو مظهره

### ۲-۱-۱۵-۱ (في أنّ الباء صورة الوجود الظاهر كما أنّ الألف صورة الوجود الباطن)

اعلم، أنّ الباء باتفاق المحققين صورة الوجود الظاهر المتعيّن المضاف الممكن، كما أنّ الألف صورة الوجود

الباطن العالم لمطلق الواجب بالذّات، و بسبب أنّ أوّل موجود أضيف إليه الوجود المطلق كان العقل الأوّل و الروح الأعظم بمثابة الباء إلى الألف سمّاه الشرع بالتعيّن الأوّل و الموجود الأوّل و جعله واسطة التكوين و رابطة تعلّق الوجود من الواجب إلى الممكن، و النقطة الواقعة تحت الباء عبارة عن صورة الممكن و تعيّنها و العين، و بسبب إنّها كانت علّة التميّز عن غيره و مركز التعيّن سمّاها الشرع نقطة، فكما أن الباء يتعيّن بها و يتميّز الألف، فكذلك الوجود المضاف يتعيّن بذات الممكن و يتميّز عن الوجود المطلق، و المراد بالألف عند التحقيق الحضرة الأحديّة المطلقة الّتي هي عبارة عن انتفاء تعدّد الصفات و الأسماء و النسب و التعيّنات عن الذّات المطلقة بعد اعتبارها في العلم، و بالباء الحضرة الواحديّة الّتي هي عبارة عن اعتبار الذّات من حيث انتشاء الأسماء و الصّفات و واحديتها بها مع تكثرها بالتعيّنات، و بالنقطة الرّبوبيّة الّتي هي عبارة عن الذّات من حيث صدور الأفعال و الكمالات عنها عينا أي إيجاد الموجودات و المخلوقات في الخارج بعد تعيينها في العلم.

### ٢-١-١٥-٢في بيان معنى العماء

ثمّ اعلم، أنّ جميع الإشارات المتقدّمة في صورة الباء و الحروف و المظاهر و غيرها كناية عن ظهور الحقّ بصورة الخلق في عالم العماء الّذي هو التعين الأوّل و المرتبة الثانية في الوجود. و عند البعض عن خفائه و كمونه في حضرة الذّات الّتي هي الحضرة الأحديّة، و الأوّل أقوى و أقرب إلى الحقّ، و سبب ذلك و هو الّذي ورد في الحديث النبوي انّه سئل عن مكان الربّ قبل أن يخلق الخلق فقال:

كان في عماء الحديث.

فإن نظرنا إلى اللغة و معنى العماء الّذي هو الغيم الرقيق الحايل بين السّماء و الأرض يكون المراد به الحضرة الواحديّة و التعيّن الأوّل الحايل بين أرض الكثرة الخلقيّة و سماء الأحديّة الذّاتيّة، و إن نظرنا إلى الإصطلاح و السئوال من لسان الأعرابي فيكون المراد به الحضرة الأحديّة، لأنّ المراد عن السئوال كان العلم بمكان خفائه قبل الظهور لأنّ الحقّ جلّ ذكره قبل الظهور لم يكن إلّا في الحضرة الأحديّة الّتي هي حضرة الذّات و مقام الإطلاق.

و عند المحقّقين ليس المراد بالقبل و البعد في مثل هذه المواضع القبليّة الزّمانيّة و البعديّة المكانيّة، لأنّ مثل هذا يليق بجنابه، و تقدّمه و تأخّره ليس إلّا بالذّات فقط كما هو معلوم لأهله و لا يلزم من هذا قدم العالم إن أردت بالعالم ما سوى اللّه تعالى، و إن أردت شيئا آخر فهناك أبحاث لا يليق بهذا المكان، و أمّا بحث العماء و الاختلاف فيه بين العلماء، فقد سبق في الفصل السابق على هذا البحث فانظر هناك .

### ٢-١-١٥-٣في بيان أسماء التعين الأوّل

#### ٢-١-١٥-٣-١ (في المراد بالتعيّن الأوّل و بيان أسمائه)

و أمّا التعيّن الأوّل الّذي بإزاء الباء في الحروف فله بحسب كلّ كمال في ذاته أو موجود صدر عنه اسم مناسب لتلك الكمال أو لذلك الصدور و الوجود، و الباء أحد أسمائه، و الحكمة في ذلك انّه خليفة اللّه تعالى، و الخليفة

يجب أن يكون له مناسبة بالمستخلف صورة و معنى و الحقّ تعالى له أسماء كثيرة بحسب كلّ كمال و صفة فيجب أن يكون خليفة كذلك، و الأسماء في الصورتين غير متناهية من حيث الجزئيّة لكن من حيث الكلّي كما ورد في الشرع بالنسبة إلى الحقّ تعالى: العليم القدير المريد المتكلّم إلى تمام المائة و الألف و السبعة و غير ذلك. فكذلك لهذا الخليفة فإنّ له أسماء كثيرة بحسب الجزئي غير متناهية لكن بحسب الكلّي سمّي بالبرزخ و العماء و التعيّن الأوّل و حقيقة الحقائق و غير ذلك، و حيث إنّ هذا المكان لا يحتمل مجموعها نذكر بعضها الّتي هي الأهم و الأولى:

### ۲-۱-۱۵-۳-۲ (عناوين الخليفة)

فمنها، البرزخ الجامع و ذلك لجامعيّته بين الخلق و الخالق و الظاهر و الباطن و الوجوب و الإمكان، لأنّ هذا الموجود الأوّل الموسوم بالإنسان الكبير، و الروح الأعظم، له وجه إلى الحقّ و وجه إلى الخلق يستمدّ الفيض من الحقّ على حسب استعداده و يمدّ إلى ما تحته من المخلوقات، كما سبق ذكره عند بحث النبوّة و الولاية و أحذ الوحي و الإلهام من اللّه تعالى، و إيصالهما إلى الخلق، و كل برزخ هذا حالة أعني يكون فاصلا بين الشيئين أو بين العالمين و يكون لكلّ منهما له حظ و نصيب، و إليه الإشارة بقوله تعالى:

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ [سورة الرحمن: ۱۹- ۲۰].

و في قوله:

وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ [سورة المؤمنون: ۱۰۰].

و في البرازخ أبحاث كثيرة لأنّها مبتدائيّة و منتهائيّة و ما بين المبدأ و المنتهى بحسب كلّ عالمين و ما بينهما ستعرفها إن شاء اللّه.

و منها الخليفة الأعظم، و ذلك لخلافة الحق و القيام بقضاء حوائج عبيده في العالمين صورة و معنى لقوله تعالى:

وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً [سورة البقرة: ۳۰].

و لقوله:

يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ [سورة ص: ۲۶].

و قد تقدّم بحث الخلافة الكبرى و الصغرى بالنّسبة إلى الإنسان الكبير و الإنسان الصغير مبسوطا في المقدمة السابقة على هذه المقدّمة فارجع إليها فإنه ليس من الأدب العود إلى ما سبق.

و منها حقيقة الحقائق، و ذلك لرجوع الحقائق كلّها و صدورها منها و قد سبق تحقيقها مبسوطا في الفصل السابق و تقسيمها إلى ثلاثة:

الأولى حقيقة مطلقة بالذّات، فعّالة مؤثرة بالذّات وجودها واجب لها من ذاتها و هو عينها غير زائد عليها، و هي حقيقة اللّه سبحانه.

و الثانية حقيقة منفعلة بالذّات مقيّدة متأثّرة سافلة قابلة مستفيدة للوجود من الحقيقة الواجبيّة بالفيض و التجلّي و هي حقيقة العالم و حقيقته ثلاثة هي أحديّة جمعيّة بين الإطلاق و التقييد و الفعل و التأثير و الانفعال و التأثر فهي مطلقة من وجه مقيّده من وجه آخر، فعّالة باعتبار، منفعلة باعتبار، و هذه الحقيقة أحديّة جمع الحقيقيين، و لها المرتبة الأوّليّة الكبرى و الآخريّة العظمى، فإن أردت تحقيق ذلك أبسط من هذا فاطلب من موضعه و السّلام.

و منها العقل الأوّل، لتعقّله الموجود و لتعقّله الأشياء كلّها إجمالا في نفسه و تفصيلا في المرتبة الثانية الّتي هي مرتبة النفس الكلّيّة، و لتعقّله ذاته على ما هي عليها من الإمكان و القبول لما يفيض عليه الفائض المطلق، و أمثال ذلك، و ورد:

أوّل ما خلق اللّه العقل فقال له: أقبل فاقبل، و قال له: أدبر فأدبر فقال: ما خلقت خلقا أعزّ إليّ منك بك أعطي و بك آخذ و بك أثيب و بك أعاقب الحديث بتمامه.

و منها النور لإضاءته بنفسه و إضافته على غيره من الموجودات كالشمس مثلا فإنّها مضيئة بنفسها و مفيضة على غيرها من القمر و الكواكب و يصدّق ذلك قول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

أوّل ما خلق اللّه تعالى نوري.

ثمّ قول اللّه تعالى:

اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ [سورة النور: ٣٥].

و منها القلم الأعلى، لإضافته العلوم و الحقائق على النفس الكلّيّة بالتخصيص و على ما دونها بالتّعميم.

ن وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ [سورة القلم: ١].

إشارة إلى هذا المعنى. و كذلك قوله عليه السّلام:

«أوّل ما خلق اللّه القلم فقال له: اكتب فكتب كلّ ما يجري إلى يوم القيمة و جفّ القلم بما هو كائن».

إشارة إليه.

و منها الروح الأعظم، لإفاضته الحياة الحقيقيّة على الكلّ و استفاضته من الحقّ بغير الواسطة، وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي [سورة الحجر: ٢٩].

إشارة إلى نفخه الروح الجزئي في الإنسان الصغير لأنّه كالأب بالنسبة إلى ذريّته الصوريّة و المعنويّة، لقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

«كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطّين».

و لقول عارف أمّته فيه:

و إنّي و إن كنت ابن آدم صورة  فلي فيه معنى شاهد بأبوّتي

### ٢-١-١٥-٣-٣في ذكر عبارة الشيخ الأكبر في بيان التعيّن الأوّل

هذا ما عندي، فأمّا الشيخ الأعظم محيي الدّين ابن عربي قدّس اللّه سرّه قد أشار إلى هذا المعنى في «التدبيرات الإلهيّة» و إلى اختلاف العلماء بحسب العبارة، و إلى الّذي سنخ له بحسب كلّ اسم و اصطلاح، و هو حسن بذكره، ثمّ نرجع إلى القسم الثاني، و هو قوله:

اعلم، نوّر اللّه بصيرتك أنّ أوّل موجود اخترعه اللّه تعالى، جوهر بسيط روحاني فرد غير متحيّز في مذهب قوم، و متحيّز في مذهب آخرين إرادة و اختيارا، و لو شاء سبحانه لاخترع موجودات متعدّدة دفعة واحدة خلافا لما يدّعيه بعض الفلاسفة (الناس) من أنّه: لا يصدر عن الواحد إلّا الواحد، و لو كان هذا، لكانت الإرادة قاصرة، و القدرة ناقصة، إذ وجود أشياء متعدّدة دفعة واحدة ممكن لنفسه غير ممتنع، و الممكن محلّ (تعلّق) القدرة، فإن ثبت أنّ أوّل موجود واحد فباختيار منه تعالى.

و عبّر أهل الحقائق عن هذا الموجود المشار إليه بعبارات مختلفة، لكلّ عبارة خصوصيّة و تحتها فوائد.

فمنهم من (عبّر) «بالمادّة الاولى»، و منهم من عبّر «بالعرش»، و منهم من عبّر «بالمعلّم الأوّل»، و منهم من عبّر «بالإمام المبين»، و منهم من عبّر «بمرآة الحقّ»، و أمثال ذلك، فلنذكر الآن تلك الأسماء بعباراتهم مع ما سنخ لنا من اللّه الجواد.

فنقول: امّا ما أطلق عليها (عليه) بعض المحققين من أهل المعاني، «المادّة الأولى»، فكان الأولى أن يطلق عليه الممدّ الأوّل في المحدثات لكنّهم سمّوه بالصّفة الّتي أوجدها اللّه تعالى لها، و هذا ليس ببعيد أن يسمّى الشيء بما قام به من الصفات، و إنّما عبّر عنه بالمادّة الأولى، لأنّ اللّه تعالى خلق الأشياء على ضربين: منها ما خلق من غير واسطة سبب و جعله سببا لخلق شيء آخر و الإعتقاد الصحيح أنّه تعالى يخلق الأشياء عند الأسباب لا بالأسباب خلافا لمخالفي أهل الحقّ، و الّذي يصحّ أنّ أوّل موجود مخلوق من غير سبب متقدّم، ثمّ صار سببا لغيره و مادّة له و متوقفا ذلك الغير عليه أي على العقل الأوّل الّذي تقدّم كتوقف الشبع على الأكل، و الريّ على الشرب عادة، و كتوقّف العالم على العلم و الحياة على الحيّ عقلا، و كتوقف الثواب على فعل الطاعة و العقاب على المعصية شرعا، فلمّا لحظوا هذا المعنى سمّوه بالمادّة الأولى و هو حسن و لا حرج عليهم في ذلك لا شرعا و لا عقلا.

و عبّر عنه بعضهم «بالعرش»، و الّذي حملهم على ذلك أنّه لمّا كان العرش محيطا بالعالم في قول، أو هو جملة العالم في قول آخر، و هو منبع إيجاد الأمر و النهي، و وجدوا هذا الموجود المذكور آنفا يشبه العرش من هذا الوجه أعني الإيجاد و الإحاطة فسمّوه بالعرش، فكما أنّ العرش محيط بالعالم و هو الفلك التاسع (في مذهب قوم) كذلك هذا الخليفة محيط بالعالم الإنساني، ألا ترى قوله تعالى:

عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى [سورة طه: ٥].

في معرض التمدّح فلو كان في المخلوقات أعظم منه لم يكن ذلك تمدّحا.

سرّ للخواص، لكن هاهنا سرّ نرمزه ليلتذّ به صاحبه إذا وقف عليه و قو قوله تعالى:

الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى [سورة طه: ٥].

و العرش المذكور في هذه الآية «مستوى الرّحمن» و هو محلّ الصفة و الخليفة الّذي سمّيناه عرشا حملا على هذا «مستوى اللّه» جلّ جلاله، فبين العرشين ما بين اللّه و الرّحمن و إن كان أيّاما تدعوا فله الأسماء الحسنى، فلا خفاء عند أهل الأسرار فيما ذكرناه، و حدّ الاستواء من هذا العرش المرموز قوله صلّى اللّه عليه و آله:

«خلق اللّه تعالى آدم على صورته».

فالعرش الحامل للذّات، و المحمول عليه الصّفة (للصفة) فتحقّق أيّها العارف و نبّه أيّها الواقف و أنعم أيّها الوارث، و اللّه يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

و عبّر عنه بعضهم «بالمعلّم الأوّل»، و الّذي حملهم على ذلك انّه لما تحققت عندهم خلافته و انّه حامل الأمانة الأوّليّة (الإلهيّة) و نسبته من العالم الأصغر نسبة آدم من العالم الأكبر و قد قيل في آدم:

وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها، كذلك هذا الموجود، ثمّ خاطب الملائكة فقال:

أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا [سورة البقرة: ٣١- ٣٢].

فأمر الخليفة أن يعلّمهم ما لم يعلموا، فأمرهم اللّه سبحانه بالسجود لمعلّمهم، سجود أمر كسجود النّاس (إلى) الكعبة ، و تشريف، لا سجود عبادة نعوذ باللّه لا أشرك به أحدا. و يكون (فيكون) في هذا العالم الإنساني ثمرة السجود لا نفس السجود، و السجود إنّما هو التّواضع و الخضوع و الإقرار بالسبق و العجز و الشرف و التقدّم (له)، كتواضع التلميذ لمعلمه و إذا حصل موجود (في) مقام تتعلم منه الملائكة، فأحرى من دونهم، و كذلك (و ذلك) تشريف اللّه سبحانه، و دليل قاطع على ثبوت إرادته يختص برحمته من عبادة من يشاء.

سرّ للخواصّ، و هو حين أوقع الأسماء هل عاين المسمّيات أم لا و إلّا كيف يصحّ إطلاق اسم من غير مسمّى، و هذا موضع نظر و فكر، و سرّ السجود هنا لا يمكن إيضاحه، و قد ذكرناه في مطالع الأنوار الإلهيّة، فأما هل عاين المسمّيات؟ فقد نبّه على ذلك بقوله: بأسماء هؤلاء، فالهاء للإشارة و التنبيه و لا تقع الإشارة إلّا على حاضر، و إن كانت الإشارة في هذا الطريق نداء على رأس البعد و بوح (بوحا) بعين العلّة.

فنقول: إنّه عاين المسمّيات لكن على صورة مّا و ذلك أنّه عاينها في نفسه من حيث إنّه مجمع (مجموع) أسرار العالم و نسخته الصغرى و برنامجه الجامع لفوائده و هذه فائدة الإشارة بقوله تعالى: هؤُلاءِ حقّنا، و هو المطلوب و الغرض في هذا الكتاب.

و عبّر عنه بعضهم «بمرآة الحق و الحقيقة»، و الّذي حملهم على ذلك (أنهم) لمّا راؤها موضع تجلّي الحقائق و العلوم الإلهيّة و الحكم الرّبانيّة و أنّ الباطل لا سبيل له إليها إذ الباطل هو العدم المحض و لا يصح في العدم تجلّى و لا كشف فالحقّ كلّ ما ظهر في الوجود، و في إيراد الشّبهات المعارضة للأدلّة يتّضح ما أردنا.

سرّ للخواصّ السبب الموجود لكونه مرآة للحق قوله صلّى اللّه عليه و آله:

المؤمن مرآة المؤمن- و مرآة أخية على رواية.

و الأخوّة هنا عبارة عن المثليّة اللغويّة في قوله تعالى:

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ [سورة الشورى: ١١].

و ذلك عند بروز هذا الموجود في أصفى ما يمكن و أجلى (ما) ظهر فيه الحقّ بذاته و صفاته المعنويّة لا النفسيّة و تجلّي له من حضرة الجود، و في هذا الظهور الكريم قال تعالى:

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ [سورة التين: ۴].

فتأمّل هذه الإشارة فإنّها لباب المعرفة و ينبوع الحكمة.

و عبّر عنه بعضهم «بالإمام المبين» و هو «اللّوح المحفوظ» المعبّر عنه «بكلّ شيء» في قوله تعالى:

وَ كَتَبْنا لَهُ فِي الْأَلْواحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ [و هو اللوح المحفوظ].

مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ [سورة الأعراف: ۱۴۵].

و هو «اللّوح المحفوظ»، و الّذي حملهم على ذلك قوله تعالى:

وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ [سورة يس: ۱۲].

لأنّهم وجدوا (وجدنا) العالم كلّه أسفله و أعلاه مختصرا (محصى) في الإنسان فسمّوهم (فسمّيناه) «الإمام المبين» و أخذوه (و أخذناه) تنبيها من «الإمام المبين» الّذي عند اللّه تعالى، فهذا هو حظهم (حظّنا) و نصيبهم فتدبّره و تحقّقه.

سرّ للخواص قال اللّه تعالى:

ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ [سورة الأنعام: ۳۸].

اعتباره هو الإنسان «من شيء»: يفصّل العالم بأسره الإمام على الحقيقة المبين: من كان كلّ شيء مأموما به و هذا لا يصحّ في موجود (ما) لم تصحّ له المثليّة اللغويّة الفرقانيّة، فإذا صحّت المثليّة صحّ وجود الإمام و إذا صحّ وجود الإمام بطلت الإمامة في حقّ غيره، لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا [سورة الأنبياء: ۲۲].

فإذا نظرنا في هذا الإمام المبين نظرنا بما استوجب الإمامة فوجدناه أمانة بيده، فقرأنا:

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها [سورة النساء: ۵۸].

فلاحت لنا مرآة الحقّ المتقدّمة فضربنا «الإمام المبين» (في) من المؤمن مرآة (أخيه، فخرج لنا واحد في الخارج فسمّاه بعضهم مرآة الحقّ، و بعضهم) إماما فالإمام الكتاب، و المرآة سنّته، (فالإمام كتابيّ و المرآة سنيّة).

و عبّر عنه بعضهم «بالمفيض»، و الّذي حملهم على ذلك أنّهم لما رأوا الأجسام بيوتا مظلمة و أقطارا سوداء مدلهمة (مدمهلّة) فإذا غشيها نور الروح أضاءت فأشرقت كالأقطار إذا غشيها نور الشّمس، و بالضرورة يعلم أنّ النور الّذي في بغداد غير النور الّذي في مكّة، و النّور الّذي في موضع مّا غير النور الّذي في غيره، ثمّ نظرنا إلى السبب لوجود تلك الأنوار الّتي خلقها اللّه تعالى عنده لا به فوجدنا جسما كريّا نورانيّا يقال له الشّمس و كلّ موضع يقابلها من الأرض يخلق اللّه منه (فيه) نور يسمّى شمسا فكما تطلق على كلّ نور خلق في الأرض في

مقابلة الشمس شمسا ليس يبعد، و لا يمنع أن يطلق على كلّ نور أضاء به الأبدان روحا، و كما يختلف قبول الأماكن لهذا النور لاختلافها فلا يكون قبول الأجسام الصقيلة للنور كقبول الأجسام الدّرنة كذلك يختلف قبول أماكن الأبدان لفيضان الروح لاختلافها فلا يكون قبول البهيمة (لفيضانه) كقبول الإنسان و لا قبول الإنسان، كقبول الملك فلو سمّينا الشمس بالمفيضة صدقنا، و حقيقة الإفاضة في الماء و هو مجاز في غيره، و نسبة هذه الأرواح عندهم إلى الرّوح الكلّي كنسبة ولاة الأمصار إلى الإمام، و لذلك يثابون إن عدلوا و يعاقبون إن جاروا.

سرّ للخواصّ قال اللّه تعالى:

وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها [سورة الزمر: ۶۹].

اعتبار الربوبيّة هنا سيادة المعلم الأوّل و تربيته و تأثير سببيّته و هو المرجوع إليه في قوله تعالى على طريق التنبيه:

يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ [سورة الفجر: ۲۷- ۲۸].

و نور هذا الربّ المنبّه عليه هو الروح الحيوانيّ الّذي به يشترك البهيمة و الإنسان، فاعتبار الموت فيه بحجاب الغمام، و اعتبار النوم بغروب الشمس، و اعتبار الغفلة بالحجاب الهلاليّ ثمّ قد يغيب الإمام و يبقى الوزير بدله، يفيض على المملكة كالقمر ليلا، و ليس لفيضان الإمام فيض مادة الوزير، و فيضانه إن أفاض (فيّض) بالنظر إلى «النفس النباتيّة»، و هي الحجاب لمادة النفس المطمئنّة، و قد يغيبان أعنى الإمام و الوزير فتبقى الفقهاء نجوم علوم الأحكام فلا يستطيعون إفاضة (لقهر) لقمر النّفس الحيوانيّة البهيميّة و النّفس السبعيّة و استيلاء سلطانها، فتأمل هذا السّر تبد لك (تدرك) الحكمة الإلهيّة.

و عبّر عنه بعضهم بمركز الدائرة، و الّذي حملهم على ذلك أنّهم لما نظروا إلى عدل هذا الخليفة في ملكه و استقامة طريقته في هيأته (هباته) و أحكامه و قضاياه، سمّوه مركز دائرة الكون لوجود العدل به، و إنّما حملوه على مركز الكرة نظرا إلى كلّ خط يخرج من النقطة إلى المحيط مساويا لصاحبه رأوا ذلك غاية العدل، فسمّوه مركز الدائرة لهذا المعنى.

سرّ للخواص، و ذلك أنّ نقطة الدائرة أصل في وجود المحيط و مهما قدّرت كرة وجودا أو تقديرا فلا بدّ أن يكون (تقدّر) لها نقطة هي مركزها و لا يلزم من وجود النقطة وجود المحيط، و وجود الفاعل من هذه الدائرة رأس الضابط، و لا دائرة في الوجود، كان اللّه و لم يكن معه شيء ، و فخذاه يداه المبسوطتان جودا و إيجادا، و الفخذ المختصّة بالنقطة يد الغيب و الملكوت الأعلى، و الفخذ المختصّة بالمحيط يد عالم الملك و الشهادة، فالواحد للأمر و الأخرى للخلق و اللّه بكلّ شيء محيط.

هذا آخر كلامه في هذا الباب، و كان الغرض من إيراده اطّلاعك على عظمة قدر هذا الموجود المعبّر عنه بالباء و الأسرار الّتي تحت ألقابه و أسمائه و صفاته، و هذه الوجوه و الأسرار و إن كانت كثيرة إلّا بالنسبة إلى الوجوه الّتي سبقت من قوله أيضا قليلة و هو ما قال:

فلمّا وجد هذا الموجود الأوّل ظهر له من الوجوه إلى الحضرة الإلهيّة ثلاثمائة و ستّون وجها فأفاض الحقّ تعالى من علمه على قدر ما أوجده عليه من الاستعداد للقبول و كان قبوله ستّة و أربعين ألف ألف نوع و ستّمائة ألف نوع و ستّة ألف و خمسين ألف نوع، و قال:

و نونه الّتي هي الدّواة عبارة عمّا يحمله من ذاته من العلوم بطريق الإجمال فلا يظهر لها تفصيل إلّا في النّفس الّتي هي اللوح فهو محل التحميل، و النفس محلّ التفصيل، و هذا القلم له ثلاثمائة و ستّون سنا من حيث ما هو قلم، و ثلاثمائة و ستّون وجها من حيث ما هو عقل، و ثلاثمائة و ستّون لسانا من حيث ما هو روح مترجم عن اللّه تعالى، و يستمدّ كلّ سنّ من ثلاثمائة و ستّين بحرا و هي أصناف العلوم، و سمّيت بحرا لاتّساعها، و هذه البحور هي إجمال الكلمات الّتي لا تنفد لقوله جلّ ذكره:

وَ لَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [سورة لقمان: ٢٧].

و الكلّ إشارة إلى عظمة هذا الموجود و الأسرار الّتي تحته.

و إذا تقرّر هذا فاعلم، أنّ هاهنا لطائف و دقايق:

### ۲-۱-۱۵-۴ (إنّ القرآن صورة إجمال العالم)

الاولى منها، و هي أنّ اللّه تعالى حيث جعل العالم كلّه كالكتاب، و رتّبه على ترتيب الحروف و الكلمات و الآيات الّتي فيه ركّبها منها، و جعل الباء الّذي بعد الألف الّذي بمثابة الذّات جامعا لجميع الأسرار الّتي يتعلّق بهذا الكتاب لأنّه مظهر ذاته و منبع آياته و كلماته، جعل الكتاب القرآن صورة إجماله و تفصيله و أودع جميع ما في ضمنه من الأسرار و الحقائق في الباء الّذي في «بسم اللّه الرّحمن الرّحيم» نيابة عن الألف المنخفض فيه و عوضا عن طول الباء كما مرّ ذكره ليكون التطبيق صحيحا.

### ۲-۱-۱۵-۵ (ترتيب القرآن مطابق لترتيب العالم)

و الثانية، و هي أنّ اللّه تعالى حيث جعل ترتيب الكتاب القرآني على ترتيب الكتاب الآفاقي، فكما كان ابتداء الكتاب الآفاقي بالباء المشار إليه في الأقوال المتقدّمة، جعل ابتداء الكتاب القرآني كذلك بباء «بسم اللّه الرّحمن الرّحيم» ليكون قول من قال: ظهرت الموجودات من باء بسم اللّه الرّحمن الرّحيم ، صحيحا مطابقا.

### ۲-۱-۱۵-۶(اختفاء ذات الحقّ تعالى في باء الآفاق و هو الإنسان)

و الثالثة انّه كما اختفى ذاته الّتي بمثابة الألف في الباء الآفاقي الّذي هو الإنسان المعبّر عنه «بكلمة اللّه» تارة و بآياته تارة، لقوله:

وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ [سورة الذاريات: ٢١].

و في قوله:

وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ [سورة ق: ١۶].

و بما أشار إليه النبي عليه السّلام بقوله:

«خلق اللّه تعالى آدم على صورته».

فكذلك اختفى الألف الّذي في الحروف بمثابة ذاته في الباء الّذي في بسم اللّه الرّحمن الرّحيم كما سبق ذكره في قولنا و قول غيرنا.

### ٢-١-١٥-٧ (تطابق القرآن مع العالم في الكلمات و الحروف و غيرهما)

و الرّابعة انّه كما جعل الكتاب الآفاقي جامعا للعدد المذكور في العلوم الحاصلة من القلم الّذي هو بمثابة الباء، جعل الكتاب القرآني جامعا لجميع ذلك من حيث آياته و كلماته و حروفه و شدّاته و مدّاته و فتحاته و ضمّاته و كسراته و أمثال ذلك كما سنبيّنه بعد هذا الكلام مفصّلا معدودا، أو للمعنى الّذي تحت كلّ واحد واحد منها على حسب التطابق الصّوري و المعنوي بين الكتابين، و بناء على هذا فقول من قال: «إنّ علوم جميع الكتب السّماويّة مندرجة تحت القرآن و جميع العلوم القرآنيّة مندرجة تحت المفصل من سورة و الّتي تحت المفصل من سورة مندرجة تحت حروفه المقطّعة الّتي في أوائل السّورة، و الّتي تحت الحروف المقطعة تحت الفاتحة و الّتي تحت الفاتحة تحت بسم اللّه الرّحمن الرّحيم و الّتي تحت بسم اللّه الرّحمن الرّحيم تحت بائها المذكور»: صحيح.

و يشهد بصحّته قول أمير المؤمنين عليه السّلام:

و اللّه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من باء بسم اللّه الرّحمن الرّحيم.

لأنّه العالم بالقرآن على ما هو عليه في نفس الأمر و لا يكون شهادة في هذا الباب أصحّ من شهادته بعد قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

ظهرت الموجودات من باء بسم اللّه الرّحمن الرّحيم .

و هاهنا لطيفة و هي أن الباء إذا كان إشارة إلى التعيّن الأوّل، و جميع هذه الإشارات تكون متعلّقة به و بأسراره، فلو قال عوض سبعين ألف بعير: سبعين ألف ألف بعير لكان قليلا كما تقرّر في بيان الكلمات الحقيقيّة الإلهيّة، و عدم تناهيها صورة و معنى لقوله تعالى:

قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً [سورة الكهف: ١٠٩].

و معلوم أنّ الكلمات ليست مركّبة إلّا من الحروف فإذا كانت الكلمات غير متناهية فالحروف بطريق الأولى، المراد بالحروف هاهنا و بالكلمات أيضا معناه، أو المركب منهما فإنّها غير متناهية أصلا و إلّا بحسب الكلّيّات فالحروف و الكلمات متناهية ضرورة و إن كانت الضروريّات بعيد (بعيدة) عن أرباب العقول جدا، هذا مضى.

### ٢-١-١٥-٨ (في تعداد حروف القرآن و حركاته) (و أنّ تحت كل واحد منها علو و سرّ و باطن)

و أمّا عدد سور القرآن و آياته و كلماته و حروفه و ما يتعلّق بذلك من الشدّات و المدّات و المطابقة للعلوم الصادرة من القلم المعلوم.

فاعلم، أنّ أكثر القرّاء ذهبوا إلى أنّ سور القرآن بأسرها مائة و أربعة عشر سورة، و إلى أنّ آياته ستّ (ستة) آلاف و

ستمائة و ستّون آية، و إلى أنّ كلماته سبعة و سبعون ألفا و أربعمائة و سبع و ثلاثون كلمة، و إلى أنّ حروفه ثلاثمائة آلاف و اثنان و عشرون ألفا و ستمائة و سبعون حرفا، و إلى أن فتحاته ثلاثة و تسعون ألفا و مائتان و ثلاثة و أربعون فتحة، و إلى أن ضمّاته أربعون ألفا و ثمانية و أربع ضمّات، و إلى أنّ كسراته تسعة و ثلاثون ألفا و خمسمائة و ستة و ثمانون كسرة، و إلى أنّ تشديداته تسعة عشر ألفا و مائتان و ثلاثة و خمسون تشديدة، و إلى أنّ مدّاته ألف و سبعمائة و واحد و سبعون مدّة، و إلى أنّ همزاته ثلاثة آلاف و مائتان و ثلاث و سبعون همزة، و إلى أنّ ألفاته ثمانية و أربعون ألفا و ثمانمائة و اثنان و سبعون ألفا، و كذلك إلى آخر الحروف إلى أن ينتهي إلى ثمانية و عشرين حرفا، و المراد من ذلك أنّك إذا نظرت إلى هذه الأعداد و نظرت إلى قول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

ما من آية إلّا و لها ظهر و بطن و لكل حرف حدّ و لكل حد مطلع.

و نظرت إلى الّذي ورد في الباء الّذي هو حرف واحد منه و نظرت إلى الّذي قال:

«إنّ للقرآن ظهرا و بطنا و لبطنه بطنا إلى سبعة أبطن».

عرفت أنّ هذه الأعداد و الأسرار الّتي تحتها موافق للعلوم المذكورة الصادرة من القلم المذكور الإلهي.

### ٢-١-١٥-٩ (في بيان الأسرار و الأقوال في الحروف المقطعة في أوائل السّور)

ثمّ اعلم يقينا أن الحروف لو لم تكن موضوعة على أسرار جمّة و حقائق عظيمة ما ابتدأ الحقّ تعالى كتابه بحرف واحد منها و ما جعله مشتملا على هذه الأسرار العظيمة و لم يجعل أعظم أسرار القرآن بحث الحروف المقطعة منه بحيث إلى الآن ما اطلع عليها أحد على ما ينبغي إلّا بعض الرّاسخين من أخلص عباده، و الّذي جعل افتتاح كلامه و أقسم به بقوله:

الم ذلِكَ الْكِتابُ.

أيضا يدل على عظمة قدر تلك الحروف و جلالة شأنها و اختلاف العلماء و المفسّرين فيها و كذلك أرباب التّأويل يشهد بذلك.

و الّذي قيل أنّ الألف إشارة إلى الذّات الأحديّة و اللّام إلى جبرئيل عليه السّلام، و الميم إلى محمّد صلّى اللّه عليه و آله و الّذي هو الخاتم بحسب الصّورة، الكتاب القرآني و الكتاب الآفاقي و الفاتح لهما فهو أيضا عظيم جليل لأنّ الوجود يدور على هذه الثلاث في الحقيقة لأنّ جبرئيل جعله بمثابة العقل الفعال، و العقل الفعال و الذّات و العقل الكلّ أو العقل الأوّل إذا حقّق حقائقها و عرف معناها يقوم مقام جميع المعارف الداخلية تحت الوجود، و كذلك ما قيل في كهيعص و طه و يس و أخواتها فإنّ كلّ ذلك مشتمل على أسرار لا يمكن إفشائها، و الوجوه الّتي قد أوردها المفسّرون في تفاسيرهم في هذا الباب، و كذلك أرباب التأويل بأجمعها دالّة على عجزهم و عدم اطّلاعهم على شيء منها، فمنهم فخر الرّازي رحمة اللّه عليه فإنّه ذهب إلى أنّها اسم للسّور يعرف كلّ سورة بما افتتحت به. و قال غيره: أنّها أقسام أقسم اللّه تعالى لكونها مباني كتبه و معاني أسمائه و صفاته و أصول كلامه و كلماته، و قال بعضهم: أنّها مأخوذة من صفات اللّه عزّ و جلّ كقول ابن عبّاس رضي اللّه عنه في كهيعص: أنّ الكاف من كاف، و الهاء من هاد، و الياء من حكيم، و العين من عليم، و الصّاد من صادق، و الم

معناه أنا اللّه أعلم.

و ذكر الواحدي البغدادي في تفسيره الموسوم بالوسيط في أوّل البقرة و هو قوله:

كثر اختلاف المفسرين في الحروف المقطعة في القرآن، فذهب بعضهم إلى أن اللّه لم يجعل لأحد سبيلا إلى إدراك معانيها و أنّها ممّا استأثر اللّه بعلمها، فنحن نؤمن بظاهرها و نكل علمها إلى اللّه. و قال أيضا: إنّ داود بن أبي هند قال: كنت أسأل الشعبي عن فواتح السّور فقال: يا داود أنّ لكل كتاب سرّ، و أنّ سرّ القرآن في فواتح السّور فدعها و سل عمّا سوى ذلك.

و ذكر الطبرسي رحمة اللّه عليه في تفسيره عند بيان الم ذلك الكتاب و قال: اختلف النّاس في هذه الفواتح المفتتح بها السّور، فورد عن أهل البيت عليهم السّلام أنّها من المشابهات الّتي استأثرها (استأثر اللّه) بعلمها و لا يعلم تأويلها غيره.

## ۲-۱-۱۵-۱۰ (في أنّ بسم اللّه الرّحمن الرّحيم مترتّبة على ترتيب العالم)

و قد سبق في تحقيق بسم اللّه الرّحمن الرّحيم أنّها مترتبة على ترتيب العالم أو بالعكس و أنّها مركّبة من تسعة عشر حرفا كما أنّ العالم مترتبة (مترتب) على تسعة عشر مرتبة كلّيّة مشتملة على جزئيّات غير متناهية و سبق أنّ أعظم الحروف فيها بعد الألف هو الباء الّذي بمثابة التعيّن الأوّل و أنّ النقطة تحته صورة الوجود الإمكاني لأنّه به يميّز عن الواجب، و ذلك كلّه إشارة إلى الأسرار الّتي تحت الحروف على العموم، و تحت الباء على الخصوص و حيث نحن في بحث الباء، فقول العارف:

«ما رأيت شيئا إلّا و رأيت الباء مكتوبة عليه».

نطلب تحقيقها و تأويلها بحسب هذا المقام فنقول:

كما أنّ المراد بالألف الوجود المطلق العام الحقيقي الواجبي، فالمراد بالباء الوجود الإضافي الاعتباري الإمكاني الوحداني، بذاته المضاف إلى كلّ ممكن، فقوله: ما رأيت شيئا إلّا و رأيت الباء مكتوبة عليه، مراده به الإمكان اللّازم لكلّ ممكن الّذي به يتميّز عن الواجب كالباء عن الألف بالنقطة التميّزية، و هذا في غاية الوضوح، و مع وضوحه في غاية الدقّة. و قول العارف:

ففي كلّ شيء له آية  تدلّ على أنّه واحد

إشارة إلى الإمكان اللّازم للممكن، فإنّ الآية الّتي في الممكن الدّالة على وحدة الصانع ليست إلّا الإمكان لأنّ كلّ من عرف أنّ وجود الممكن بدون الواجب محال و أنّ وجود الواجبين في الوجود مستحيل، عرف أنّ كلّ موجود بذاته دالّ على وحدته.

و قول العارف أيضا:

«بالباء ظهر الوجود و بالنقطة تميّز العابد عن المعبود».

إشارة إلى هذا لأنّ المراد بالباء الموجود الأوّل الإمكاني المتميّز عن الواجب بالنقطة التّميزيّة الإمكانيّة، كما أنّ

تميّز الباء من الألف في الحروف بواسطة النقطة البائيّة الواقعة تحته، و ستعرف هذا البحث أكثر من هذا، و قد سبق أيضا مبسوطا، و حيث فرغنا من هذا فلنشرع في النقطة و تحقيقها بعون اللّه و حسن توفيقه و هو هذا:

## ۲-۱-۱۶ القسم الثاني في تحقيق النقطة و كيفيّة التميّز بها في الصّورتين

اعلم، أنّ المراد بالنقطة الإمكانيّة الإضافيّة بلا خلاف. و أمّا التميّز في الصورتين، فالتميّز في صورة الحروف و هو أنّ الباء لا تتميّز عن الألف إلّا بالنقطة و كذلك من جميع الحروف فتمييزه حينئذ لا يكون إلّا بالنقطة الصّوريّة، فالنقطة تكون أصل بعينه و تميّزه من الغير.

و أمّا في صورة الموجودات و هو أنّ الموجود الأوّل الّذي بمثابة الباء في الترتيب الوجوديّ لا يتميّز عن الموجد الأوّل الحقّ إلّا بالنّقطة الإمكانيّة المتميّزة بها العبد عن الرّبّ، لأنّ الرّبّ الّذي هو المطلق إذا تقيّد بصورة العبد الّذي هو المقيّد ليس تقيّده إلّا بالنّقطة الإمكانيّة الإضافيّة، فالنّقطة الإمكانيّة حينئذ سبب التميّز بين العبد و الرّبّ كما أنّ النّقطة الإضافيّة هي سبب التميّز بين الوجود المطلق و المقيّد و كلاهما واحد عند التحقيق، لأنّ المقيّد مطلق بقيد الإضافة المعبّر عنه بالنّقطة التميّزيّة و بالعكس، و من هذا قلنا: النّقطة هي النّقطة الإضافيّة النسبيّة بين المطلق و المقيّد أو العبد و الرّبّ، لأنّ عند اعتبار إسقاط هذه النّقطة لم يبق هناك تميّز بين المطلق و المقيّد و لا بين العبد و الرّبّ، لأنّ الحقيقة واحدة و هي الوجود من حيث هو الوجود، فالفارق ليس إلّا التميّز المذكور بسبب النّقطة الإضافيّة النسبيّة و قد تقرّر هذا من قبل أن النّقطة التمييزيّة هي نقطة الإمكان الحاصل لكلّ ممكن بسبب الإضافة فلا تكون حينئذ النّقطة إلّا الإمكان الفاصل بين الواجب و الممكن و المطلق و المقيّد بسبب الإضافة بين المضاف و المضاف إليه كنسبة كلّ قوّة و عضو إليك و وجوده فإنّه باق أزلا و أبدا كما قيل:

«الباقي باق في الأزل و الفاني فان لم يزل».

و ذلك فإنّه كذلك بعينه.

و من هذا ثبتت التوحيد بإسقاط تلك الإضافة لأنّ التوحيد صيرورة شيئين شيئا واحدا.

## ۲-۱-۱۶-۱ (في انّ الموجودات الممكنة إضافات هالكة)

و هاهنا قد أثبت وجود الممكن و وجود الواجب بسبب الإضافة فعند إسقاطها لا يكون الوجود إلّا واحدا و هو وجود الحقّ تعالى جلّ ذكره، و كلّ شيء هالك إلّا وجهه، هذا معناه، لأنّ عند إسقاط تلك الإضافة، الكلّ هالك زايل معدوم مضمحلّ، لا يبقى غيره، له الحكم و إليه ترجعون، و إليه الإشارة أيضا:

كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ [سورة الرّحمن: ۲۷].

و قوله:

فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ [سورة البقرة: ۱۱۵].

يقوم بجواب الكلّ. لأنّ تقديره: أينما توجّهوا ثمّ ذات اللّه و وجهه و وجوده، لأنّه محيط و المحيط هذا شأنه، و

اللّه بكلّ شيء محيط. (اقتباس من الكتاب العزيز و في الكتاب تارة: إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ [سورة فصّلت: ۵۴]، و أخرى: وَ كانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً [سورة النساء: ۱۲۶].

و إذا عرفت هذا بهذه الوجوه كلّها،

## ۲-۱۶-۲ (في تفسير قول علي (ع): أنا النقطة و: كنت وليا و آدم بين الماء و الطين)

فاعلم، أنّ قول أمير المؤمنين عليه السّلام:

أنّا النّقطة تحت الباء.

إشارة إلى أنّ التميّز بين الموجود الأوّل الّذي هو بمثابة الباء و الموجد الّذي بمثابة الألف ليس إلّا بسبب النّقطة الإمكانيّة اللّازمة للحقيقة الإنسانيّة الّتي أنا أوّلها بحكم قولي:

«كنت وليا و آدم بين الماء و الطّين».

و بحكم قول الّذي أنا منه:

«كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطين».

و ذلك لأنّ نوري و نور النبيّ نور واحد، لقوله عليه السّلام:

«أنا و عليّ من نور واحد».

و له اعتباران، اعتبار الظاهر و اعتبار الباطن، فبحسب الظاهر و هو مخصوص بالنبيّ و بحسب الباطن و هو مخصوص بي كالباء و النّقطة مثلا، فإنّ الباء في الحقيقة حرف واحد لكن عند الإعتبار حرف و نقطة، فكذلك نور النبوّة و نور الولاية كما سنشير بعد هذا الكلام إليهما و إلى أبحاثهما في الحقيقة، و قد أسند هذا القول بعض العارفين إلى الشبلي رحمة اللّه عليه، منهم الشيخ الأعظم محيي الدّين ابن عربي قدّس اللّه سرّه، و شارح القصيدة التائيّة، و غيرهم من العارفين، و ليس في الواقع كذلك لأنّ هذا قول أمير المؤمنين عليه السّلام، و هذا الكلام صدر منه على رأس المنبر بالكوفة بمجمع من الأعيان و الأشراف و المهاجرين و الأنصار، و هو في (من) خطبة طويلة موسومة بالخطبة الافتخاريّة مشهورة عند أربابها، و بعض ذلك قوله:

أنا وجه اللّه، أنا يد اللّه، أنا جنب اللّه، أنا القرآن الناطق، أنا البرهان الصادق، أنا الم ذلك الكتاب، أنا كهيعص، أنا طه و يس إلى قوله: أنا النقطة تحت الباء، أنا الممدوح في هل أتى.

و أين الشبلي من هذا الكلام، و الحال أنّ الشبلي و الجنيد، و معروف الكرخي و أمثالهم مستغرقين في بحار معرفته و حقائقه، مستغرقين في تيّار علمه و حكمته و ليس نسبة خرقه الكلّ إلّا إليه و أولاده و مريديه كما بيّناه مفصلا مسندا، لأنّ الخرقة الصوريّة لا تنسب إلّا إلى ثلاثة أنفس، أوّلهم جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام و هو ولده، و ثانيهم كميل بن زياد النخعي رحمة اللّه عليه و هو تلميذه و مريده، و كان في خدمته سنين متتالية، و ثالثهم الحسن البصري و هو أيضا تلميذه و مريده، و كان في خدمته مدّة مديدة، أمّا الشبلي فهو كان مريدا للجنيد، و الجنيد مريدا لخاله السريّ السقطي، و السّري كان مريدا لمعروف الكرخي، و معروف الكرخي كان

مريدا للإمام محمّد بن علي الجواد عليهم السّلام، فكيف يصدر منه هذا الكلام، و لا أظن أنّ الشبلي ينسب هذا إلى نفسه بل كان ناقلا عنه عليه السّلام في بعض مجالسه، و كان هناك جماعة من المتعصّبين أسقطوا الإسناد و النقل و نسبوا إليه تعصّبا و عداوة، و كم جرى مثل هذا و كم يجري و مع ذلك كلّه هذا الكلام من الشبلي لا يخلو من وجهين، إمّا أن يكون بالنسبة إلى مطلق الإنسان و مطلق الإمكان اللّازم له، و إمّا إلى الكامل منهم فإن كان الأوّل فلا خصوصيّة للشبلي، و إن كان الثاني، فأمير المؤمنين عليه السّلام أكمل منه و أعظم بمراتب غير متناهية، و بل الجنيد و كثير من العارفين مثله، و على التقديرين نسبة هذا الكلام إلى أمير المؤمنين أنسب من نسبته إلى الشبلي، و مع ذلك نتمسّك بقول يقول (به) الأنبياء و المشايخ رضوان اللّه عليهم أجمعين.

أمّا الأنبياء فيكفي فيه قول نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله فإنّه أعظمهم و أكملهم و هو قوله:

أوّل ما خلق اللّه تعالى نوري.

و قوله:

أنا و علي من نور واحد.

و قوله:

خلق اللّه تعالى روحي و روح علي بن أبي طالب قبل أن يخلق الخلق بألفي ألفي عام .

و أمّا المشايخ فيكفي فيه قول الشيخ الكامل محيي الدّين ابن عربي قدّس اللّه سرّه فإنّه أشار إلى هذا بقوله في الفتوحات المكّيّة بقوله:

و كان وجوده من ذلك النور الإلهي و من الهبا و من الحقيقة الكلّيّة و في الهبا وجد عينه و عين العالم تجليه و أقرب النّاس إليه علي بن أبي طالب و أسرار الأنبياء أجمعين.

و هذا البحث يحتاج إلى بحث غير هذا ليعلم الحقيقة.

فنقول:

### ۲-۱-۱۶-۳ في بيان أنّ النقطة مخصوصة بالوليّ المطلق

اعلم، أنّ الألف كما هو مخصوص بمرتبة الوجود المطلق و الذّات المجرد، و الباء بمرتبة النبيّ المطلق و خاتم الأنبياء، فالنقطة مخصوصة بالوليّ المطلق و خاتم الأولياء، لأنّ الباء كما لا يتعيّن إلّا بالنقطة فكذلك النبوّة لا تتحقّق إلّا بالولاية، فالنبوّة تكون في المرتبة البائيّة الأوّليّة و الولاية في المرتبة الثانية النقطيّة و بالعكس و لهذا قال خاتم الأنبياء:

«كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطّين».

و قال خاتم الأولياء:

«كنت وليّا و آدم بين الماء و الطّين».

و كذلك لارتباط كلّ واحدة من النبوّة و الولاية قال خاتم النبوّة:

«خلق اللّه تعالى روحي و روح علي بن أبي طالب قبل أن يخلق الخلق بألفي ألفي عام».

و قال غيره من لسانه:

شرينا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

و المراد بالكرم هاهنا العالم و بالشرف الشهود الأزل و بالمحبوب المحبوب الحقيقي، و هذا كلّه يشهد بسبق الأرواح على الأجسام و سبق بعض الأرواح على البعض، كسبق روح نبيّنا على روح الأنبياء و سبق روح عليّ على الأولياء و قد ذكر هذا المعنى بعينه الشيخ الأعظم محيي الدّين الأعرابي قدّس اللّه سرّه في فصوصه و فتوحاته، أمّا الفصوص فكقوله الّذي تقدّم مرارا:

فكلّ نبيّ من لدن آدم إلى آخر نبيّ ما منهم أحد يأخذ إلّا من مشكاة خاتم النبيّين و إن تأخّر وجود طينته فإنّه بحقيقته موجود و هو قوله:

كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطين.

و غيره من الأنبياء ما كان نبيّا إلّا حين بعث، و كذلك خاتم الأولياء كان وليّا و آدم بين الماء و الطين، و غيره من الأولياء ما كان وليّا إلّا بعد تحصيله شرايط الولاية من الأخلاق الإلهيّة و الاتّصاف بها من كون اللّه يسمّى بالولي الحميد، فخاتم الرّسل من حيث ولايته نسبته مع الختم للولاية نسبة الأنبياء و الرّسل معه فإنّه الوليّ الرسول النبيّ، و خاتم الأولياء الولي الوارث الآخذ عن الأصل المشاهد للمراتب و هو حسنة من حسنات خاتم الرّسل محمّد صلّى اللّه عليه و آله.

و هذا الكلام يشهد بشيئين:

### ۲-۱-۱۶-۴ (في أنّ الولاية أعظم من النبوّة و خاتم الأولياء وارث الأنبياء)

الأوّل ان الولاية أعظم من النبوّة و أسبق، لكن من حيث اعتبارهما في شجرة واحدة كما سبق ذكره لئلّا يتوهّم أحد أنّ الولي أعظم من النّبيّ فإنّه ليس كذلك.

و الثّاني بأنّ خاتم الأولياء وارث لخاتم الأنبياء و حسنة من حسناته، و كلّ عاقل يعرف أن هذا المقام لا يليق إلّا بأمير المؤمنين عليه السّلام لأنّه نفسه و خليفته و حسنة من حسناته المعبّر عنها بالخلافة كما سنبيّنه في المقدّمة السّادسة إن شاء اللّه من حيث العقل و النقل و الكشف.

### ۲-۱-۱۶-۵ (في أنّ الهباء أوّل موجود في العالم)

و أمّا الفتوحات فقد ذكر في الباب السادس في معرفة بدء الخلق الروحاني و هو أوّل موجود فيه و هو قوله في فصل منه: كان اللّه و لم يكن معه شيء، ثمّ أدرج فيه و هو الآن على ما كان لم يرجع إليه في إيجاد العالم صفه لم يكن عليها بل كان موصوفا لنفسه و مسمّى قبل خلقه بالأسماء الّتي يدعونه بها خلقه فلمّا أراد وجود العالم و بدأه على حدّ ما علمه بعلمه بنفسه انفعل عن تلك الإرادة المقدسة بضرب تجلّى من تجليات التنزيه إلى الحقيقة

الكلّيّة، انفعل عنها حقيقة تسمّى الهباء بمنزلة طرح لبنّاء الجصّ ليفتح فيها ما شاء من الأشكال و الصّور و هذا هو أوّل موجود في العالم و قد ذكر علي بن أبي طالب عليه السّلام و سهل بن عبد اللّه رحمه اللّه و غيرهما من أهل التحقيق، أهل الكشف و الوجود، ثمّ إنّه سبحانه تجلّى بنوره إلى ذلك الهباء و يسمّونه أهل الأفكار الهيولى الكلّي، و العالم كلّه فيه بالقوّة و الصلاحيّة، فقبل منه كلّ شيء من ذلك الهباء على حسب قوّته و استعداده كما تقبل زوايا البيت نور السراج و على قدر قربه من ذلك النور يشتدّ ضوئه و قبوله، قال تعالى:

مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ [سورة النور: ٣٥].

فشبّه نوره بالمصباح فلم يكن أقرب إليه تعالى قبولا في ذلك الهباء إلّا حقيقة محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم لا المسماة بالعقل الأوّل (في المطبوع: المساة بالعقل) فكان سيّد العالم بأسره و أوّل ظاهر في الوجود فكان وجوده من ذلك النور الإلهيّ و من الهباء و من الحقيقة الكلّيّة و في الهباء وجد عينه و عين العالم تجلّيه و أقرب النّاس إليه علي بن أبي طالب و أسرار الأنبياء أجمعين.

و هذا الكلام برهان قاطع على صدق ما قلناه من أن قول علي عليه السّلام:

أنا النقطة تحت الباء.

لا يليق إلّا به و ليس الشبلي في هذا المقام حتى ينسب مثل هذا الكلام إليه و يعرف هذا أيضا من بحث النبوّة و الولاية و الرّسالة في المقدمة الثالثة و أنّ الولاية المحمّديّة الأزليّة هي الولاية الحقيقيّة المخصوصة بعليّ بن أبي طالب عليه السّلام بقوله:

كنت وليّا و آدم بين الماء و الطين. بالإرث المعنوي و القرب الذّاتي هذا مضى، و ليس الغرض هاهنا هذا البحث لأنّ هذا البحث له موضع مخصوص به، فنرجع و نقول:

اعلم، انّه ورد عن أهل البيت عليهم السّلام أنّهم قالوا:

جميع الأسرار القرآنيّة تحت حروفه المفردة من حروف التهجي و جميع الأسرار الّتي تحت الحروف المفردة هي تحت الحروف المقطعة الّتي في أوائل السور، و جميع الأسرار الّتي في الحروف المقطعة هي تحت القسم الّتي في غير الحروف المقطعة، و جميع الأسرار الّتي تحت القسم هي تحت المفصل من السّور، و جميع الأسرار الّتي تحت المفصل هي تحت الفاتحة، و جميع الأسرار الّتي تحت الفاتحة هي تحت بسم اللّه الرّحمن الرّحيم، و جميع الأسرار الّتي تحت بسم اللّه الرّحمن الرّحيم هي بائها المذكورة و جميع الأسرار الّتي تحت الباء هي تحت نقطتها. كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

العلم نقطة كثرها الجهّال .

### ٢-١-١٦-٦ (في تطبيق العالم بالقرآن و الإنسان)

و إذا تقرّر هذا فعليك بالتطبيق بالكتاب الآفاقي فإنّك تجده مطابقا، و ذلك بأن تعرف أنّ جميع الأسرار الإلهيّة الآفاقيّة تحت مفرداته من البسائط الّتي هي بمثابة الحروف و جميع الأسرار الّتي تحت مفرداته هي تحت مركباته منها الّتي هي بمثابة الكلمات و جميع ما في مركباته من الأسرار هي تحت كلّيّاته الّتي هي بمثابة الآيات

و جميع ما في هذا المجموع و هو تحت عوالم الأرواح و النّفوس المجرّدة الّتي هي بمثابة المعاني من القرآن و جميع ما في هذه العوالم و هي تحت عوالم العقول و المفارقات العلويّة و جميع ما في هذه العوالم كلّها و هي تحت التعيّن الأوّل الّتي هي بمثابة الباء و جميع ما في التعيّن الأوّل و هي تحت حقيقته الّتي هو بها هو المعبّرة عنها بالنقطة و هي حقيقة الإنسان الكبير و النبيّ المطلق المنقسم إلى النبوّة المطلقة و الولاية المطلقة لأنّ هذه الحقيقة هي الّتي صارت سبب التميّز بين الحقّ و الخلق و الواجب و الممكن و المطلق و المقيّد لقولهم:

بالباء ظهرت الوجود و بالنقطة تميّز العابد عن المعبود.

و هذه الحقيقة و النقطة هي المسماة بجميع ما ذكرناه من الأسماء كالمادّة و العرش و الروح و الخليفة و النّبيّ و الإمام و غير ذلك، و هذا كلّه ترتيب الكتاب من حيث الحروف و الآيات و الكلمات و ما يتعلّق بها.

فأمّا إن أردت كلمة تكون جامعة لهذه الأسرار كلّها كبسم اللّه الرّحمن الرّحيم في القرآن فعليك بالإنسان الصغير و ما اشتمل عليه صورة و معنى فإنّه جامع لجميع ذلك كما بيّناه غير مرّة، و نظرا إلى هذا قال الإمام المحقّ جعفر بن محمّد عليه السّلام و هو قوله:

إنّ الصّورة الإنسانيّة هي أكبر حجّة اللّه على خلقه و هي الكتاب الّذي كتبه بيده و هي الهيكل الّذي بناه بحكمته و هي مجموع صور العالمين، و هي المختصر من اللوح المحفوظ، و هي الشاهد على كلّ غائب و هي الحجّة على كلّ جاحد، و هي الطريق المستقيم إلى كلّ خير، و هي الصراط الممدود بين الجنّة و النّار.

و لا يقال: إنّ هذا مكرّر و قد مرّ ذكره مرارا، فإنّ في كلّ موضع له فائدة، و إن لم يفهم ذلك فاثبت للقرآن تكرار متكرّر فإنّه صادق لكن ليس كذلك فإن لكلّ لفظ في كلّ موضع خاصيّة و سرّ، كما قال النّبي صلّى اللّه عليه و آله:

ما من آية إلّا و لها ظهر و بطن و لكلّ حرف حدّ و لكلّ حد مطلع.

فحينئذ كلّ من يريد أن يطلع على أسرار الكتب السّماويّة بأسرها يجب عليه أن يطّلع على الكتاب القرآنيّ الجمعي الّذي هو الجامع للكلّ صورة و معنى، و كلّ من يريد أن يطّلع على الكتاب القرآني بطريق المذكور يجب عليه أن يطّلع على أسرار حروفه المفردة ثمّ على أسرار الحروف المقطعة، ثمّ على المفصّل منه، ثمّ على الفاتحة، ثمّ على بسم اللّه الرّحمن الرّحيم، ثمّ على بائها، ثمّ على نقطتها مترتّبا على التّرتيب السابق، فكذلك كلّ من يريد أن يطّلع على الكتاب الآفاقي و ما فيه من الأسرار يجب عليه أن يطّلع أوّلا على مفرداته و بسائطه و خواصّها و لوازمها، ثمّ على مركباته كذلك، ثمّ على كلّيّاته، ثمّ على مجرّداته من الأرواح، ثمّ على مفارقاته من العقول و عوالم القدسيّة، ثمّ على التّعيّن الأوّل الّذي هو بمثابة الباء من الكتاب القرآني، ثمّ على النّقطة التمييزيّة لهذه الحقيقة المعبّرة عنها بحقيقة الإنسان الكبير، لأنّ كلّ من يطّلع على هذه الحقيقة و هذه النّقطة و على الأسرار الّتي تحتها فهو كمن يطّلع على الوجود الحقيقي و ما في ضمنه من الأسرار و الحقائق.

### ٢-١-١٦-٧(في علم النبيّ (ص) و الولي (ع): بأسرار العالم و الإنسان و القرآن)

و لاطلاع نبيّنا صلّى اح عليه و آله هذه الحقيقة لها في الحقيقة هي حقيقته قال:

علّمت علم الأوّلين و الآخرين .

و كذلك قرينه و حبيبه أمير المؤمنين عليه السّلام الّذي قال:

سلوني عمّا دون العرش .

و قال:

لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا.

و هذه النّقطة هي الموسومة عندهم بعبّادان.

و في قولهم: ليس وراء عبّادان قرية، و هي الموسومة أيضا «بأو أدنى»، لأنّ بعد مرتبة قاب قوسين ليس إلّا مرتبة «أو أدنى». (إشارة إلى الآية من القرآن الكريم السورة النّجم الآية ۹).

و كذلك بالمقام المحمود المشار إليه في قوله تعالى:

عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً [سورة الإسراء: ۷۹].

هذا أحسن الوجوه في هذا الباب و أكثرها ممّا سنح لنا من اللّه الجواد المطلق.

### ۲-۱-۱۶-۸ (في انّ الإنسان هو النقطة المركزيّة الّتي يدور عليها الوجود)

و وجه آخر و هو أن نفرض أو نسمّي هذه النقطة بالنّقطة المركزيّة الّتي هي واقعة بين دائرة المحيط، و عليها يدور الوجود الكلّي و إليها تنتهي خطوط الموجودات كلّها، و ليس تلك النّقطة في الحقيقة إلّا الإنسان صغيرا كان أو كبيرا، لأنّه المركز الحقيقي و النّقطة الحقيقة و عليه يدور الوجود، و عليها دوران الكلّ و قد بسطنا الكلام فيه قبل هذا و ذلك لأنّ الوجود بالاتّفاق دوريّ لتقابل النقطة المبدئيّة بالنّقطة المنتهائيّة كما عرفته في الدائرة المتقدّمة من شكل العالم، و بيان «قاب قوسين أو أدنى» و يدلّ على ذلك قوله تعالى:

كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ [سورة الأعراف: ۲۹].

و قوله:

كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ [سورة الأنبياء: ۱۰۴].

و الإنسان بين تلك الدوران (الدورتين) كالنقطة الواقعة بين المحيط و القطب الّذي يدور عليه الرّحى و يحكم بصدق هذا قوله تعالى لنبيّه صلّى اللّه عليه و آله:

لولاك لما خلقت الأفلاك .

و قوله:

وَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً [سورة الجاثية: ۱۳].

## ۲-۱-۱۶-۹ (في بيان مقام الفناء و الرّجوع و الخفاء و البطون، و الوصول إلى مقام الوحدة الصرفة)

و الكلام في هذه النّقطة و الباء كثير لا يحتمل هذا المقام لكلّ من ذلك، لكن هذا كلّه من حيث المبدأ و الظهور و الوجود و النزول و البروز، فبقى هناك حينئذ أبحاث بالنسبة إلى الفناء و الرجوع و الخفاء و البطون و الوصول إلى مقام الوحدة الصرفة و أمثال ذلك و أعظم دليل عليه قول الإمام الكامل الشيخ شرف الدّين ابن الفارض المصري رحمة اللّه عليه في قصيدة التائيّة و هو ما قال نظما من لسان المحبوب الحقيقي:

فلو كنت بي من نقطة الباء خفضة رفعت إلى ما لم تنله بحيلة

و بيان ذلك و هو انّ المحبوب الحقيقي يقول للمحبّ تعليما له و تنبيها على سلوك طريقه لو كنت معي دليلا متواضعا منخفضا كخفضة النقطة تحت الباء صرت مرفوعا إلى منبع جنابي و دفيع مآبي و نلت من الإرب ما لم تنله بجهد و حيلة، و قال عقيبه:

بحيث ترى أن لا ترى ما عدته و أنّ الّذي أعددته غير عدّة

يعني حصل لك هذه المرتبة بمكان تشاهد فيه انّ الّذي اعتبرته و عددته في عداد الوجود لا تراه أي لا تعتدّ به لسقوطه عن درجة الإعتبار و أنّ الّذي هيأته من العلوم و الأحوال و طينة عدّة يتوصّل بها إليّ هو ليس بعدّة و ذلك لأنّ المكاشف بحقيقة الغيب إذا انكشفت له قناع الرّيب لا يشاهد ما يوهمه من الوجود و الصّفات بأسرها إلّا ظلالا متلاشية من أشعة سطوع الشمس الحقيقة فكيف يبقى له رؤية اعتبار وجوده و عدّة صفاته، و هذا إشارة إلى فناء المحبّ في المحبوب بحيث لا يرى غيره حتى وجود نفسه، لقولهم:

وجودك ذنب لا يقاس به ذنب.

و يشهد بذلك قول الناظم عقيبه:

فلم تهوني ما لم تكن فيّ فانيا و لم تفن ما لم تجتلى فيك صورتي

لأنّه أيضا إشارة إلى فناء السالك في التوحيد و الرجوع إلى ما كان في الأزل لقوله تعالى:

وَ قَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَكُ شَيْئاً [سورة مريم: ۹].

و تقديره أي لو كنت معنا الآن كما كنت في الأزل معدوما هالكا و ما احتجبت بالنّقطة الإمكانيّة التعيّنية الموجبة لتميّزك عن غيرك لحصل لك الوصول إلينا و البقاء بنا، و وصلت إلى مقام لم يكن الوصول إليه بحيلة و جدّ و اجتهاد، لأنّ مقام الّذي حصل لهم هذا المقام لم يكن كسيبا و لا اجتهاديّا بل كان لمحض عطائنا و سبق إنعامنا في حقهم بعد فنائهم فينا و رجوعهم إلينا لقولنا:

هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ [سورة ص: ۳۹].

و معلوم أنّ مقامات الأنبياء و الأولياء عليهم السّلام ليست كسبيّة و لا اجتهاديّة، و بالجملة هو الأمر بالفناء و الرّجوع إلى ما كان في الأزل، و قد قيل:

الفقر من يكون مع اللّه الآن كهو في الأزل.

و قد قال العارف الّذي وصل إلى هذا المقام في جواب قول سمع:

«كان اللّه و لم يكن معه شي»: «الآن كما كان» .

لأنّه ما شاهد معه غيره و هذا من كمال الفناء فيه و البقاء به لقولهم من لسانه جلّ ذكره:

«و لم تفن ما لم يجتلي فيك صورتي».

لأنّ هذا قول دال على أنّ فناء السالك ليس إلّا بتجلّياته الموجبة لإفنائه له و في هذا المقام قال المنصور:

بيني و بينك إنّي ينازعني فارفع بفصلك إنّي من البين

لأنّه ليس حجاب السّالك إلّا إنيّته الّتي يحجبه عن مطلوبه و مقصوده، و فيه قيل:

«الفقير لا يحتاج إلى شيء و لا يحتاج إليه شيء»

و هذا من فنائه عن وجوده و رجوعه إلى عدمه الأصل و سقوط وجوده عن درجة الإعتبار بالكلّي لأنّ الاحتياج من لوازم الوجود و ليس له وجود فلا يحتاج إلى شيء و لا يحتاج إليه شيء، لأنّه عدم صرف و لا شيء محض و لا يحتاج أحد إلى العدم أصلا، و إشارة سيّد المرسلين صلوات اللّه عليه و آله و سلّم في قوله:

الفقر سواد الوجه في الدارين.

كناية عن هذا المقام لان وجه الشيء ذاته و وجوده، و سواده عبارة عن فنائه و زواله لأنّ فناء و عدم يسمّى ظلمة و سوادا، و كلّ وجود و بقاء يسمّى نورا و ضياء، فكمال الفقر لا يكون إلّا في إفناء السّالك و الفقير نفسه و وجوده في الدارين أي دار الدّنيا و دار الآخرة أو ظاهر العالم و باطنه، أو عالم الغيب و الشهادة.

و إن تحققت عرفت أنّ النبيّ (ص) بمثل هذا الفقر افتخر على ساير الأنبياء و المرسلين لا الفقر الصوري الّذي يمكن هناك أفقر منه من حيث الصّورة و بل كان واقعا لأنّ في مكّة شرّفها اللّه، في ذلك الوقت كانوا أفقر منه أشخاصا كثيرة، و كلام ابن الفارض في القصيدة:

و جئت بوجه أبيض غير مسقط لجاهك في الداريك خاطب صفوتي

كناية عن هذا الأمر و تقديره أي و جئتني حال كونك غير مسقط لجاهك في دنياك و عقباك و حال خطبتك عروس حبّي و صلي بما ظننت صداقها و وسيلة عناقها من بياض وجهك في الدنيا و العقبى لاستغنائك بزخارف العلوم و الأحوال و الأخلاق و الأعمال التابع لوجودك الّذي هو أصل الحجاب و المنع عن مطلوبك ليس الأمر كما زعمت و ظننت، لأنّك لا تصل إلى جناب عزّتي إلّا بتذلّلك و خمولك و إسقاط قبولك و الفناء عن وجودك، و عقيب هذا جاء البيت المتقدّم:

فلو كنت بي من نقطة الباء خفضة رفعت إلى ما لم تنله بحيلة

ليعرف أنّ المقصود منه هذا لا غير، و كلّ من يرجع إلى المبدأ الأصلي الّذي هو العدم على الوجه المذكور أعني الفناء و الهلاك و الطمس الكلّي بقوّة التوحيد الذّات و الكشف الحقيقي لا شكّ و لا خلاف أنّه يحصل له هذا المقام و يصل إلى مرتبة لم يمكن الوصول إليها أصلا لا بجدّ و لا اجتهاد و لا حيلة و لا سعي، ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء و اللّه ذو الفضل العظيم.

فعليك إذن بإسقاط النقطة الإمكانيّة الإضافيّة المشار إليها جميع هذه الإشارات ليحصل لك الفناء في اللّه و البقاء به و تكون من الواصلين المقرّبين و الكاملين المحققين، لأن عند التحقيق ليس هذا الفناء إلّا عين البقاء، و لا هذا الإسقاط إلّا عين الإثبات، لأنّ من فنى عن وجوده بقي بوجود الحقّ تعالى و من مات في سبيله صار حيّا بحياته، لقوله:

وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذينَ قُتِلُوا فِي سَبيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ [سورة آل عمران: ۱۶۹- ۱۷۰].

و لقوله:

و من قتلته فأنا ديته .

و لقوله:

أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْكافِرِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ [سورة الأنعام: ۱۲۲].

و لقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

موتوا قبل أن تموتوا .

إشارة إلى هذا الموت و الفناء و بعده إلى الوصول و اللقاء.

و لقول العارف أيضا:

اقتلوني يا ثقاتي انّ حياتي في مماتي
و مماتي في حياتي

فإنّه أيضا إشارة إليه.

و حيث بلغ الكلام هذا المبلغ و ورد إذا تمّ الفقر فهو اللّه، و قد سبق الكلام في الفقر و الفقير، و الخبر الوارد فيهما، فلنشرع في تحقيق الفقر و سبب غنائه و بقائه به، و التوفيق بين الأخبار الواردة فيه.

### ۲-۱-۱۶-۱۰ (في بيان حقيقة الفقر و معناه)

فنقول: اعلم، أنّ الفقر هو عدم التمليك مطلقا حتّى عن وجوده، و كلّ شخص يحصل له هذا الفقر على ما ينبغي لا شكّ انّه يخرج من حكم الوجود الإضافي الإمكاني و إذا خرج من حكم الوجود الإضافي الإمكاني لا بدّ و أن يدخل في حكم الوجود الحقيقي الواجبي الكلّي، لأنّ الشّيء إذا جاوز حدّه انعكس ضدّه، و الوجود إمّا واجبيّ أو امكانيّ، و الاتّصاف بأحدهما ضروريّ، فافهم و حقق معنى قولهم:

إذا تمّ الفقر فهو اللّه.

و أعرف بالحقيقة أنّ افتخار النّبي عليه السّلام بالفقر لم يكن إلّا بمثل هذا، و سبحاني ما شأني، ليس إلّا في هذا المقام، و كذلك أنا الحقّ، و من مثلي، و هل في الدارين غيري، و ليس في جبّتي سوى اللّه، و أمثال ذلك، و الأخبار الواردة في الفقر ثلاثة:

الأولى، قوله: فخري . و قد عرفت معناه.

و الثانية، قوله: الفقر سواد الوجه في الدارين . و قد عرفت معناه.

و الثالثة، قوله: كاد الفقر أن يكون كفرا . و هذا القول يطابق القولين، لأنّه إذا حصل الفقر الحقيقي للفقير الّذي هو عدم التمليك، لا شكّ أنّه يشاهد نفسه في مقام لم يكن له حاصلا ذلك المقام، و المقام الحاصل بعد الفقر الحقيقي كما سبق ليس إلّا مقام الاتّصاف بصفات اللّه و التخلّق بأخلاقه، و هذا المقام لا بدّ له من دعوى الرّبوبيّة إذا لم يكن الفقر ثابتا في مقامه، فذلك هو الكفر و لهذا قال: كاد، فأمّا إذا كان الفقير كاملا عارفا متمكّنا يعرف: أنّ الوجود المضاف إليه و ما يتعلّق به ليس إلّا للحقّ تعالى لا يدّعي هذا و لا يقول به، فلا يكون بالنسبة إليه كفر، و بل يكون موجبا للافتخار على جميع الأنبياء صورة و معنى لأنّه الآن في أغنى الغناء و أبقى البقاء، رزقنا اللّه و إيّاكم الوصول إليهما بحق محمّد و ولديهما و اللّه أعلم و أحكم و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل، و سيجيء البحث في النّقطة و الباء أكثر من هذا عند تأويل بسم اللّه الرّحمن الرّحيم. و حيث عرفت هذا بقدر هذا المقام فلنشرع في تطبيق الحروف الآفاقيّة بالحروف القرآنيّة كما شرطناه و هو هذا:

## ٢-١-١٧ القسم الثالث في تطبيق الحروف الآفاقيّة بالحروف القرآنيّة على سبيل التفصيل

اعلم، أنّ الحروف القرآنيّة كما هي منحصرة في ثمانية و عشرين حرفا، فكذلك الحروف الآفاقيّة فإنّها منحصرة في ثمانية و عشرين حرفا.

أمّا الحروف القرآنيّة فمعلومة مشهورة.

### ٢-١-١٧-١ (في بيان المقصود من الحروف الآفاقيّة)

و أمّا الحروف الآفاقيّة و هي عبارة عن بسائط العالم و مفرداته ملكا و ملكوتا، أمّا الملك فالهيولى الأولى و الأفلاك التسعة و العناصر الأربعة فإنّها أربعة عشر حرفا، و أمّا الملكوت فبواطن هذه كلّها لأنّ لكلّ ظاهر باطن و لكلّ باطن ظاهر، و يشهد بذلك قوله تعالى:

فَسُبْحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [سورة يس: ٨٣].

فيكون المجموع ثمانية و عشرين حرفا، و كما ان الحروف الآفاقيّة منقسمة إلى الملك و الملكوت، فكذلك الحروف القرآنيّة، فإنّها منقسمة إلى الملك و الملكوت، لأنّ المنقوطة منها بحسب الملك لتعيّنها و تقيّدها بالنّقطة و الغير المنقوطة بحساب الملكوت لعدم تقييدها و تعيينها.

### ٢-١-١٧-٢ (في انّ تركيب الحاصل من الحروف القرآنيّة و أيضا الآفاقيّة لا تقبلان الحصر)

ثمّ اعلم أنّ تركيب الحاصل من الحروف القرآنيّة كما لا يقبل الحصر من حيث التفصيل، فكذلك التركيب

الحاصل من الحروف الآفاقيّة فإنّها لا تقبل الحصر أيضا من حيث التّفصيل، و تركيب الحاصل من الأولى كالقرآن و الكتب السّماويّة و غير ذلك من الكتب و الصّحف تركيب إجماليّ غير تفصيليّ لانحصاره في سورة معدودة و آيات و كلمات معيّنة، فكذلك التركيب الحاصل من الثانية فإنّها أيضا تركيب إجماليّ غير تفصيليّ لانحصاره في أربعة عشر عاما أو ثمانية و عشرين عاما، أو ثمانية عشر ألف عالم أو تسعة عشر عالم على إختلاف الآراء و تعبير العبارات، و نظرا إلى تركيب الجزئيّ الحاصل من الحروف القرآنيّ الغير القابل للانتهاء، قال:

وَ لَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [سورة لقمان: ٢٧].

و نظر إلى تركيب الجزئي الحاصل من الحروف الآفاقي الغير القابل للانتهاء، قال:

فَأَمَّا الَّذينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَ شَهيقٌ خالِدينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ وَ أَمَّا الَّذينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خالِدينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ [سورة هود: ١٠۶- ١٠٨].

و الخلود فيهما دالّ على عدم تناهيهما و عدم تناهيهما يدلّ على عدم تناهي العالم و الممكنات كما قرّرناه مرارا.

و حيث تقرّر أنّ القرآن صورة إجمال العالم و تفصيله، و كلّ حكم يصدق على القرآن يصدق على الآفاق، و قد ثبت أنّ القرآن من حيث المعنى و التركيب الجزئيّة الحاصلة من حروفه غير متناهية، فثبت أنّ الآفاق المسمّى بالعالم أيضا كذلك خصوصا إذا شهد به العقل و النقل.

### ٢-١-١٧-٣ (في بيان مركّبات القرآن و الآفاق و حركاتهما)

ثمّ اعلم، أنّ مركّبات القرآن ثلاثة، سورة و آية و كلمة، إمّا اسم أو فعل أو حرف، فكذلك مركّبات الآفاق فإنّها أيضا ثلاثة، معدن و نبات و حيوان، أو ملك و إنس و جنّ، و حركات القرآن أيضا ثلاثة، ضمّة و فتحة و كسرة، فكذلك حركات الآفاق فإنّها أيضا ثلاثة، مستقيمة و أفقيّة و منكوسة، و المستقيمة مخصوصة بالإنسان، و الأفقيّة بالحيوان، و المنكوسة بالنبات، أو نصب و رفع و جرّ، فإنّها أيضا ثلاثة مقابلة للثلاثة الآفاقيّة حركات مبتدائيّة و حركات وسطيّة و حركات منتهائيّة، هذا بالنّسبة إلى مطلق التطابق بين الكتابين، و أمّا بالنسبة إلى بعض التطابق فقد عرفت من تطابق حروف «بسم اللّه الرّحمن الرّحيم» الّتي هي تسعة عشرة حرفا بمراتب العالم من حيث الكلّيّات الّتي هي تسعة عشرة مرتبة و هذا من حيث اعتبار حروفها المكتوبة، فأمّا من حيث اعتبار حروفها الملفوظة الّذي هو اثنين و عشرين حرفا فبإزاء اثنين و عشرين عالما أمّا التسعة عشرة فقد عرفتها، و أمّا الاثنين و العشرين فبانضمام العوالم الإلهيّة إليها الّتي هي الثلاثة من عالم الذات و عالم الصفات و عالم الأفعال و الملك و الملكوت و الجبروت بإزائها.

### ٢-١-١٧-۴ (في المراد من ستّة أيّام في خلق العالم)

و إن قلت: إنّكم بيّنتم في الخطبة إجمالا: أنّ الكتاب الآفاقي قد تمّ في ستّة أيّام متمسّكا بقول اللّه تعالى:

وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ [سورة هود: ٧].

و إنّ العالم المعبّر عنه بثمانية عشر ألف عالم هو أيضا من اقتضاء وضع العالم على ستّة أيّام الّتي هي عبارة عن المراتب الوجودي، و العالم على ثلاثة مراتب: العقول و النفوس و الأجسام، أو الملك و الملكوت و الجبروت، فيكون المجموع ثمانية عشر ألف عالم، و ما عرفنا معناه و لا مقصودكم منه، و ما الحكمة في الستّة، و لم لا يكون أكثر و أقلّ؟

قلنا: هذا في غاية السهولة، و قد سبق بيان ذلك من كلام صاحب اخوان الصفا و فيثاغورس الحكيم في خواص العالم و وقوعه على ترتيب العدد، و كذلك من كلام بعض الحكماء، و لكن ما نقنع به و نشرع فيه على ما ينبغي، و نقول فيه على ما هو عليه في نفس الأمر:

أمّا الأيّام الستّة و تخليق العالم عليها، بأنّ العالم فعل الحكيم الكامل و فعل الحكيم يجب أن يكون على أتمّ الوجوه من الإتقان و الإحكام، و الستّة عدد تامّ غير ناقص و لا زائد، فمن هذا وقع عليها.

و إن قلت: هناك الأعداد كثيرة و كلّه تامّ فأيّ خصوصيّة لستّة؟

قلنا: الخصوصيّة في ذلك و هي أنّه يجب فعل الحكيم أن يكون على أتمّ الوجوه و لم يكن من المراتب العدديّة التّامّة أقلّ من الستّة، الفعل الّذي يحصل بأقلّ شيء لا يجوز وقوعه بأكثر منه و إلّا لا يكون منسوبا إلى الحكيم، و أمّا أنّ الستّة مرتبة تامّة،

### ٢-١-١٧-٥ (في بيان وقوع الموجودات على طبيعة العدد)

فاعلم، أنّ العدد كلّه على رأي أرباب هذا ألف من حيث الكلّي على أربعة أقسام، أزواج، و أفراد، و صحيح، و كسور، و مراتب الموجودات الّتي في العالم مناسبة لهذه الأعداد كطبيعة عالم الأرواح فإنّها يشبه الأفراد من العدد، و مراتب الموجودات في عالم الأجسام بطبيعة الأزواج أشبه و مراتب الموجودات الّتي في عالم الأفلاك بطبيعة الأعداد الصحيحة أشبه، و مراتب الموجودات الّتي في عالم الكون و الفساد، بطبيعة الكسور أشبه، و الغالب على ظنّي أنّ في هذا المكان بالنّسبة إلى بعض الأذهان يحتاج إلى بيان هذه المراتب من الأعداد أكثر من هذا.

فنقول: اعلم أنّ المراتب الأربعة من أقسام العدد من الزّوج و الفرد و الصحيح و الكسور بعضها تامّ و بعضها ناقص، أمّا الزّوج و الفرد فهما مستغنيان عن البيان لوجودهما و شهرتهما بين النّاس، و أمّا الصحيح و الكسور فبيانه على ما قال صاحب الفنّ: و هو أنّ العدد على ثلاثة أقسام، زائد، و ناقص، و تامّ، أمّا الزائد فكلّ عدد يكون أجزاء كسوره أزيد من أصله المخرج منه مثل عدد إثنا عشر مثلا فإنّ كسوره الّتي يخرج منه نصف و ربع و ثلث و سدس، فالنصف ستّة و الربع ثلاثة و الثلث أربعة و السّدس اثنان، يكون المجموع المجموع خمسة عشر، فيكون أجزاء كسوره أزيد من الأصل، و بهذا الإعتبار يسمّى زايدا.

و أمّا الناقص فكلّ عدد يكون أجزاء كسوره أقلّ من أصله المخرج منه مثل عدد الأربع، فإن كسوره الّتي يخرج منه نصف و ربع، فالنّصف اثنان، و الرّبع واحد، يكون المجموع ثلاثة، فيكون أجزاء كسوره أنقص من الأصل، و لهذا الإعتبار يسمّى ناقصا.

و أمّا التّامّ، فكلّ عدد يخرج أجزاء كسوره كأصله المخرج منه مثل عدد السّتّ، فإن كسوره الّتي يخرج منه نصف و ثلث و سدس، فالنّصف ثلاثة و الثلث اثنان، و السّدس واحد، فيكون المجموع ستّة، فيكون أجزاء كسوره مساوية للأصل المخرج منه و بهذا الإعتبار يسمّى تامّا، و بهذا السّبب خلق اللّه تعالى العالم في ستّة أيّام الّذي هو أقلّ العدد من الأعداد التّامّات، و قد سبق عليه ذلك أيضا و اللّه أعلم و أحكم، فالستّة من المراتب الأوّليّة المختصّة بالعقول و المجرّدات، و الستّة الوسطيّة من النّفوس و الأرواح، و الستّة الأخيرة من الأجسام، و المحسوس يكون ثمانية عشر ألف عالم، و أمثال ذلك من التطبيقات و هذا أيضا تطبيق بمفردات الحروف و مفردات العالم، و أمّا التطبيق ببعض مركباتها الّتي هي، أبجد، هوّز، حطّى، كلمن، إلى آخرها، فذلك يحتاج إلى مقدّمات.

منها، ما سبق من كلام فيثاغورس الحكيم في طبيعة العدد و الحكمة المندرجه تحت كلّ عدد و قو قوله:

«اعلم، أنّ الموجودات واقعة بحسب طبيعة العدد، فمن عرف طبيعة العدد و أنواعه و خواصّه أمكنه أن يعرف كمّية أنواع الموجودات و أجناسها، و ما الحكمة في كمّيتها على ما هي عليه الآن، و لم لم يكن أكثر من ذلك و لا أقلّ منه و ذلك أنّ الباري جلّ و عزّ لمّا كان هو علّة الموجودات و خالق المخلوقات و هو واحد بالحقيقة، لم يكن من الحكمة أن يكون الأشياء واحدا من جميع الجهات بل وجب أن يكون واحدا بالهيولى كثيرا بالصّورة، و لم يكن من الحكمة أن يكون الأشياء كلّها ثنائيّة و لا ثلاثيّة و لا رباعيّة و لا أكثر من ذلك و لا أقل بل كان الأحكم و الأنفس أن يكون على ما هي عليه من الأعداد و المقادير و كان ذلك في غاية الحكمة، و ذلك أن الأشياء ما هي ثنائيّة و منها ثلاثيّة و رباعيّة و مخمّسات و مسدّسات و مسبّعات و معشرات و ما زاد على ذلك بالغا ما بلغ إلى قوله: و على هذا قد توغّلت المسبعة في الكشف عن الموجودات السباعيّة و ظهر لهم منها أشياء عجيبة فشعفوا بها و اطنبوا في ذكرها و غفلوا عن ما سوى ذلك من المقادير.

و كذلك أيضا الثّنوية في الكشف عن الموجودات الثنائيّة فظهر لهم منها أشياء عجيبة فشعفوا بها و غفلوا عن ما سوى ذلك، و هكذا النصارى في التثليث و المثلّثات، و هكذا أيضا الطبيعيّون في الطبائع الأربع و المربعات من الأمور، و هكذا المخمّسة أطنبوا في الأمور المخمّسة، و أهل الهند أطنبوا في المتسعات من أمور العدد و المقادير.

فأمّا الحكماء الالهيّون قد أعطوا كلّ ذي حق حقّه حين قالوا: إنّ الموجودات بحسب طبيعة العدد يعني الأشياء الموجودة، منها ما هو إثنين إثنين، و منها ثلاثة ثلاثة، و أربعة أربعة، و خمسة خمسة، هكذا بالغا ما بلغ، و من ذلك قالوا: إنّ الواحد أصل العدد و منشأه، من الواحد يألف العدد قليله و كثيره و أزواجه و أفراده و صحيحه و كسوره، فالواحد علّة العدد كما أنّ الباري جلّ ثناؤه علّة الموجودات و موجدها و مرتّبها و متقنها و مكملها، و كما أنّ الواحد لا جزء له و لا مثل و لا نظير و يعطي كلّ عدد اسمه و مقداره، كذلك الحقّ تعالى لا مثل له و لا جزء له و لا نظير، و أعطى الموجودات وجودها و اسمها و مقدارها، و كما أنّ ببقاء الواحد بقاء العدد و دوامها، كذلك ببقاء الباري جلّ ثناؤه بقاء الموجودات و دوامها، و كما أنّ بالواحد يقدر على كلّ عدد و مقدار، كذلك علم الباري بكلّ غائب و شاهد، و كما أنّ من تكرار الواحد نشأ العدد و تزايد، كذلك من فيض الباري وجوده العام نشأ الخلايق و نمّا، و كما أنّ الإثنين هو أوّل عدد نشأ من تكرار الواحد، كذلك العقل هو أوّل موجود فاض من جود الباري، و كما أنّ الثلاثة ترتّبت بعد الاثنين كذلك النّفس ترتبت بعد العقل، و كما أنّ الأربعة ترتبت بعد الثلاثة و كذلك الطبيعة ترتبت بعد النّفس، و كما أنّ الخمسة ترتبت بعد الأربعة كذلك الهيولى ترتبت بعد

الطّبيعة، و كما أنّ الستّة ترتبت بعد الخمسة كذلك الجسم ترتّبت بعد الهيولى، و كما أنّ السبعة ترتبت بعد الستّة كذلك الفلك ترتّبت بعد الجسم، و كما أنّ الثمانية ترتّبت بعد السبعة كذلك الأركان ترتبت بعد الفلك ترتّبت بعد الجسم، و كما أن الثمانية ترتّب بعد السبعة، كذلك الأركان ترتبت بعد الفلك، و كما أن التسعة ترتبت بعد الثّمانية كذلك المولّدات تولّدت بعد الأركان و كما أنّ التّسعة آخر مرتبة الأعداد كذلك المولّدات آخر مرتبة الموجودات الكلّيّات و هي المعادن و النّبات و الحيوان، فالمعادن كالعشرات، و النّبات كالمائات، و الحيوان كالألوف و المراج كالآحاد.

و الغرض من هذا النّقل بعد أن سبق ذكره مرّة أنّ مركّبات الحروف المرتّبة على ترتيب العالم وقعت كذلك، و ذلك أن تعرف أنّ الأنبياء عليهم السّلام حين فرغوا من وضع حروف التهجّي على ترتيب حروف العالم كما ذكرناه بوجوه مختلفة، شرعوا في تركيب يدلّ على ذلك التركيب أيضا على ترتيب العالم كلّه أعلاه و أسفله، و هو أبجد، هوّز، حطّى، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ظضغ، فإن أبجد ألف و باء و جيم و دال، فالألف واحد، و الباء اثنان، و الجيم ثلاث، و الدّال أربع، و يحصل بهذا الترتيب الثّنائي و الثلاثي و الرّباعي بعد المرتبة الأولى الّتي يتعلّق بالألف و ذلك مطابق للمراتب الأربع المذكورة في ترتيب العالم من الأمر و العقل و النفس و الطبيعة، و يحصل منه أيضا بعد مرتبة الآحاد مرتبة العشرات لأنّ أبجد على حساب الهندسة عشرة، و كذلك هوّز فإنّ الهاء خمسة بعد الأربعة المتقدّمة، و الواو ستّة و الزّاء سبعة، و يحصل منها التّرتيب الخماسي و السّداسي و السّباعي موافقا لما تقدّم من التّرتيب، و كذلك حطّى فإنّ الحاء ثمانية و الطّاء تسعة و الياء عشرة، يحصل منها الترتيب الثمني و التسعي و ينتهي إلى نهاية الآحاد الّتي هي العشرة، و إلى بداية العشرات الّتي هي التّسعة، و يخرج الترتيب صحيحا من الألف إلى الياء في مرتبة الآحاد الّتي هي العشرة لأنّ من أبجد إلى حطّى أيضا عشرة، ثمّ بعد ذلك فانظر إلى كلمن فانّهم إذا فرغوا من ترتيب الآحاد إلى العشرات شرعوا في ترتيب العشرات إلى المئات، لأنّ الكاف عشرين و اللّام ثلاثين و الميم أربعين، و النّون خمسين، و هكذا إلى المائة، و الألف الّتي ليس فوقها غاية في العدد.

و إذا عرفت هذا فانظر إلى ترتيب العالم و تركيبه، فإنّه كذلك، و كذلك إلى آخر المراتب العدديّة المترتّبة على الترتيب اللّازم لطبيعة الحروف من الباء إلى الغين.

و عند التحقيق الكلّ راجع إلى الواحد، أمّا في العدد فكما عرفته، و أمّا في الحروف فكما تحققته.

و أمّا في العالم فكما بيّناه مرارا، خصوصا الآن بأن مبدأ الكلّ المعبّر عنه بالعالم، من الواحد الحقّ تعالى جلّ ذكره، كما قيل:

كلّ شيء فيه معي كلّ شيء  فتفطن و اصرف الذهن إلى
كثرة لا تتناهى عددا  قد طوتها وحدة الواحد طي

و قد سبق ذكرها بين البيتين أيضا مع الأبحاث المذكورة، لكن حيث إنّ هذا الموضع موضعهما ذكرناهما قصدا لا نسيانا و لا سهوا بل بمقتضى ما قال العارف:

أعد ذكر نعمان أعد أنّ ذكره  هو المسك ما كرّرته يتضرّع

و اللّه أعلم و أحكم و هو يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

## ۴- المقدّمة الرّابعة في الكلمات الآفاقيّة الإلهيّة و تطبيقها بالكلمات القرآنيّة على سبيل الإجمال و التّفصيل

اعلم، أنّ الكلمات الآفاقيّة عند البعض عبارة عن المركّبات العنصريّة المسمّاة بالمواليد الثّلاثة الّتي هي المعدن و النّبات و الحيوان، و عند البعض عن مطلق الموجودات مركّبا كان أو بسيطا، أرواحا كان أو أجسادا، و الحقّ أنّ كلّ ما صدر من الدّواة الإلهيّة المعبّرة عنها بعالم الجبروت و سطر على صفحات الوجود الإضافيّ الإمكاني بالقلم الرّباني المعبّر عنه بالعقل الأوّل، لقوله تعالى:

ن وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ [سورة القلم: ١].

فهو كلمة ربانيّة مسطورة على رقّ الكتاب الآفاقي و صفحاته، لقوله أيضا:

وَ الطُّورِ وَ كِتابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ [سورة الطور: ١- ٣].

و قد سبقت كيفيّة صدور هذه الكلمات من النّفس الرّحماني و بروزها في الجناب الإلهي صورة و معنى مع ذكر الدّواة و القلم و الألواح و غير ذلك.

### ٣-١ (في معنى الكلمة الآفاقيّة و أقسامها)

و بيانه مرّة أخرى، و هو أنّ الكلمة عند هؤلاء القوم باتّفاق الأنبياء و الأولياء عليهم السّلام عبارة عن كلّ متعيّن من الموجودات الرّوحانيّة و الجسمانيّة كما ورد في اصطلاحهم في تقسيمها بقولهم: الكلمة تكني بها عن كلّ واحدة من الماهيّات و الأعيان و الحقائق و الموجودات الخارجيّة، و في الجملة عن كلّ متعيّن و قد تخصّ المعقولات بين الماهيّات و الحقائق و الموجودات و الأعيان بالكلمة المعنويّة الغيبيّة، و الخارجيّات بالكلمة الوجوديّة، و المجرّدات و المفارقات بالكلمة التّامّة.

و قد أشرنا إلى تفصيل ذلك أوضح من ذلك ممّا سنح لنا من اللّه الجواد، و هو أنّ الكلمات الإلهيّة إن صدرت من النّفس الرّحماني الّذي هو الإنسان الكبير، و أنفاسه في عالم الأمر، و عالم الجبروت المعبّر عنه بالعقول المجرّدة و النفوس القدسيّة تسمّى كلمة معنويّة عينيّة، و إن صدرت من النّفس الرّحماني في عالم الخلق و عالم الشّهادة بتوسط القلم الأعلى على صفحات الألواح الجسمانيّة باليدين المعبّرتين عنهما تارة بالأسماء الجلاليّة و الجماليّة لقوله تعالى:

خَلَقْتُ بِيَدَيَّ [سورة ص: ٧٥].

و تارة بالسّماوات و الأرض لقوله:

وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ [سورة الزمر: ۶۷].

وَ السَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ [سورة الزمر: ۶۷].

تسمّى كلمة صوريّة شهاديّة كالكلمات الصّادرة من الإنسان الصغير، فإنّها صدرت من طريق الفم و اللّسان و المخارج و ظهرت في الهواء بالتنفس و حركات الشفتين تسمّى كلاما و قولا إنسانيا، و بقاؤها تكون ببقاء الهواء

و التنفس و القائل و السامع.

و ان صدرت منه بواسطة اليد و الدّواة و القلم على صفحات الأوراق الخارجيّة و الألواح الصوريّة، تسمّى كلمة إنسانيّة، و تلك الأوراق و الألواح كتابا، و بقائها تكون ببقاء تلك الألواح و الأوراق.

و النفس الرّحماني كما سبق ذكره هو الوجود الإضافي الوحداني بحقيقته المتكثّر بصور المعاني الّتي هي الأعيان و أحوالها في الحضرة الواحديّة، يسمّى به تشبيها بنفس الإنسان المختلف بصور الحروف مع كونه هواء ساذجا في نفسه و نظرا إلى الغاية الّتي هي ترويج الأسماء الداخلة تحت حيطة الإسم الرّحمن عن كونها و سكونها و هو كون الأشياء فيها و كونها بالقوّة، كترويح الإنسان بالتّنفس، و نسبة هذا النّفس إلى الرّحمن دون غيره من الأسماء، و هي أنّ الموجود الأوّل المسمّى بالعقل الأوّل أو الإنسان الكبير أو العرش و هو مظهر الرّحمن و محلّ استوائه لقوله تعالى:

الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى [سورة طه: ۵].

كما بيّناه مفصّلا و لهذا وقع في بسم اللّه الرّحمن الرّحيم بعد اسم اللّه و وقع بعده الرّحيم الّذي يختص بالإنسان الصغير الّذي بإزائه لأنّه مظهره و محلّ استوائه لقوله تعالى:

بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ [سورة التوبة: ۱۲۸].

لأنّ الوجود لا ينتظم إلّا بهذه الثلاث أعني اللّه و مظهره الّذي هو الرّوح الأعظم و الإنسان الكبير، و الرّحمن و مظهره الّذي هو العقل الأوّل معنى و العرش صورة، و الرّحيم و مظهره الّذي هو النفس الكليّة معنى و الإنسان الصغير صورة، و سرّ تعظيم بسم اللّه الرّحمن الرّحيم و جميع ما سبق في تعظيمه و وصفه ليس إلّا لأجل هذا، و ستعرف تحقيق ذلك عند تأويل بسم اللّه الرّحمن الرّحيم في أوّل الفاتحة، و المراد من ذلك كلّه أنّ الكلمة الصّادرة من النّفس الرّحماني في الآفاق لها اعتباران من حيث المعنى، و اعتبار من حيث الصورة، أمّا بالاعتبار الأوّل فسمّي كلمات اللّه المعنويّة، و أمّا بالاعتبار الثّاني فيسمّى كلمات اللّه الصوريّة، و هذه الكلمات هي المسمّاة بالكلمات الإلهيّة الّتي تبيد و لا تنفد لقوله:

قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً [سورة الكهف: ۱۰۹].

و أنّ الكلمات الصادرة من النّفس الإنساني في الأنفس لها أيضا اعتباران:

الأوّل من حيث المعنى و هو المسمّاة بالقول و الكلام و القرآن و الحديث.

و الثّاني من حيث الصّورة و هو المسمّاة بالكتاب و الصّحف و أمثال ذلك، و إليه الإشارة بقوله:

وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ [سورة العنكبوت: ۴۸].

و إذا عرفت هذه المقدّمات فاعلم

## ۳-۲ أنّ هاهنا أبحاث:

### ۳-۲-۱ البحث الأوّل في الدّواة و القلم الصّادرة منهما هذه الكلمات

اعلم، أنّه قد سبق أنّ الكتاب القرآني كما أنّ (أنّه) دواة و قلم و أوراق، فكذلك الكتاب الآفاقي فإنّ له أيضا دواة و قلم و أوراق.

أمّا الدّواة و القلم و الأوراق الّتي تتعلّق بالكتاب القرآني فتلك معلومة مشهورة.

و أمّا الدّواة و القلم و الأوراق الّتي تتعلّق بالكتاب الآفاقي فقد قلنا: إنّ الدواة فيه عبارة عن العقل الأوّل، و القلم عن النفس الكلّيّة المشار إليهما في قوله تعالى:

ن وَ الْقَلَمِ وَ ما يَسْطُرُونَ [سورة القلم: ۱].

و في قوله:

اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ [سورة العلق: ۳- ۵].

و الكلمات عن قوله تعالى: وَ ما يَسْطُرُونَ، لأن المراد به كلمات الموجودات و المخلوقات المسطورة على ألواح الكائنات، و الرّق الوجود الإضافي، و قد يقرّر أنّ هذا القلم له ثلاثمائة و ستّون سنا من حيث ما هو قلم، و ثلاثمائة و ستّون وجها من حيث ما هو عقل، و ثلاثمائة و ستّون لسانا من حيث ما هو روح مترجم عن اللّه تعالى، و يستمدّ كلّ سنّ من ثلاثمائة و ستّين بحرا، و هي أصناف العلوم، و سمّيت بحرا لاتّساعها، و هذه البحور هي إجمال الكلمات الّتي لا تنفد أبدا، و تقرّر أن الأوراق و الألواح عبارة عن الأجسام مطلقا، و تقرّر أنّ الكاتب الكبير في هذه الكتابة العقل الأوّل المشار إليه في حديث النبوي:

جفّ القلم بما هو كائن .

و كذلك المعلّم الأوّل في قوله:

اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ [سورة العلق: ۳- ۵].

و قيل من لسانه مترجما عنه:

قلمي و لوحي في الوجود يمده  قلم الأزليّة و لوحه المحفوظ
و يديّ لمن اللّه اللّه في ملكوته  ما شئت اجرى و الرّسوم حظوظ

و قد تقرّر أيضا أنّ لهذا الموجود الأوّل ثلاثمائة و ستّون وجها إلى الحضرة الإلهيّة قد أفاض الحقّ تعالى من علمه على قدر ما أوجده عليه من الاستعداد للقبوليّة، و كان قبوله ستّة و أربعين ألف ألف نوع و ستمائة ألف نوع و ستّة ألف و خمسين ألف نوع.

و إذا عرفت هذه المقرّرات المتكرّرة مرارا من هذه المقدّمات.

فاعلم، أنّ الكلمات الصّادرة من مثل هذه الدّواة و هذه الأقلام لا يكون قابلة للانتهاء و الانقطاع أزل الآزال و

أبد الآباد كما أشرنا إليه أيضا مرارا متمسّكا بقوله تعالى:

وَ لَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [سورة لقمان: ٢٧].

ثمّ اعلم، أنّ نسبتها إلى البحور و عدم إنفادها بها لأجل التفهيم و التّنبيه، و إلّا أين البحور من هذه الكلمات و أضعاف أضعاف البحور بمرار غير متناهية، لأنّ الّذي سبق من أنّ السّماوات السّبع و الأرضون السّبع ليس في الكرسي إلّا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، و فضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة، يكفى في هذا الباب.

و الّذي سبق من قوله تعالى:

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ لا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ [سورة البقرة: ٢٥٥].

و كذلك الّذي سبق عن قول النّبي صلّى اللّه عليه و آله:

انّ للّه تعالى أرضا بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوما، هي مثل الدّنيا ثلاثين مرّة، مشحونة خلقا لا يعلمون أنّ اللّه خلق السّموات و الأرض، و لا يعلمون انّ اللّه خلق آدم و إبليس الحديث.

لأنّ الكلّ إشارة إلى عدم نفاد هذه الكلمات، و إلى أنّ العوالم الحسّية الشهاديّة بالنّسبة إلى تلك العوالم العينيّة الروحانيّة كقطرة في جنب المحيط و بل أقلّ منه.

و الغرض من هذا كلّه في هذا المقام أن يتحقّق عندك و عند غيرك أنّ الكلمات المشار إليها في القرآن أنّها غير قابلة للإنفاد الكلمات الآفاقيّة لا القرآنيّة، لأنّ الكلمات القرآنيّة تنفد توقية من المداد و بل أقلّ منه، نعم إذا قلنا بمعنى كلمة القرآن لا بألفاظه يصدق عليه هذه الأوصاف كما قلناه مرارا، و أمّا إذا قلنا من حيث الصّورة فلا يصدق عليه أصلا.

### ٣-٢-١-١ (في بيان انّ الموجودات غير قابلة للانتهاء و أنّ الموجود يستحيل اعدامه)

و حيث تقرّر أنّ الكلمات الآفاقيّة الإلهيّة عبارة عن المركّبات الممكنة أو عن الموجودات الممكنة مطلقا، فذلك بالضّرورة لا يكون قابلا للانتهاء و الانقطاع، لأنّ الممكنات غير قابلة للانتهاء أصلا باتّفاق العقلاء و باتّفاق المحققين أيضا، فإنّها مظاهر اللّه و انقطاع المظاهر مطلقا مستحيل.

و وجه آخر و هو أنّها من معلومات اللّه تعالى صادرة من فيضانه و تجلّياته، و تجلّياته و فيضانه غير منقطع و لا مكرّر بالاتفاق لأنّهما من مقتضى ذاته، و المقتضيات الذاتيّة لا تنفكّ عن الذّات بوجه من الوجوه.

و الّذي وجد في الخارج معلوماته، إعدامه أيضا مستحيل، لأنّه صار واجبا بالغير مادام الغير باقيا، و هذا الغير موجودا باق أبدا، فيستحيل إعدام الشيء القائم به و الإعدام المتعارف بين النّاس و الهلاك و الفناء الوارد في القرآن و الخبر هو عبارة عن تبديل صورة إلى صورة أخرى و إلّا و الجواهر المسمّاة بالمادّة لا يعدم أصلا.

و أيضا قاعدة كلّيّة بين أرباب العلم: إن الموجودات المطلق لا يصير معدوما مطلقا، و لا المعدوم المطلق

موجودا مطلقا.

هذا من حيث الاستدلال و المعقول.

و أمّا من حيث الكشف و المشهود فباتّفاق أهل اللّه، مظاهر اللّه المسمّاة بالممكنات انتهائها انقطاعها غير ممكن، لأنّها كلماته، و كلماته غير قابلة لذلك، لقوله:

وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلًا لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [سورة الأنعام: ۱۱۵].

لأنّ كلماته المعبّرة بالممكنات مظاهر أسمائه، و أسماؤه مظاهر صفاته، و صفاته مظاهر ذاته، فكلّ واحدة منهما مربوطة بالأخرى، فالانفصال بينهما مستحيل ممتنع فضلا عن الإعدام و الإفناء، و يعرف هذا من قولهم:

حجب الذّات بالصّفات و الصّفات بالأفعال و الأفعال بالأكوان.

و في قولهم:

أحد بالذّات كلّ بالأسماء.

و فيه قيل:

فالكلّ بالكلّ مربوط و ليس له عنه انفصال خذوا ما قلته عنّي

و قد بيّنا عدم تناهي الكلمات في وجه مفرد في المقدّمة الأولى ، فإنّ هذا المقام لا يحتمل أكثر من هذا و اللّه أعلم و أحكم.

### ۳-۲-۲ البحث الثّاني في تحقيق الكلمة الآفاقيّة

اعلم، أن الكلمة بالنسبة إلى القرآن عبارة عن هيئة جامعة مركّبة من الحروف البسيطة تدلّ على معنى أو معان على حسب تلك الكلمة.

و أمّا بالنسبة إلى الآفاق فهي عبارة عن هيئة جامعة مركبة عن بسائط العالم و مفرداته، تدلّ بذاتها على معرفة ربّها ببعض الأسماء و الصّفات كالملائكة و الجنّ، و أمّا بجميع الأسماء و الصّفات كالإنسان.

أمّا الدليل على الأول أي ببعض الأسماء فقوله تعالى في الملائكة:

وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ [البقرة: ۳۰].

و أمّا الدليل على الثّاني أي بجميع الأسماء فقوله تعالى في حقّ الإنسان:

وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها [البقرة: ۳۱].

### ۳-۲-۲-۱ (في انّ الإنسان على قسمين)

و الإنسان على قسمين:

قسم يكون جامعا لجميع الأسماء و الصّفات بالقوّة فهو كلّ إنسان مطلقا.

و قسم يكون جامعا لجميع ذلك بالفعل فهو كلّ إنسان كامل من الأنبياء و الرّسل و الأولياء و الأصفياء و العارفين باللّه على حسب طبقاتهم، و كلّ من يظهر منه هذه الأسماء و الصّفات بالفعل فهو يكون أعظم من غيره و لهذا فضّل اللّه تعالى بعض النبيّين على بعض بحسب ظهور هذه الأسماء فيهم كما قال:

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ وَ آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ [سورة البقرة: ۲۵۳].

و حيث كان نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مظهر الجميع بالفعل، فضّله اللّه تعالى على جميع الأنبياء و الرّسل و جعله خاتما للكلّ بالفعل كما جعله سابقا على الكلّ بالقوّة لقوله:

كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطّين .

و لقوله:

أن أوّلهم خلقا و آخرهم بعثا .

و هاهنا أبحاث و ما لها دخل في هذا المقام فلنرجع و نقول:

### ۳-۲-۲-۲ (في أنّ للكلمة اعتبارين: تامّة و هي الإنسان و غير تامّة و هي ساير الموجودات)

اعلم، أنّ الكلمة لها اعتباران:

الأوّل أنّها تامّة، و الثّاني أنّها غير تامّة، أمّا التّامة فهي الإنسان مطلقا ان ظهر معنى الكلمة منه بالفعل أو بقي فيه بالقوّة.

و أمّا الغير التّامّة فباقي الموجودات الّتي هي غير الإنسان و لهذا الكلمة التّامّة الطيّبة تحصل لها العروج و الصّعود إلى الحضرة الإلهيّة لقوله:

إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ [سورة فاطر: ۱۰].

المراد بها الأرواح الكاملة و النّفوس الشريفة الطّاهرة من أرواح الأنبياء و الرّسل و نفوس الأولياء و الكمّل (الكمّلين)، و إليها إشارة بقوله:

يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبادِي وَ ادْخُلِي جَنَّتِي [سورة الفجر: ۲۸-۳۰].

و الكلمة الغير التّامّة بالفعل، الخبيثة الناقصة لا يحصل له العروج و تبقى في البعد و الحجاب إلى ما شاء، لقوله تعالى في الصّورتين:

أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِي السَّماءِ تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ

رَبِّها وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ [سورة إبراهيم: ۲۴- ۲۵].

وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ما لَها مِنْ قَرارٍ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ فِي الْآخِرَةِ [سورة إبراهيم: ۲۶].

### ۳-۲-۲-۳ (في انّ الأنبياء كلمات تامّات و مقاماتهم حصلت لهم لا بالمجاهدة)

و الحقّ تعالى جلّ جلاله صرّح في كتابه العزيز باسم الكلمة على الأنبياء و الرّسل عليهم السّلام بالفعل لقوله بالنّسبة إلى عيسى عليه السّلام:

إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ [سورة النساء:۱۷۱].

و كقوله:

إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ [سورة آل عمران: ۴۵].

و عيسى عليه السّلام لو لم يكن كاملا بالفعل من أوّل الآخر (الأمر) ما قال في المهد:

إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا [سورة مريم: ۳۰].

و كذلك يحيى عليه السّلام:

يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا [سورة مريم: ۱۲].

و الغرض أن لا يتوهّم أحد أنّ ظهور الأنبياء و الرّسل متوقّف على العمل و المجاهدة و الرّياضة و طول المدّة، فإنّه ليس كذلك و إن كان بعض الأنبياء و بل أكثرهم ما حصل لهم هذه المرتبة إلّا بعد المدّة فإنّ كمالهم و مرتبتهم كما سبق ذكرها ليس إلّا عطاء محضا و إنعاما خاصّا، لقوله تعالى:

هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ [سورة ص: ۳۹].

و لقوله:

وَ عَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً [سورة النساء: ۱۱۳].

و قد ورد عن أهل البيت عليهم السّلام:

إنّ الكلمات، الّتي كانت سبب توبة آدم عليه السّلام لقوله تعالى:

فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ [سورة البقرة:۳۷].

كانت أسماء الأنبياء و الرّسل و الأولياء و الأوصياء من ذرّيته و نسله الّذين صاروا كلماتا إلهيّة بالفعل بعد أن كانوا بالقوّة.

و قيل: إنّها كانت أسماء أهل البيت من ذرّية النبيّ عليه السّلام الّذين هم أيضا كلمات اللّه التّامّات، لأنّهم رؤساء الأولياء و أقطاب الأصفياء.

و كذلك كلمات إبراهيم عليه السّلام في قوله:

وَ إِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ... [سورة البقرة: ١٢۴].

فإنّها أيضا إشارة إلى أسماء الأنبياء السابقين من أجداده، و إلى أسماء المتأخرين من ذرّياته خصوصا نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله الطّاهرين، و يعضد هذا المجموع القول الجامع من قول نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله:

أوتيت جوامع (الكلم) .

و: بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق .

لأنّه إشارة إلى وجودات الأنبياء و مقاماتهم، لأنّ فيه وجوه ثلاثة:

الأوّل، أنّه أراد بالكلم وجود الأنبياء و الرّسل على ما هم عليه من الكمالات، و الجامعيّة لهم أنّهم كانوا مظاهر كمالاته التّفضيليّة من النبوّة التشريعيّة و رسالتها، و ذاته كانت جامعة لجميع ذلك بالأصالة من الأزل لقوله:

كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطين.

و الثّاني انّه أراد بالكلم مقامهم و مراتبهم و علومهم و حقائقهم، و بجامعيّته لذلك لجامعيّة شرعه الشرائع و الأديان كلّها.

و الثالث انّه أراد بالكلم الكلمات الآفاقيّة الّتي تكون هي متضمّنة لجميع هذه الكلمات، لأنّ الأنبياء و الرّسل و الأولياء كلمات إلهيّة ثابتة في الكتاب الآفاقي ككلمات آخر، غاية ما في الباب هم كلمات تامّات، و غيرهم ليس مثلهم.

و وجه آخر غير الوجوه الثلاثة، أنّه أراد بالكلم الكلمات الآفاقيّة و بجامعيّته لها الجامعيّة على طريق التوحيد بأن يجعلها كلمة واحدة، و وجودا واحدا قائلا بلسان الحال: ليس في الوجود سوى اللّه ، لأنّا إذا بيّنّا أنّ جميع العالم بمثابة الكتاب، و الّذي فيه بمثابة الحروف و الكلمات و الآيات، و أنّ على كل واحدة منها يصدق لهذا الإسم، فالعالم كلّه بالحقيقة ليس إلّا كلمات اللّه فكلّ من يجمع هذه الكلمات و يجعلها كلمة واحدة، أو هذه الوجودات الممكنة و يجعلها وجودا واحدا فهو الّذطي يصحّ أن يقول:

أوتيت جوامع الكلم، و بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق، لأنّ إتمام مكارم الأخلاق ليس إلا بهذا.

و قول الشيخ الأعظم قدّس اللّه سرّه:

الحمد للّه منزّل الحكم على قلوب الكلم .

يعضد ذلك أيضا، فإنّه إشارة إلى وجودات الأنبياء و أنّهم كلمة اللّه العليا، لأنّ الكلم جمع كلمة، و قد سمّى اللّه تعالى بعض أنبيائه بالكلمة و كلّ ما يصدق على واحد منهم من هذا المعنى يصدق على الكلّ لقوله:

لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ [النساء: ۴].

و في أكثر المواضع كلّ ما يصدق على الكلّ يصدق على البعض و بالعكس كالحيوانيّة فإنّها يصدق على كلّ الحيوان و على بعضه و كالقرآن فإنّه يصدق على الكل و على بعضه. و قد صرّح الشيخ في فصّ كلّ واحد منهم في فصوصه بفصّ مخصوص به كقوله: فصّ حكمة إلهيّة في كلمة آدميّة، فصّ حكمة سبّوحيّة في كلمة نوحيّة، فصّ حكمة خليلية في كلمة إبراهيميّة، فصّ حكمة فرديّة في كلمة محمّديّة، و ذلك لم يكن إلّا لهذا، و أكثر الشّراح ما فسّروه إلّا بهذا، و سيّما المولى المحقق كمال الدّين عبد الرّزاق قدّس سرّه، فإنّه قال في هذا المقام: «و الكلم مستعارة لذوات الأنبياء و الرّسل و الأرواح المجرّدة (عن) في عالم الجبروت المسمّاة (المسمّى) باصطلاح الإشراقيّين: الأنوار القاهرة، إمّا لأنّهم وسائط بين الحقّ و الخلق تصل بتوسّطها (بتوسّطهم) المعاني الّتي في ذاته تعالى إليهم، كالكلمات المتوسطة بين المتكلّم و السّامع لإفادة المعنى الّذي في نفس المكلّم للسامع، أو لتجرّدها عن الموادّ و تعيّنها بالإبداع و تقدّسها عن الزّمان المكان الموجودة بكلمة «كن» في عالم الأمر إطلاقا لاسم السبب على المسبّب و الدّليل على الاستعمال بالمعنى المذكور قوله تعالى:

إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ [سورة النساء: ۱۷۱].

و بالجملة كما يصدق على جميع القرآن إنّه كلمات اللّه و يصدق على بعضه ك «بسم اللّه الرّحمن الرّحيم» أو غيرها ك «اللّه» و «الرّحمن» و «الرّحيم» على الانفراد، فكذلك يصدق على جميع العالم انه كتاب اللّه و كلمته، و يصدق على بعضه الّذي هو الإنسان من الأنبياء و الرّسل و أمثالهم كقوله بعضهم:

أنا القرآن الناطق، أنا البرهان الصادق، أنا كهيعص، أنا طه، أنا يس.

و كقول بعضهم:

أنا القرآن و السّبع المثاني و روح الرّوح لا روح الأواني

و كما أنّ بسم اللّه الرّحمن الرّحيم هي مظهر الإسم الأعظم و يصدق عليها أنّها و كلمة اللّه العليا، فكذلك الإنسان فإنّه أيضا مظهر الإسم الأعظم و يصدق عليه أنّه مظهر كلمة اللّه العليا، لأنّ الإنسان في الآفاق كما قلناه مرارا بمثابة بسم الرّحمن الرّحيم في القرآن، و ذلك لجامعيّته و مجموعيّته الأسماء و الصفات كلّها كما قال:

خلق اللّه تعالى آدم على صورته.

و قال:

وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها [سورة البقرة: ۳۱].

و قد عرفت قبل هذا تعظيم بسم اللّه الرّحمن الرّحيم و شرفها و فضيلتها بإزاء هذه الفضيلة حيث وقعت مظهر هذا الإنسان الكامل بالفعل، هذا على أن يجعل الكلم بمعنى ذوات الأنبياء عليهم السّلام.

فأمّا إذا جعلنا المراد بها علومهم و مقاماتهم و شرايعهم و كتبهم المنزلة، فهناك أبحاث آخر و يجب الشروع فيها و هي هذه:

### ۳-۲-۳ البحث الثّالث في تحقيق الكلمة بوجه آخر

اعلم، أنّ قوله:

أوتيت جوامع الكلم.

كما يجوز أن يحمل على ذوات الأنبياء و الرّسل و أمثالهم يجوزان يحمل على كتبهم و شرايعهم و مقاماتهم و مراتبهم، و بناء على هذا يكون تقديره: أنّه يقول: أنا جامع جميع الشّرائع و الأديان و كتابي جامع جميع الكتب الإلهيّة متقدّمها و متأخّرها، و بيان ذلك:

و هو انّ المسلمين بأجمعهم اتفقوا على أنّه أشرف الأنبياء و الرّسل و انّه جامع لجميع كمالاتهم الصّوريّة و المعنويّة، و دينه و شرعه جامع لجميع شرايعهم و أديانهم، و ورد عنه ما يعضد ذلك كلّه و هو قوله:

«آدم و من دونه تحت لوائي».

### ۳-۲-۳-۱(مرتبة كلّ نبيّ، مرتبة من مراتب النبيّ الخاتم (ص))

و معناه آدم و من دونه من الأنبياء دون مقامي و مراتبي في الحقائق الإلهيّة و المعارف الربّانيّة.

و ورد:

«أنا سيّد ولد آدم و لا فخر».

السيادة لا تكون إلّا بالفضيلة، و قد نطق القرآن الكريم بذلك في مواضع:

منها قوله تعالى:

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ [سورة التوبة: ۳۳].

و ترجيح أمّته على جميع الأمم أيضا دال على ذلك في قوله:

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ [سورة آل عمران: ۱۱۰].

و قوله:

وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً [سورة البقرة: ۱۴۳].

و معلوم أنّ الوسط في المقامات و المراتب أعدل المقامات و أعظم المراتب كما تقرّر في الأخلاق، و طرفها من الإفراط و التفريط، و الوسط عند التحقيق باتّفاق أهل اللّه هو الصّراط المستقيم الحقيقيّ الموصوف بأحدّ من السّيف و أدقّ من الشّعر و لهذا إذا أنزل:

فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ [سورة هود: ۱۱۲].

و عرف أنّ الاستقامة على الطّريق المستقيم في غاية الصّعوبة قال:

«شيّبتني سورة هود».

و قد بسطنا الكلام في الصّراط في المقدّمات، و سيجيء في الفاتحة إنشاء اللّه.

### ۳-۲-۳-۲ (في تفسير قول نبيّنا (ص): بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق)

و قوله عقيب الخبر:

«و بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق».

يشهد بذلك لأنّه يشير إلى أنّ جميع الأنبياء و الرّسل كانوا مبعوثين لتكميل الأخلاق و تأسيسها لكن إتمام ذلك لم يكن إلّا بوجودي و ظهوري في عالم الشهادة لتكميل النوع البشري و غيرهم أيضا، و مثال ذلك مثال أطبّاء كثيرة يتوجّهون إلى مريض يريدون صحّته، فبعضهم قام بالمنضجات و بعضهم المسهلات، لقوله تعالى:

وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَساراً [سورة الإسراء: ۸۲].

يعني كلّ من آمن و صدّق به يكون موجبا لشفائه و كلّ من أنكر و كذّب به يكون موجب لمرضه و خسارته في الدّنيا و الآخرة لقوله تعالى:

خَسِرَ الدُّنْيا وَ الْآخِرَةَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ [سورة الحج: ۱۱].

و هذا معلوم في حوزة الطبيب الصّوري لأنّ كلّ من قبل كلامه و صدّق و فعل ما أمره حصل له الصّحّة و خلص من المرض و طاب و قام، و كلّ ما قبل كلامه و أنكر عليه و ترك قوله و فعله، زاد مرضه و أدّى إلى هلاكه و موته لقوله تعالى:

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً [سورة البقرة: ۱۰].

و قوله أيضا:

و بعضهم بحفظ القوى لئلّا يخرج من حدّ الاعتدال، و بعضهم بترتيب الأغذية الصالحة الموجبة حتّى حضر الطّبيب الأعظم و الأستاذ الأكمل و قام بتحصيل الصّحة الكلّيّة و إزالة المرض مطلقا و ردّ المريض إلى ما كان عليه من الصّحة و الاعتدال و إليه الإشارة بقوله:

ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ [سورة الأحزاب: ۴۰].

و غير خاف على أحد من العقلاء على أنّ الأنبياء و الرّسل عليهم السّلام هم أطبّاء النّفوس و معالجي أمراض الخلق الّتي هي الجهل و الكفر و النّفاق، فكلّ نبيّ من الأنبياء كان بمثابة طبيب واحد من الأطبّاء، و كان نبيّنا (ص) بمثابة الطّبيب الأعظم الّذي قام بتحصيل الصحّة الكلّيّة الّتي الهداية و الإرشاد إلى الدّين القويم و الصّراط المستقيم المعبّر عنه بتهذيب الأخلاق الحميدة و تكميل الأوصاف المرضيّة، و لهذا وصف القرآن بأنّه شفاء من الأمراض الحقيقيّة و سبب لحصول الصحّة الكلّيّة.

قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَ شِفاءٌ وَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذانِهِمْ وَقْرٌ وَ هُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ

[سورة فصّلت: ۴۴].

و هذا هو علّة ختميّته و قيام السّاعة بوجوده لقوله تعالى:

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً [سورة المائدة: ۳].

لأنّ الأمر إذا تمّ أيّ أمر كان، لا بدّ له من الرّجوع إلى ما كان منه و لهذا قال:

منه بدا و إليه يعود .

و قال النبيّ عليه السّلام.

انّ الزّمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللّه فيه السّماوات و الأرض .

و قال: أنا و السّاعة كهاتين .

لأنّ الغرض الكلّي و المقصود الجملي من وجود الأنبياء و الرّسل الّذين هم أطبّاء النّفوس، في تكميل الخلق و لهدايتهم بالأخلاق قد حصل و تمّ بوجوده، فلم يبق هناك غرض حتّى يكون في بقاء الطبيب فائدة، لأنّ كلّ حركة لا يكون على غرض تكون تلك الحركة من الحكيم الكامل عبثا و العبث على اللّه تعالى محال فيجب حينئذ قيام السّاعية بفقدان وجود الكامل لئلّا يلزم منه الفساد المذكور.

إذا تمّ أمر دنى نقصه  يوقع زوالا إذا قيل تم

و سيجيء هذا البحث أكثر من ذلك عند بيان الشّريعة و الطّريقة و الحقيقة، و الغرض هاهنا أنّه كان جامعا لجميع الكمالات و الشرائع و المراتب و المقامات الّتي كانت لجميع الأنبياء و الرّسل المعبّرة عنها تارة بالكتب و الصّحف و الكلمات و الآيات، و تارة بالأخلاق و العلوم و المعارف الّتي هي أيضا من كلمات اللّه المعنويّة، و إلى هذا أشار جلّ ذكره في قوله:

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَ ما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى وَ عِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ [سورة الشورى: ۱۳].

و إذا حصل الغرض و ثبت بهذين الوجهين المشتملين على وجوه كثيرة أنّ المراد بالكلمات ذوات الأنبياء و شرايعهم و مقاماتهم و أنّه صلّى اللّه عليه و آله جامع لجميع ذلك، فلنشرع في تمام الحديث و بحث الأخلاق بقوله:

«و بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق».

و الّذي نزل من اللّه تعالى في حقّه:

وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ [سورة القلم: ۴].

و ورد في الخبر:

انّ خلقه القرآن .

و ورد:

تخلّقوا بأخلاق اللّه .

و أمثال ذلك و باللّه التوفيق

## ۳-۲-۴ البحث الرابع في الأخلاق و ما يتعلّق بها من بحث الكلمات

### ۳-۲-۴-۱ (في بيان أصول الأخلاق و معنى الحكمة و العفّة و الشجاعة و العدالة)

اعلم، ان أصول الأخلاق باتّفاق أكثر العقلاء و أرباب الأصول و أكثر أهل الكشف و أرباب الشهود، أربعة: الحكمة و العفّة و الشّجاعة و العدالة.

أمّا الحكمة، فهي على قسمين علميّة و عمليّة، أمّا العلميّات فكالنّظر في معرفة الحقّ تعالى و ذاته و صفاته و ما يتعلّق بها المقرّرة في أقسام الإلهيّات من الحكمة.

و أمّا العمليّات فهي استكمال النّفس بكمال الملكة التّامّة على الأفعال الفاضلة حتّى يكون الإنسان ثابتا على الصّراط المستقيم متجنّبا من طرفي الإفراط و التّفريط في جميع أفعاله و أحواله، و عن مثل هذه الحكمة أخبر اللّه تعالى في كتابه بقوله:

وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَ ما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ.

و بوجه آخر، الحكمة العمليّة على ما قيل و هي ملكة تصدر عنها الأفعال المتوسّطة بين الجربزة و الغباوة الّذين هما طرفا الإفراط و التّفريط.

و أمّا العفّة، فهي ملكة صادرة عن اعتدال حركة القوّة الشهويّة بحسب تصريف العقل العملي لها على قانون العدل.

و أمّا الشّجاعة، فهي ملكة حاصلة للنّفس عن اعتدال القوّة الغضبيّة بحسب تصريف العقل فيما يضبطه لها.

و أمّا العدالة، فهي فضيلة حاصلة من اجتماع هذه الثلاث.

و كلّ واحدة من هذه الأربعة لها طرفان هما طرفا إفراط و تفريط و هما مذمومتان يجب الاجتناب عنهما، و الوقوف على الحدّ الوسط من بينهما بحكم الخبر النّبوي:

خير الأمور أوسطها .

فإنّه الصّراط المستقيم الحقيقي المأمور بالاستقامة على كلّ عاقل مكلّف.

أمّا الحكمة، فطرف إفراطها الجزيرة الموجبة للمكر و الخدع و أمثالهما، و طرف تفريطها الغباوة و البلادة

المؤدّية إلى عدم الفضيلة.

و أمّا العفّة، فطرف إفراطها الفجور الّذي هو الخروج عن حدّ الاعتدال في قضاء قوّة الشهويّة، و طرف تفريطها عدم الشّهوة و الخمود عن اقتضاء القوّة الشهويّة بمقتضى طبعها.

و أمّا الشّجاعة، فطرف إفراطها التّهوّر الّذي هو إلقاء النفس في التهلكة و التهجّم في الأمور المهلكة الغير المحمودة، و طرف تفريطها الجبن الّذي هو القعود في موضع القيام بما يجب على الشّخص من الأحكام الشرعيّة و العقليّة، و لهذا لا يجوز أن يتّصف النبيّ و الإمام بهاتين الصّفتين، لأن الاتصاف بهما يكون موجب الطعن في عصمتهما كما هو مقرّر عند أهله.

و أمّا العدالة، فطرف إفراطها الظّلم الموجب للجور و العدوان و القهر و الغلبة، و طرف تفريطها الانظلام الموجب للمهابة و المذلّة و الخذلان، و كذلك لا يجوز اتّصاف النّبيّ و الإمام بهاتين الصّفتين.

و بالجملة الأخلاق على قسمين محمودة و مذمومة، أمّا المحمودة فيجب اتّصاف كلّ أحد بها و هي عند البعض سبعة و عند البعض عشرة. و أمّا المذمومة فيجب اجتناب كلّ أحد عنها و هي بإزاء المحمودة.

أمّا السبعة من المحمودة:

فالعلم و الحلم و الكرم و التّواضع و الإخلاص و المحبّة و الزّهد.

و أمّا السبعة من المذمومة.

الجهل و الغضب و الكبر و البخل و الحسد و العجب و الرّياء.

و أمّا العشرة من المحمودة على رأي:

التّوبة، و الخوف، و الزّهد، و الشّكر، و الإخلاص، و التّوكّل، و المحبّة، و الرّضا، و الصّبر، و ذكر الموت.

و أمّا العشرة من المذمومة:

شرّة الطعام، و كثرة الكلام، و الغضب، و الحسد، و البخل، و حبّ الجاه، و حبّ الدّنيا، و الكبر، العجب و الرّياء.

و لكلّ واحدة من هذه الأخلاق أيضا شعب و فروع و توابع و لوازم يعرف في مظانّها و لم يكن بعثة الأنبياء و الرّسل إلّا لاتّصاف الخلق بالأخلاق الحميدة و اجتنابهم عن الأخلاق و الذّميمة و:

بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق.

إشارة إليه و معناه: بعثت أنا لتتميم الأخلاق الّتي وضعوها الأنبياء لأممهم من الأخلاق الحميدة و لنهيهم و اجتنابهم الأخلاق الذّميمة الّتي منعوهم عنها و أمروهم باجتنابها، و قوله تعالى في أمّته:

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ [سورة آل عمران: ١١٠].

إشارة إلى اتّصافهم بالوسط الحقيقي، و لقوله أيضا:

وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ [سورة البقرة: ۱۴۳].

و تقديره: أنّ كلّ من وصف بهذه الأخلاق و أوساطها الّتي هي الصّراط المستقيم الحقيقي فهو خير من كلّ أمّة لأنّ كلّ أمّة فرضت في العالم ما حصل لهم هذه الاتّصاف لأنّ اتّصاف كلّ امّة بالأخلاق الحميدة يتعلّق بمقام (نبيّ) النبيّ تلك الأمّة و ليس هناك نبيّ يكون أعظم من هذا النبيّ حتّى تكون أمّته أعظم من أمّته و لا أخلاقه أشرف من أخلاقه، و سنبسط الكلام في هذا عند بحث الشريعة و الطريقة و الحقيقة، و هذا البحث في هذا الموضع و إن كان خارجا عن الموضوع لكن حيث كان تتميما للكلم الّتي هم الأنبياء و مقاماتهم، و قيد الحديث تتميم الأخلاق، صار من الموضوع و جاز ذكره لأنّ تعليم الأخلاق في هذا المقام تهذيب للكلمات الإلهيّة الّتي هي نوع الإنسان بوجه، و بوجه آخر جميع المخلوقات، و إجراء لكلام الحقّ و قوله، و أمره في عباده الّذين هم كلماته في ضمن كتابه الكبير فافهم.

و حيث عرفت أصول الأخلاق و فروعها على سبيل الإيجاز من تقريرنا، نريد أن نشرع فيه مرّة أخرى على سبيل الإطناب من تقرير غيرنا توضيحا و تحقيقا للمطلوب، و هو أنّ بعض العارفين من أرباب التّوحيد قدّس اللّه سرّهم كتب رسالة في هذا المعنى لا يمكن أحسن منها، نذكر بعضها لأنّ ذكر الكلّ ممتنع و هو هذا، و هذا البعض أيضا في فصول:

### ۳-۲-۴-۲ الفصل الأوّل في تعريف الخلق و بيان تغيّره

الخلق ملكة في النّفس توجب سهولة صدور الفعل الإرادي عنها بلا رويّة و هو ليس بطبيعيّ لأنّه ممكن التغيّر كما تشاهد في الأحداث و الصّبيان إلّا أنّ بعضه يكون سريع التغيّر و بعضه بطيئ الاستحالة لأنّ المزاج الإنساني ذو عرض عريض و سببه تفاوت استعدادات القوابل بحسب الامتزاجات المتنوّعة الواقعة بحسب الأوضاع المختلفة و الصّور السّابقة، و كلّ مزاج يناسب خلقا مّا و يخالف آخر، على ما ترى في الصّبيان و ما يكونون عليه في مبدأ نشوئهم من الجود و الحياء في بعضهم و البخل و القحة في آخرين و كذلك سايرها كالشرّة و الغضب مثلا، فإن أهملوا و لم يقوموا بالتأديب نشأ كلّ على مقتضى مزاجه و بقي جميع عمره على حاله، و لهذا التأديب و التقويم شرعا و عقلا و أيضا فإنّ النّفس الإنسانيّة قابلة صافية الجوهر بحسب العادات و مخاطبة أصناف النّاس بالخير و الشرّ كما ورد في السنّة:

ما من مولود إلّا و هو يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو و ينصّرانه و يمجّسانه .

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام في أثناء الوصيّة لابنه الحسن عليه السّلام .

و إنّما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب (الأدب) قبل أن يقسو قلبك، و يشتغل لبّك.

و هي و إن كانت متّحدة بحسب الماهيّة لكن مختلفة بالقوّة و الضّعف على حسب اعتدال القابل و كلّ ما كانت أقوى كانت أسرع قبولا للتأديب و التوجّه إلى الجهة العلويّة و الإعراض عن السفليّة و بالعكس.

### ۳-۲-۴-۳ الفصل الثاني في مكارم الأخلاق و أجناس الفضائل

قال اللّه تعالى:

وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ [سورة القلم: ۴].

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق. (قد مرّت الإشارة إليه في التعليقة ۲۵۳).

و كافيك بها شرفا حيث جعلها من النبوّة غرضا، و الأخبار الواردة فيه أكثر من أن يحصى مثل:

ألا أنبئكم بخياركم ان من خياركم أحاسنكم .

إنّ أحسن الحسن الخلق الحسن .

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام .

انّ اللّه تعالى كريم حليم عظيم رحيم دلنا على أخلاقه و أمرنا بالأخذ بها و حمل النّاس عليها.

و لقد صدق من قال:

ألا في سبيل المجد ما أنا فاصل عفاف و اقدم و جزم و نايل

و إذ قد عرفت أنّ أحوال الأفعال الإنسانيّة أي الإنسانيّة التمييزيّة إنّما يتمّ بالقوى الثلاث ظهر لك أنّ فضيلة الأفعال متنوّع بحسبها فمن استقامة القوّة النطقية الّتي هي منشأ النظر في الحقائق يحصل فضيلة الحكمة و هي باعتبار تحصيلها باستعمال هذه القوّة في تحقيق اليقينيّات نوع من العمل و باعتبار حصولها في نفسها عين العلم.

فهي باعتبار الأوّل يعرف الموجودات كما هي و فعل ما ينبغي أن يفعل و هو المراد هاهنا كما سنبيّن في أنواعها، و يدل على فخامة شأنها و إنارة برهانها و سلطانها قوله تعالى:

وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً [سورة النساء: ۱۱۳].

و في كلام أمير المؤمنين عليه السّلام:

خذ الحكمة و لو من أهل النّفاق .

و بالاعتبار الثاني حصول صورة الأشياء في النّفس، قال اللّه تعالى:

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ [سورة الزمر: ۹].

و من كلامه أيضا عليه السّلام:

«لا شرف كالعلم إذا أرذل اللّه عبدا حظر عليه العلم».

و من اعتدال القوّة السبعيّة الظاهرة الطالبة للغلبة و الجاه يحدث الشجاعة و هي أمثال ما يوجبه الرّأي الصحيح

في الأقدام على المخاوف، و الصبر على الشّدائد، قال اللّه تعالى:

فَالَّذِينَ هاجَرُوا وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ أُوذُوا فِي سَبِيلِي وَ قاتَلُوا وَ قُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ [سورة آل عمران: ۱۹۵].

و قال:

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا [سورة الصف: ۴].

و من انقياد القوّة البهيميّة و مطاوعتها للقل تتولّد العفّة و هي تصريف الشهوة إلى مقتضى الرأي الصائب بترك تعبّدها ليفيد حريّة، قال اللّه تعالى:

وَ لا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ [سورة ص: ۲۶].

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

بئس العبد عبد هوى يضلّه .

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

انّ أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى و طول الأمل، فأمّا اتباع الهوى فيصد عن الحق، و أمّا طول الأمل فينسى الآخرة .

و قال عليه السّلام:

حلية المؤمن التواضع، و جماله التعفّف .

و إذا تسالمت هذه القوى و تعاونت في أفعالها و استوت حتى بلغت الغاية الّتي خلقت لها حدثت العدالة و هي مسالمة هذه القوى بعضها بعضا و الإنصاف و الانتصاف من نفسه و غيره، قال تعالى:

وَ أَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ [سورة الحجرات: ۹].

اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى [سورة المائدة: ۸].

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ [سورة النحل: ۹۰].

وَ أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ [سورة الشورى: ۱۵].

فأجناسها هي هذه الأربعة، و أنواعها كثيرة لا يكاد تحصى كثيرة، لكنّا نعد منها ما هو أظهر و أشهر.

### ۳-۲-۴-۴ الفصل الثالث في الأنواع الواقعة تحت جنس الحكمة

و هي سبعة

الأوّل صفاء الذّهن

، و هو استعداد النفس لاستخراج المطلوب، قال اللّه تعالى:

أَ فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ [سورة الزمر: ٢٢].

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

إنّ اللّه تعالى خلق الخلق في ظلمة فالقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى و من أخطأه ضلّ .

الثاني جودة الفهم

، و هي سرعة انتقال النّفس من الملزوم إلى اللّازم، قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

من فهم علم غور العلم .

الثالث، الذّكاء

، و هو سرعة انقداح النتائج، و يأوّل به قوله تعالى:

يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ [سورة النور: ٣٥].

الرّابع، حسن التّصور

، و هو البحث عن الأشياء بقدر ما هي عليه.

قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

من تبصر الفطنة ظهرت له الحكمة .

الخامس، سهولة التعلّم

، و هي قوّة النفس على إدراك المطلوب، قال اللّه تعالى:

أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ.

السّادس، الحفظ

، و هو ضبط الصّور المدركة، قال اللّه تعالى:

وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ [سورة الحاقة: ١٢].

و قال:

هذا ما تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ [سورة ق: ٣٢].

السّابع، الذّكر

، و هو استحضار المحفوظات، قال اللّه تعالى:

وَ ما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ [سورة البقرة: ۲۶۹].

### ۳-۲-۴-۵ الفصل الرّابع في الأنواع الّتي تحت الشّجاعة

و هي إثنا عشر

: الأوّل، كبر النّفس

، و هو استحقار اليسار و الاقتدار على حمل الكرامة و الصّغار، قال اللّه تعالى:

قُلْ مَتاعُ الدُّنْيا قَلِيلٌ [سورة النساء: ۷۷].

و من كلام أمير المؤمنين عليه السّلام:

من كبرت عليه نفسه هانت عليه شهوته .

الثاني، عظم الهمّة

، و هو عدم المبالات بسعادة الدّنيا و شقاوتها حتّى الموبقات، كما قال تعالى:

حكاية عن أصحاب موسى في جواب:

لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ قالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ [سورة الشعراء: ۴۹-۵۰].

و في موضع آخر:

فَاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ إِنَّما تَقْضِي هذِهِ الْحَياةَ الدُّنْيا [سورة طه: ۷۲].

الثالث، الثّبات

، و يسمّى الصبر أيضا و هي قوّة مقاومة الآلام في الأهوال و الشّدائد، قال اللّه تعالى:

وَ كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ما ضَعُفُوا وَ مَا اسْتَكانُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ [سورة آل عمران: ۱۴۶].

الرابع، النجذة

، و هي ثقة النفس بأن لا يصبها جزع عند المخاوف، قال اللّه تعالى:

وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَراتِ وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذا

أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ [سورة البقرة: ۱۵۵- ۱۵۶].

الخامس، الحلم

، و هو الطمأنينة و ترك الشغب عند سورة الغضب، قال اللّه تعالى:

وَ عِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً [سورة الفرقان: ۶۳].

ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ [سورة المؤمنون: ۹۶].

و من كلام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

ليس الشديد بالصرعة إنّما الشديد الّذي يملك نفسه عند الغضب.

السّادس، السكون

، و هو التأنّي في الخصومات و الحروب الشرعيّة و يسمّى عدم الطيش أيضا، قال اللّه تعالى:

وَ قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ [سورة البقرة: ۱۹۰].

و من كلام علي عليه السّلام:

من بالغ في الخصومة أثم .

السّابع، العفو

، و ترك الانتقام مع القدرة، قال اللّه تعالى:

وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعافِينَ عَنِ النَّاسِ [سورة آل عمران: ۱۳۴].

فَمَنْ عَفا وَ أَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ [سورة الشورى: ۴۰].

فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَ قُلْ سَلامٌ [سورة الزخرف: ۸۹].

و من كلام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

لا تكونوا إمّعة تقولون: إنّ أحسن الناس أحسنّا و إن ظلموا ظلمنا، و لكن وطّنوا أنفسكم إن أحسن النّاس أن تحسنوا و إن أساؤا فلا تظلموا .

و قال:

من كظم غيظه و هو يقدر على إنفاذه ملأ اللّه قلبه إيمانا و أمنا .

الثامن، التواضع

، و هو استعظام الرّجل ذوي الفضائل و من دونه في الجاه و المال.

قال اللّه تعالى:

وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [سورة الشعراء: ۲۱۵].

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

ما تواضع أحد للّه إلّا رفعه اللّه .

و من كلام علي عليه السّلام:

حلية المؤمن التواضع .

التاسع، الشهامة

، و هو الحرص ما يوجب الذّكر الجميل من العظام، قال اللّه تعالى:

أُولئِكَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَ هُمْ لَها سابِقُونَ [سورة المؤمنون: ۶۱].

العاشر، احتمال الكدّ

، و هو إتعاب البدن في اكتساب الحسنات، قال اللّه تعالى:

وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا [سورة العنكبوت: ۶۹].

يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً [سورة الانشقاق: ۶].

الحادي عشر، الحميّة

، و هي محافظة الملّة و الحرمة عن التهمة، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

اتّقوا مواضع التّهم .

الثاني عشر، الرّقّة

، و هي التأثّر عن أذى يصيب من النّاس بلا اضطراب، قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

ترى المؤمنين في تراحمهم و توادّهم و تعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر الجسد بالسّهر و الحمّى .

### ۳-۲-۴-۶ الفصل الخامس في الأنواع الواقعة تحت العفّة، و هي إثنا عشر

الأوّل، الحياء

، و هو انحصار النّفس خوف ارتكاب القبائح، قال النبيّ عليه السّلام:

الحياء من الإيمان .

و قال علي عليه السّلام:

من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه .

الثاني، الصبر

، و هو حبس النفس عن مطاوعة الهوى و مقاومتها إيّاه، قال اللّه تعالى:

وَ ما يُلَقَّاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا [سورة فصّلت: ٣٥].

وَ لَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ [النحل: ٩۶].

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

عليك بالصبر فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرّأس من الجسد .

و قال:

الصّبر صبران، صبر على ما تكره، و صبر على ما تحبّ .

فالقسم الأوّل هو الّذي سمّيناه الثبات في باب الشجاعة، و هذا هو القسم الثاني.

الثالث، الدعة

، و هي السّكون عند هيجان الشهوات، قال تعالى:

لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا [سورة طه:١٣١].

الرابع، الحرّية

، و هي اكتساب مال من غير امتنان، و منّه و إنفاقه في المصارف الحميدة، و من كلام النّبيّ عليه السّلام:

(لو) لأن يأخذ أحدكم حبلة جبلا فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكفّ اللّه وجهه خير له من أن يسأل النّاس .

و من كلام علي عليه السّلام:

لنقل الثقل من قلل الجبال أحبّ إليّ من منن الرّجال .

و قال:

طوبى لمن ذلّ نفسه و طاب كسبه، و خلصت سريرته، و حسنت خليقته، و أنفق الفضل من ماله و أمسك الفضل من قوله .

الخامس، القناعة

، و هي التّساهل في أسباب المعيشة و الاقتصار منها على الكفاف، و من كلام النبيّ عليه السّلام:

قد أفلح من أسلم و رزق كفافا و قنعه اللّه بما آتيه .

و قال:

ليس الغنى من كثرة المال و لكن الغنى غنى النّفس .

و قال:

أرض بما قسم اللّه لكي تكن أغنى النّاس .

و من كلام علي عليه السّلام:

القناعة كنز لا يفنى .

و قال:

كفى بالقناعة ملكا و يحسن الخلق نعيما .

السّادس، الوقار

، و هو التأنّي في التوجّه نحو المطالب، قال النبيّ عليه السّلام:

التأنّي من الرّحمن، و العجلة من الشيطان .

و قال:

من تأنّى أصاب أو كاد و من عجل أخطاء أو كاد .

السابع، المسالمة

، و هي الموادعة عند تنازع الآراء المختلفة، قال النبيّ عليه السّلام:

المسالمة خبأ العيوب .

الثامن، الرّفق

، و هو حسن الانقياد لما يؤدي إلى الجميل، و يسمى أيضا الديانة، قال اللّه تعالى:

فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً [سورة طه: ۴۴].

و قال:

لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ [سورة آل عمران: ۱۵۹].

و من كلام النبيّ عليه السّلام:

من يحرم الرّفق يحرم الخير .

و قال:

إنّ اللّه رفيق يحبّ الرّفق .

التاسع، حسن الصّمت

، و هو محبّة ما يكمل النفس.

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

الصّمت الحسن و التودّد و الإقتصاد جزء من أربع و عشرين جزءا من النبوّة.

العاشر، الورع

، و هو ملازمة الأعمال الجميلة، قال اللّه تعالى:

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ، إلى قوله: أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ [سورة المؤمنون: ۲].

و قال:

وَ مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ [سورة الروم: ۴۴].

و من كلام علي عليه السّلام:

لا معقل أحسن من الورع .

الحادي عشر، الانتظام

، و هو تقدير الأمور و ترتيبها بحسب المصالح، قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

كن مقدّرا و لا تكن مقتّرا .

و قال: لا عقل كالتدبير .

الثاني عشر، السخاء

، و هو إعطاء ما ينبغي على الوجه الّذي ينبغي، قال اللّه تعالى:

وَ ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ [سورة البقرة: ۱۱۰].

و قال:

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ [سورة البقرة: ۲۶۱].

و قال:

أَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [سورة البقرة: ۱۹۵].

و من كلام النّبي عليه السّلام:

الجنّة دار الأسخياء .

و قال: لجاهل سخيّ أحبّ إليّ من عابد بخيل .

و من كلام علي عليه السّلام:

من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة .

و هو نوع

تحته سبعة أنواع

: الأوّل، الكرم

، و هو أن يكون ذلك الإعطاء بالسهولة، و طيب النّفس في الأمور العظام، قال اللّه تعالى:

وَ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَ تَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصابَها وابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَها ضِعْفَيْنِ [سورة البقرة: ۲۶۵].

و من كلام علي عليه السّلام:

بالإفضال تعظم الاقتدار .

الثاني، الإيثار

، و هو أن يكون مع الكفّ عن حاجاته، قال اللّه تعالى:

وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ [سورة الحشر: ۹].

و قال:

وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً [سورة الإنسان: ۸].

الثالث، النيل

، و هو الغير بالخير مع خصاصته و هو أن يكون مع السرور به.

الرّابع، المواساة

، و هو أن يكون في معاونة الأصدقاء بحيث يشاركهم بباله و ماله، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

البركة في المال من إيتاء الزّكاة و مواساة المؤمنين و صلة الأقربين .

الخامس، السماحة

، و هو بذل ما لا تحب بذل على سبيل التفضيل، قال النّبي صلّى اللّه عليه و آله:

السماح رباح

و من كلام علي عليه السّلام:

كن سماحا و لا تكن مبذّرا. (في نهج البلاغة حكمة ٣٣ (كن سمحا)) .

السادس، المسامحة

، و هي ترك ما لا يحبّ تركه على سبيل التورع، قال اللّه تعالى:

وَ إِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ [سورة البقرة: ٢٨٠].

قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

من أنظر معسرا أو وسّع له أظلّه اللّه تحت ظلّ عرشه يوم القيامة، يوم لا ظلّ إلّا ظلّه .

السابع، المروّة

، و هي بدل ما لا بدّ من إفادته عرفا، قال اللّه تعالى:

وَ لا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَ السَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبى [سورة النور: ٢٢].

### ٣-٢-٤-٧ الفصل السادس في الأنواع الّتي تحت العدالة، و هي أربعة عشر

الأوّل، الصّداقة

، و هي محبّة صادقة بحيث لا يزيد لنفسه شيئا إلّا و يزيده بالخليل أوّلا مع إيثاره على نفسه في الخيرات، قال النّبي عليه السّلام:

كونوا عبادا للّه إخوانا .

و من الأحاديث الربّانيّة:

أين المتحابّون فيّ أظلّلهم في ظلّي يوم لا يظلّ إلّا ظلّي.

و من كلام أمير المؤمنين عليه السّلام:

أعجز النّاس من عجز عن اكتساب الإخوان و أعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم .

الثّاني، الألفة

، و هي اتفاق الآراء في المعاونة على تدبير المعيشة، قال اللّه تعالى:

وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً [سورة آل عمران: ۱۰۳].

و من كلام النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف و ما تناكر منها اختلف .

و قال: المؤمن إلف مألوف .

الثالث، الوفاء

، و هو ملازمة طريق المواساة و محافظة عهود الخلطاء.

قال اللّه تعالى:

وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ [سورة الأسراء: ۳۴].

بَلى مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ وَ اتَّقى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ [سورة آل عمران: ۷۶].

الرابع، التّودّد

، و هو طلب مودّة الأكفّاء و أهل الفضل بما يستلزم محبّتهم من حسن اللقاء و أمثاله، قال النّبي عليه السّلام: التودّد نصف العقل.

و قال: إنّ من المعروف أن تلقي أخاك بوجه طلق .

الخامس، المكافاة

، و هي مقابلة الإحسان بمثله أو زيادة، قال اللّه تعالى:

وَ إِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أَوْ رُدُّوها [سورة النّساء: ۸۶].

و قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

من أوتي معروفا فليكافئ به فإن لم يستطع فليذكره فإن ذكره فقد شكره .

السادس، حسن الشركة

، و هو الاعتدال في المعاملات.

قال اللّه تعالى:

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَ إِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ [سورة المطففين: ٣].

و قال:

وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ [سورة البقرة: ١٨٨].

و في موضع آخر:

فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزانَ وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ [سورة الأعراف: ٨٥].

السابع، حسن القضاء

، و هو ترك المنّ و الندم في المجازاة، قال اللّه تعالى:

هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ [سورة الرحمن: ٦٠].

الثامن، صلة الرّحم

، و هي مشاركة ذوي القرابة في الخيرات الدنيويّة، قال اللّه تعالى:

وَ الَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ [سورة الرعد: ٢١].

و قال:

وَ آتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ [سورة البقرة: ١٧٧].

و قال النّبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

أفشوا السّلام، و أطعموا الطعام، و صلوا الأرحام .

و قال:

ما من شيء أطمع اللّه فيه بأعجل ثوابا من صلة الرّحم .

التّاسع، الشفقة

، و هي صرف الهمّة إلى إزالة مكروه عن النّاس، قال النّبي عليه السّلام:

إن أحدكم مرآة أخيه فإنّ رأى به أذى فليمط عنه .

و قال:

المؤمن مرآة المؤمن لأنّه سامله فيسد فاقته و كمل حالته .

و من كلامه:

الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السّماء .

العاشر، إصلاح ذات البين

، و هو التوسط بين النّاس في الخصومات بما يدفعها، قال اللّه تعالى:

فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ [سورة الحجرات: ١٠].

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ [سورة الأنفال: ١].

و في موضع آخر:

لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ [سورة النساء: ١١۴].

الحادي عشر، التوكّل

، و هو ترك السعي فيما لا يسعه قدرة البشر، قال اللّه تعالى:

وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ [سورة الطلاق: ٣].

و قال:

وَ عَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [سورة المائدة: ٢٣].

الثاني عشر، التسليم

، الانقياد لأمر اللّه و ترك الاعتراض على ما لا يلائم الطبع من أفعاله و أفعال أهله، قال اللّه تعالى:

فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً [سورة النساء: ۶۵].

الثالث عشر، الرّضا

، و هو طيب النفس فيما يصيبه و يفوته مع عدم التغيّر، قال اللّه تعالى:

لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ [سورة الحديد: ٢٣].

الرابع عشر، العبادة

، و هي تعظيم اللّه و أهله من الأنبياء و الأولياء و الأئمّة و امتثال الأوامر و النّواهي الشّرعيّة، قال اللّه تعالى:

وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ [سورة الحجر: ٩٩].

و قال:

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ [سورة النساء: ۵۹].

هذا آخر بحث الأخلاق و أنواع فضائلها بحكم الحديث النّبوي و مناسبته لهذا الّذي سبق ذكره، بأنّ النّبيّ عليه السّلام حيث ضمّه إلى بحث الكلمات وجب انضمامه إلى بحثها.

و وجه آخر، و هو أنّ هذا كلّه أيضا كلمات اللّه المعنويّة، و مع أنّه كلمات اللّه المعنويّة يتعلّق بكلمات اللّه الصوريّة الآفاقيّة، فكان الكلّ بحث واحد، و فائدة ذلك لا يخفي على أهله، و اللّه أعلم و أحكم، و هو يقول الحقّ و هو يهدي السّبيل.

### ۳-۲-۵ البحث الخامس في تحقيق الكلمات من حيث التوحيد

اعلم، أنّ قوله:

أوتيت جوامع الكلم .

معناه: إنّي جئت جامعا للكلمات الوجوديّة الآفاقيّة المسمّاة بالمظاهر الإلهيّة، أعني جئت حتّى أجمعها بحكم التوحيد الذّاتي من كلمة واحدة جامعة للكلمات كلّها كالإنسان مثلا، أو الوجود المطلق الحقّ تعالى وحده، فإن الوجودات الخاصّة كالكلمات المتعدّدة المنحصرة كلمة الوجود المطلق، الّتي هي كلمة واحدة، حصر المقيّدات تحت المطلق، و الخاصّ تحت العام.

ثمّ الكلمة في حرف واحد الّذي هو التّعيّن الأوّل الموسوم بالباء.

ثمّ في النّقطة الوجوديّة المركزيّة الموجبة للتميّز بين العبد و الرّبّ، كما سبق ذكرها، المشار إليها في الخبر:

بالباء ظهر الوجود، و بالنّقطة تميّز العابد عن المعبود.

و تفصيل ذلك، و هو أنّه صلّى اللّه عليه و آله، حيث كان سابقا و خاتما خصّ به المبتدائيّة و المنتهائيّة، و الخفاء و الظّهور، فمرتبة خاتميّته يقتضي الظّهور و الكشف، و مرتبة مبتدائيّته يقتضي الخفاء و الكمون، و لهذا في زمان آدم و غيره من الأنبياء عليهم السّلام لم يكن للتّوحيد هذا الظّهور و الكشف، و كأنّه يقول: جئت لإظهار التّوحيد الذّاتي و أسراره و حقائقه على أتمّ ما يكون، و كنّى بهذا الجمع الكلمات، حيث كان الوجود كما يقرّر، ككتاب جامع للكلمات المذكورة من أنواع الموجودات، فحينئذ كما يرجع العارف من الآيات القرآنيّة إلى الكلمات و من الكلمات إلى الحروف، و من الحروف إلى النقطة قهقرا و يعرف من اطلاعه على النّقطة حقايق القرآن كلّها أو أكثرها، فكذلك العارف بالوجود و الكتاب الآفاقي فإنّه يرجع من الآيات الّتي هي كلّيّات العالم من العرش و الكرسي و اللّوح و القلم و السّماوات و الأرض إلى الكلمات الّتي هي المركّبات من المعدن و النّبات و الحيوان على الخصوص أو العالم مطلقا على العموم إلى الحروف الّتي هي البسايط من الأفلاك و العناصر و الحقائق و الماهيّات و من الحروف إلى حرف واحد الّتي هي الباء المعبّر عنها بالتعيّن الأوّل و الخليفة الأعظم، و من تلك الحرف إلى النّقطة الّتي تحتها ليحصل له بإطلاعه على تلك النّقطة و الباء، الإطلاع على جميع حقايق العالم أو على بعضها، و ذلك يتعلّق بالاستعداد و السرّ، و إليه الإشارة يقول العارف:

«العلم نقطة كثّرها الجهّال».

و لهذا البحث بالنسبة إلى هذه المقدّمات طول و عرض، و بالنسبة إلى التوحيد طول آخر، و قد خصّ ذلك بالمقدّمة السّابعة من المقدّمات السبعة، و هذا إيماء و إشارة بالنسبة إلى ذلك و الحق تكفى الإشارة، و حيث قيل:

خير الكلام ما قلّ و دلّ و لم تملّ.

و نحن في بحث الكلمة، فالاقتصار في الكلام يكون مستحسنا.

و اللّه يقول الحق و هو يهدي السبيل.

و هذا آخر المقدمة الرابعة المتعلّقة بالكلمات الآفاقيّة و تحقيقها، و إذا فرغنا منها فلنشرع في الخامسة و باللّه التوفيق.

## ۴- المقدّمة الخامسة في تحقيق الآيات الآفاقيّة و تطبيقها بالآيات القرآنية على سبيل الإجمال

و التفصيل مطابقة بالآيات الأنفسيّة اعلم، أن آيات اللّه تعالى ليست مخصوصة بالآيات القرآنيّة و غيره من الكتب السّماويّة، بل كلّ ما في الوجود من الموجودات العينيّة و الخارجيّة، روحانيّة أو جسمانيّة يصدق عليها أنّها آيات اللّه الآفاقيّة كما سبق ذكرها مرارا، لأنّا إذا بيّنا أنّ العالم بأسره كتاب اللّه الجامع و حروفه مفردات العالم، و بسائطه و كلماته مركّبات العالم و مشخّصاته، و آياته كلّيّات العالم و أنواعه، فقد تحقق أنّ الموجودات كلّها آياته لكن هذا يكون إجماليّا لا تفصيليّا و المراد هاهنا تفصيليّ، فلنشرع و نقول:

اعلم انّه قد سبق في تأويل قوله تعالى:

سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ [سورة فصّلت: ۵۳].

أنّ الآفاق يجب أن يكون كتابا جامعا للآيات و الكلمات و الحروف، و كذلك الأنفس لأن الآيات لا يكون مركّبة إلّا من الكلمات كما أنّ الكلمات لا يكون مركّبة إلّا من الحروف، و الكلمات، و الحروف لا يكون مجتمعة إلّا في الكتاب، لأنّ الآيات كما هي عبارة عن هيئة جامعة مركّبة من الكلمات، فكذلك الكلمات فإنّها عبارة عن هيئة جامعة مركّبة من الحروف، و كذلك الحروف فإنّها عبارة عن هيئة جامعة من النقط، و النقط و الحروف و الكلمات و الآيات لا يكون مجتمعة إلّا في الكتاب، فبهذا الإعتبار و بمقتضى هذا التّرتيب سمّي العالم كتابا جامعا، و ما في ضمنه من الموجودات حروفا و كلماتا و آياتا، و الحكمة في ذلك أنّ الكتاب القرآني و آياته و كلماته و حروفه كما هو سبب تجلّي الحقّ للخلق في صورة هذه الثلاث ظاهرا و باطنا بحكم الخبر المذكور:

لقد تجلّى اللّه لعباده في كتابه و لكن لا يبصرون.

يكون الكتاب الآفاقي كذلك، أي سببا لتجلّي الحقّ في صورة مخلوقاته و موجوداته صورة و معنى بحكم الآية و ما يتبعها من الآيات، و هي قوله:

سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلا

إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ [سورة فصّلت: ۵۳- ۵۴].

و كان قوله تعالى كما أشرنا إليه مرارا:

قُلْ فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدى مِنْهُما أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ [سورة القصص: ۴۹].

إشارة إلى هذين الكتابين أي الآفاقي و الأنفسي، لأنّه ليس هناك كتاب أهدى منهما إلى اللّه تعالى أصلا و أبدا، لأنّه لو كان ما أخبر اللّه تعالى بهذا في حقّهما و خبر اللّه تعالى لا يكون خلاف الواقع قطّ لأنّ تصوّر هذا يوجب الكفر فكيف بالوقوع، تعالى اللّه عن ذلك علوّا كبيرا، و إذا عرفت هذا، فاعلم، أنّ قوله:

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [سورة البقرة: ۱۶۴].

إشارة إلى تعيين آياته الآفاقيّة كالأفلاك و الأجرام و العلويّات و الرّوحانيات، لأنّ المراد بالسّماوات، الرّوحانيّات العلويّات، و بالأرض، الجسمانيّات السّفليّات، و هذا إخبار بالظّرف عن المظروف، كما قال في حقّ نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لولاك لما خلقت الأفلاك.

و معناه أي، لو لا أنت و أهل بيتك لما خلقت العالم و ما فيه، لأنّ الأفلاك ظرف العالم، و العالم مظروفه، فكذلك السّماوات و الأرض، و قيّد تعقل هذا المعنى بقوم يكون لهم هذا الاستعداد و القابليّة من حيث تصرّف العقول في الأشياء و معارفها، لأنّه لو كان بالنسبة إلى طائفة أعلى منهم لقال: أو لو الألباب و أولو النهي كما قال في موضع بقوله:

إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي النُّهى [سورة طه: الآية ۱۲۸].

إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِأُولِي الْأَلْبابِ [سورة الزّمر: ۲۱].

و ذلك لأنّ مرتبة الإدراك التعقّل الصّرف في الأزل، ثمّ يصعد إلى العقل بالفعل، ثمّ العقل المستفاد، ثمّ إلى اللّبّ، ثمّ إلى النّهى، ثمّ إلى فوق ذلك من البصيرة و الكشف و الشّهود الّذي هو آخر المراتب لقول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

إنّ للقرآن ظهرا و بطنا و لبطنه بطنا إلى سبعة أبطن.

كما بيّناه بقسيمه في المقدّمة الأولى.

و أمّا قوله:

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ وَ هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِيها رَواسِيَ وَ أَنْهاراً وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِيها زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَ فِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ وَ جَنَّاتٌ مِنْ أَعْنابٍ وَ زَرْعٌ وَ نَخِيلٌ صِنْوانٌ وَ غَيْرُ صِنْوانٍ يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ وَ نُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ

فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [سورة الرّعد: ٢- ۴].

## ۴-۱ (في أنّ مبادئ الإدراك ثلاثة: الكشف و التفكّر و التعقّل)

فذلك تصريح بمطلوبنا، و هو أن الموجودات كلّها آيات اللّه الّتي هي في ضمن الكتاب الآفاقي، و مع ذلك فيه رعاية الترتيب المذكور من الإدراكات لأنّ المرتبة الأولى الّتي هي مرتبة أرباب اليقين و الكشف و الشّهود، ذكرها في الأولى و خصّصها بالعلويّات كالعرش و الكرسي و الأفلاك و الأجرام و ما يتعلّق بها من الشّمس و القمر و جريانهما و قيّد المجموع باللّقاء و الرؤية و الكشف و المشاهدة، لقوله: بلقاء ربّكم يوقنون. و معلوم أنّ اليقين خصوصا عين أو حقّ اليقين نهاية المراتب في الكشف و الشّهود، لقوله تعالى في حق إبراهيم عليه السّلام:

وَ كَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ [سورة الأنعام: ٧۵].

و لقول أمير المؤمنين عليه السّلام حيث كان في هذا المقام:

لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا و المرتبة الثّانية، مرتبة أرباب الفكر و المتوسّطين من أهل السّلوك، ذكرها في الوسط و خصّصها بالأرض و ما يتعلّق من الموجودات المركّبة كالجبال و البحار و الأنهار و الأشجار، و اختلاف الليل و النهار، لقوله:

وَ هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ ... [سورة الرعد: ٣].

و علّة خصوصيّة الفكر بأرباب الأوساط دون أهل الكتاب لأنّ في البداية و الوسط ليس الفكر بمذموم كما هو في الأخير و النّهاية، فإنّ في النهاية طرح الأفكار و إسقاط تصرّف العقول واجب، كما قال العالم الرّباني عليه السّلام:

عرفت اللّه بترك الأفكار.

و كما قال النبيّ عليه السّلام:

لا تتفكّروا في ذات اللّه بل تتفكّروا في آلاء اللّه.

لأنّه كان عارفا بأنّ الفكر معزول عن تلك الحضرة، مطروح على سدنة بعض الأبواب.

و المرتبة الثّالثة، الّتي هي مرتبة المبتدئين و أرباب التعقّل الصّرف، و وظيفة العوام، و أهل الظّاهر، ذكرها في الأخير لأنّهم بالنّسبة إلى هذا التّرتيب كانّهم من القشريّين بالنّسبة إلى اللّبّ و لبّ اللّبّ، لقوله تعالى:

يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ [سورة الرّوم:٧].

و هذا ترتيب من العلو إلى السّفل و من الأشرف إلى الأدون، و هذا مستحسن عند الأكثر، بل الوجود ترتيبه على هذا النسق كما سبق ذكره بوجوه مختلفة، و من هذا قال فيهم:

فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً [سورة النساء: ٧٨].

و التّفقّه، التفكّر في العلوم و الحقائق المستخرجة من الآيات و الكلمات، و الّذي أورد من لسانهم في القيامة أيضا دالّ على ذلك، و هو قولهم:

لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما كُنَّا فِي أَصْحابِ السَّعِيرِ [سورة الملك: ١٠].

و معلوم انّهم بحسب الظّاهر كانوا يسمعون و يعقلون لكن من حيث الباطن الّذي هو الفكر و التّصرّف في المعاني كانوا غافلين عنه محجوبين عن دركه كما قال تعالى فيهم:

أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها [سورة محمد: ٢٤].

و قال:

وَ كَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْها وَ هُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ [سورة يوسف: ١٠٥].

و هذه الآية من جملة البراهين القاطعة على دعوانا بأنّ السّماوات و الأرض و ما بينهما آيات اللّه و كلماته و أمثال ذلك كثيرة في القرآن مثل قوله:

وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ [سورة الرّوم: ٢١].

و قوله:

وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ [سورة الرّوم:٢٠].

و قوله:

وَ مِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَثَّ فِيهِما مِنْ دابَّةٍ وَ هُوَ عَلى جَمْعِهِمْ إِذا يَشاءُ قَدِيرٌ [سورة الشورى: ٢٩].

و قوله:

وَ مِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوانِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ وَ مِنْ آياتِهِ مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ ابْتِغاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ [سورة الرّوم: ٢٢- ٢٣].

و قوله:

إِنَّ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ فِي خَلْقِكُمْ وَ ما يَبُثُّ مِنْ دابَّةٍ آياتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ [سورة الجاثية: ٤].

و قوله:

وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ آياتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [سورة الجاثية: ٥].

و قوله:

وَ مِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [سورة الرّوم: ۲۴].

و قوله:

وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذا دَعاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ وَ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلى فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [سورة الرّوم: ۲۵- ۲۷].

و بل ثلث القرآن يكون مشتملا على ذكر الآيات و ترتيبها و تحقيقها، و الكلّ شاهد على ما ذهبنا إليه، و الّذي شهد به القرآن: بأنّ العالم المسمّى بالآفاق و الكتاب الكبير مشتمل على آياته و كلماته و حروفه.

و إذا عرفت هذا،

## ۲-۴ (في انّ مطالعة القرآن، كما هي مخصوصة و شاملة إلى أهل الظاهر و الباطن معا فكذلك مطالعة آيات اللّه الآفاقيّة)

فاعلم، أنّ مطالعة آيات القرآن كما هي مخصوصة بطوائف مختلفة من الّذين سبقت ذكرهم بالنّسبة إلى أهل الظّاهر كعلماء العربيّة بأسرها كاللّغة و النّحو و الصّرف و المعاني و البيان و غير ذلك من الأصول و الفروع و الحديث، و الأخبار المنحصرة في السّبعة إجمالا تطبيقا بالقول النّبوي:

انّ للقرآن ظهرا و بطنا و لبطنه بطنا إلى سبعة أبطن.

و أمّا بالنّسبة إلى أهل الباطن، فكالعالم بعلم التوحيد و أسراره و حقائقه، و علم الذّات و الصّفات و الأفعال، و علم النبوّة و الولاية و الرّسالة، و علم الوحي و الإلهام و الكشف، و علم الإسلام و الإيمان و الإتقان، و علم الحشر و النّشر و المبدأ و المعاد، و علم البرازخ المبتدائيّة و المنتهائيّة، و علم الثّواب و العقاب، و أمثال ذلك المنحصرة في السبعة أيضا إجمالا لا تفصيلا مطابقا للظّاهر، لأنّ لكلّ ظاهر باطن كما أنّ لكلّ باطن ظاهر، فكذلك مطالعة آيات اللّه الآفاقيّة، فإنّها أيضا مخصوصة بطوائف مختلفة من أهل الظّاهر و أهل الباطن.

أمّا أهل الظّاهر، فمنهم المتدبّر و المتفكّر و المتعقّل و المؤمن و المتفقّه و المتوسّم و المتذكّر كما سبق ذكرهم عند بحث التّقوى.

و أمّا أهل الباطن، فمنهم المتّقين، و المحقّق، و الموحّد، و العارف، و الكامل، و الراسخ، و قد شهد القرآن بتعداد هذه الطوائف كلّها كما عرفتها في المقدّمات السابقة.

فالطائفة الأولى مثلا كما يمكن تخصيص المعاني المذكورة بهم بالطايفة الأخيرة، منهم الّذي هو العالم، فكذلك الطّائفة الثانية فإنّه يمكن تخصيص المعاني المخصوصة بهم من حيث الباطن بالطّايفة الأخيرة، منهم الّذي هو الرّاسخ لأنّ الأعلى منهم دائما جامع للأدون من غير العكس حتّى الأخير فإنّه جامع للكلّ، و قد عرفت هذا

أيضا في بحث الرّسالة و النبوّة و الولاية، و خصوصيّة مشرب كلّ واحد منهم بنفسه دون الغير، فإنّ مشرب الولاية ليس مشرب النبوّة، و لا مشرب النبوّة مشرب الرّسالة، و كذلك جميع المراتب و الأطوار المشتملة على الإدراكات و المشارب المتناهية بحسب الكلّيّات الغير المتناهية بحسب الجزئيّات، لقوله تعالى:

يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ وَ نُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ [سورة الرعد: ۴].

فإنّ هذا إشارة إلى كثرة المشارب مع أنّها في الحقيقة واحدة، لقوله تعالى:

وَ ما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ [سورة القمر: ۵۰].

و ذلك يعرف من أطوار الإنسان و إدراكاته في كلّ طور من أطواره مثلا، فإنّ إدراك الطّفل الرّضيع فوق إدراك الجنين، مع أنّ الجنين له إدراك خاصّ، و كذلك الطفل المتميّز فإنّ إدراكه فوق إدراك الطفل الرّضيع مع أنّ الرّضيع له إدراك خاصّ، و كذلك الشّابّ العاقل فإنّ إدراكه فوق إدراك الطّفل المتميّز، و كذلك الرجل الكهل بالنّسبة إلى الشّاب، و كذلك الشّيخ بالنسبة إلى الكهل، فكذلك كلّ طائفة من الطوائف السّبعة المذكورة كالعارف و المحقق، و الموحّد، و الموقن، و الكامل، و المكمّل، و الرّاسخ، فإنّ إدراك كلّ واحد منهم خلاف ذلك الآخر كالولاية، و الّذي في طورها بالنّسبة إلى النّبوة، و كالنبوّة و الّذي في طورها بالنسبة إلى الرّسالة، و كالرّسالة و الّذي في طورها، فإنّها الغاية.

فالطّائفة الّتي طورهم إدراكات المحسوسات هم محرومون من إدراكات العقول كالبهائم بالنّسبة إلى الإنسان، و الطائفة الّتي طورهم إدراكات المعقولات هم محرومون من إدراكات أهل الشّهود، و أرباب الذّوق و أرباب الشّهود إلى أهل الولاية كذلك، و أهل الولاية بالنسبة إلى النّبوة كذلك، و أهل النّبوة بالنّسبة إلى الرّسالة كذلك، و فوق كلّ ذي (علم) عليم، و لهذا يكون الوليّ دائما تابعا للنبيّ، و النبيّ تابعا للرّسول، لأنّه ليس فوق إدراك الرّسالة مدرك، و تلك الأمثال نضربها للنّاس و ما يعقلها إلّا العالمون.

و الغرض من ذلك كلّه أنّ العالم بالعلوم السبعة المذكورة المخصوصة بالطايفة السبعة المعلومة، كما أنّه إذا نظر إلى آية من آيات القرآن حصل له المعاني السّبعة المذكورة دون الطوائف الّتي هم تحته، فالعالم الرّاسخ في العلوم السّبعة المخصوصة بهم كذلك، فإنّه إذا نظر إلى آية من آيات الكتاب الآفاقي له المشاهدة السّبعة المخصوصة بالطّايفة السبعة.

### ۳-۴ (في كيفيّة مطالعة أهل الظاهر و أهل الباطن في القرآن و الآفاق)

فكما أنّ مطالعة آيات القرآن و مشاهدة معانيه و أسراره ليس إلّا وظيفة أرباب العقول السّليمة المتمكّنون من استخراج المعارف و الحقائق منه، فكذلك مطالعة آيات الآفاق، و مشاهدة معانيه و أسراره ليس إلّا وظيفة أرباب الكشف و الذّوق المتمكّنون من الإطلاع على حقائقها و دقائقها لقوله تعالى:

وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ [سورة آل عمران: ۷].

فأرباب الظّاهر بالنسبة إلى القرآن كأنّهم وقفوا على تحصيل العلوم الظاهرة السبعة المتعلّقة بالقرآن و لا تجاوزوا عنها من علم اللغة و النحو، و الصرف، و القراءات، و التّفسير و الأحكام الظّاهرة و القصص و الأمثال و غير

ذلك. و أرباب الباطن ما رضوا بهذا بل شرعوا فيه بحسب التأويل و استخرجوا منه المعاني الشريفة و المعارف الدّقيقة مطابقا للظاهر غير مانعة عنه، فكذلك أرباب الظّاهر بالنّسبة إلى الآفاق و آياته فإنّهم وقفوا على مشاهدة الملك و عالم الحسّ الظاهر من الأفلاك السّبعة العلويّة، أو العناصر و المواليد السّبعة السّفليّة و لا يتجاوزوا عنها بل رضوا بمعرفة ظواهرها و المشهور منها.

و أرباب الباطن ما رضوا به بل شرعوا في مشاهدة الملكوت و عالم الغيب من العقول و النّفوس و الأرواح المجرّدة المندرجة تحت تلك العوالم، لقوله تعالى:

بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ [سورة يس: ٨٣].

حتّى شاهدوا ما شاهدوا و عرفوا ما عرفوا و ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء و اللّه ذو الفضل العظيم.

فكلّ من شاهد و طالع الكتابين المذكورين على الوجه المذكور و الترتيب المعلوم استدلّ من الأوّل على الثّاني، و وصل من اللفظ إلى المعاني و صعد من الملك إلى الملكوت و من الملكوت إلى الجبروت، و شاهد و عرف أنّ جميع ما في الوجود الموجودات الروحانيّة و الجسمانيّة اللّطيفة و الكثيفة آية من آيات اللّه، و علامة من علاماته يستدلّ بها على ذاته و صفاته و أقواله، لقوله:

سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ [سورة فصّلت: ٥٣- ٥٤].

لأنّ هذه الأمّة مخصوصة بهذه المشاهدة فقط كما بيّناه مرارا و سنبينها إن شاء اللّه، و فيه قيل:

و في كلّ شيء له آية تدلّ على انّه واحد

فويل ثمّ ويل على من يكون محروما من هذه المطالعة، ممنوعا من هذه المشاهدة موقوفا على ظواهر الآيات، و ظواهر الأشياء، داخلا في حكم قوله تعالى:

يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ [سورة الرّوم: ٧].

و كانّه تعالى بالنسبة إليهم قال:

هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً أُولئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَ لِقائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَزْناً ذلِكَ جَزاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِما كَفَرُوا وَ اتَّخَذُوا آياتِي وَ رُسُلِي هُزُواً [سورة الكهف: ١٠٣- ١٠٦].

و الآيات الدالّة على مذمّة هؤلاء الّذين غفلوا عن مطالعة آياته القرآنيّة و مشاهدة آياته الأنفسيّة كثيرة، و ذكر الكلّ متعذّر لكن لا بدّ من بعضها تنبيها و تعريضا قبل أن نشرع في إتمام البحث الّذي كنّا في صدده، فمن الآيات قوله تعالى:

وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ وَ لَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَ لكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا

بآياتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ساءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ أَنْفُسَهُمْ كانُوا يَظْلِمُونَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَ مَنْ يُضْلِلْ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ [سورة الأعراف: ۱۷۵- ۱۷۸].

فإنّ هذا و إن كان خاصّ بقصّة بلعام بن باعورا، الّذي كان من علماء اليهود و أحبارهم، لكن هو خطاب إلى عموم المسلمين و تفريع لهم على سبيل التّنبيه و الاستهزاء، و يدلّ عليه قوله:

فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ، إلى آخره [سورة الأعراف: ۱۷۶].

لأن بلعام بسبب إعراضه عن مطالعة آياته المعنويّة كالقرآن، و آياته الصّوريّة كالآفاق صار مسخا بصورة الكلب أو الخنزير على اختلاف الرّوايات صورة كان أو معنى، و على جميع التقادير صار مستحقا لغضب اللّه و سخطه نعوذ باللّه منه.

و منها قوله تعالى:

سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ الَّذينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها وَ إِنْ يَرَوْا سَبيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبيلًا وَ إِنْ يَرَوْا سَبيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبيلًا ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ كانُوا عَنْها غافِلِينَ وَ الَّذينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ لِقاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا ما كانُوا يَعْمَلُونَ [سورة الأعراف: ۱۴۶- ۱۴۷].

فإنّ هذا قريب إلى القول الأوّل لفظا و معنى.

و منها قوله تعالى:

قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمى وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً قالَ كَذلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها وَ كَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى [سورة طه: ۱۲۶].

و قوله تعالى:

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآياتِ اللَّهِ وَ صَدَفَ عَنْها سَنَجْزِي الَّذينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آياتِنا سُوءَ الْعَذابِ بِما كانُوا يَصْدِفُونَ [سورة الأنعام: ۱۵۷].

و قوله تعالى:

وَ أَمَّا الَّذينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ لِقاءِ الْآخِرَةِ فَأُولئِكَ فِي الْعَذابِ مُحْضَرُونَ [سورة الرّوم: ۱۶].

و قوله تعالى:

تِلْكَ آياتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَديثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَ آياتِهِ يُؤْمِنُونَ [سورة الجاثية: ۶].

و قوله تعالى:

إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ كَلَّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ [سورة المطفّفين: ۱۳- ۱۵].

و قوله تعالى:

أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها [سورة محمّد: ۲۴].

و معلوم أنّ هذه الأقوال راجعة إلى جماعة هم معرضون عن آياته، إمّا بالإنكار و عدم القبول مطلقا كالكفّار و المشركين و المنافقين و اليهود و النصارى و المجوس و أمثالهم، و إمّا بالإعراض عنها و عدم القيام بعجائبها و إدراك معانيها.

و عند التحقيق أكثر هذه الإشارات إشارة إلى المعرضين عنها بعد القبول و الإقرار بها كالمسلمين المنحرفين عن فحاويها على ما هي عليها في نفس الأمر و الواقفين على ظواهرها آفاقية كانت الآيات أو قرآنية، و الّذي يفهم من هذه الأقوال و هو أنّه تعالى نظره كان على الآيات الآفاقيّة أكثر و يعضد ذلك قوله:

وَ كَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْها وَ هُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ [سورة يوسف: ۱۰۵].

و قوله:

سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ [سورة فصّلت: ۵۳- ۵۴].

أَ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ما خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُسَمًّى وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ لَكافِرُونَ [سورة الرّوم: ۸].

و بالجملة جعل المنكر لآياته الآفاقيّة و القرآنيّة مطلقا، و المقرّ الّذين لا يقوم بهما على ما هي عليهما تارة كالكلب و تارة كالبهائم و تارة كالسبع، و تارة كالمشرك، و تارة أعمى، و تارة أصمّ، و تارة أبكم، و فاسقا و محجوبا، و غافلا و ميّتا، و مريضا، حتّى جعلهم شرّ الدّوابّ، لقوله:

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ [سورة الأنفال: ۲۲].

و الدليل على ذلك غير ما قلناه قبل هذا، قوله:

لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَ لَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ [سورة الأعراف: ۱۷۹].

و قوله:

لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَ لكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ [سورة الحج: ۴۶].

و قوله:

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ [سورة البقرة: ۱۷۱].

و قوله:

وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قالُوا سَمِعْنا وَ هُمْ لا يَسْمَعُونَ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ [سورة الأنفال: ۲۲].

و غير ذلك من الأقوال لأنّ هذا الصمّ و العمى و البكم و غيرها من الأوصاف ليس بحسب الصّورة لأنّهم بحسب الصّورة كانوا يسمعون و ينطقون و يبصرون بل كان بحسب المعنى و يؤكّد ذلك قوله أيضا:

إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى وَ لا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَ ما أَنْتَ بِهادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنا فَهُمْ مُسْلِمُونَ وَ إِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذا جاؤُ قالَ أَ كَذَّبْتُمْ بِآياتِي وَ لَمْ تُحِيطُوا بِها عِلْماً أَمَّا ذا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَ وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِما ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنْطِقُونَ [سورة النمل: ٨٠- ٨٥].

و هذا إشارة إلى عمائهم و عدم استعدادهم في المعاد بسبب إنكارهم الآية و عدم شروعهم فيها بحسب البصيرة و الباطن دون البصر و الظّاهر حتّى جعلهم كافرا، لقوله:

وَ كَذلِكَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ فَالَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مِنْ هؤُلاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الْكافِرُونَ [سورة العنكبوت: ۴۷].

و لقوله:

وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ [سورة المائدة: ۴۴].

وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ [سورة المائدة: ۴۷].

وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [سورة المائدة: ۴۵].

فكيف يكون حال طائفة يكونون هم أعظم من الملائكة في الشّرف و الرّتبة، و بل أشرف من جميع الموجودات و المخلوقات في الصّورة و المعنى، بأفعالهم و إهمالهم أوامر اللّه تعالى و مشاهدة آياته في الآفاق و الأنفس و القرآن الجامع بينهما بحيث يسميهم اللّه تعالى كافرا و كلبا و خنزيرا و منافقا و مشركا و دوابّا، و يجعلهم أحسن منهم في الدنيا و الآخرة، نعوذ باللّه من هذا، فيجب على كلّ عاقل حينئذ الانتباه من نوم الغفلة، و التّيقظ من رقدة الجهالة، فإنّ العاقل لا يرضى لنفسه أن يكون متصفا بهذه الأوصاف، مخلّقا بهذه الأخلاق، لأنّه إذا تنبه و تيقظ و رجع إلى اللّه تعالى بالتّوبة و الإنابة، و قام بعبادته حقّ العبادة فتح عين بصيرته و كشف عن عين قلبه غطاء الأنانيّة و الغيريّة و أدخله في عبادة الّذين حصل لهم هذه المطالعة في آياته القرآنيّة و الآفاقيّة، و وصلوا إلى مشاهدته فيهما كشفا و عيانا و ذوقا و وجدانا و صار من الّذين يشربون من رحيق مختوم ختامه مسك من جنّات الذّات و الصّفات و الأفعال و المعارف و الحقائق مطلقا، لقوله تعالى فيهم:

كَلَّا إِنَّ كِتابَ الْأَبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَ ما أَدْراكَ ما عِلِّيُّونَ كِتابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرائِكِ يَنْظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتامُهُ مِسْكٌ وَ فِي ذلِكَ فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ وَ مِزاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ [المطفّفين: ١٨- ٢٨].

و إن لم يفعل ذلك و يبقى على حاله الّذي هو عليه من الجهل و الغفلة يكون حاله بعكس ذلك في العاجل و الآجل، و المبدأ و المعاد و يصير مستحقّا للحميم و الزّقوم و الغسلين و يدخل مدخل الفجّار و الكفّار و الأسرار، لقوله تعالى فيهم:

هذا وَ إِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها فَبِئْسَ الْمِهادُ هذا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَ غَسَّاقٌ [سورة ص: ۵۵- ۵۷].

و يصدق عليه كل ما يصدق عليهم، لقوله تعالى أيضا:

إِنَّ كِتابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ وَ ما أَدْراكَ ما سِجِّينٌ كِتابٌ مَرْقُومٌ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ وَ ما يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ كَلَّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصالُوا الْجَحِيمِ ثُمَّ يُقالُ هذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ [سورة المطفّفين: ۷- ۱۷].

و كلّ ذلك لعدم مطالعته الآيات القرآنيّة الجمعيّة و عدم مشاهدته الآيات الفرقانيّة الآفاقيّة.

و الحمد للّه الّذي هدانا لهذا و ما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه، و نعم ما قال تعالى جلّ ذكره بالنّسبة إلى الطائفة الأخيرة الموسومة بالفجّار الّتي هي في مقابلة الأبرار و هو قوله:

إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَ إِذا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغامَزُونَ وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ وَ إِذا رَأَوْهُمْ قالُوا إِنَّ هؤُلاءِ لَضالُّونَ وَ ما أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حافِظِينَ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرائِكِ يَنْظُرُونَ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ ما كانُوا يَفْعَلُونَ [سورة المطفّفين: ۲۹- ۳۶].

و المراد بذلك أن في زمان النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كانوا هناك جماعة يستهزئون بأهل اللّه و أرباب التّوحيد و التأويل و يتغامزون في حقّهم و ينكرون على طريقتهم، لا اليوم خاصّة، و عند التّحقيق ليس إنكار هذا اليوم إلّا نتيجة ذاك اليوم لأنّ هؤلاء المنكرين الّذين هم في هذا الصّدد ليسوا إلّا أولادهم و أولاد أولادهم لقولهم:

إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ [سورة الزّخرف: ۲۳].

نعوذ باللّه منهم و من أمثالهم، و نعم ما قال الشاعر في هذا المعنى:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني  أو كنت تعلم ما نقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي و عذلتني  و علمت أنّك جاهل فعذرتكا

وَ كَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ [سورة الأنعام: ۱۱۲].

و إذا تقرّر هذا، و تحقّق أنّ مطالعة الآيات القرآنيّة موقوفة على مطالعة الآيات الآفاقيّة، و ثبت أنّ معرفة اللّه تعالى حقيقة أعني من حيث الكشف و الشهود موقوفة على مطالعتهما فلنشرع في تأويل بعض الآيات المتعلّقة بهذا البحث لئلّا يتوهّم الجاهل أنّ هذا الكلام كلام من غير أصل و لا حاصل له، لأنّ كلّ شخص يكون عاريا عن فضيلة لا يصدّق بوجود تلك الفضيلة في بعض آخر و بل ينكر عليه.

## ۴-۴ في انّ معرفة الحقيقي موقوفة على مطالعة القرآن و الآفاق معا

و هذا البحث و هذا التأويل نجعله في قاعدتين:

الأولى، في تأويل قوله تعالى:

سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ [سورة فصّلت: ۵۳].

و الثّانية، في قوله تعالى:

اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ [سورة النور: ۳۵].

و نبسط فيهما الكلام على ما ينبغي ليتحقّق عندك هذا البحث على ما هو عليه في نفس الأمر و اللّه يقول الحقّ و هو يهدي السبيل.

### ۱-۴-۴ القاعدة الأولى

الّتي هي في تأويل قوله:

سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ [سورة فصّلت: ۵۳].

فاعلم، أنّ قوله: سنريهم إلى آخره، معناه أنّه يقول لعباده المخلصين: سنكمل عين بصيرتكم بنور عنايتنا و هدايتنا ليحصل لكم بذلك استعداد مطالعة آياتنا الآفاقيّة و الأنفسيّة و قابليّة مشاهدتنا العيانيّة في ضمن كلّ واحدة منها و يتبين لكم انّه ليس في الوجود غيرنا و غير أسمائنا و صفاتنا و أفعالنا لأنّ غيرنا ليس إلّا العدم المحض و اللّاشيء الصّرف، و لهذا قال العارف من عبادنا: ليس في الوجود سوى اللّه تعالى و أسمائه و صفاته أفعاله فالكلّ هو و به و منه و إليه، و قلنا نحن بأنفسنا:

كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [سورة القصص: ۸۸].

ليعلم أنّ كلّ ما يقع على اسم الشيء غير ذاتنا فهو هالك في نفس الأمر أزلا و أبدا لأن الوجود المضاف إليه وجود مجازي عارضيّ اعتباريّ في معرض الزّوال و الهلاك دائما أبدا، و لهذا أكّدنا بقولنا أيضا و قلنا:

كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ [سورة الرّحمن: ۲۷].

لأنّ الكلّ عند التحقيق معرض الفناء و الهلاك حيث ماله وجود حقيقي، و فيه قيل:

الباقي باق في الأزل و الفاني فان لم يزل

و قيل في جواب: كان اللّه و لم يكن مع شيء: الآن كما كان .

لأنّه ليس في الحقيقة معه غيره، لأنّ غيره عدم صرف و لا شيء محض وليه له قوّة المعيّة مع الوجود، و لا الحقّ تعالى جلّ ذكره:

و الوجه باتّفاق عبارة عن وجوده و ذاته و حقيقته فيكون تقديره أنّ كلّ شيء غير ذاته و وجوده و حقيقته، فان هالك مضمحلّ، و هذا هو الصّحيح الواقع لقوله أيضا:

هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [سورة الحديد: ۴].

لأنّ الأوصاف الأربع شامل لجميع الجهات و جميع الأوصاف المترتبة عليها و لهذا قال:

فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ [سورة البقرة: ۱۱۵].

لأنّ الوجه ليس إلّا الذات، و الذّات هو الوجود، و الوجود هو المحيط المطلق، و جميع الأشياء محاطاته و مقيّداته كما قال:

إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ [سورة فصّلت: ۵۴].

و إذا تقرّر هذا، فاعلم، أنّ المحيط لا ينفك عن المحاط و لا المحاط عن المحيط و مع ذلك لا يكون مخصوصا بمحاط دون محاط و لا بجهة دون جهة بل يكون بالنّسبة على الكلّ على سواء، و هذا يسمّى إحاطة وجوديّة و معيّة عامّة، فأمّا الإحاطة الصفاتيّة و المعيّة الفعليّة فتلك للأنبياء و الرّسل و الأولياء و الكمّلين و تلك أعزّ من الكبريت الأحمر و الغراب الأبيض و قد سبق ذكرها مرارا.

و أمّا المعيّة العامّة الوجوديّة فتلك معلوم من قوله:

إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ [سورة فصّلت: ۵۴].

لكن قوله تعالى عقيب الآية:

أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ.

يشهد بذلك صريحا، لأنّه يقول على سبيل التنبيه، أي لم يكف لعبادنا في مشاهدتنا إنّهم يشاهدونا في كلّ ذرّة من ذرّات الوجود و مظهر من مظاهره في كلّ لمحة و لحظة و بل في كلّ آن حتّى يرجعون لقاءنا و ينتظرون شهودنا في مشهد غير هذا المشهد و يوم غير هذا اليوم و كيف يمكن مشاهدة المحيط بدون مشاهدته في المحاط أو مع المحاط و كيف يتصوّر مشاهدة المطلق بدون مشاهدة المقيّد لأن المحاط عين المحيط بوجه و إن كان بوجه آخر غيره، كذلك المقيّد فلا يمكن حينئذ مشاهدة المحيط إلّا في المحاط، و لا مشاهدة المطلق إلّا في المقيّد و لهذا قال:

أعلم الخلق بذلك و هو نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله:

من عرف نفسه فقد عرف ربّه.

و قال:

من رآني فقد رأى الحقّ .

و قال غيره:

ما رأيت شيئا إلّا و رأيت اللّه فيه قبله.

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

مع كلّ شيء لا بمقارنة و غير كلّ شيء لا بمزايلة .

ليعلم أنّ المقارنة يكون بين الشيئين أو بين الجسمين و ليس هناك في الحقيقة إلا شيء واحد فكيف يتصوّر المقارنة بين الشيء و نفسه، كذلك المزايلة فإنّ المزايلة هي إزالة الشيء عن شيء آخر و ليس هناك شيئان حتّى يتصوّر هذا فلا يزول الشيء عن نفسه أصلا، و لهذا قال عليه السّلام:

و إنّه لبكلّ مكان و مع كلّ إنس و جانّ، و في كلّ حين و أوان.

و قال:

و لا يجنّه الظهور عن البطون و لا يقطعه البطون عن الظهور ظهر فبطن، و بطن فعلن، و قرب فنال، و علا فدنا، و دان و لم يدن.

و قال:

و الشاهد لا بمماسّة، و الباطن لا بتراخي مسافة، و الظاهر لا برؤية، و الباطن لا بلطافة، بان من الأشياء بالقهر لها و القدرة عليها، و بانت الأشياء منه بالخضوع له و الرّجوع إليه .

و كلّ ذلك إشارة إلى وحدته الذاتيّة الوجوديّة، و ظهوره في المراتب الأسمائيّة و الصفاتيّة المسمّاة بالكلمات و الآيات الإلهيّة مطابقا للأقوال المتقدّمة.

و حيث إنّ هذا البحث يريد بسطا غير هذا بعد أن بسطنا الكلام فيه غير مرّة، فلنشرع فيه في القاعدة الثّانية على سبيل البسط و هو هذا و اللّه أعلم و أحكم.

### ۲-۴-۲ و أمّا القاعدة الثّانية

الّتي هي في تأويل قوله:

اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ ...

فاعلم، أنّ قوله:

اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَ لا غَرْبِيَّةٍ ... [سورة النور: ۳۵].

معناه: أي اللّه وجود السّماوات و الأرض و ما بينهما في الحقيقة، لأنّ النور بمعنى الوجود كما أنّ الظّلمة بمعنى العدم، لأنّه ليس في السّموات و الأرض و ما بينهما المعبّر عنه بالعالم إلّا هو و وجوده، و إن قلت: هو اللّه الظاهر في السّماوات و الأرض و ما بينهما و الكلّ مظهره، يكون تقديره: أن مثل نوره الّذي هو الوجود مثل نور حسّي في مشكاة فيها زجاجة و في تلك الزّجاجة مصباح مضيئ أي مظهر لذاته و مظهر لما عداه من الأجسام الشّفافة القابلة للإضاءة، و المشكاة في هذا المقام يكون عبارة عن عالم الأجسام مطلقا، و الزّجاجة عن عالم الأرواح مطلقا، و المصباح عن عالم العقول مطلقا، و بناء على هذا يكون معناه:

هو اللّه الحقّ الظّاهر في هذه المظاهر و المراتب كلّها بذاته و المظهر لغيره من الممكنات الموسومة بالمظاهر و

المشكاة و الزّجاجة و المصباح لأنّ النّور الحقيقي هو الّذي مظهر بذاته و يظهر الأشياء به كالشّمس مثلا فإنّها كذلك، أعني هي ظاهرة بنفسها و مظهرة لغيرها، و الحقّ تعالى حيث كان كذلك و أظهر الأشياء بنفسه بعد أن كان ظاهرا بنفسه أزل الآزال و أبد الآباد سمّي بنفسه بالنّور و جعل النّور اسم من أسمائه و ذلك لشدّة ظهوره بنفسه و ظهور الأشياء به، و قد يقرّر في بحث الأسماء و المظاهر الأسمائيّة أنّ الشّمس من بين الموجودات وقعت مظهر اسمه النّور، و كذلك يوسف عليه السّلام و أثر ذلك ظاهر فيهما شايع من أثرهما، و تلك الأمثال نضربها للنّاس و ما يعقلها إلّا العالمون، و حيث كان نسبة الخلق إلى نوره الحقيقي الخفافيش.

قال العارف:

خفي لإفراط الظهور تعرضت لإدراكه أبصار قوم أخافش
و حظّ العيون الرزق من نور وجهه لشدّته حظّ العيون العوامش

و قد سبقت هذه الأبيات مرّة أخرى.

و المراد أنّه من شدّة ظهور في مظاهر السّماوات و الأرض المعبّر عنها بالمشكاة و المصباح و الزّجاجة، و كمال إظهاره الأشياء شيئا بعد شيء صار خفيّا كأنّه غيب و غيره شهادة، و الحال أنّ القضيّة بالعكس لأنّه الظّاهر في الحقيقة ظهورا لا خفاء له أصلا بوجه من الوجوه، و غيره خفى في الحقيقة خفاء لا ظهور له أصلا بوجه من الوجوه، كما قال العارف بذلك في قوله السابق على هذه الأقوال و هو قوله:

العالم غيب لم يظهر قطّ و الحقّ تعالى هو الظّاهر ما غاب قطّ

و النّاس في هذه المسألة على عكس الصّواب فيقولون: العالم ظاهر و الحقّ تعالى غيب، فهم بهذا الإعتبار في مقتضى هذا الشّرك، كلّهم عبيد للسوى و قد عاف اللّه تعالى بعض عبيده عن هذا الدّاء و الحمد للّه.

و الّذي ورد في الحديث القدسي أنّه تعالى قال:

كنت كنزا مخفيّا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق .

لا ينافي ما ذكرناه، فإنّ مراده هذا:

أى كنت مخفيّا عن أعين المحجوبين فأردت أن أظهر في أعين المحبّين فافتحت عن بصيرتهم حتّى شاهدوني على الوجه المذكور و ظهر لهم سرّ قول فيه:

هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [سورة الحديد: ۴].

و بالجملة نرجع إلى ما كنّا بصدده و نقول:

حيث ثبت إنّه وجد كلّ ما وجد بوجوده و ظهر كلّ ما ظهر بنوره فكان وجود السّماوات و الأرض و ما بينهما أي مظهر سماوات الأرواح و الرّوحانيات، و موجد عالم الأجسام و الجسمانيّات بل عين وجودهما و وجود ما فيها من الموجودات و المخلوقات، لأنّه هو الوجود المطلق الّذي به وجد كلّ ما وجد من الموجودات المقيّدة و به ظهر كلّ ما ظهر من المخلوقات المكنونة في كتم العدم المعبّرة عنها بالمشكاة و الزّجاجة و المصباح على ما بيّناه، بناء على هذا طابق قولنا قوله:

سوى اللّه تعالى و أسمائه و صفاته و أفعاله فالكل هو و به و منه و إليه قوله هو الأوّل و الآخر و الظّاهر و الباطن و هو بكلّ شيء عليم.

و صدق في قوله من قال:

لقد ظهرت و لا تخفى على أحد إلّا على أكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما أظهرت محتجبا فكيف يعرف من بالعرف متسترا؟

و يعرف سرّ هذا أيضا من مولانا و سيّدنا سلطان الأولياء و الوصيين أمير المؤمنين عليه السّلام جوابا لسؤال كميل بن زياد النخعي رضي اللّه عنه عن الحقيقة: نور يشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره.

لأنّ النّور، إشارة إلى ذلك النّور، و إشراقه من صبح الأزل، إشارة إلى ظهوره بصورة المظاهر أزل الآزال من غير تصوّر تقديم زمان و لا مكان، و تلويحه على هياكل التوحيد و آثاره، إشارة إلى شدّة ظهوره بصورة الكثرة المرتفعة عنه التّوحيد الحقيقي المعبّرة عنها بالوجود الإضافي المسقط عند اسقاطه لقولهم:

التّوحيد إسقاط الإضافات.

و عند التحقيق لفظ الهياكل و المظاهر و المشكاة و الزّجاجة و المصباح، ألفاظ مترادفة صادقة على حقيقة واحدة باعتبارات مختلفة، و فيه قيل:

العين واحدة و الحكم مختلف و ذلك سر لأهل العلم ينكشف

و مثال ذلك مثال وجه واحد في مقابلة مرايا كثيرة، فإنّ في كلّ مرآة منها يظهر وجه آخر على وضع تلك المرآة من غير تبديل و تغيير في الوجه المذكور كما قيل:

و ما الوجه إلّا واحد غير أنّه إذا أنت أعددت المرايا تعدّدوا

و هذا البيت ناطق بجميع الأسرار التّوحيديّة لكن لا يعرفها إلّا أهلها و ليس الغرض هاهنا هذا البحث، بل بحث الوجود و العدم و النور (و) الظّلمة و كيفيّة ظهور الحقّ بصور المظاهر الآفاقيّة و الأنفسيّة، و بيان ذلك لا يتيسّر إلّا بعد تحقيق النّور و الظّلمة و الوجود و العدم عقلا و نقلا.

أمّا عقلا، فالّذي ذكره الغزالي في مشكاة الأنوار و هو قوله:

لا ظلمة أشدّ من كتم العدم، لأنّ المظلم يسمّى مظلما لأنّه ليس للإبصار إليه وصولا إذ ليس يصير موجودا للبصر مع أنّه موجود في نفسه، و الّذي ليس موجودا لا لغيره و لا لنفسه كيف لا يستحقّ أن يكون هو الغاية في الظلمة ففي مقابلته الوجود فهو النور لأنّ الشيء ما لم يظهر في ذاته لا يظهر لغيره.

و قال عقيبه:

و الوجود أيضا ينقسم إلى ما للشّيء في (من) ذاته، و إلى ماله من غيره، و ماله الوجود من غيره فوجوده مستعار لا قوام له بنفسه بل إذا اعتبرته من حيث ذاته فهو عدم محض و إنّما هو موجود من حيث نسبته إلى غيره و ليس ذلك بوجود حقيقيّ، فالموجود الحقيقي الحقّ هو اللّه تعالى المسمّى بالنّور و الوجود و له الوجود الحقيقيّ دون غيره و إليه أشار بقوله:

كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [سورة القصص: ٨٨].

و يؤيّد ذلك أيضا قوله عقيب الآيات المذكورة في صفة الكفّار:

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَ وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسابَهُ وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ [سورة النور: ٣٩].

أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ [سورة النور: ۴۰].

لأنّ قوله: وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ ....

إشارة إلى الّذين احتجبوا عن وجوده بوجود الغير و تقيّدوا به، و ما شاهدوه على ما هو عليه، فإنّ أعمال هؤلاء و أفعالهم و أحوالهم و اعتقادهم يكون كسراب بقيعة أي معدومات بأنفسها موجودات بحسبان غيرها بحيث إليه ذلك الغير لم يجده شيئا بل يجده عدما صرفا و لا شيئا محضا، كما قال: فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً، و قوله:

أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ [سورة النور: ۴۰].

إشارة إلى حال هذا الكافر الّذي شاهد الغير مع وجوده، و تقديره: أنّ هذا الكافر مع هذا النّظر و الاعتقاد و الأعمال في ظلمات بحر التعيّنات و التقيّدات المعدومة في نفس الأمر يغشاه موج أي يغشاه موج التعيّنات الخارجيّة ساعة فساعة و يستغرقه في ظلمات بحر العدم و ظلمات و بحر الطبيعة الكلّيّة الّتي لا نهاية لها ليحجبه عن مشاهدة الوجود المطلق المعبّر عنه بالحقّ تعالى جلّ ذكره و يبقى هو في الحجاب أبدا دائما.

و قوله: من فوقه سحاب، أي تراكم التعيّنات الغير المتناهية و ظلمتها الّتي هي كالسّحاب بالنّسبة إلى شمس الوجود الحقيقي ظلمات بعضها فوق بعض أي تعيّنات بعد تعيّنات و أمواج بعد أمواج إلى غير نهاية و هي على ثلاثة مراتب:

ظلمة محجوبيّته عن الحقّ بنفسه و أنانيّته.

و ظلمة محجوبيّته عن الحقّ بتعيّنات عالم الملك.

و ظلمة محجوبيته عن الحقّ بتعيّنات عالم الملكوت.

بحيث إذا أخرج يده لم يكد يراها، أي بحيث إذا أراد أن يخرج من هذه الظّلمات لم يتمكّن من شدّتها و صعوبتها و غلظها لأنّ الإخراج من الظّلمات مطلقا موقوف على حصول النّور الّذي هو ضدّها خصوصا الظّلمات المذكورة، لأنّ الإخراج منها بلا نور من اللّه تعالى لا يمكن أصلا، و إليه الإشارة بقوله عقيبه فمن لم يجعل اللّه نورا فماله من نور، و لهذا أمر عباده بطلب النّور منه بقوله:

رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا [سورة: الآية ٨].

و قال في جوابهم، قيل:

ارْجِعُوا وَراءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً [سورة الحديد: ١٣].

حتّى يرجعون إلى ورائهم الّذي هو العدم و الفناء، لقوله:

وَ قَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَكُ شَيْئاً [سورة مريم: ٩].

و يطلبون منه نور الشّهود الوجودي في عالم التّوحيد الحقيقي، و هذا هو المعبّر في اصطلاحهم الفناء في التوحيد، و ذلك لأنّ ظلمات تعيّنات الوجود الإضافي لا يرتفع إلّا بنور الوجود الحقيقي، و مشاهدة الحقّ تعالى جلّ ذكره على الوجه المذكور، و الأنبياء و الأولياء دائما كانوا يطلبون منه تعالى استغراقهم في هذا النّور لكن تخلّصوا من ظلمات مشاهدة الغير مع وجوده، و منهم نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فإنّ له في هذا دعاء خاصّا و هو قوله:

اللّهمّ اجعل لي نورا في قلبي و نورا في قبري و نورا في سمعي، و نورا في بصري، و نورا في لحمي، و نورا في دمي، و نورا في عظامي، و نورا في بين يديّ، و نورا في خلفي، و نورا عن يميني و نورا عن شمالي، و نورا من فوقي، و نورا من تحتي، اللّهم زدني نورا و اعطني نورا، و اجعل لي نور الحقّ حبك يا أرحم الرّاحمين .

و الغرض من ذلك كلّه، أنّ النّور بمعنى الوجود، و الظّلمة وجوه:

منها، أنّ خيريّة النّهار بالنّسبة إلى اللّيل، و النّور إلى الظّلمة أمران نسبيّان إضافيّان غير موجودين في الخارج لأنّ النّور عند الأكثرين عبارة عن عدم الظلمة، و الظلمة عن عدم النور، و كذلك الظّل و الحرور، فخيريّة كلّ واحد منهما بالنّسبة إلى الآخر ما هي معلومة حتّى يمكن الحكم بهما لأنّ الظلمة يمكن أن يكون بالنّسبة إلى بعض المزاج خير من النور كالخفّاش مثلا، فإنّ الظلمة بالنّسبة إليه خير من النور، و كذلك اللّيل فإنّه يمكن أيضا أن يكون هو بالنّسبة إلى بعض المزاج خير من النّهار خصوصا إلى بعض الزّهاد العباد و يعكس ذلك إلى بعض الفساق و الفجّار، فأمّا العدم فقط لا يكون خير من الوجود عند أحد أبدا، و لا الشرّ من الخير.

و منها أنّ الظّلمة لو لم يكن بمعنى العدم ما سمّى الحقّ تعالى القرآن الكريم بقوله:

وَ ما يَسْتَوِي الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ وَ لَا الظُّلُماتُ وَ لَا النُّورُ وَ لَا الظِّلُّ وَ لَا الْحَرُورُ [سورة فاطر: ٢١].

لأنّ المراد بهما الوجود و العدم أو الموت و الحياة، و تقديره أي هل يستوي الوجود و العدم و الموت و الحياة، و الوجود خير من العدم، و الحياة خير من الموت، لأنّ العدم شرّ محض بالاتّفاق، و الوجود خير محض بالاتّفاق، و أين الشرّ من الخير، و الحياة من الموت، و السّؤال أيضا على سبيل استفهام الإنكار و معناه: أي هل يستوي الوجود و العدم و الموت و الحياة، و جوابه: لا، أي لا يستويان أبدا.

و إن قلت: لم لا يجوز أن يكون المراد بالظّلمة الليل، و بالنّور النّهار و كذلك بالظلّ و الحرور، البرودة و الحرارة المعبّر عنهما بالشّتاء و الصيف.

قلنا: يجوز ذلك لكنّ السئوال لا يكون موجّها من عدم الإيمان عن قلب الكافر ظلمة، و لا الإيمان في قلب المؤمن، نورا، لقوله:

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى

الظُّلُماتِ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ [سورة البقرة: ٢٥٧].

و ورد هذا المعنى في اصطلاح الموحّدين عند تعريف الظلّ و النور و الظلمة و غير ذلك، و هو قولهم: الظلّ هو الوجود الإضافي الظاهر بتعيّنات الأعيان الممكنة و أحكامها الّتي هي معدومات ظهرت باسم النور الّذي هو الوجود الخارجي المنسوب إليها فتستر ظلمة عدميّتها النور الظّاهر بصورها صار ظلّا لظهور الظلّ بالنّور و عدميّته في نفسه، قال اللّه تعالى:

أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ [سورة الفرقان: ٤٥].

أي بسط الوجود الإضافي على الممكنات فالظلمة بإزاء هذا النّور هو العدم، و كلّ ظلمة فهو عبارة عن عدم النور عمّا من شأنه أن يتنوّر به قال اللّه تعالى:

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ [سورة البقرة: ٢٥٥].

و على جميع التقادير تعبيرهما بالوجود و العدم أنسب من غيرهما، و يؤكد ذلك أيضا النقل الوارد عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو قوله:

خلق اللّه الخلق في ظلمة ثمّ رش عليه من نوره الحديث .

فإنّ معناه ليس انّه تعالى خلق الخلق في ظلمة الليل أو ظلمة المكان المظلم بل انّه خلقهم في ظلمة للعدم و أوجدهم منها الّتي هي أعظم الظلمات و أعلاها ثمّ أعطاهم الوجود الخارجي الّذي هو أعظم الأنوار و أعلاها، و عند البعض ليلة القدر عبارة عن ليلة إيجاد الموجودات من كتم العدم و عالم الغيب و عالم العلم، و يوم القيامة عن إبرازهم و إظهارهم و إيجادهم في عالم الوجود و عالم الشهادة و الظهور.

### ٤-٢-٤-١ (في أنّ الأعيان الثابتة غير الثابتات الأزليّة)

و بيانه أوضح من ذلك هو أنّه عيّن أوّلا ماهيّات الموجودات من كتم العدم تعيّنا علميّا، بخلاف القول الأشعري و هو ثبوت العدم فيه، ثمّ رشّ عليهم من أنوار الوجود المطلق الحقيقي نورا معبرا بالوجود الإضافي أي رشّ عليهم وجودا إضافيا نسبيا و ذلك كان بإضافة الوجود المطلق إلى ماهيّة كلّ موجود ليصير به موجودا في الخارج كما كان موجودا في العلم، و قد عرفت مثال ذلك في صورة الحروف و الكاتب، و الوجودات الذّهني و الخارجي و العود إلى ما سبق خلاف الأدب.

و إذا عرفت هذا و عرفت قاعدة أهل التحقيق في هذا المعنى، فلنشرع في تفصيل العوالم على الترتيب المعلوم في صورة المشكاة و الزجاجة و المصباح و ما يتعلّق بها ثمّ في تأويل باقي الآيات الّتي بعدها واحدة بعد أخرى.

### ٤-٢-٤-٢ (في أنّ النور هو الوجود الحقيقي)

أمّا التفصيل فذلك على ما سبق:

أنّ النور هو الوجود الحقيقي الإلهي و السّماوات و الأرض و ما بينهما مظاهرة العلويّة و السفليّة في صورة

المشكاة و الزّجاجة و المصباح، فالمشكاة حينئذ يكون عالم الأجسام و الجسمانيّات، و الزّجاجة عالم الأرواح و الرّوحانيّات، و المصباح عالم العقول و المجردات، و وجه المناسبة و هو أنّ الأنوار الإلهيّة المشرقة الطالعة من مشرق الوجود المطلق الحقّ على هياكل الموجودات و المخلوقات كما قال الإمام عليه السّلام:

نور يشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التّوحيد آثاره.

تطلع أوّلا على عالم العقول و المجردات الّتي هي كالمصباح من نوريّته و لطافته و قربه إلى الحضرة الأحديّة الإلهيّة، ثمّ على عالم الأرواح الّتي هي كالزّجاجة من صفاتها و قابليّتها الإشراق و الإضاءة، ثمّ على عالم الأجسام الّتي هي كالمشكاة من ظلمتها و كثافتها و قابليّتها الإضاءة و الإشراق بالتبعيّة، لأنّها قابلة للأرواح و الانتعاش بها كالمشكاة القابلة للأنوار من الزّجاجة، و الزّجاجة من المصباح.

و المشكاة عند المفسّرين هي الكوّة في الحايط الّتي يكون فيها المصباح و الزّجاجة، و أمّا الشجرة الموقدة منها هذا المصباح هي شجرة الوجود المطلق الّتي يستضيء بها كلّ موجود مقيّد مضاف إليها من الموجودات المنسوبة إلى المصباح و الزّجاجة و المشكاة و المظاهر و الهياكل و غير ذلك. و نسبتها إلى الزّيت من كثرة إضائته بنور الوجود و منافعه و إبقائه فإنّه كذلك، و وجه المناسبة بين الوجود و الشجرة كثرة أغصانها و شعبها من الوجودات الإضافيّة المنسوبة إليه كالأغصان الصادرة عن الشجرة مع أوراقها و أزهارها و أثمارها، لأنّ الحقائق و الماهيّات و الذّوات كما تقرّر شؤون ذاتيّة كامنة في ذاته المقدّسة كالشجرة في النواة مثلا مع أوراقها و أغصانها و أزهارها.

و وصفها بأنها لا شرقيّة و لا غربيّة، لأنّ الشرق الحقيقي هو عبارة عن عالم الأرواح و الرّوحانيّات الّذي هو محل طلوع الأنوار الرّوحانيّة و النفوس المجرّدة.

و الغرب الحقيقي عن عالم الأجسام و الجسمانيّات الّذي هو موضع أفول الأرواح و الرّوحانيّات، و الوجود المطلق الذي هو النّور الحقيقي ليس من عالم الأرواح الصرف و لا من عالم الأجسام الصرف فلا ينسب إليهما بل هما ينتسبان إليه لأنّه المبدأ و المقسم، و المقسم من جميع الوجوه يكون غير القسيم، و المبدأ غير المنتهى.

و نسبة الزّجاجة بالكوكب الدّري يكون بسبب لطافته و نوريّته و إضائته.

و ان قلت: هذه الأوصاف حاصلة للشّمس و القمر، و نورهما أعظم و ضوئهما أكثر فلم خصصه بالكوكب.

قلنا: إنّ نسبة نور الشّمس نسبة نور اللّه في الآفاق، و نسبة نور القمر نسبة نور العقل، و نسبة الكواكب نسبة الأرواح الحسيّة المضيئة لكثرته و تفرقته على شبابيك الأجسام و مشكاتها فتخصيصه به أولى و أنسب لأنّ هذا النّور الواحد الّذي هو نور اللّه مثلا إذا أشرق على المظاهر الكثيرة فلا يصل إلى كلّ واحد منها إلّا بقدر الكواكب لقلّة قابليّته و صغر ظرفه كالبصر مثلا بالنّسبة إلى الشّمس فإنّها لا تشاهد الشّمس مع عظمة جرمها و كثرة شعاعها إلّا بقدر الترس أو القرص، و بوجه آخر مثاله مثال نور الشّمس أو القمر على الروازن الكثيرة و الشبابيك المتعدّدة، أو كالماء الواحد النازل من ظرف واحد جامع فيه إذا نزل منه و انتشر على الهواء و انتشر فيه فإنّه لا يرجع عنه إلّا بقدر الدّرة أو اللؤلؤ البيضاء الّتي هي كالكوكب في الاستدارة و اللطافة، أو كالماء النّازل فإنّه في الأصل ماء واحد نازل عن أصل واحد كما قال تعالى:

يُسْقى بِماءٍ واحِدٍ وَ نُفَضِّلُ بَعْضَها عَلى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ [سورة الرعد: ۴].

فإنّه يصير أيضا قطرات كلّ قطرة كالدّرة البيضاء، و كالكواكب الّدري من لطافته و استدارته.

فكذلك نور اللّه الحقيقي الّذي هو ماء الحياة الحقيقيّة الموصوفة:

وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ [سورة هود: ۷].

بمعنى العدم و أن معنى قوله تعالى:

اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ [سورة النور: ۳۵].

هو انّه نفس وجود السّماوات و الأرض و موجدهما و مظهرهما، لأنّ السّماوات و الأرض و ما بينهما عند التّحقيق ظلمات بالنّسبة إلى نوره، لأنّها ظلال كدرة و تعيّنات مظلمة، مانعة من مشاهدة شمس وجوده الحقيقي كما شهدت به الآية المتقدّم شرحها في قوله:

ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ [سورة النور: ۴۰].

و من قوله:

أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً [سورة الفرقان: ۴۵- ۴۶].

فإنّ كلّ ذلك إشارة إلى ذلك المعنى أي النّور الوجود الحقيقي، و ظلمة الوجود الإضافي المعبّر عن الأوّل بالحقّ، و عن الثاني بالخلق.

و اللّه أعلم و أحكم هذا من حيث العقل و الدّلائل العقليّة.

و أمّا من حيث النّقل و الدّلائل النّقليّة، فالّذي ورد في بالنّسبة إلى الأرواح الصادرة منه المسمّاة بالمصباح و الزّجاجة الّتي هي كالكوكب الدّري الموقد من الشّجرة المباركة الّتي هي الوجود المطلق و الذّات الصّرف البحث يكاد زيتها أي زيت هذه الشّجرة الوجوديّة تضيئ بذاتها لو لم تمسه نار أي نار الأجسام الكدرة و الأجساد المظلمة الّتي هي منبع الظّلمات الثلث المذكورة لأنّ النّور الإلهي المتعلّق بالأجسام و الأجسام و ترتيبها، لولا احتجابه بظلمات جلابيت البدنيّة و الغواشي الحسيّة لأضاء بذاته و رجع إلى عالمه و شاهد ربّه بنوره و عرفه به على ما هو عليه في نفسه و قال بلسان الحال أو القال: عرفت ربّي بربّي و رأيت ربّي بربّي، و عرفت معنى قول العارف:

سبحان من لا يصل إليه إلّا به

و قول الآخر:

سبحان من لا يعرفه إلّا هو.

و ذلك لأنّ كلّ من شاهد الرّبّ بالرّبّ و الحقّ بالحقّ لا بدّ و أنّ يشاهده على ما هو عليه في نفس الأمر أعني

من حيث الكمالات لا من حيث الذّات لأنّ ذلك مستحيل ممتنع، و لهذا قال الإمام عليه السّلام:

لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا.

و قال الآخر:

ليس وراء عبّادان قرية.

و هذا معنى قوله:

نور على نور، أي نور الحقّ على نور العبد، أو نور الذّات على نور البصيرة، أو نور العقل الكلّي على نور العقل الجزئي، فإنّ بذلك يحصل المعرفة التّامّة الكاملة.

و كذلك معنى قوله:

يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [سورة النور: ٣٥].

لأنّ حصول هذه النّور يتعلّق بعنايته تعالى خاصّة كما خصّصه هو بنفسه لا غير، و مثال ذلك مثال نور الشّمس في بيت مظلم يضاف إلى نور الشّمع و يصير نور على نور، فلذلك نور اللّه الحقيقي إذا أضاف إلى نور بصره العارف فإنّه يكون نور على نور.

و بوجه، و هو أنّ نور القمر مستفاد من الشمس بصحة التقابل، فكلّما قابل الشّمس استفاد منها بقدر المقابلة النّور و الشمس أضافت عليه بقدر القابليّة بالتّدريج حتّى صار كذلك منها بدرا و لم يبق في القابليّة و الفاعليّة من الطّرفين شيء من الإفاضة و الاستفاضة فيجوز للعمى في هذه الحالة أن يقول: رأيت الشّمس بالشّمس و عرفت الشّمس بالشّمس، و شاهدت الشّمس بالشّمس، كما يجوز للعارف أن يقول رأيت ربّي بربّي، و عرفت ربّي بربّي، و شاهدت ربّي بربّي، حيث وقع العارف بالنّسبة إلى شمس الحقيقة الإلهيّة كالقمر بالنّسبة إلى الشّمس الصّوريّة الآفاقيّة لقوله تعالى:

وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى [سورة الأنفال: ١٧].

و هذا معنى قوله: و يضرب اللّه الأمثال للنّاس، أي و يضرب اللّه مثل هذه الأمثال للنّاس لعلّهم يتذكّرون المبدأ، و يتفكّرون في المعاد و يعرفون ما بينهما و يقومون من وجودهم بالكلّ و يشاهدون الحقّ بعد فنائهم بغير الحقّ، لقولهم:

فلم أنظر بعيني غير عيني.

و لهذا قال:

وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ [سورة العنكبوت: ٤٣].

لأنّ غير العالم الحقيقي لا يعقل هذا المعنى أصلا و بل ينكر عليه إنكارا لا مزيد عليه كما قال:

وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ [سورة النور: ٤٠].

و ذلك كلّ عبد ما حصل له هذا النّور و بقي في ظلمة أنانيّته و احتجابه و بعده عن الحقّ بعدا لا يتصوّر فيه قربا بوجه من الوجوه بعد عن المعرفة المذكورة و المشاهدة المعلومة و صار من المحجوبين الضّالّين المضلّين الّذين وصفهم اللّه بعد الآية بقوله:

وَ الَّذينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَ وَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسابَهُ وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ [سورة النور: ٣٩].

أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ [سورة النور: ۴۰].

كما قد سبق تأويله و تفسيره مبسوطا قبل هذا البحث بقليل و مراد اللّه، و مرادنا من ضرب المثال تقريب المعاني إلى الأذهان و ذلك مستحسن عند الفصحاء و أرباب البلاغة لأنّ تفهيم المعنى في عالم الحسّ في صورة المحسوس أسهل و أيسر لأنّه إلى الذّهن أقرب، و إلى هذا النّور و الظّلمة أشار الحقّ تعالى بالنّسبة إلى أحبائه و أعدائه و قال:

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ [سورة البقرة: ٢٥٧].

هذا مضى، و هاهنا أبحاث شريفة.

و أمّا قوله: عقيب الآيات:

وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [سورة البقرة: ٢٨٢].

فمعناه، أي و اللّه بكلّ شيء من الأشياء الممكنة عالم أزل الآزال و أبد الآباد، و عالم باستعداده و قابليّته قبل وجوده في الخارج و ظهوره في عالم الشّهادة لكن من حيث إنّه يجب عليه تنبيه و تعليمه ليصل به إلى ما خلق لأجله كما هو مقرّر في علمه جلّ ذكره فيجب عليه أيضا إذا عرف عبد من انّه قابل لشيء من تلك العلوم و المعارف و غيرها أن يجذبه إلى ذلك الشيء بأنواع الجذبات لئلّا يقع فعله عبثا و فعله مهملا، فالجذبة تارة يكون بالدعوة، و تارة بالإشارة، و تارة بالقهر على يد النّبي أو الإمام، و تارة بضرب المثال، و تارة بالقصص، و تارة بالإلهام ليتمكن العبد من الدخول إلى مطلوبه بواسطة هذه الوسائل و بسبب هذه الوسائط، و إليه أشار بقوله:

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ [سورة آل عمران: ١۶۴].

و الّذي ورد في الحديث القدسي:

جذبة من جذبات الحق عمل الثقلين.

هذا معناه، لأنّ من جذبة من جذباته يمكن أن يحصل المقصود على ما هو عليه و يمكن أن في أعمال الثقلين لا يحصل هذا فيكون هو خير منها، و ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء و اللّه ذو الفضل العظيم.

و قد عرفت أقسام الجذبات قبل هذا و بيان الكشف و الوحي و الإلهام و غير ذلك فما نحتاج إلى العود.

و أمّا تأويل باقي الآيات المتعلّقة بهذا البحث و هو قوله:

فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ إلى قوله: بِغَيْرِ حِسابٍ [سورة النور: ۳۶- ۳۸].

و ان بسطنا البحث فيه في جامع الأسرار و منبع الأنوار، و رسالة الوجود، و غير ذلك لكن لا بد هاهنا من بعض ذلك ليرتبط الكلام بعضه بالبعض، فنقول: قوله:

فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ... [سورة النور: ۳۶].

مربوط بقوله: كَمِشْكاةٍ، و تقديره كمشكاة في بعض بيوت اللّه الّتي هي المساجد الصّوريّة، أو بتوقد، و تقديره أي كمصباح يوقد من شجرة زيتونة لتعليقه في بعض بيوت اللّه المذكورة، هذا بحسب الظّاهر. و أمّا بحسب الباطن فمعناه: أنّ مثل نور اللّه تعالى في مشكاة المظاهر الآفاقي الّتي هي الأجسام و الجسمانيّات مطلقا مع زجاجتها الّتي هي الأرواح و الرّوحانيّات مع مصباحها الّذي هو العقول و المجرّدات بأجمعها كمشكاة في بيوت اللّه الصوريّة الّتي وضعها لأجل ذكرها و تسبيحه فيها.

و قوله:

بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ [سورة النور: ۳۶].

يكون متعلّقات «بيسبّح له»، أي كما يسبح له بالغدوّ و الآصال في المساجد الصوريّة كالمكّة و المدينة، فكذلك يسبح له بالغدوّ الآصال في المساجد المعنويّة الّتي هي العالم بأسره، لقوله:

وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ [سورة الإسراء: ۴۴].

و الغدّ و الآصال يكون هاهنا بمعنى الظاهر و الباطن أو الغيب و الشهادة، أو يكون تقديره: أن العالم و ما اشتمل عليه من الطّبقات علوا و سلفا و هو كالبيوت الموضوعة لذكر اللّه و تسبيحه فيها، لأنّ العالم (كمال) (...) الكلّ في الوضع الإلهي و له طبقات من السّماوات و الأرض و ما بينهما من العناصر و المواليد و يكون فيها الكواكب كالمشكاة و المصباح و الزّجاجة، أو يكون عالم (...) (الوحي) و عالم الأرواح (...).

و يكون بدنه و حواسّه كالمشكاة، و قلبه كالزّجاجة و روحه (و دمه) كالمصباح و باقي القوى و الأعضاء كالعباد في هذه الشجرة يسبحونه و يذكرونه بالغدوّ و الآصال أي في الظّاهر و الباطن، أو في عالم الكثرة و الوحدة، و قد بيّنا ذلك أيضا.

و أمّا قوله:

رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ [سورة النور: ۳۷].

فهو متعلّق ببيوت أذن اللّه، و تقديره، مثل هؤلاء رجال و أيّ رجال لا تغفلهم الدنيا و ما فيها من متاعها عن ذكر اللّه أي عن التّوجّه إلى حضرته و الإشتغال بعبادته لأنّهم من مخلصي عباده و معظمي رجال لقوله:

إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ [سورة ص: ۴۶- ۴۷].

و لقوله:

رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ و قوله عقيب ذلك: وَ إِقامِ الصَّلاةِ وَ إِيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ [سورة النور: ۳۷].

و هو صفة لهؤلاء الرّجال، و تقديره، رجال و أيّ رجال الّذين يقيمون الصلاة الحقيقيّة الّتي هي التّوجّه الكلّي إليه لقوله:

وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا [سورة المزّمّل: ۸].

و الإعراض عن رؤية الغير مطلقا لقوله:

فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً [سورة الجن: ۱۸].

وَ لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ [سورة الإسراء: ۳۹].

و من الّذين يؤتون الزّكاة الحقيقيّة الّتي هي إعطاء حقّ كلّ ذي حق آفاقا كان أو أنفسا بالإرسال و الهداية و الإعطاء و المنع بحكم الخلافة الإلهيّة و الرّياسة الإنسيّة يخافون يوما تتقلّب فيه القلوب و الأبصار، معناه أي يخافون من الرّجوع إليه تعالى في يوم يعرض عليه الأعمال كلّها و يصير الظّاهر باطنا و الباطن ظاهرا و تشهد ألسنتهم و أيديهم و أرجلهم و الحقّ أنّه موضع الخوف،

### ۴-۴-۲-۳ (الفرق بين الخوف و الخشية)

و إن قلت: الخوف مسلوب عن الأولياء فكيف أثبت لهم الخوف.

قلنا: الخوف الثابت للأولياء هو الخوف الخاصّ الّذي هو الخشية لقوله:

إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ [سورة فاطر: ۲۸].

و أمّا الخوف العام الّذي للعوام فذلك مسلوب عنهم بالاتفاق لقوله:

أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ [سورة يونس: ۶۲].

و أمّا قوله:

لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ [سورة النور: ۳۸].

فذلك إشارة إلى ثمرة هذه العبادة من الصلاة و الزكاة و التوجّه و الخشية و أمثال ذلك و ذلك فضل اللّه و لطفه و هو يعمل ذلك مع انّه أراد بغير حساب معه و لا حصر و لا حساب لقوله:

هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ [سورة ص: ۳۹].

### ۴-۴-۲-۴ (في تطبيق الآفاق بالأنفس على سبيل التفصيل)

و هاهنا أبحاث ستعرفها في موضعها إنشاء اللّه، و حيث عرفت هذا بقدر هذا المقام فلنشرع في تطبيق الآفاق بالأنفس على سبيل التفصيل بحسب هذه الآيات و الأقوال المترتبة عليها أعني تطبيق هذا المجمل بالأنفس على سبيل التفصيل و ما يتعلّق به من الأبحاث. اعلم، ان في تطبيق العالم الكبير بالعالم الصغير كما أنّ المشكاة جسم الإنسان الكبير الّذي هو عبارة عن الجسم الكلّي و الجسمانيّات أو العلويات و السفليّات مطلقا و الزّجاجة عن قلبه الحقيقيّ الّذي هو النّفس الكلّيّة و عالم الرّوحانيّات كلّها، و المصباح عن روحه الكلّي الّذي هو الرّوح الأعظم و عالم العقول و المجردات كلّها، و الشجرة عن مجموع ذلك أو عن الوجود المطلق كما سبق بيانه، فجسد الإنسان الصغير و حواسّه بإزاء المشكاة، و قلبه بإزاء الزّجاجة، و روحه بإزاء المصباح، و المجموع من حيث المجموع بإزاء الشجرة لأنّ الشجرة في الحقيقة هي اسم للهيئة الجامعيّة من المجموع، فإنّ كلّ عضو من أعضاء الإنسان و كلّ قوى من قوائه بإزائه غصن من أغصانه الشجرة الآفاقيّة و أوراقها المذكورة، و من هذا التطبيق يفهم معنى قوله تعالى:

سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ [سورة فصّلت: ۵۳].

لأنّ موسى عليه السّلام ما سمع قول: إنّي أنا اللّه، إلّا من شجرة وجوده لأنّ شجرة وجود الإنسان أعظم من شجرة وجود الأكوان و من هذا قال العارف:

سبحان ما أعظم شأني.

و قال الآخر:

أنا الحقّ.

و غير ذلك من الأقوال، و هاهنا أسرار و حقايق ستعرفها في موضعها إن شاء اللّه و إن سبقت أكثرها، و بالنسبة إلى هذا التطبيق قال بعض العارفين ما يقارب هذا المعنى و هو قوله نظما:

| | |
|---|---|
| نظرت بنور اللّه أوّل نظرة | فغبت عن الأكوان و ارتفع اللبس |
| و ما زال قلبي لائذا بجمالكم | و حضرتكم حتّى فنت فيكم النّفس |
| زيتونة الفكر الصحيح أصولها | مباركة أوراقها الصدق و القدس |
| فروحي زيتي و الخيال زجاجتي | و عقلي مصباحي و مشكاته الحسّي |
| فصار بكم ليلي نهارا و ظلمتي | ضياء و لاحت من (في) خيامكم الشّمس |

رزقنا اللّه و ايّاكم الوصول إلى هذا المقام لمحمّد و آله الكرام.

و إذا عرفت هذا، فاعلم، أنّ لهذا البحث و إن طال، تذنيب و تتميم لا بدّ منها و هما بحث الشجرة و تحقيقها و علة نسبتها تارة إلى الوجود المطلق، و تارة إلى العالم، و تارة إلى الإنسان و أمثال ذلك.

فنقول: يجب عليك أن تعرف أنّ الشجرة الّتي قال تعالى من لسان إبليس:

هل أدلّك على شجرة الخلد، و ملك لا يبلى هي هذه الشجرة، أي شجرة الوجود مع أغصانها و أوراقها الّتي هي

الموجودات و المخلوقات كما سبق ذكرها لأنّ كلّ من حصل له مشاهدة هذه الشجرة على الوجه المذكور فقد حصل له ملك لا يمكن أن يبلى و لا يفنى و لا يتغير و لا يتبدّل و بل ملك لا يمكن أن يكون أعظم منه و لا أوسع كما أشار إليه الحقّ تعالى في قوله:

وَ إِذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَ مُلْكاً كَبِيراً [سورة الإنسان: ٢٠].

و هذه المشاهدة في هذا الملك العظيم هي مشاهدة الخواصّ و المقربين السابقين لقوله: و قال فيهم:

السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ [سورة الواقعة: ١٠].

و يعبّر عنها بجنة الذّات أيضا و إليه الإشارة بقوله:

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ [سورة القمر: ٥٥].

و أيّ نعيم و جنّة يكون أعظم من مشاهدته و لقائه في مظاهره الآفاقيّة و الأنفسيّة و يؤكّد ذلك قوله أيضا:

وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ [سورة آل عمران: ١٣٣].

لأنّ الجنّة الحقيقيّة و نعيمها ليست إلّا مشاهدته و لقاؤه على الوجه المذكور لأنّ في أكثر المواضع القرآنيّة إذا أخبر اللّه تعالى بالسّماوات و الأرض ما أراد بهما إلّا العالم المشتمل على الرّوحانيات و الجسمانيّات أو العلويّات و السفليّات مطلقا، و لهذا أخبر عن عرضها لا عن طولها، لأنّ الوجود دوري و السّماوات و الأرض كريّ كما بيّناه في الدائرة فلا يناسب الأخبار عنها إلّا بالعرض لأنّ الطول غير متصوّر فيه فافهم.

و عند التحقيق الجنّة المعنويّة لا طول لها و لا عرض، و الغرض من أمثال ذلك التنبيه و التعليم في صورة المثال:

وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ [سورة العنكبوت: ٤٣].

و عن هذه الجنّة أخبر النّبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

انّ للّه تعالى جنّة ليس فيها حور و لا قصور و لا عسل و لا لبن بل يتجلّى ربّنا فيها ضاحكا متبسّما.

لأنّ هذه كلّها إشارة إلى الجنّة المعنويّة دون الصّوريّة، و الضّحك و التبسّم إشارة إلى الكشف اللثام و المشاهدة العينيّة في ملا بس التعيّنات و مظاهر التّشخصات مرتديا برداء الكبرياء و العظمة و متلبّسا بلباس الحلال و العزّة و المشار إليه في قوله:

الكبرياء ردائي و العظمة إزاري من نازعني فيهما كسرته.

و إلى هذا الكشف الصريح أشار النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أيضا في قوله:

سترون ربّكم كما ترون القمر ليلة البدر.

و معناه أي سترون ربّكم في مظاهره الآفاقيّة و الأنفسيّة كما ترون القمر ليلة البدر، و هذا إشارة إلى كمال اليقين، لأن مشاهدة البدر مشاهدة لا ريب فيه و لا شكّ، و كلّ مشاهدة يكون كذلك يكون في كمال اليقين و وضوح

المعلوم لقوله عليه السّلام:

محو الموهوم مع صحو المعلوم.

و لقوله:

«لو كشفت الغطاء ما ازددت يقينا».

و إلى هذه المشاهدة أشار أيضا عليه السّلام في خطبة من خطبه في صفة العارف الواصل إلى هذا المقام و هو قوله:

قد أبصر طريقه، و سلك سبيله، و عرف مناره، و قطع غماره، و استمسك من العرى بأوثقها، و من الجبال بأمتنها، فهو من اليقين على مثل ضوء الشّمس.

و إليها أشار أيضا في قوله:

الحمد للّه الّذي انحسرت الأوصاف عن كنه معرفته، و ردعت عظمته العقول، فلم تجد مساغا إلى بلوغ غاية ملكوته، هو اللّه الحقّ المبين، أحقّ و أبين ممّا ترى العيون.

و هذه المبالغة في هذه المشاهدة لعلمه التّامّ بمشاهدة الحواسّ و بأنّها في معرض الغلط و الشكّ سيّما العيون فإنّها في إدراكاتها و مرئيّاتها غير متيقّنة، لأنّ الشّمس مثلا في جرمها و مقدارها زيادة على جرم الأرض و مقدارها بمرار متعددة و هي تشاهدها بمقدار القرص و لا يشعر بنفسها أنّها ليس كذلك، لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [سورة الأنعام: ١٠٣].

و و اللّه لو كتب قوله عليه السّلام:

«هو اللّه الحقّ المبين أحقّ و أبين ممّا ترى العيون».

بماء الذهب على وجه النفوس و العقول و جعل عوذه لدفع عين شجرة الجهل و مردة الكفر لكان قليلا، و بالجملة الجنّة الحقيقيّة المعنويّة ليست عند التحقيق إلّا مشاهدة الحقّ بعين البصيرة في صورة هذه الشجرة المسمّاة بالوجود، كما قال جلّ ذكره بعد قوله:

سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ [سورة فصّلت: ٥٣- ٥٤].

لأنّ هذه المشاهدة لو كانت قابلة بأن يكون فوقها مشاهدة أخرى لم يقل بنفسه:

أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، و لم يؤكّد هذا لقوله: أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ، لأنّه يقول: أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ مع هذه المشاهدة الجليّة الّتي ليست فوقها مشاهدة، أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ أي ليس هو المحيط بكلّ شيء و المحيط بكلّ شيء كيف يمكن (كمل) مشاهدته إلّا في كلّ شيء، لأنّ الكلّ من حيث الكلّ لا يشاهد إلّا في الكلّ.

فالكلّ بالكلّ مربوط و ليس له عنه انفصال خذوا ما قلته عنّي

و في مثل هذه المشاهدة قال العارف:

ليس وراء عبادان قرية.

و قال الشيخ الأعظم قدّس اللّه سرّه:

«و إذا ذقت هذا فقد ذقت الغاية الّتي ليس فوقها غاية في حقّ المخلوق فلا تطمع و لا تتعب نفسك في الّتي ترقى أعلى من هذا الدرج فما هو ثمّة أصلا و ما بعده إلّا العدم المحض».

و قد سبق هذا الكلام و هذا البحث مرّة أخرى و بل مرارا، و ليس الغرض هاهنا هذا البحث بل بحث الشجرة و الوجود و المناسبة الّتي بينهما فنرجع و نقول:

## ۵-۲-۴-۴ (في بيان المراد من شجرة طوبى)

اعلم، أنّ شجرة طوبى الّتي وعد في الجنّة إن حقق و عرف لا يكون إلّا هذا الشجرة لأنّ تلك الشجرة موصوفة بأنّ لها أغصان كثيرة بحيث يكون في كلّ بيت من بيوت الجنّة منها غصن و هذه الشّجرة كذلك لأنّ كلّ موجود مقيّد لا بدّ له من إضافته إلى المطلق و علاقته به فتلك الإضافة و العلاقة هي الأغصان، و الوجود هو الأصل، و الكمالات المترتبة على الوجود كالأوراق و الأزهار و توابعها و لوازمها، و مثال هذه في عالم الشهادة مثال الشمس و أنوارها المشرقة بالنّسبة إلى بيوت العالم و مساكنها و المختلفة فإنّ في كلّ بيت من البيوت غص من أغصان أنوارها و شعاعها كما يشاهدها كلّ شخص بعينه الحسّية البصريّة، وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلى فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ، و إن شئت جعلت الشجرة مجموع الإنسان و أصل الشجرة قلب الإنسان الّذي منه يتكوّن بدن الإنسان في أصل الخلقة و ينشأ منه أغصان الأعضاء و أوراق القوى و يتكمّل على هذا الوضع و يتّصف بأحسن الصّورة و أكمل الخليقة لقوله تعالى:

وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ [سورة غافر: ۶۴].

فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ [سورة المؤمنون: ۱۴].

لأنّك إذا شاهدت شجرة وجودك على هذه الصورة و طابقها بشجرة العالم على الوجه المذكور حصل لك مشاهدة الحقّ في هذا المطابقة الأنفسيّة، كما حصل لك مشاهدة في المطابقة الآفاقيّة المتقدّم ذكرها، و عرفت معنى قوله عليه السّلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» و خصصت بالنعيم المعنويّة و فواكهها و لذّاتها و حورها و قصورها، و أيّ نعيم يكون أعظم من مشاهدة الحقّ بعين البصيرة في صورة الشجرة الإنسانيّة الّتي هي أعظم الصور و أكملها و أحسن النعيم و أشرفها و حيث إنّ مشاهدة الحقّ في الصورة الإنسانيّة كان أعظم المشاهدات و أشرف المعارف قال تعالى لنبيّه في حديثه القدسي تعليما له و تنبيها لغيره:

لا يسعني أرضي و لا سمائي و لكن يسعني قلب عبدي المؤمن.

و قال النّبي عليه السّلام تصديقا لهذا القول:

قلب المؤمن عرش اللّه. و قلب المؤمن بيت اللّه.

و قلب المؤمن بين الإصبعين من أصابع الرّحمن.

و قد يقال حين حصل له هذه المشاهدة:

ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى أَ فَتُمارُونَهُ عَلى ما يَرى [سورة النجم: ١١ و ١٢].

و يكفي في هذا ما بيّناه في بيان قوله:

سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ [سورة فصّلت:٥٣].

و عند التحقيق ليست الشجرة الّتي خاطب اللّه تعالى بها موسى عليه السّلام بقوله:

فَلَمَّا أَتاها نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ [سورة القصص: ٣٠].

إلّا شجرة نفسه المعبرة عنها بالشجرة الإنسانيّة لا شجرة السدر و النخل و الزّيتون و غير ذلك لأنّه تعالى أعظم و أجلّ من أن يشاهد و يرى في شجرة من شجرة الدّنيا النّباتيّة المقيّدة في محلّ أو حيّز أو مقيّدة بصفة من صفاته بخلاف الشجرة الإنسانيّة الّتي هي متصفة بجميع الأسماء و الصفات لقوله:

وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها [سورة البقرة: ٣١].

و لقول نبيّه عليه السّلام:

خلق اللّه تعالى آدم على صورته.

و معلوم أنّ المشاهدة في صورة جامعة كاملة يكون كالمرآة لصورة المحبوب خير من مشاهدته في صورة مقيّدة غير جامعة و لا كاملة لقول العارف:

«لما شاء الحقّ سبحانه من حيث أسمائه الحسنى الّتي لا يبلغها الإحصاء، أن يرى أعيانها (و إن شئت قلت أن يرى عينه) في كون جامع يصير الأمر (كلّه) لكونه متّصفا بالوجود، و يظهر به سرّه إليه، فإنّ رؤية الشيء نفسه بنفسه ما هي مثل رؤيته بنفسه في أمر آخر يكون له كالمرآة فإنّه تظهر له نفسه في صورة تعطيها المحلّ المنظور فيه ممّا لم يكن يظهر (له) في غير وجود هذا المحلّ و لا تجلّيه له».

و العجب كلّ العجب أنّ أهل الظاهر يجوّزون تكليم اللّه تعالى من الشجرة النباتيّة و لا يجوّزونه من الشجرة الإنسانيّة الّتي هي أولى بذلك لقوله:

وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ [سورة ق: ١٦].

و لقوله:

وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ [سورة الذاريات: ٢١].

و لقوله:

وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ [سورة الحديد: ۴].

و لقوله في الحديث القدسي:

كنت سمعه و بصره و لسانه و يده و رجله.

ذلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ [سورة النجم: ۳۰].

يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ.

و العجب من هذا كلّه أنّهم مع جهلهم بمثل هذه الأسرار يحكمون بكفر غيرهم من حيث أنّه مطلع عليها كالكفار بالنّسبة إلى الأنبياء و الرّسل حيث كانوا يسمّونهم بالسّحرة و المجانين و الشاعر و الكاهن و غير ذلك و نظرا إلى هذا المعنى قال الإمام المعصوم زين العابدين عليه السّلام في أبيات منسوبة إليه و هي هذه:

| | |
|---|---|
| إنّي لأكتم من علمي جواهره | كيلا يرى الحقّ ذو جهل فيفتتنا |
| و قد تقدمها فينا أبو الحسن | مع الحسين و وصّي قبلها الحسنا |
| يا ربّ جوهر علم لو أبوح به | لقيل لي: أنت ممّن يعبد الوثنا |
| و لا يستحلّ رجال مسلمون دمي | يرون أقبح ما يأتونه حسنا |

### ۶-۲-۴-۴ في بيان المراد من الشجرة الّتي أكل منها آدم (ع)

و ان حقّق عرف أيضا أنّ الشجرة الّتي أكل منها آدم عليه السّلام كان هي هذه الشجرة، لا شجرة الحنطة و لا غيرها و الجنّة الّتي كانت فيها أيضا كانت جنة المشاهدة و المكاشفة المعبّرة عنها بالجنّة المعنويّة، فأكل الحنطة في هذه الصورة عبارة عن تعلّقه بعالم الكثرة، و عمارة شجرة الوجود من حيث الظاهر و خروجه عن الجنّة توجّهه من العالم العلوي إلى العالم السفلي أعني من مشاهدة الروح و لذّة الوصال إلى مشاهدة الحسّ و ألم الفراق لأنّه إذا توجّه من عالم الوحدة إلى عالم الكثرة و نزل عن مشاهدة الرّوح إلى مشاهدة الحسّ و رضي بها خرج عن الجنّة المعنويّة الحقيقيّة و لذّاتها و استحقّ أن يوصف بالظلم على نفسه لقوله تعالى:

وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ [سورة البقرة: ۳۵].

لأنّ الظلم وضع الشيء في غير موضعه، و هذا كان كذلك فيصدق عليه أنه ظالم أعني ظالم لنفسه لارتكابه الفعل الّذي لا ينبغي و الظلم على النفس أقبح الظلم و أفحشها و هذا عند أهل البيت عليهم السّلام و أكثر المحقّقين من أهل اللّه لا يجوز بالنسبة إلى آدم الّذي هو أبونا و أبو النّوح عليه السّلام لأنّه النبيّ المعصوم و المعصوم لا يخالف اللّه في شيء سيّما في الجنّة و دار الآخرة، و المراد به يكون نوع الإنساني لا شخص من أشخاصه و ضمير المفرد راجع إليه أي إلى النوع، و هذا جايز حسن في البلاغة لقوله تعالى في هذه القصّة بعينها:

وَ لَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ [سورة الأعراف: ۱۱].

فانّه دال على ذلك لأنّه ذكر الجمع و إفراد الضمير لأنّ المراد به كان النوع لا الأشخاص الّتي تحت النوع و إن كان في المعنى يرجع الضمير إلى كلّ واحد من الأشخاص و ضمير التثنية في قوله:

و لا تقربا.

يكون إلى الذّكور و الإناث من النوع في الآفاق و في الأنفس أي القلب و النّفس و كلاهما حسن جايز.

و إن قلت: إنّ التوجّه إلى عمارة البدن و التعلّق بالدّنيا ليس مذموما مطلقا و بل في بعض الصورة واجب.

قلنا: إنّ ذلك بالنّسبة إلى النّبي المعصوم لا يجوز فإنّه يؤدّي إلى الميل إلى الدّنيا و لذّاتها و إيثار العاجل على الآجل و هذا عين المعصية لقوله عليه السّلام:

«حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة».

فأمّا بالنّسبة إلى غيره فيجوز ذلك و لكن على حدّ الاعتدال و مع ذلك يكون خارجا عن الجنّة المعنويّة بقدرها و اللّه أعلم و أحكم.

و الغرض من هذا البحث أن أكل الشجرة في الجنّة المعنويّة، فهو بالنسبة إلى كلّ واحد، واحد من أولاد آدم، لا آدم عليه السّلام، و ذلك بالتفاتهم عن العالم العلوي و لذاته إلى العالم السفلي، و لذاته و تنزّلهم من مشاهدة عالم الغيب إلى مشاهدة عالم الحسّ، و من تدبير المعاد إلى تدبير المعاش و قوله تعالى أيضا:

وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً [سورة طه: ۱۱۵].

العزم على الرجوع إلى المبدأ و غير ذلك، و سيجيء بحث آدم عليه السّلام و أولاده، و بحث الجنّة الصوريّة و المعنويّة في موضعه أكثر من ذلك إنشاء اللّه، فإن فيه اختلافات كثيرة ليس هذا موضعها، لأنّ النّاس بعضهم ذهبوا إلى أنّ هذه الجنّة ليست الجنّة الموعودة في في الآخرة بل هي جنّة من جنّات الدّنيا، و بعضهم إلى أنّ هذه الجنّة كانت الجنّة الأخرويّة و هي الآن موجودة، و بعضهم إلى أنّها لو كانت الجنّة الأخرويّة لم يمكن إخراج أحد منها خصوصا النبيّ المعصوم لأنّ الإخراج من الجنّة الأخرويّة بعد الوصول فيها مستحيل بالاتّفاق و سيّما شهد القرآن بالخلود فيها، و الحقّ من هذا كلّه أنّ الجنّة المذكورة هي الجنّة المعنويّة و خروجها منها كان كما قلنا بالتفاته إلى شجرة الوجود الحسّيّة و لذّاتها و شهواتها الّتي هي عبارة عن التنزّل من العالم العلوي إلى العالم السفلي، و قوله تعالى:

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ [سورة التين: ۴- ۵].

إشارة إلى هذا أي إلى أنّه خلقه أوّلا في أحسن الصورة من الصورة الرّوحانيّة و جعل مقامه و منزله الجنّة المعنويّة الشهوديّة الفطريّة و معلوم أنّ هذا هو أحسن تقويم و أعدل تعديل لكن صدر منه أفعال رديّة و أحوال غير مرضيّة فرددناه إلى أسفل عالم الطبيعة و أرذل مراتب الشهوات المعبّر عنه بالجحيم و جعلنا غذاؤه و لذّته إشارة إلى النوع الشامل لأولاده الّتي هي الأشخاص فإنّ النّسيان مسلوب عن الأنبياء و الرّسل عليهم السّلام بما قام على البراهين العقليّة و الدّلائل النّقليّة و ذلك العهد هو الّذي قال تعالى:

وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى [سورة الأعراف:

.[۱۷۲]

لأن أولاده بأجمعهم ذكورا كان أو إناثا اقرّوا بذلك في الأزل و عند إيجاد الأرواح و أنكروا في الأبد و عند إيجاد الأجساد إلّا القليل منهم لقوله:

وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ [سورة السبأ: ۱۲].

فضمير النّسيان إليهم لا إلى آدم، و كذلك فقدان من شجرة الزّقوم من النّزل و الحميم، عوض طوبى و تلك الجنّة و النعيم، و حيث بلغ الكلام هذا المبلغ و سمعت ذكر شجرة الزّقوم المقابلة لشجرة طوبى،

### ۷-۲-۴-۴ (في أنّ الوجود مطلقا دائر على التقابل من الأسماء الجلاليّة و الجماليّة)

اعلم، أنّ الوجود مطلقا دائر على التقابل من الأسماء الجلاليّة و الجماليّة و اللطيفة و الهقريّة، فالجنّة من الأسماء الجماليّة و مقتضياتها، و الجحيم من الأسماء الجلاليّة و مقتضياتها، و كذلك شجرة طوبى و شجرة الزّقوم.

و إذا تقرّر هذا فنقول: قوله تعالى لأهل النّار:

أَ ذلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ إِنَّا جَعَلْناها فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ إِنَّها شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُها كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّياطِينِ [سورة الصافات: ۶۲- ۶۵].

في مقابلة قوله تعالى لأهل الجنّة:

طُوبى لَهُمْ وَ حُسْنُ مَآبٍ [سورة الرعد: ۲۹].

لأنّها في مقابلتها فكما أنّها يخرج من أصل الجحيم فهذه يخرج من أصل الجنّة، و المراد بالأصل موضع إنباتها و نموّها.

فشجرة طوبى كما أنّها في الآفاق عبارة عن الوجود الحقيقي الكلّي على العموم و على الخصوص من النّفس الكلّيّة الإنسانيّة فتلك في الأنفس عبارة النفس الناطقة الجزئيّة على الخصوص و على العموم عن بدن كلّ إنسان مؤمن موحّد.

و شجرة الزّقوم كما أنّها في الآفاق عبارة عن شجرة الطبيعة الكلّيّة فتلك في الأنفس عبارة عن النفس الأمّارة الحيوانيّة الطبيعيّة، و الأولى هي المعبّرة في الأزل بالشجرة الطيّبة و الكلمة الطيّبة، و الثانية بالشجرة الملعونة و الكلمة الخبيثة و تشبيهها برءوس الشياطين لقبحها و قبح أغصانها و شعبها و أوراقها، و على هذا التقدير يكون أصل الشجرة الطّيبة المعبر عنها بطوى النفس الناطقة الجزئيّة الإنسانيّة و في الآفاق الوجود الحقيقي و أصلها ثابت و فرعها في السّماء صفتها، و أصل شجرة الملعونة المعبرة عنها بشجرة الزقوم النّفس الأمّارة الحيوانيّة، و في الآفاق الطبيعة الكلّيّة و وصفها أنّها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنّه رؤوس الشياطين.

و صاحب التأويل قدّس اللّه سرّه أشار إلى هذا المعنى من تأويله و هو قوله:

إنّها شجرة تخرج في أصل الجحيم و هي شجرة النفس الخبيثة المحجوبة النابتة في قعر جهنم الطبيعة المتشعبة

أغصانها في دركاتها القبيحة الهائلة ثمراتها من الرذائل و الخبائث كأنّها في غاية القبح و التشوّه و الخبث و التنفّر (بالتنفّر) «رؤوس الشياطين» إذ أي تنشأ منها الدّواعي المهلكة، و النوازع المردية الباغثة على الأفعال القبيحة، و الأعمال السيّئة، فتلك أصول الشيطنة و مبادئ الشرّ و المفسدة فكانت «رؤوس الشياطين فإنّهم لآكلون منها» يستمدّون منها و يتغذون و يتقوّون بها فإنّ الأشرار غذاؤهم من الشرور، و لا يلتذّون إلّا بها.

و بالجملة المراد بالجنّة المعنويّة لا الصوريّة و بالجحيم الجحيم المعنويّة لا الصّوريّة، و بالشّجرة الآفاقيّة الوجود المطلق العام على الخصوص، و بالشجرة الأنفسيّة مجموع الإنسان من حيث المجموع على العموم، و النفس الناطقة الجزئيّة على الخصوص.

و قد ذكر الغزالي رحمة اللّه عليه في جواهر القرآن فصلا مفردا في معنى الجنّة الصوريّة المعنويّة و ما يتعلّق بهما نذكره هاهنا ليتحقق عندك و عند غيرك أنّ قولنا في جميع المواضع مطابق لقول العلماء و المشايخ المتقدّمين منهم و المتأخرين، و هو قوله:

### ۸-۲-۴-۴ في أنّ للعارفين شهوة و شوق إلى اللّه و لمعرفة جلاله و هي ليست في غيرهم

«اعلم، أنّه لو خلق فيك شوق إلى اللّه عزّ و جلّ و شهوة لمعرفة جلاله أصدق و أقوى من شهوتك (إلى الأكل) للأكل و الشرب و النكاح لكنت تؤثر جنّة المعرفة و رياضها و بساتينها على الجنّة الّتي لقضاء (فيها قضاء) الشهوات المحسوسة لأن جنة المعارف هي الجنّة الّتي لا نهاية لأطرافها إذ معرفة جلال اللّه تعالى و أفعاله لا نهاية لها و الجنّة الّتي تعرفها خلقت من أجسام فهي و ان اتسعت أكنافها فمتناهية إذ ليس في الإمكان خلق جسم بلا نهاية فإنّه محال و إيّاك أن تستبدل الّذي هو أدنى بالّذي هو خير فتكون من جملة البله إن كنت من أهل الجنّة فإنّ أكثر أهل الجنّة البله.

ثمّ اعلم، ان هذه الشهوة خلقت للعارفين و إن لم يخلق لك كما خلق لك شهوة الجاه و إن لم يخلق للصبيان و إنّما للصبيان شهوة اللعب، و أنت تتعجّب من الصّبيان في عكوفهم على لذّة اللّعب و خلوّهم عن لذّة الرّياسة، و العارف يتعجّب منك في عكوفك على لذّة الجاه و الرّياسة، فإنّ الدّنيا بحذافيرها عند العارف لهو و لعب، و لما خلقت هذه الشّهوة للعارفين كان التذاذهم بالمعرفة بقدر شهوتهم فلا نسبة لتلك اللّذة إلى لذّة الشّهوات الحسيّة، فإنّها لذّة لا يعتريها الزّوال و لا يفترّها الملال بل لا يزال يتضاعف و يترادف بزيادة المعرفة و الإغراق فيها بخلاف ساير الشهوات إلّا أنّ هذه الشهوات لا تخلق في الإنسان إلّا بعد البلوغ أعني البلوغ إلى حدّ الرّجال و من لم يخلق فيه فهو إمّا صبيّ بعد لم تكمل فطرته لقبول هذه الشهوات أو عنّين أفسد كدورة الدنيا و شهواتها فطرته الأصليّة و شهواتها الحقيقيّة، فالعارفون لمّا رزقوا شهوة المعرفة و لذّة النظر إلى جلال اللّه تعالى فهم من مطالعتهم جمال (جلال) الحضرة الرّبوبيّة في جنّة عرضها السّماوات و الأرض بل أكبر و أعظم و هي جنّة عاليّة قطوفها دانية فإنّ فواكهها صفة ذاتهم و ليست بمقطوعة و لا ممنوعة إذ لا مضايقة في المعارف و على هذا التقدير لا مضايقة في الجنّة لأنّ جنّة كلّ واحد منهم مخصوصة به و ليس للآخر فيها مدخل و ليس هناك بخل و لا منع، فالعارفون ينظرون إلى العاكفين في حضيض الشّهوات نظر العقلاء إلى الصبيان عند عكوفهم على لذّات اللّعب، و لذلك تراهم يستوحشون من أكثر الخلق و يؤثرون الخلوة و العزلة فهي أحبّ الأشياء إليهم و يهربون من الجاه و المال فإنّه يشغلهم عن لذّة المناجاة و يعرضون عن الأهل و الولد ترفعا (رفعا) عن الإشتغال بهم عن اللّه تعالى، و ترى النّاس يضحكون منهم و يقولون في حقّ من يرونه منهم أنّه موسوس مدبر ظهر عليه (عليهم) مبادئ

(منادي) الجنون و هم يضحكون على النّاس لقناعتهم بمتاع الدنيا و يقولون أن تسخروا منّا فإنّا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون، و العارف المشغول بتهيئة سفينة النجاة لغيره و لنفسه لعلمه بخطر المعاد فيضحك (على أهل الغفلة) ضحك العاقل من (على) الصبيان إذا اشتغلوا باللعب و الصولجان، و العجب منك أيّها المسكين المعشوف (المشغول) بجاهك الحقير المنغص و مالك اليسير المشوّش قانعا به عن النظر إلى جلال الحضرة الربوبيّة و جمالها مع إشراقها و ظهورها فإنّها أظهر من أن يطلب و أوضح من أن يفقد و لم يمنع القلوب من الاستهتار (الاستشهاد) بذلك الجمال بعد تزكيتها (تركيبها) عن كدورات شهوات الدنيا إلّا شدّة الإشراق مع ضعف الأخلاق أو غلبة الظهور مع صغر الأبصار فسبحان من اختفى عن بصائر الخلق بنوره و احتجب عنهم بشدّة (لشدّة) ظهوره».

و يكفي في هذا عند العارف المنصف قوله:

هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [سورة الحديد: ٣].

لأن هذا يشمل جميع ما سبق في هذا المعنى لأنّه الأوّل في عين الآخر و الظاهر في عين الباطن و ليس لغيره وجودا إلّا أوّلا و لا آخرا و لا ظاهرا و لا باطنا.

و الحمد للّه الّذي هدانا لهذا و ما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه و هو يقول الحق و يهدي السبيل.

هذا آخر المقدّمة الخامسة و آخر بحث آيات اللّه الآفاقيّة و الأنفسيّة و القرآنيّة، و آخر بحث التطبيق الثلاث أعني الآفاق و الأنفس و القرآن، و آخر بحث الجنّة الصوريّة و المعنويّة و الجحيم الصوريّة و المعنويّة، و آخر بحث الشجرة الآفاقيّة و الأنفسيّة، و غير ذلك من الأبحاث الشريفة و النكات الدّقيقة الّتي لا توجد في كتاب غيره، و ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء و اللّه ذو الفضل العظيم.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ [سورة آل عمران: ١٩٠- ١٩١].

و إذا عرفت قواعد القوم و أصولهم و طريق تفسيرهم و تأويلهم و اطلعت على أسرارهم و معارفهم و تحققت لطائفهم و رموزهم و كشف لك دفائنهم و كنوزهم.

فاعلم أنّ هذا نتائج علم لم يحصل بالكسب و الاجتهاد و مقدّمات فنّي، لم يمكن حصولها من المعلم و الأستاذ لا يحمل عطاياهم إلّا مطاياهم، و من لم يفرق لم يعرف.

وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَ ما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ [سورة آل عمران: ٧].

و حيث فرغنا من هذا فالشّروع في بيان الشريعة و الطريقة و الحقيقة و أحبّ ليتأكّد هذا المعنى أيضا بتركته فإنّ الكلّ يرجع الى هذه المراتب الّتي هي مراتب الأقوال و الأفعال و الأحوال لقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

الشريعة أقوالي و الطريقة أفعالي و الحقيقة الحديث.

و هو هذا و باللّه التوفيق.

هذا و قد تمّ بحمد اللّه و المنّة الجزء الثاني من تفسير المحيط الأعظم للسيّد الفقيه العارف السيّد حيدر الآملي رضي اللّه عنه حسب تجزئتنا، و يليه إن شاء اللّه الجزء الثالث المشتمل على المقدّمة السّادسة.